أعمال موليير الكاملة

المجلد الثاني

تعريب :
أنطوان مشاطي

إشراف :
نظير عبود

دار نظير عبود

١٩٩٤

ص.ب : ٨٠٨٦/١١ تلفون : ٩٣٦٧٧٢ـ ٩٢٤٧١٤

يحتوي المجلد الثاني على :

مدرسة الزوجات	٥
إنتقاد مدرسة الزوجات	٧١
إرتجالية فرساي	١٠٧
أميرة إيليد	١٣٩
ترتوف	١٩١
دون جوان	٢٦١
خبائث اسكابان	٣٢٥
غيرة المخدوع	٣٨٩

مَدرَسَة الزوجَات

أشخاص المسرحية

أَرْنولْف : المعروف ايضاً باسم السيد دي لاسوش.
أَغْني : فتاة بريئة ربّاها أَرْنولْف.
هوراس : عاشق أَغْني.
آلان : فلاح، خادم أَرْنُولْف.
جورجيت : فلاحة، خادمة أَرْنولْف.
كريزالد : صديق ارنولف.
أَنْريك : زوج أخت كريزالْد.
أُورونْتْ : والد هوراس وصديق ارْنولْف الحميم.
الكاتب العدل :

الأحداث تجري في ساحة إحدى مدن فرنسا.

الفصل الأول

المشهد الأول

كريزالْد وأرْنولْف.

كريزالْد : هل أتيت لتقترن بها ؟
أَرْنولْف : نعم، أريد أن أبتّ في الأمر غداً.
كريزالْد : نحن هنا وحدنا، ويتسنّى لنا أن نتحدّث بحرية، فهل تريد أن أصارحك في شؤونك كصديق ؟ ان مشروعك يخيفني، وكيفما عالجت الموضوع، لا يغربْ عن بالك أن مسألة الزواج غير سهلة.
أَرْنولْف : صحيح، يا صديقي، انك تجد صعوبات ومحاذير في تحقيق مشروعي، لأنك لا تغفل عمّا يخبّئه الزواج من عقبات وربما من خيانات.
كريزالْد : هذه مغامرة ليست مأمونة العواقب، وأرى من الحماقة ان لا تأخذ الاحتياطات اللازمة وتحسب لكل حالة الف حساب. فإنّ أبغض ما اخشاه في قضيتك هو أن يحلّ بك ما يشكو منه مئات الأزواج. وأنت تعلم جيداً ان الكبار والصغار لا يسلمون من الوقوع في الشراك المنصوبة لهم، ما دام هناك مئات من المؤامرات تحاك باستمرار في الخفاء. وكم في الدنيا من زوج مقهور مغلوب على امره، كما هو الحال في محيطنا، يجمع المال بشقّ النفس فتبدّده زوجته على من تدعه يتسلّل الى فراشها خلسةً. وكم من زوجة تتظاهر بالعفة والأمانة وتقبل هدايا عاشقها أو عشّاقها، مدّعية انها تنالها تقديراً على فضائلها، فيصدّقها زوجها بطيبة خاطر ليتفادى المشاكل. وكم غيره يترك

الأمور تأخذ مجراها عندما يرى غريمه داخلاً الى منزله، فيتناول معطفه وقبعته ويخرج ليتجنب الفضائح. وكم غيرها تكذّب بمهارة ما تتهم به من تهوّر ظاهر في وصال حبيبها، فيصدّقها زوجها الأمين ليتحاشى القلاقل والمشاجرات. وذاك الزوج الذي تبذّر زوجته أموالاً قبضتها بالحرام، ويعلن على سبيل التمويه أنها ربحتها في اللعب. على كل حال، موضوع هذه التجاوزات والتماديات لا ينحصر، ويجعل الناس يتسمون لدى سماعهم الحجج الباطلة التي يتذرّع بها اصحابها. وهل يمكن أن يكون لهذه الانحرافات من محاسب أو رقيب ؟ ...

كريزالْد : نعم، لكن من يغربل الناس ويهزأ بهم يخشى أن يأتي دوره يوماً لينخله الناس ويسخروا منه. فأنا أسمع ما يقوله الجميع وكيف يتندّرون بما يرون حولهم من مشاهد ويسمعون من حكايات. ومهما أُذيع من شائعات لا أصدّق حرفاً منها. لأني نزيه لا أدين بعض التجاوزات التي لا يرضى عنها معظم الأزواج كي يُغفلوها، إذ يخشون أن تنقلب الآية وتقع الملامة على من لا يستحقّها. وأنا لا أتمنى أن أكون من فئة الرجال الذين يرضون بأن يتألموا بصمت وهدوء، ولا يبوحون بسرّ تعاستهم وشقائهم. وقد لاحظت بوضوح أن البعض يضحكون سرّاً والبعض يتغاضون ويأسفون على ما قد يكون إنصافاً للمغبون. فلا تتهم الأزواج المتألمين الذين لا ترحمهم الألسنة الطويلة في ما ينوبهم عن غير استحقاق من لوم وتنديد علينا ان نتصرّف باستقامة كي لا نقع فريسة النميمة وضحية ما قد نقدم عليه في زاوية متوارية أو على قارعة الطريق أحياناً.

أَرْنولْف : لا تندب حظك، يا صديقي. فمن يستطيع أن يمسك بي وأنا متلبس بالجرم المشهود يتعلم كيف يستفيد من زلّتي ليسير في الطريق القويم ويبتعد عن الأماكن المشبوهة حيث يتفنّن المفسدون في استثمار أهواء النساء والرجال. ولكي لا أقع في مثل هذه الأفخاخ المنصوبة ببراعة للمستهترين إتّخذت الحيطة اللازمة لاتقاء شرّ السقوط في التجربة. ولأن الفتاة التي أنوي أن أقترن بها بريئة عفيفة، لا سبيل لإلقاء أي لوم على سلوكها وسلوكي الشريف بعد الزواج.

كريزالْد : ومن هي صاحبة الحظ السعيد التي تشير اليها ؟

أَرْنولْف : اذا اقترنت أنا بحمقاء، لا سمح الله، فهذا ليس بدليل على أني أحمق مثلها. وفي اعتقادي أني حريص على اختيار فتاة عاقلة رصينة. لأن المرأة الحاذقة قد تسبّب المشاكل. وأنا أعرف بعض الرجال الذين جلبوا المتاعب لأنفسهم حين مالوا الى نساء أدهى مما يتصورون. بينما أنا أفضّل أن أرتبط بزوجة رزينة لا تتحدّث عن منتديات الأحبّة ولقاءات العشّاق، بأسلوب منمّق، وتأتي على وصف الأفراح والليالي الملاح. فأكون هكذا زوجاً عاقلاً محترماً. انا لا أرغب في من تدّعي المعرفة وتظنّ ذاتها متفوّقة، كي لا اسمع منها ما لا يرضيني، بل أريدها أن تشيد بفضائلي وأفضالي ومهارتي وحسن تصرّفي. لأني لا أطلب من المرأة الصالحة سوى حلو الكلام والتضرّع الى الله والطبخ والخياطة وسائر الأعمال المنزلية.

كريزالْد : لا تنسَ ان المرأة البليدة عبء ثقيل على زوجها.

أَرْنولْف : في الحقيقة، أنا أحبّذ ان تكون زوجتي بلهاء وبشعة، وأن لا تكون حسناء كثيرة الفطنة والفتنة ومستبدّة طاغية.

كريزالْد : لكن بين انفتاح الذهن وجمال الخلقة، ماذا تفضّل ؟

أَرْنولْف : لا شك في أن الشهامة تغني عن الاثنين.

كريزالْد : كيف تريد بعد كل هذا ان يصبح النذل شريفاً والسفيهة فاضلة ؟ هل يسعك أن تثق بها وتأمن جانبهما ؟ قد تنزلق المرأة الذكية الى ارتكاب الخيانة احياناً، اذا تجاسرت على خلع العذار. اما البليدة الطبع فإنها لا تحجم عن اتيان المنكرات في أغلب المناسبات ربّما بدون قصد وتصميم.

أَرْنولْف : انا لا أجد حججك سديدة: فقد قال بنْتاكْروَال لبانورْج : « متّعني بعطف المرأة ولو كانت حمقاء ». ومهما وعظتني ونصحتني ستتعجّب في نهاية المطاف كيف انك لم تتوصل الى اقناعي.

كريزالْد : لن أضيف حرفاً واحداً على ما سبق وبيّنته لك.

أَرْنولْف : كل انسان له خطّة يتبعها في هذه الدنيا. وفي موضوع المرأة ارى أن خبرتي كافية لأختيار شريكة حياتي التي ارجو أن تكون متواضعة وطيّعة ومن اسرة مشكورة، لطيفة المعشر مُحبّة ونظير والدتها طيّبة السمعة، وإن لم

تكن ثريّة. وهكذا آمل ان ارتاح الى العيش بقربها. وأفضّل ان تكون قد ربيت في وسط يشابه محيطي اما الغنيّة فلا سمح الله ان تكون من نصيبي لأنها عبء ثقيل على عاتق من يرضى بأن تكون زوجته. فكما يقول : المثل خير الأمور أوسطها، أودّ أن تكون رفيقتي راغبة في العيش البسيط، البعيد عن التصنّع والتكلّف. وإن سألتني لماذا أُعدّد كل هذه الأوصاف، أجيبك لأني أتمسّك براحة بالي وبالابتعاد عن المشاكل في حظيرة الزواج الضيقة. أخيراً، أدعوك هذا المساء، يا صديقي، لتتعشّى معي على مائدة من إختارها قلبي، لكي توقن بأن قراري في محله واني لن أندم في مستقبل الأيام على ما نويت أن أقدم عليه قريباً.

كريزالْد : اني أقبل دعوتك.

أَرْنولْف : وهكذا يسعك أن تحكم على براءتها وسلامة ذوقي.

كريزالْد : من هذا القبيل، لا أظنني أُخطئ في الحكم على واقع الأمر.

أَرْنولْف : ستلمس لمس اليد صحّة اختياري وستُعجب بأخلاقها الحميدة، كما هو حالي انا طبعاً، وإن كانت في بعض الأحيان تطرح أسئلة ساذجة مضحكة مثلما بدر منها ذات ليلة حين استفهمتْ عن مجيء الأطفال الى هذه الدنيا إن كانوا يأتون عن طريق الأُذن.

كريزالْد : هذا فعلاً دليل دامغ على بساطة تفكيرها، يا سيد أرنولف.

أَرْنولْف : أرجوك، يا عزيزي، أن لا تدعوني ابداً بهذا الاسم.

كريزالْد : إطمئن بالاً، يا صاح. إن لساني لا يقصد ابداً أن يتلفّظ به، ولن يخطر ابداً ببالي إلّا أن أدعوك السيد دي لا سوش. بربّك، قل لي ماذا يدفعك وانت في الثانية والأربعين من العمر الى تبديل اسمك ؟ فأنت طوال مدة معرفتي اياك لم اسمع باسمك النبيل هذا الّا منذ عهد قريب.

أَرْنولْف : انا أعلم جيداً انّه انتساب الى الطبقة العليا من القوم، ويعجبني كثيراً سماعه. لذلك أفضّل اسمي الثاني.

كريزالْد : أنا لست من أنصار تغيير الانسان اسم آبائه وأجداده، لأنه بهذا التصرف يتنكّر لأصله. وعلى سبيل المثال هناك فلاح اسمه بطرس الضخم، وهو لا يملك سوى قطعة ارض صغيرة، شاء ان يحفر حولها خندقاً، فامتلأت

الحفرة بالأوحال. لذا إتّخذ هذا الفلّاح اسماً جديداً ودعى ذاته بإسم فخم يمتّ بالنسب الى « آل الجزيرة ».

أَرْنولْف : يمكنك أن تنسى هذا التبديل. فإن اسم دي لا سوش هو الذي أُعرَف به منذ زمن بعيد، وإني افضل الآن ان أتكنّى به.

كريزالْد : انا لا أجد غضاضة في أن ادعوك كما تشاء. المهم أن يدعوك كذلك سائر الناس.

أَرْنولْف : وأنا لا يهمني كثيراً رأي سواي، بل يسرّني ان تقبله انت ...

كريزالْد : إطمئن بالاً. اني سأعتاد على تسميتك به ولن ادعوك بعد الآن إلا السيد دي لا سوش.

أَرْنولْف : وداعاً. سأطرق هذا الباب لأُعلِم أصحابه بأني عدت مؤخراً من رحلتي، فاعذرني.

كريزالد (يكمل طريقه) : تصرّفه المنحرف لا يدهشني، لأني عرفته دائماً غريب الأطوار.

أَرْنولْف : لا بد له من أن يكون قد امتعض من رأيي. كل انسان يتمسّك بما يعجبه ... يا هذا ...

المشهد الثاني

آلان وجورجيت وارنولف.

آلان : مَن الطارق ؟

أَرْنولْف : إفتح لي. ستسرّك مشاهدتي بعد غيابي الذي دام عشرة ايام.

آلان : من القادم ؟

أَرْنولْف : انا.

آلان : يا جورجيت.

جورْجيت : مَن المتكلّم ؟

آلان : هيّا إفتحي الباب.

جوزْجيت : هيّا بنا.
آلان : انا هنا.
جوزْجيت : بذمّتي، لن أفتح.
آلان : وانا ايضاً لن أفتح.
أَرْنولْف : ما هذا الكلام ؟ أتريدان أن تتركاني خارجاً ؟ هيا أسرعا وافتحا الباب.
جوزْجيت : لكن مَن الطارق ؟
أَرْنولْف : سيدكِ.
جوزْجيت : مَن، سيدي آلان ؟
آلان : ماذا تقول ؟
جوزْجيت : إفتح بسرعة.
آلان : لا، إفتحي أنتِ.
جوزْجيت : أنا أطفأت قنديلي.
آلان : وانا لا أفتح مخافة ان يخرج عصفوري الدوري من قفصه فتلتقطه هرّتي وتقضي عليه.
أَرْنولْف : من منكما يتمنّع عن فتح الباب سيُحرم من الطعام طوال أربعة أيام.
جوزْجيت : كيف تريد أن تسبقني عندما أبادر أنا الى فتح الباب ؟
آلان : لماذا تسبقينني انتِ الى ذلك ؟ لماذا تلجإين الى الخداع والنفاق ؟
جوزْجيت : هيّا إنسحبْ من هنا.
آلان : بل إنسحبي أنتِ.
جوزْجيت : أنا أريد أن أفتح الباب.
آلان : وأنا أيضاً أريد أن أفتحه.
جوزْجيت : لن تفتحه أنت.
آلان : ولا أنتِ.
جوزْجيت : ولاَ أنتَ ايضاً.
أَرْنولْف : لقد فرغ صبري. ماذا تنتظران كلاكما لتفتحا ؟
آلان : على الأقلّ، انا يا سيدي ...

جوزْجيت : انا خادمتك، وأنا أريد أن ...
آلان : مع كل احترامي لك، يا سيدي الواقف خارجاً، أودّ أن ...
ارنولف (يتلقّى ضربة من آلان) : تبّاً لك، يا أحمق.
آلان : ارجوك أن تسامحني.
أَرْنولْف : ما أغباك، أيها الأبله.
آلان : هي ايضاً، يا سيدي ...
أَرْنولْف : أصمتا كلاكما. هيّا أجبني، يا آلان، بدون مواربة، كيف حال الجميع هنا ؟
آلان : يا سيدي، نحن ... يا سيدي نحن بحالة ... نشكر الله، نحن ...
(ينتزع ارنولف القبعة ثلاث مرات عن رأس آلان).
أَرْنولْف : من علّمك، ايها البليد، ان تكلّمني والقبعة على رأسك ؟
آلان : الحق معك. أنا مخطئ.
ارنولف (لآلان) : دع « أغني » تنزل الى هنا. (لجورجيت) هل كانت حزينة حين غادرتها انا منذ بضعة أيام ؟
جوزْجيت : كلّا، لم تكن حزينة.
أَرْنولْف : ألم تكن كئيبة ؟
جوزْجيت : كلا.
أَرْنولْف : ولماذا ؟
جوزْجيت : لأنها كانت، تنتظر رجوعك عاجلاً. وكلما مرّ أمامنا حصان أو حماز أو بغل ظنّت أنك عائد.

المشهد الثالث

أغني، وآلان، وجورجيت، وارنولف.

أَرْنولْف : يسرّني أن أراكِ منكبّة على العمل، وشغلك في يدك. ها أنا قد رجعت، يا أغني. فهل يفرحك حضوري ؟

أغْني : اجل، يا سيدي. أحْمد الله على سلامتك.
أَرْنولْف : وانا مبتهج بمشاهدتكِ. أرى أنك في هذه المدة كنت تتمتعين بالصحة التامة.
أغْني : كل أموري على ما يرام، ما عدا البراغيث التي ضايقتني اثناء الليل.
أَرْنولْف : سأرسل بعد كم يوم مَن يطردها عنك.
أغْني : اشكرك على ذلك.
أَرْنولْف : لا شكر على الواجب. ماذا تفعلين الآن ؟
أغْني : انا اصنع قبعة لي، وقد أنهيت قميص نومك وكذلك القبعة التي ترتديها ليلاً.
أَرْنولْف : حسناً فعلتِ. هيا إصعدي الى غرفتك. سأعود بدون تأخير، وأنوي أن أفاتحك بقضيةٍ هامة تفرحك. (بعد دخول الجميع). الي اتحداكنّ يا بطلات كل الأزمنة. ايتها السيدات العالمات الغائصات في الحنوّ والعواطف الرقيقة. وأنا أتحدّى كلَ ما يخصّكنّ من أشعار وروايات وأدب ورسائل لطيفة وكل ما أكتسبتنّ إجمالاً من علم يبعدكنّ عن قباحة الجهل، وما تحلّيتنّ به من شرف وحياء.

المشهد الرابع

هوراس وارنولف.

أَرْنولْف : ليس بالمال وحده يتسنى للمرء ان يبهر المجتمع. المهمّ أن يكون متشبّثاً بالشرف الرفيع. ماذا ارى ؟ هل أنت موافق على ما اقول ؟ اني لا اخطئ في أحكامي. أجل، انه هو بذاته.
هوراس : سيدي أرْ ...
أَرْنولْف : أهذا أنت، يا هوراس ؟
هوراس : وانت، يا ارنولف ؟
أَرْنولْف : ما أشد ابتهاجي برؤياكم. منذ متى أنت هنا ؟

هوراس : منذ تسعة أيام.

أرْنولْف : أصحيح ما تقول ؟

هوراس : لقد ذهبت الى منزلك ولم أجدك هناك.

أرْنولْف : كنت مسافراً الى الريف. متى عرّجتَ عليّ ؟

هوراس : منذ يومين فقط.

أرْنولْف : كم ينمو ويكبر الأولاد خلال أعوام قليلة. أنا مُعْجب به كما أراه الآن. وقد شاهدته آخر مرة حين كان طوله بهذا المقدار فقط.

هوراس : الأعوام تمضي بسرعة.

أرْنولْف : لكن، قل لي ماذا يفعل والدك أُورونت، صديقي العزيز الذي اكنّ له كل تقدير ومودّة ؟ وكيف يقضي أوقاته ؟ ألا يزال نشيطاً ؟ هو يعلم جيداً أن كل ما يهمّه يهمّني انا ايضاً. ها قد مضت أربعة أعوام بدون أن يشاهد أحدنا الآخر وبدون أن نتراسل.

هوراس : إطمئن، يا مولاي أرنولف، إنه سعيد اكثر منّا. وها قد بعث اليك بهذه الرسالة. إعلم أنه كتب اليّ مؤخّراً يخبرني بقدومه قريباً إلينا بدون أن يوضح لي سبب زيارته. هل دريت بأن أحد مواطنينا عاد الى هذه الديار بثروة طائلة بعد رحيله الى أميركا منذ اربعة عشرة سنة.

أرْنولْف : لا، لم أعلم بذلك. هل تعرف ما اسمه ؟

هوراس : أنْريك.

أرْنولْف : لا.

هوراس : حدّثني والدي عن عودته، فبتُّ كأني أعرفه منذ زمن بعيد. ولقد زوّدَني رسالته بكثير من المعلومات الهامّة عن هذا المغترب الغني.

أرْنولْف : يسرّني جداً ان اراه. وسأبذل جهدي لاستقباله أحسن استقبال. (بعد ان قرأ الرسالة) : لا بدّ للأصدقاء من كتابة الرسائل بأقلّ كلفة، اذ لا لزوم لكل هذه اللياقات، ولا موجب لتوصيتي كي أكرم وفادته بكل امكاناتي.

هوراس : من عادتي ان أجعل الناس يتقيّدون بأقوالهم. لذا أعلمك بأني بحاجة حالياً الى مئة ليرة.

أرْنولْف : بذمّتي، يسرّني ان أخدمك وأتمنّى لو كان هذا المبلغ الكبير

بحوذتي. لذا تراني لا أبخل عليك بما تحويه محفظتي من مبلغ ضئيل لا يفي بالمرام.

هوراس : لا بدّ ...

أَرْنولْف : دع عنك الإعتراض، وقل لي كيف وجدت هذه المدينة ؟

هوراس : آهلة بالسكان، رائعة البنيان، غاصّة بالملاهي، يلذ لكل فرد ان يتصرّف فيها على هواه. مع ذلك يقتضي لأهل المجون هنا أن يقنعوا بالقليل. لأن ربّات الغنج والدلال من سمراوات وشقراوات لسْنَ سهلات المنال، وإن كان الأزواج الخبثاء يتركون لهن الحبل على الغارب. لذا يستطيع المرء ان يرفّه عن نفسه كأمير وسط هذه الحاشية التي لا تحرم ذاتها في أغلب الأحيان من مباهج الحياة. لا سيما وأنت ميسور الحال مليء الجيوب بالمال الوفير، فلا يصعب عليك استمالة قلوب أوفى النساء.

هوراس : لا اخفي عنك الحقيقة. والصداقة تقضي بمصارحتك بأني عاشق متيّم غائص في بحر الهوى.

أَرْنولْف : ها هوذا خبر سعيد يفرحني.

هوراس : ارجوك أن تكتم الأمر في سرّك.

أَرْنولْف : كن مطمئنّ البال من هذا القبيل.

هوراس : انت لا تجهل أن السرّ متى تجاوز الاثنين شاع. لذا أصرّح لك بأني احببت فتاة فاتنة أسرتْ قلبي الذي وجد لديها بعض التجاوب، لأنها هي ايضاً تكنّ لي ميلاً قرأت حروفه المنوّرة في لحظ عينيها.

ارنولف. (**يضحك**) : ومن هي ؟

هوراس (**يريه منزل أغني**) : ها هوذا بيتها، وقد إحمرّت جدرانه عنها خجلاً. هي صبيّة رشيقة القوام، جميلة ساحرة، جذّابة الملامح، مشرقة الوجه، براقة العينين، تُدعى « أغْني ».

ارنولف (**على حدة**) : ما أتعسني وأشقاني.

هوراس : والدها يُدْعَى زوس أو سورْس، لست ادري بالضبط. وهو رجل واسع الثراء، غير أنه كما قيل لي، ليس بخارق الذكاء. فهل تعرفه ؟

ارنولف (**على حدة**) : يا للمصيبة.

هوراس : ما لك صامت لا تجيب ؟
أَرْنولْف : نعم، أنا أعرفه.
هوراس : هل هو مهووس، كما بلغني ؟
أَرْنولْف : ربما.
هوراس : ماذا تقول ؟ اذاً هذا صحيح. يا خيبة أملي. يقال كذلك أنه غيور وأحمق. فإن كان هذا صحيحاً أيضاً، فهناك الطامة الكبرى. لكن إبنته أغْني اللطيفة عرفت كيف تأسر قلبي. إنها في الحقيقة جوهرة نادرة لا تُقدّر بثمن. ولا أخفي عنك أني أعتبر جرماً فاضحاً أن يُترك حُسْنها الباهر في عهدة رجل كهذا غريب الأطوار. أمّا أنا فكل امنيتي وحلمي الرائع هو ان أحصل عليها. وما المبلغ الذي طلبت منك أن تقرضني اياه، إلّا ليساعدني على تحقيق امنيتي بالاقتران بها. فالمال كما تعلم هو مفتاح جميع الأبواب الموصدة المستعصية. وهذا الأصفر الرنان، في الحبّ كما في الحرب، يسهّل احتلال امنع الحصون والقلوب. ازاك تستمع اليّ بكآبةٍ ظاهرة، أَفَلَا ترى رأيي في هذا المشروع العزيز على مهجتي ؟
أَرْنولْف : لا، لا، بل كنت أفكّر.
هوراس : أظن أن هذا الموضوع لا يسرّك كثيراً. الوداع. سأعود اليك في فرصة أخرى.
أَرْنولْف : لماذا أنت مستعجل هكذا ؟
هوراس (**يعود**) : أرجوك مرة ثانية أن تكتم تصريحي لك في سرّك، وأن لا تبوح به لأحد (يَمْضي).
أَرْنولْف : أشعر بضيق في صدري.
هوراس (**يعود**) : ولأبي بنوع خاصّ. إذْ ربما أغضبه هذا الخبر.
ارنولف (**يظنّ أنه رجع ثانية**) : كم آلمني هذا الحوار، وكم أحزنني أن أروي لك الآن حكاية إسمي الآخر. لكني اضطررت الى مصارحته بتفضيلي ما يعجبني طبعاً في هذه القضية. سأحاول ان أتّصل به ثانية لأني أعتقد أنه غير بعيد من هنا، وأن اذكّره بما طلبت منه خشية ان يسبب لي بعض الاحراج، اذ غالباً ما ينجم الضرر عمّا يتساهل به المرء من حيث لا يقصد.

الفصل الثاني

المشهد الأول

ارنولف

أرْنولْف : كل ما اشعر به نحوها يجعلني اميل الى الإعتقاد أني مصيب في اختياري هذه الفتاة اللطيفة الكريمة الأخلاق. لأني لن أغفر لنفسي خيبة آمالي إن أثبتت لي الأيام القادمة ان مظهرها خدّاع، وأن طويّتها غير سليمة، فيما اذا صممت على قبولها كشريكة حياتي. لأن مشروع الزواج صندوق مقفل كما قيل، لا يظهر ما في داخله إلا بعد فتحه بتتميم مراسم الزفاف. فأرجو أن يلهمني الله ما فيه خيري قبل الإقدام على هذا ... (يُطرق الباب).

المشهد الثاني

آلان وجورجيت وارنولف.

آلان : يا سيدي، هذه المرة ...
أرْنولْف : مهلاً تقدّما كلاكما نحوي. هيا أقْبلا إليّ.
جورْجيت : لقد أفزعتني، وقلبي يرتجف هلعاً.
أرْنولْف : أرى أنكما أثناء غيابي لم تتورّعا عن العبث بشؤوني الخاصة.
جورْجيت : أرجوك، يا سيدي، أن لا توبّخني.

آلان (على حدة) : لا بدّ من أن يكون قد عضّها كلب مسعور.
أرْنولْف : لم أعد أقوى على الكلام لشدة ما توجّسْت خيفة، وأنا أكاد أختنق حزناً لأني أيقنت بصحة النميمة التي اطلقتماها بحقي أيها اللئيمان اللعينان. ها قد عدت ... الى أين تريد أن تهرب ... لا بد لي من أن أُنزل بك ... اذا تحركت. هيّا أريد أن تقولا لي ... أجل أُصرّ على ان تعترفا كلاكما ... إعلما جيداً اني مصمّم جدّيّاً على قتل من يتحرّك منكما بضربة لا محالة تُخمد أنفاسه. هيّا أجيباني كيف تمكّن هذا الشاب من الدخول الى بيتي. عجّلا، وأقرّا حالاً وسريعاً بدون أن تحاولا التملّص من الردّ على سؤالي بصراحة تامّة.
آلان وجورجيت (يجثوان على ركبتيهما) : مهلاً، يا مولانا الكريم.
جورْجيت : قلبي يكاد يتوقّف عن الخفقان.
آلان : وانا أكاد أموت رُعْباً.
أرْنولْف : ها قد هدأ روعي قليلاً. لكني لا أصدّق ان الذي عرفته صغيراً سيكبر بهذه السرعة ويزاحمني على حبيبتي. لا بد لي من أن أفهم ذلك منه شخصيّاً وأعرف ماذا ينوي عمله بالضبط في هذا الموضوع الحيوي بالنسبة اليّ. فاصبرْ، يا قلبي، وتمهّلْ، عليّ أن أقابل أغني حالما تنزل لأكون على بيّنة من أمري، وكيف يتحتّم علي أن أتصرّف لأصون حبي وكرامتي، وأخرج سالماً من هذه المعركة العاطفيّة الطاحنة ... لا بدّ من أن ينتظرني خادماي ها هنا.

المشهد الثالث

آلان وجورجيت.

جورْجيت : يا إلهي، ما اشد غضبه. لقد سمّرتْني نظراته القاسية في مكاني. في الحقيقة، لم أشاهده قبلاً في مثل هذا الوضع الثائر.
آلان : الشاب هو الذي أحرجه واخرجه عن إتّزانه، كما قلت لك منذ هنيهة.
جورجيت : ما أصلب عناده وأخشن طبعه. هل يريد أن يسجن سيدتنا في بيتها،

ويفرض عليها العزلة التامّة ويجبرنا على أن لا ندع احداً يراها في مخبإها أو يكلّمها أو يقترب من شخصها الأسير ها هنا ؟

آلان : ارى أن الغيرة قد سيطرت على أفكاره وتصرّفاته.

جورْجيت : ألَا قلْ لي بربّك، ماذا حدا به الى إتخاذ هذا الموقف الغريب ؟

آلان : صدّقيني، هذا كله مصدره الغيرة بدون ادنى شك.

جورْجيت : لكن، ما الداعي الى كل هذه الغيرة وكل هذا الإهتداء ؟

آلان : تبّاً للغيرة التي تعمي البصيرة والبصر، يا جورجيت، وتبعث الاضطراب والقلق هكذا في النفس. ولكي أبيّن لك ببساطة ما يتصارع في رأسه من خواطر أطرح عليك هذا السؤال. عندما تطهين الحساء مثلاً، اذا أقبل جائع غريب ليغرف منه ويأكل، ألا تستائين وتغضبين وتصرخين في وجهه وتطردينه ؟

جورْجيت : الآن فهمت السبب الذي دفعه الى الغضب على هذه الصورة السمجة.

آلان : هكذا يجب عليك أن تعرفي ان المرأة هي حساء الرجل. فعندما يرى هذا الرجلْ ان جائعاً آخر يودّ ان يشاركه في الغَرْف من حسائه ليشبع نهمه هو أيضاً يستشيط غضباً في الحال، ويرغي ويزبد ولا يتردد في تحطيم كل ما حوله إن استطاع.

جورْجيت : لكن، لماذا لا نجد ردّة الفعل ذاتها لدى كل الرجال على السواء ؟ اننا نشاهد بعض الأزواج لا يبالون لدى رؤية نسائهم في أحضان سواهم من الرجال ؟

آلان : لأن جميع الرجال ليسوا حريصين على نسائهم كي يصرّوا على أن يكنّ لهم وحدهم فقط لا لسواهم ايضاً.

جورْجيت : اذا لم يخدعْني نظري، ها هو سيّدنا قد عاد.

آلان : كلا، بصرك لا يخدعك. فها هو بذاته.

جورْجيت : انظر إليه كم هو قَلِق كئيب يستدعي الشفقة.

آلان : أجل ويبدو عليه أنه يكاد يختنق من شدة الضجر والألم.

المشهد الرابع

ارنولف وأغني وآلان وجورجيت.

أَرْنولْف : قال أحد العقلاء المتبصّرين يوماً للأمبراطور أغسطس : « عندما تنتابنا ثورة الغضب علينا أن نعدّد حروف الأبجدية كلّها ريثما يهدأ غيظنا في هذه الاثناء، ولا نُقْدم على ما يتحتّم علينا أن لا نفعله، وتندم بالتالي على عمله ». وانا إتّبعت هذه النصيحة القيّمة في موضوع أغني. لذلك قصدت أن استقدمها الى هذا المكان بحجّة اني أودّ ان أقوم معها بنزهة قصيرة. وهكذا تهدأ خواطري المضطربة، وأطلعها على مخاوفي، وفي الوقت ذاته أحاول أن أستشفّ مدى تعلّقها بي وأستطلع بلطف ما تكنّه لي من العطف والمودّة ... فتعالي، يا أغني، نتجوّل برهة في الحديقة.

المشهد الخامس

ارنولف وأغني.

أَرْنولْف : ما أروع هذه النزهة.
أَغْني : حقاً، انها جميلة.
أَرْنولْف : والنهار صافٍ بهيج.
أَغْني : أجل، هو في منتهى الروعة.
أَرْنولْف : ما وراءك من الأخبار ؟
أَغْني : لقد مات الهرّ الصغير.
أَرْنولْف : يا للأسف. لكن ماذا دهاه ؟ كلّنا مصيرنا الموت في يوم من الأيام، فلا تحزني. عندما كنت أنا في الحقل، ألم تمطر السماء ؟
أَغْني : كلا.
أَرْنولْف : هل هذا يضايقك ؟
أَغْني : لا شيء يزعجني.

أَرْنولْف : ماذا فعلت خلال الأيام التسعة أو العشرة الماضية ؟
أَغْني : أنجزت خياطة ستّة قمصان وستّ قبعات أيضاً.
أَرْنولْف (**وقد سها لحظةً**) : الدنيا، يا أغني، هي كعادتها في غاية الغرابة. فلقد بلغني نبأ مشؤوم مفاده أن رجلاً مجهولاً قد دخل المنزل اثناء غيابي وازعجك بحضوره وحديثه. انا لم أصدّق هذا الخبر الملفّق، وأصررت على المراهنة بأن لا صحة مطلقاً لهذا الادعاء الكاذب.
أَغْني : يا إلهي. لم يكن من داعٍ للرهان كي لا تخسره.
أَرْنولْف : هل صحيح اذاً أن رجلاً ...
أَغْني : هذا لا شك فيه، لأنه فعلاً لم يزر أحداً سوانا.
أَرْنولْف (**على حدة**) : هذا النبأ الذي تؤكده بصراحة يطعن فؤادي بخنجر حاد. (بصوت مرتفع) على ما أذكر، يا أغني، قد حرّمتُ عليك استقبال اي زائر اثناء غيابي.
أَغْني : لكن عندما تعرف السبب الذي تجهله، يبطل حتماً عجبك. ولو كنت أنت مكاني لتصرفت كما فعلتُ انا.
أَرْنولْف : ربما. فعجّلي اذاً واروي لي كل ما حدث.
أَغْني : أمر غريب يكاد لا يُصدَّق. كنت جالسة في الشرفة بالبرود، عندما رأيت شاباً يمرّ بين أشجار الحديقة. فالتقى نظرانا وانحنى هو مسلّماً عليّ بأدب، وانا بدوري، من قبيل اللياقة، رددت له تحيّته، وانحنيتُ مسلّمة. فما كان منه إلّا أن انحنى ثانيةً وكذلك أنا، وثالثةً ايضاً وأنا كذلك. وراح يمرّ أمامي ذهاباً وإياباً ووجهه يبتسم لي. وهكذا استمرّ في النظر إليّ وأنا أردّ له ابتسامه الى ان أسدل الليل ستائره، ونحن لا نزال نتبادل النظرات والابتسامات. لأني اعتبرت خروجاً على قواعد الأدب أن أكون أقلّ تهذيباً منه.
أَرْنولْف : هذا حقاً جميل جداً.
أَغْني : وفي الغد، عندما كنت واقفة بالباب، دنت مني سيدة متقدّمة في السنّ وخاطبتني قائلة : يا ابنتي، بركة الله تشملك وتحفظ لك طلعتك البهية. لم يَمُنَّ الخالق عليك بهذا الجمال الملائكي لكي تغفلي التنعّم بحسناته وأنتِ في

ريعان صباك، وتجرحي قلب فتى يضطر اليوم الى التنهّد من شدّة أساه، هو
ريعان صباك، وتجرحي قلب فتى يضطر اليوم الى
الذي لم يتعوّد الشكوى.

أَرْنولْف (على حدة) : تبّاً له من وغد لئيم كزبانية الجحيم.

أَغْني : سألتها : هل حقاً أنا جرحت أحداً ؟ فأجابت : اجل لقد تسبّبتِ في جرح الشخص الذي رأيته بالأمس من شرفتك. قلت لها : وهل استفهمت منه عن سبب ألمه ؟ اجابت : أجل، إن عينيك هما اللتان سدّدتا اليه السهام الجارحة ولحظك هو الذي أنزل به هذا البلاء البالغ الخطورة. فسألتها : وهل عيناي فيهما سهام تصيب الانسان بأي أذى ؟ أجابت : نعم ان فيهما سهاماً ساحرة جارحة لا علم لك بها. وبكلمة أقول لك إن هذا الشاب المسكين يتألم ولا بدّ له من معالجة فعّالة وسريعة، ترفض قساوتك أن تسعفه بها. وقد أصبح إنساناً سقيماً على بُعْد خطوتين من مثواه الأخير. فقلت لها : يا إلهي، يجب عليّ اذاً أن أرحم عذابه وأخفّف عليه علّته. ولكن كيف يسعني أن أساعده ؟ وماذا يُطلب مني أن أفعل ؟ أجابت : ان عينيك وحدهما تستطيعان أن تنعشاه وتقياه من الهلاك المحتّم، وتشفياه من العلة التي أصبته بها، فقلت : يسعه أن يأتي اليّ ساعة يشاء لكي يتناول منهما دواءه الشافي.

أَرْنولْف (على حدة) : تبّاً لك من ساحرةٍ داهيةٍ لعينة تسمّمين النفوس الأبية. حملتك الأبالسة الى قعر الجحيم الذي تستحقّينه على قباحة أقوالك وتحريضاتك.

أَغْني : هكذا شاهدني وتناول جرعة الدواء ليشفى. أولا ترى ان الحق بجانبي ؟ وهل يمكنني أن أكون مرتاحة الضمير إن تركته يموت بسببي وحبست عنه نجدتي، انا التي اشفق دوماً على المظلوم ولا استطيع أن أبصر دجاجة تُذبح بدون أن تنهمر دموعي ؟

أَرْنولْف (بصوت خافت) : هذا تصرّف انسان بريء رحوم، ولا بد من أن ألوم ذاتي على قلّة تبصّري لأني تركت أخلاقك الكريمة تتعرّض لإغراء هذا المراوغ المحتال. وأخشى أن يكون هذا المنحطّ الذي يستحق الموت شنقاً على تطاوله ووقاحته، قد حاول إغواءك.

أغْني : ماذا دهاك ؟ وأي شرّ تجد في ما فعلته أنا بإسعافي شاب مسكين إلتمس معونتي ؟

أرْنولْف : لا، ارجوكِ ان تطلعيني على ما جرى بعدئذٍ، وكيف تصرّف هذا الفتى الأرعن اثناء ما قام به من زيارات لشخصك اللطيف ؟

أغْني : ليتك تعلم كم كان مسروراً، وكيف زال عنه الألم والعذاب حين أبصرني. ولقد قدّم كهدية لي علبةً جميلة، ومالاً لخادمي آلان وخادمتي جورجيت. حقاً، يجب عليك أن تكون له من الشاكرين.

أرْنولْف : ولكن ماذا فعل عندما انفرد بك ؟

أغْني : أُقسم لك أنه يحبني حبّاً لا مثيل له. ولقد اسمعني أحلى كلام في الدنيا لا يعادله اي تعبير آخر. وكلما تحدّث اليّ شعرت بارتياح وسرور ورعشة سحرية لا ادري كيف أصفها لك.

أرْنولْف (على حدة) : ما هذا القول المشؤوم الذي لا ارغب في سماعه مطلقاً ؟ (لأغني) وما عدا العبارات اللطيفة التي وجّهها اليك، ألم يداعبك ويلامس جسمك الناعم.

أغْني : اجل أخذ بين كفّيه يديّ وذراعيّ وقبّلها مراراً بفرح وبدون كلل أو ملل.

أرْنولْف : أولم يَطْلُبْ منك أية ناحية أخرى ؟ (يراها واجمة). لم اقصد الاساءة اليك ابداً.

أغْني : أجل لقد ...

أرْنولْف : ماذا ؟

أغْني : أخذ ...

أرْنولْف : قولي لي ماذا ؟

أغْني : ألـ ...

أرْنولْف : أرجوك أن تُكمِلي.

أغْني : لا أجرؤ. ربّما حَنِقْتَ عليّ.

أرْنولْف : كلا، كلا.

أغْني : واذا أسْتأتَ ؟

أَرْنولْف : أعدك بأن لا أحنق.
أَغْني : أحلف لي بشرفك.
أَرْنولْف : اقسم لك اني لن أسخط.
أَغْني : لقد أخذ مني ... لا، لا، ستغضب حتماً.
أَرْنولْف : كلا، كلا، أؤكد لك اني لن أغضب ابداً.
أَغْني : بل ستستاء مني.
أَرْنولْف : لن استاء بتاتاً. لماذا لا تريدين أن تبوحي بما أخذه منك ؟
أَغْني : لقد ...
أَرْنولْف (على حدة) : لا تعذّبي مهجتي اكثر مما فعلتِ.
أَغْني : لقد اخذ مني الشريط الذي أهديتني اياه. ولَم أمانعه عندما ألحّ وأصرّ للاستيلاء عليه والاحتفاظ به كتذكار.
ارنولف (يتنفّس الصعداء) : لا بأس إن أخذ الشريط فقط. لكني أريد أن أعرف اذا كان حقيقة اكتفى بتقبيل يديك وذراعيك.
أَغْني : ماذا تعني ؟ وهل يستطيع أن يتجاوز الى اكثر من هذا ؟
أَرْنولْف : لا، لا، طبعاً لا. ولكن لكي يبرأ تماماً من علّته ألم يطلب منك علاجاً آخر ؟
أَغْني : كلا، كلا. أقسم لك انه لم يطلب أي شيء آخر غير الإسعاف الذي منحته اياه.
ارنولف (على حدة) : شكراً لك، يا إلهي. هكذا ارتاح قلبي أمّا اذا تعرّضتِ لتجربة غير هذه، فلن يسهل عليّ قبول التحدّي الذي سأواجهه عندئذ. يا لبراءتك، يا أغْني. بالفعل، لا يسعني أن أضيف كلمة واحدة على ما قلته لك، لأن ما جرى قد جرى. ولست أدري إن كان هذا الضيف الثقيل حين أثنى على جمالك ولطفك لم يطمع بأكثر مما سمحتِ له بالاستشفاء به، وهو يضحك من سذاجتك وبساطتك.
أَغْني : تَعْني أني أخطأت في تصرّفي حياله. أرجوك أن تبيّن لي لماذا وكيف وما السبب ؟

أَرْنولْف : السبب ؟ السبب هو الحكم الذي يصدر بحقّك، اذا أغضبتِ السماء بما فعلت.

أَغْني : اذا أغضبتُ السماء ؟ لكن ما الداعي الى غضبها ؟ إن ما قمت أنا به لا يعدو كونه مجاملة سارّة. لأني أقدّر ما يشعر به الانسان من الفرح والارتياح عندما يحسن التصرف. وأنا لم أقصد ولا مارست هذه المساعدة إلّا في سبيل عمل الخير.

أَرْنولْف : أجل، إن مثل هذا التصرّف يجلب السرور طبعاً، لا سيما لقاء حلاوة ما يلقاه الانسان من لطف وحنوّ ومداعبة مستحبّة. لكن على المرء أن يتذوّقها بإحساس شريف، تمحو شرعية الزواج ما قد يستحقه من ملامة وعقاب لو صدر عنه قبله واعتُبر محرّماً.

أَغْني : عندما يجري ذلك بعد الزواج، أعتقد أن الأمر لا يكون مشيناً.

أَرْنولْف : طبعاً لا، بكل تأكيد لا.

أَغْني : اذاً، رجائي وكل أملي القبول بي زوجاً بأسرع وقت ممكن.

أَرْنولْف : اذا شئتِ، أنا على أتم الاستعداد لتحقيق هذا القران. ولهذا السبب بالذات تجدينني جاهزاً ها هنا في هذه اللحظة.

أَغْني : هل ما بلغ أذني الآن صحيح ؟

أَرْنولْف : اجل، اجل.

أَغْني : ما أعظم البهجة التي أدخلتها الى قلبي.

أَرْنولْف : أنا لا أشك بما ستلقينه من سعادة في جنة الزواج.

أَغْني : هل تريد أن نذهب نحن الاثنين ...

أَرْنولْف : أنا لا أتمنى غير هذا.

أَغْني : اذ ذاك سيتسنى لنا ان نتداعب كما نشاء.

أَرْنولْف : ثقي بأن الأمور ستكون متبادلة على ما يرام.

أَغْني : لا أُحبّ ان يهزأ بي أحد. هل تتكلّم جدّياً ؟

أَرْنولْف : نعم، نعم. ويمكنك أن تلمسي بنفسكِ حسن نيّتي.

أَغْني : هل حقاً سنتزوج ؟

أَرْنولْف : نعم.

أغْني : متى ؟
أرْنولْف : هذا المساء.
أغْني (ضاحكةً) أحقّاً، هذا المساء ؟
أرْنولْف : نعم، هذا المساء بالذات. هل هذا يضحككِ ويفرحك ؟
أغْني : نعم، جداً جدّاً.
أرْنولْف : ليس أبهج عندي من أن أراكِ في غاية السعادة.
أغْني : كم أنا مرتاحة لتصريحك هذا. وكم سأكون راضية على حسن تصرّفي.
أرْنولْف : مع من ؟
أغْني : مع ... هناك ...
أرْنولْف : مع من ... هناك ؟ لا يعجبني أن تختاري زوجاً بمثل هذه العجلة. لماذا لا تبيّنين لي على من وقع اختياركِ ؟ لا بد من أن أرحّله الى العالم الآخر عندما أعرف من هو. أيقني بأني سأعرف ايضاً كيف أُنهي علاقتكِ به حالاً حين سيأتي اليك ليبلغك أحرّ تمنّياته. إفهمي جيداً ان عليك أن تغلقي بابك في وجهه وأن ترميه من النافذة بحجر كبير وترغميه على أن لا يكرّر عودته اليك. هل سمعتِ، يا أغني ؟ سأختبئ في إحدى الزوايا لأكون شاهداً على طريقة استقبالك اياه.
أغْني : إتّفقنا على ذلك ... ها هوذا ...
أرْنولْف : ماذا تقولين ؟
أغْني : لن أجرؤ على مواجهته كما تريد.
أرْنولْف : لا تأتي بأية حركة، بل إصعدي فوراً الى مخدعكِ.
أغْني : ماذا تقصد ؟
أرْنولْف : كفى. إعلمي أني هنا أنا السيد المطاع، وعليك أن تخضعي لأوامري وتنفّذيها بحذافيرها فوراً بدون أيّ تردّد.

الفصل الثالث

المشهد الأول

ارنولف واغني وآلان وجورجيت.

أَرْنولْف : كل الأمور تسير على ما يرام، وفرحي لا يضاهيه أي سرور في الدنيا. لأنك إتّبعتِ تعليماتي كما يجب، رغم مسعى الشاب الأشقر الذي حاول إغراءكِ. في الحقيقة يعود الفضل الأكبر إليّ أنا الذي وقفت له بالمرصاد. كنت أخشى أن تدفعك براءتك الى مسايرته والغرق في لجة معاصيه بدون قصدكِ، لولا ارشاداتي السديدة. لأن أغلب هؤلاء الفتيان المتهورين قد دأبوا على اغواء الصبايا بما يتزيّنون به من ريشات وأشرطة ملوّنة وشعر طويل متموّج وعيون جسورة آسرة. لكنكِ بفضل حضوري قد تداركتِ سوء المصير، وتملّصتِ من براثن هذا المحتال اللعين الذي يفوق دهاؤه جيل ابليس بعينه، والذي حاول ان يخدّش شرفك الطاهر النقي. أُشكري الله على أن نجاتك من حبائل شرّه تمّت على يدي. وهذا ما يجعلك مدينةً لغيرتي على صالحك وهنائك، فحمَيْتك من التدهور والسقوط في الرذيلة. أبشري اذاً واستعدّي قريباً لإتمام مراسم زفافك اليّ. وانا، بانتظار هذا اليوم السعيد القريب ان شاء الله، أرجوك أن تنصتي الى حديثي القصير التالي. فهلّا جلبتِ لي مقعداً لأستريح بعض الوقت عليه بجوارك ؟ (لجورجيت) وانتِ، اذا لاحظتُ عليك ما ...

جوزْجيت : سأطيع حرفياً أوامرك يا سيدي، ولن أدع ذاك الشاب يجرؤ على ... لكن ...

آلان : اذا عاد ودخل ثانية من هذا الباب، سأكون انا بانتظاره. مع أنه في المرة السابقة أتحفني بليرتين ذهبيتين زهيدتين.

أرْنولْف : الآن، ستتناول عشاءك باستعجال، ثم عليك أن تأتي الى هنا بالكاتب العدل الذي كما تعلم، يسكن قرب الزاوية غير البعيدة من هذا المكان. وانا اتدبّر الباقي لاجراء المراسم.

المشهد الثاني

ارنولف واغني

ارنولف (جالساً) : أصغي اليّ، يا أغني، وأريحي يديك من شغل الابرة. وارفعي قليلاً بصرك الى محياي وانظري فقط الى عينيّ أثناء تحدّثي اليك، واطبعي كلماتي بانتباه في أعماق ذهنك المنفتح. سأقترن بك، يا أغني وعليك أن تباركي السماء مئة مرة في اليوم على مصيرك السعيد. قارني الشقاء الذي كنت مزمعة أن تتورّطي فيه، وتأمّلي الهناء الذي أغدقه أنا عليك بهذا الزواج المبارك. لأني إذْ أمنحك اسمي انهض بك من حضيض الفقر القروي الى مستوى شرف الميسورين في المدينة لتنعمي بكل ما فيها من امتيازات ومباهج، فضلاً عما تلقّيْنه بين ذراعيّ من حب وضمّ وعناق وهناء. فأنا رجل مفضال وقور خبير، بعكس ذلك الصعلوك المغرور الحقير الذي يدهورك معه الى مستواه السافل الوضيع. بينما أنا ارفعك الى مصافّ أصحاب العزّ والرفاه. وكل املي أن تشكري حظك الرائع الذي يسّر لك هذا القران المبارك. فالزواج، يا عزيزتي أغني، ليس مزاحاً عابراً، لأنه يضعك أمام واجبات سامية ومسؤوليات جدّية، وأنتِ لا تدخلين حظيرته لكي تنساقي وراء الاستهتار والإبتذال، بل لتتمتّعي بمباهج الحياة وأطايبها. وما انوثتك إلا مفتاح هذه الجنّة الأرضية التي أريد منك أن تدخيلها برأس مرفوع. وهكذا نندمج معاً كلانا

لنكون شخصاً واحداً في المجتمع الراقي على قدم المساواة بي في الاعتبار والإكرام. نحن الآن نشكّل نصفين يتّحدان ليكوّنا شخصاً واحداً. النصف الأول رفيع المستوى قويّ، والنصف الآخر ضعيف يزعن له برضوخ ويمتثل لإرادته المحقّة، كما يطيع الجندي أوامر ضابطه وكما يخضع الخادم لسيده والولد لأبيه والأخ الصغير لشقيقه البكر. فعليكِ أن تنتمي الى فئة المتمسّكين بواجب الليونة والإنقياد والتواضع والاحترام. لأن الزوج هو رب الأسرة وسيدها ورئيسها ومعلّمها ومولاها المطاع. فبمجرّد إلقائه نظرة عابسة يتحتّم على زوجته ان تخفض نظرها الى الأرض وأن لا ترفع اليه عيونها إلّا لإبداء خضوعها لمشيئته. لأن عينيه المعبّرتين هما مصدر فرحها وهنائها. وهذا ما لا تجيده، يا للأسف، نساء اليوم إجمالاً، ولا تدركه المرأة العصرية المستهترة. عليك ان لا تتشبّهي بهؤلاء الزوجات الماكرات اللواتي تُستنكَر قبائحهن على جميع الألسنة. حذارِ ان يغرّك مظهرهن الخدّاع الذي يُشيد بحسناته معظم شبان اليوم الماجنين. ولا تنسي اني بجعلك قرينتي أشاطرك شرف نسبي وسمعتي الطيّبة. وانا واثق بأنك ستحرصين على إبقاء كرامتي في المستوى الرفيع الذي تكفي لتخديشه أتفه الانحرافات ولتمريغه في الأوحال التي تلطّخه بها المرأة الطائشة المستسلمة الى اهوائها وشهواتها. انا لا اردّد عليك هذه النصائح جزافاً لأن فيها عين الحكمة والصواب، وهي خير عبرة لمن لا تريد أن تحاكي بأفعالها أولئك الغيد البارعات في الغنج والدلال، والبعيدات كل البعد عن سبل التعقّل والتبصّر والحب الصادق. انا على يقين بأنك في حديثي هذا الرصين ستجدين أفضل الأمثلة لتحافظي على صفحة سلوكك نقية ناصعة البياض كالثلج، لا تشوبها شائبة ولا يلوكها الناقد الطليق اللسان، إن زلّت قدمها، لا سمح الله، ولوّثت عفّتها وسمعتها بما هو أشدّ سواداً من الفحم. فيرذلها الجميع وتتدهور في نهاية المطاف بحراسة الشيطان الرجيم الى ما يتأجّج من نيرانٍ في أعماق الجحيم. بينما أنا، كما ترغبين، أنوي أن أدخلك معي بكل احترام ووقار واستحقاق، الى أرفع طبقات النعيم. هيا الآن سلّمي بانحناءة القبول والرضى كما تمتثل المبتدئات العفيفات عندما يعلنّ نذرهنّ في رحاب الدير الحصين، لأنك بدخولك حظيرة الزواج تعلنين نظيرهن نذر العفّة

والأمانة والطاعة لشريك حياتك المختار. (ينهض) والآن اليك بهذه الهدية التي حفظتها في جيبي لأقدّمها لك كعربون الزفاف لعروس احلامي التي أفخر بأن اوجه اليها الارشادات التي تتضمّنها هذه الورقة الثمينة وتبتهجي انت بتطبيق جميع ما ورد فيها حرفياً، كما ارجو من كل لهفة قلبي.

اغني (تقرأ ما في الورقة التي تناولتها من يده) :

حِكَمْ الزواج
أو
واجبات المرأة المتزوّجة
التي يتحتّم عليها ممارستها كل يوم

أغني (تقرأ) :

الحكمة الأولى : المرأة التي تنعم بشرفٍ بدفء سرير شريكِ حياتها، عليها أن تضع نصب عينيها، رغم ما يسود اليوم بين النساء من افكار متطرّفة، ان الرجل الذي ترضى به زوجاً لا يقْبَلُها إلّا لكي تكرّس كل حياتها له وحده.

أرْنولْف : سأشرح لك فيما بعد فحوى هذا الكلام المفيد، فعليك الآن أن تكتفي فقط بالاطلاع عليه بانتباه كلّي.

أغني (تتابع القراءة) :

الحكمة الثانية : عليها أن تتبرّج وتتزيّن بقدر ما يشاء زوجها الذي يمتلكها. لأن أمر زينتها والعناية بجمالها، يتعلق به وحده، ولا مانع لديه إن وجدها سواه قبيحة المنظر.

الحكمة الثالثة : عليها أن تمتنع عن استعمال أية موادّ لتجميل عيونها، والمياه والمساحيق البيضاء والمراهم والأصناف المتعدّدة التي تلجأ المرأة اليها لتنعيم بشرتها. لأن هذه العلاجات اليومية تسيء الى حسن السلوك في الحياة

الزوجية، وهي محاولة للظهور بمظهر الحسناوات قلّما تهمّ معظم الأزواج بوجه عام.

الحكمة الرابعة : تحت ستار الخفر والحياء وشعار الأمانة والوفاء، الأمر الذي يجب عليها أن تلتزم به، كما يفرضه شرف الزوجة المصان، لا بد لها من أن تتغاضى عن كل نظرات الاعجاب التي تعترض سبيلها عادةً. إذْ أنها لكي تستحقّ رضى زوجها، عليها أن لا تُعجب أي رجل سواه.

الحكمة الخامسة : ما عدا الزيارات التي يَتلقّاها الزوج، تُحرِّم القاعدة السليمة أن تقبل الزوجة زيارة أيٍ كان، لا سيما التي يقصد بها الزائر شخص الزوجة بنوع خاص، لأنها لا ترضي ابداً شريك حياتها.

الحكمة السادسة : عليها أن تمتنع عن قبول الهدايا من أي رجل كان. ففي العصر الحاضر لا يقدّم احدٌ هديةً لوجه الله بل لغاية خفيّة في نفسه.

الحكمة السابعة : بين جدران البيت، اذا ضجرت الزوجة، عليها أن لا تستخدم القلم والحبر والورق والكتابة بتاتاً الى أيٍ كان. لأن من حقّ الزوج وحده أن يكتب بخط يده كل ما يمكن تدوينه تحت سقف بيته.

الحكمة الثامنة : المجتمعات الفوضوية التي يخلع عليها الماجنون اسم المجتمعات الترفيهية، تضم نساء لا يتورّعن عن إغراء كل رجل رصين عفيف النفس. لذا يتحتّم على القوانين الرصينة أن تحرّم هذه المجتمعات التي في ظلالها تُحاك جميع المؤامرات على الأزواج المساكين.

الحكمة التاسعة : كل زوجة تودّ ان تحافظ على شرفها، ان تمتنع عن لعب الميسر وتبتعد عنه كما يتجنّب الصحيح المصاب بوباء الجرب. لأن هذا اللعب المدمّر يدفع بالمرأة غالباً الى المقامرة بكل رصيدها من الاحترام والوقار.

الحكمة العاشرة : اما النزهات والدعوات التي تتناول الطعام في الحقول، فعلى الزوجة أن لا تقبلها ولا تجرّبها. فحَسَب العقول الراجحة، هو الزوج الذي يدفع ثمن مثل هذه الدعوات، والتَقْدِمات المغرضة.

أَرْنولْف : الحكمة الحادية عشرة، ستُكملين القراءة وحدك فيما بعد، ريثما أشرح لك هذه القضايا. لأنّ لديّ الآن مهمّة مستعجلة أودّ قضاءها بدون

إمهال، وقريباً أقول لك كلمة أُخرى وجيزة في هذا الموضوع. فعودي الى المنزل واحفظي هذه الوصايا بحرص وإمعان. واذا أقبل الكاتب العدل اثناء غيابي، أطلبي منه أن ينتظرني هنا بعض الوقت.

المشهد الثالث

ارنولف

أَرْنولْف : لا يسعني أن أفعل أكثر من اعداد زوجتي المقبلة وتهيئتها للتصرّف حسب مشيئتي. فإنها كقطعة الشمع بين يديّ أعطيها الشكل الذي يروق لي. اثناء غيابي كادت هذه الصبية، لشدة براءتها، أن تزلّ بها القدم بمخالفتها تعليماتي. في الحقيقة يصعب على الرجل أن تخطئ زوجته في هذا المضمار. وعلى هذا النحو يكون العلاج سهلاً، لأن كل إنسان بسيط يتقبّل ما يُلقى عليه من الدروس راضياً. واذا حادت عن جادّة الصواب، تكفيها كلمتان لتعود عن غيّها. لكن المرأة الذكية لا تنقاد طوعاً، لأنها عادةً تتشبّث برأيها وتعاند منتقدها، وتأبى أن تعترف بأخطائها لتتبع ارشاداتنا، بل بالعكس تهزأ بحكمتنا وتزدري بتوصياتنا وتحذيراتنا وتتصوّر غالباً ان نقائصها بمثابة الفضائل، كي تصل الى مبتغاها من إشباع نزواتها المتهوّرة. ومهما اجتهد رَجُلها في كبح جماحها، كثيراً ما يذهب سعيه أدراج الرياح. فالمرأة الفطنة هي سيدة الفتنة والمشاكل في محيطها، كما أن إبليس هو ربّ الشر والفساد، ينصب شباكه ليوقع البشر في حبائله. ومتى صمّمت هذه المرأة على تلويث شرفها وشرف رَجُلها وإن سرّاً، يصعب عليه أن يسلم من حروق لهيب لؤمها. على كل حال لا يسع الشاب الطائش ان يضحك ويسخر في هذا المجال، لأنه لقلّة تبصّره واحتياطه للعواقب لا بد له من أن يقع في المصيدة. وهذه علّة العلل في سعينا وراء السراب والوهم، لأننا قلّما ندرك الى أين يقودنا حظنا العاثر أحياناً، ما دامت الحماقة تودي بصاحبها غالباً، بما تزيّنه له من الحسنات، الى أسوأ مصير، لا سيما عندما ينحرف وراء أهواء امرأة يسيطر عليها شيطان الجسد

فتتعامى عن كل ترفّع وتستسلم الى ميولها الشاذة وغرائزها البهيمية. أخيراً، لا بد لنا من الإتّعاظ بما يتراءى لنا من صلاحٍ عَبْرَ تجاربنا الشخصية في وسطنا، وقد قيل : حيّى الله مَن تعلّم على حساب اخطائه أو أخطاء سواه، ومن عرف حدّه ووقف عنده.

المشهد الرابع

هوراس وارنولف.

هوراس : انا عائد من منزلك توّاً، وقد شاءت الظروف ان لا ألقاك هناك. وهذا ما أحزنني.

أَرْنولْف : لا تهتمَّ ابداً للأمر، ولا تلجأ الى الاعتذار، لأن هذه الاساليب لا تروق لي ولا تصلح الحال. وما عَجَبي إلّا من مدركين يُضيعون الكثير من الوقت في مثل هذه الرسميات غير المجدية. فدعْنا منها وبدون تكليف حدّثني عن غرامياتك بدون مقدمات. هل أستطيع، يا سيدي هوراس، أن أعرف الى اين وصلتَ بمشروع زواجك الميمون ؟ لقد فاتني أحياناً أن ألاحظ تحركاتك وأنا متشوّق الى الاطلاع على كل التفاصيل في هذا الميدان. غير أني فكّرت مليّاً بما يناسبك، وقارنته بما رويته لي من مبادرتك التي تهمّني جداً، نظراً الى ما أكنّه لك في أعماق صدري من الصداقة والمودّة والوفاء.

هوراس : لا أكتم عنك أني منذ أن فتحت لك قلبي على مصراعيه قبل برهة، قد طرأ على حبي ما جعلني لا أتوقّع له حسن الختام.

أَرْنولْف : بربّك، ماذا جدّ معك في هذا الموضوع ؟

هوراس : لقد شاء سوء طالعي أن يعود من السفر وليّ أمر الصبيّة الحسناء التي أهواها.

أَرْنولْف : يا للمصيبة.

هوراس : ويؤسفني أن يكون قد علم بما بيننا نحن العاشقَيْن من سرّ التفاهم والاتفاق.

أَرْنولْف : وكيف تسنى له أن يدري بالأمر هكذا بسرعة ؟
هوراس : لا أعلم. لكن المسألة أكيدة. ففكّرت وعزمت على الذهاب توّاً لزيارة فتاتي والتحدّث اليها في هذا الشأن. غير أني وجدت أن لهجتها ونظراتها اليّ قد طرأ عليها بعض التغيير. وفهمت من خادمتها وخادمها حقيقة موقفها. واذا بما بلغ أذني وأنا عند المدخل من عبارة : « إنسحبْ لأنك تعقّد القضية » ثم اغلاق الباب في وجهي بخشونة، قد أقلق بالي كثيراً.
أَرْنولْف : هل أُغلق الباب في وجهك ؟
هوراس : نعم أُغلِق في وجهي.
أَرْنولْف : هذا ليس بالأمر الهيّن.
هوراس : حاولت أن أكلّمها من خلال الباب. لكني لم أحصل إلّا على هذا الجواب الجاف : « لن تدخل الى هنا بعد الآن، لأن المنع مشدّد ».
أَرْنولْف : اذاً، لم يُفتَح لك الباب، كما تقول.
هوراس : كلّا. ومن النافذة أكّدتْ لي أغني نبأ رجوع وليّ أمرها. وطلبت مني بجفاء أن أبتعد عنها. ولم تكتفِ بذلك، بل رافقت كلامها بالعبوس حين ألقت في وجهي بهذا الحجر الثقيل.
أَرْنولْف : كيف رمتك بهذا الحجر ؟
هوراس : أجل بهذا الحجر من الصدّ المباغت. وهكذا سدّت أمامي جميع الطرق كي لا أعود الى زيارتها ابداً.
أَرْنولْف : فعلاً هذا الحجر ليس بطفيف. لأن وضعك بات الآن في غاية الحرج.
هوراس : نعم، ساءني جداً هذا الرجوع المشؤوم.
أَرْنولْف : وانا تكدّرت كثيراً لأجلك، وآسف مثلك على هذا التبدّل الشنيع.
هوراس : هذا الرجل المنحوس حطّم كل آمالي.
أَرْنولْف : لكن الحزن لا يفيدك، يا صاح. لا بدّ لك من إيجاد وسيلة تعيد المياه الى مجاريها.
هوراس : نعم، نعم، لا بد من البحث عن طريقة بارعة تبدّد غيوم غيرته وتخفّف من تمسّكه الشديد بهذه الصبية المظلومة وحَبْسها عني.

أرْنولْف : الأمر سهل على كل حال، ما دامت الفتاة تحبّك.
هوراس : بالطبع، هي تهواني.
أرْنولْف : اذاً، ستتوصّل الى حلّ ملائم، متى ساعدتك الظروف.
هوراس : هذا جلّ املي ورجائي.
أرْنولْف : صحيح أن الحجر الذي رمتك به قد اطاش صوابك. ولكن هذا لن يثّبط عزيمتك.
هوراس : طبعاً، طبعاً. لقد فهمت أوّلاً ان الرجل العجوز الذي حضر، هو الذي، بدون أن يدري أحد، قد دبّر قصة هذا المنع. لكن ما أدهشني وسيدهشك انت ايضاً هو حادث آخر، أُعلمك به الآن، هو عمل جريء مذهل قامت به فتاتي الحسناء، لا سبيل الى توقّع صدوره عن بساطة تصرّفها. وهنا لا بد من الاقرار بأن الحب استاذ ماهر يلقّننا كل ما نجهله، وكثيراً ما يطوّر أخلاقنا كلّيّاً، وذلك بأقلّ جهد وبأسرع من لمح البصر أحياناً. وفي أعماقنا يهدم العراقيل ويجترح المعجزات، اذ يعجّل في حلّ العقد ويقلب العادات رأساً على عقب. فيجعل من البخيل كريماً سخيّاً، ومن الشجاع جباناً رعديداً، ومن الظريف الكيّس ذريّاً لئيماً خسيساً، ويضفي الرشاقة على أثقل الناس ظلاً ويخلع البراءة على أحطّ الدجالين المحتالين. أجل لقد تحقّقتْ هذه المعجزة الباهرة على يد أغني. اذ بعد ان قابلتني بالمنع الصريح قائلة : « إنسحب لأني لا أودّ أن يزورني أي إنسان. إني أعرف كل احاديثك. وهذا جوابي النهائي »، بعد هذا الردّ المُفْحِم الثقيل الوطأة والمربك حقّاً، ها هي الآن ترتمي الى الأرض عند قدميَّ لتوصل اليّ رسالة، يذهلني منها أن تقوم هي نفسها بعمل كهذا غير منتظر منها، يوازي ثقل الحجر الذي رشقتني هي به. فعلاً ان دافع الحب ينشّط الأذهان ويحمل صاحبه على القيام بأعمال مدهشة كتسليمي هذه الرسالة المنقذة. فما قولك بهذا الانقلاب العجيب ؟ هل تجد من المعقول أن تصدر عنها بادرة جريئة كهذه، رغم كل ما يحيط بها من نوايا سيّئة ومحاولات معرقلة ؟ قلْ لي، بربّك، قلْ لي.
أرْنولْف : اجل، هذا حقاً غريب مدهش لا أجد له تفسيراً أوْ تأويلاً.
هوراس : هيا اضحك قليلاً، يا صاح. (يضحك ارنولف ضحكةً مصطنعة). ان وليّ

امرها الذي تَجَنَّد لمحاربتي وإقصائي، قابع في منزله يكاد لا يبصره أحد. وكما لو كنت أبغي الدخول اليها عنوةً، ولكي يصدّني بموقفه الصلب الشاذ، تراه قد حرّض كلّا خادميه على مشاكستي ومنعي من لقاء فتاتي التي تجهل كل احابيله، اني اعترف من جهتي بأن عودته قد زرعت أشواك البلبلة والحيرة في درب حبي. لكن تصرّفه يحمّسني بدلاً من أن يثنيني عن إصراري على الفوز بقلب عروس احلامي، وهذا لا يمنعني من الضحك، كما لا يمنعك أنت ايضاً، بسبب هذه الأساليب الصبيانية الهوجاء الفاشلة.

ارنولف (**يضحك ضحكة مصطنعة**) : أعذرني، لأني أضحك كما يتسنى لي.

هوراس : عليّ كصديق أن أطلعك على هذه الرسالة التي عبّرتْ فيها عن كل مشاعر فؤادها العاشق بما خطّته لي من أسطرها الرائعة وضمّنتها من عطف بريء ومهارة ونعومة واسلوب شيّق وطبيعة صادقة. إذ صرّحت لي بما تشعر به نحوي من شغف وشوق ومن ألم، سبّبته الممانعة الخانقة التي تحول دون مقابلتي كما ترغب.

ارنولف (**بصوت خافت**) : ما اروع فائدة الكتابة بهذه الطريقة. ها هو فنّها في الانشاء الرقيق يكشف لي عن حقيقة وَجْدها وتعلّقها بي.

هوراس (**يقرأ**) : « عزمتُ على الكتابة إليك، وأنا محتارة كيف ابدأ. أريد أن أطلعك على افكاري، ولكني لست أدري كيف أعبّر لك عنها، وأنا مصمّمة على أخذ الحيطة والحذر حتى من كلامي ذاته. علمت الآن ان محيطي يصرّ على ابقائي في جهلي بالنسبة الى ما يدور حولي في الخفاء. وأخشى أن أبوح لك بما يعود عليّ باللائمة والضرر، وأن اصرّح بأكثر مما يجوز لي أن أعلن. في الحقيقة، لست أدري كيف يراد مني أن أتصرّف. لكني أشعر بأني أكاد أموت كمداً بسبب ما اضطر الى مقابلتك به من جفاء وصدود. وأصرّ على أن تعلم اني أتوق الى تكريس حياتي لك وحدك. ربما هذا القول ليس من صالحي بكل معنى الكلمة. وأتمنى أن يتحقق حلمي هذا لأني لا اطيق البعد عنك ولا العيش بدونك، ولا يسعني أن أكتم عنك حقيقة شعوري نحوك. قيل لي أن معظم الشبّان خدّاعون وأنت منهم، وعليّ أن لا أصغي الى كلامك المعسول، وأن كل ما تحدّثني أنت به ليس إلّا طُعْماً لتنال مني ما تبتغي. لكن،

صدّقني إن قلت لك أني لا أؤمن بحرف واحدٍ من كل ما يفترى به عليك. فأنا يلذّ لي أن أستمع الى اقوالك وأؤمن بكل كلمة تتلفّظ بها شفتاك أمامي، لأني لا أتصوّر مطلقاً أنها قد تكون كاذبة لا تعبّر عن حقيقة هيامك بي. أرجوك أن تؤكّد لي ما قد أفصحت عنه على مسمعي من عواطفك النبيلة التي تخصّني بها دون سائر الصبايا. إذْ أني بسبب بعدي عن كل خبث سأجد أقوالك لي من أفظع الأكاذيب اذا كنتَ حقاً تخدعني، وبالتالي تطعنني في صميم فؤادي وتتسبّب بموتي حزناً وقهراً.

أَرْنولْف : تبّاً لها من محتالة لعينة.

هوراس : ما بك ؟

أَرْنولْف : أنا ؟ لا شيء. لقد فاجأني السعال.

هوراس : هل استوعبت حلاوة تعابيرها ؟ انها رغم كل ما تلاقيه من تضييقات، لم تشأ إلا أن تبيّن لي حقيقة شعورها نحوي. أوليس ما تُعَامل به من مزعجات جريمة نكراء تستحقّ أقسى العقاب ؟ في الواقع، هي فتاة مثالية أهل لكل إعجاب وتقدير، رغم ما تحاط به من جهل وحماقة لخنق روح الأمانة والمودة الصادقة في صدرها الرحب. لكن حبها المخلص قد مزّق الغشاء الذي اراد مَنْ حولَها أن يضعوه نصب عينيها لمنعها من رؤية الحقيقة الناصعة في أجْلى مظاهرها. كم أود أن أقتصّ من هذا الحيوان، هذا الخائن، هذا الجلّاد هذا اللئيم، هذا الوحش الضاري أن ...

أَرْنولْف : الوداع.

هوراس : لماذا هذه العجلة ؟

أَرْنولْف : لقد خطرت ببالي مسألة، لا بد لي من الذهاب الآن لمعالجتها.

هوراس : ولكن، هل تعلم من يمكنه أن يأتي في هذه الساعة الى هذا المنزل ؟ اني أتصرّف حيالك بدون كلفة نظراً الى ما يربط بيننا من صداقة متينة. هنا لا أجد إلّا أشخاصاً دأبهم ان يراقبوني ويُحصوا عليّ حركاتي. ها هما الخادمة والخادم، وكلاهما لا أرتاح الى نظراتهما المريبة الخبيثة التي تحاول أن تستر قساوتها بحلاوة المراوغة حين يسمعونني أتكلم، خشية أن أتوصّل الى توجيه بعض كلمات الى فتاة أحلامي. لقد قصدتُ عرّافة مسنّة

تخاطب الجن والأرواح بقوّة سحرها الذي يفوق طاقة البشر، كي أوسّطها في تغيير هذه الأوضاع التي تضايقني. غير أني وجدتها قد ماتت منذ أربعة أيام. فهل لك أن ترشدني الى سواها لنيل مرادي.

أَرْنولْف : كلا، لا أعرف احداً يفيدك في هذا المجال. وأنت لا بد لك من إيجاد حلّ آخر بدون مساعدتي.

هوراس : الوداع اذاً. ارجو أن تحفظ في سرّك ما دار الآن بيننا من حديث لا اريد أن يذيع.

المشهد الخامس

ارنولف

أَرْنولْف : يشقّ علي أن أتجلّد أمامه وأخفي عنه ما يمزّق مهجتي من الأسى. لقد ضاق صدري بما تحمّلته من العذاب الأليم بسبب هذه الفتاة البريئة الذكية. وكدت أعتبرها، اذ تنكّرت لي، قد خانت عهدي. فأي عفريت زوّدها بهذه البراعة في التمويه والتصريح ؟ أخيراً حظيت بهذه الرسالة، ومنها علمت بأن هذا الخبيث المحتال قد حاول تأليبها عليّ واقتلاع مودّتي من قلبها، الأمر الذي سبّب لي القنوط وكاد يقتلني. لأني تألمت من خَنْق حبّي في صدرها عن طريق إيهامها بأني خدّاع منافق لست أهلاً للوثوق بي. ولم يحزّ في قلبي اكثر من أن أكون في نظرها ما حاول هذا الدجّال أن يدّعيه وينسبه اليّ من رذائل واخلاق منحطّة، وسوء مصيرها معي إن رضيتْ بي زوجاً لها. لكن حسن طالعي شاء أن تنتقم لي هي بذاتها. ويا ويح قلبي لو نجح في تحويلها عن حبي. فلقد عانيت الأمرَّيْن في سبيل الاقتناع باقتبالها وارتضائها كحبيبة وحليلة لي، وهي لا أهل لها ولا سند ولا مال. وكادت أن تنبذ لهفتي ومودّتي وحنوّي. مع ذلك لبثتُ أنا أميناً على محبتها رغم ما أُجبرت هي على اظهاره لي من صدود وتنكّر. فقلت في سرّي : ألم يعد لديّ قليل من الكرامة والسماحة ؟ وكدت أنفجر غيظاً. وضربت الف مرة على رأسي وحرّضت

نفسي قائلاً : لا بد لي من دخول غرفتها لأرى ماذا جعلها تتّخذُ موقفها الجديد الشنيع. يا إلهي، لا تجعلني أستحقّ هذا الصدّ والعذاب. وإن كُتب لي أن أمرّ بهذه التجربة العسيرة، إمنحني القوّة والصبر على تحمّل تقلّبات مثل هذه الفتاة التي توشك أن تسبّب لي الكثير من المشاكل الى ان تعبر عني هذه الشدّة المقلقة.

الفصل الرابع

المشهد الأول

ارنولف

أَرْنولْف : اني أسعى للبقاء في مكاني، وأفكاري مرتبكة ومضطربة، لأني أريد أن أرتب الامور داخلياً وخارجياً كي أتوصّل الى إحباط خطط هذا السفيه. بينما هي تنتظر بفارغ الصبر أن يتغيّر وضعها، وتحافظ على هدوئها لئلّا تثير الشبهات حول نواياها الحقيقية. بينما أنا في هذه الأثناء أتقلّى على الجمر من شدة غيظي وهمّي، وأشعر بأن شغفي بها يزداد واشفاقي يتضاعف على ما تعانيه من أسر في هذا البيت يتعدّى جميع حدود الاحتمال. وأعتقد ان كلانا مضطربان بسبب هذا التباعد القسري الذي يفرّق حالياً بيني وبينها. وأخشى أن لا نتوصّل سريعاً الى حلّ هذه العقدة المستعصية. لأني من جهتي بذلت جهداً جهيداً للتقرّب اليها وكسب عطفها ومودّتها، وإن كنت نظير وليّ امرها أضيّق عليها مجال التصرف. ومن جهة أخرى أرى هذا الشاب المغرور ينافسني ويحاول الاستئثار بها بعد أن نجحت أنا في حملها على مصارحتي بحبّها لي. هذا حقاً أمر لا يطاق بتاتاً، لا سيما وكلانا نعتبر نفسينا نصف متزوجَيْن. وحقّ السماء، لن أتخلّى عنها ولن أدع هذا الجاهل الغبي يحظى بها ويهزأ بي ويفشّل مسعاي الدؤوب لتحقيق هذا المشروع الأساسي في حياتي.

المشهد الثاني

الكاتب العدل وارنولف

الكاتب العدل : ها هوذا. وأنا على أتمّ الاستعداد لكي أكتب العقد الذي تودّ أن توقّعه.

ارنولف (بدون ان يراه) : كيف العمل ؟

الكاتب العدل : سأعتمد الأصول المتّبعة رسميّاً.

ارنولف (بدون أن يراه) : وعلى سبيل الاحتياط، لا بد لي من التفكير مليّاً.

الكاتب العدل : لن أدرج أي بند ليس من صالحك..

ارنولف (بدون أن يراه) : لا بد من أخذ الحيطة لكل الإحتمالات والمفاجآت.

الكاتب العدل : المهمّ أن تضع كامل ثقتك بي وتتّكل عليّ تماماً في هذا الأمر الدقيق. ثم عليك لتحاشي الخيبة، أن تدفع جميع تكاليف العقد.

ارنولف (بدون أن يراه) : أخاف أن تتضمّن نصوص العقد أي خلل أو أن يذيع أمره في كل مكان.

الكاتب العدل : من السهل تجنّب ذلك، اذا جعلنا العقد سرّيّاً.

ارنولف (بدون أن يراه) : وكيف يمكنني بعدئذٍ أن أعلنه.

الكاتب العدل : تدفع المهر عند استلام الرزق.

ارنولف (بدون أن يراه) لكنني عاشق وحبي هو المشكل الأكبر.

الكاتب العدل : يمكنك أن تمنح المرأة بعض الامتيازات.

ارنولف (بدون أن يراه) : وما العمل في مثل هذا الحال ؟

الكاتب العدل : المفروض أن تُضيف الى بائنة العروس مقدار ثلث المبلغ، مع أن هذا التدبير لا يكفي. وكلما زدناه توثّقت الروابط وبات العقد أمتن وأثبت.

ارنولف (بدون أن يراه) : وإذا ...

الكاتب العدل (يراه ارنولف) : لضمان الحقوق بصورة اكثر فعالية يستطيع العريس، اذا شاء، ان يضاعف مهر العروس.

أرْنولْف : وهكذا ...

الكاتب العدل : يزداد تعلّقها بالزوج، لأنه يبرهن عن حبّه لها ورغبته في

توطيد ارتباطه بها. مع العلم أن المهر أو المقدَّم كما يُدْعى أيضاً، يضيع هو والزيادة في حال وفاة أحد الفريقَيْن أو يُحوَّل الى ورثة المتوفّى او المتوفاة، حسب الاتفاق على هذه النقطة. كذلك يمكن تقديم المبلغ كهدية قطعيّة. وهكذا تُطبّق جميع البنود بالرضى المتبادل. وفي هذا الحال لا يبقى أيّ مجال للاختلاف. لأن كل الأمور الخاصة تكون مسجّلة في العقد حسب مشيئة الطرفَيْن، فضلاً عن الشروط العامة التي يخضع لها الجميع في ما يتعلّق بالأملاك المنقولة وغير المنقولة وسواها، إلّا اذا أُدْرجت نصوص استثنائية تتعلق بها. هل تعلم أن ثلث مقتنيات العروس يكون مشتَركاً ؟ ...

أَرْنولْف : هذا لا شك فيه ابداً. ولا أحد يسعه أن يدّعي العكس.

الكاتب العدل : هل تظنّني أحمق نظراً الى ما قمت به من حركات وهز الكتفَيْن استخفافاً ؟

أَرْنولْف : الوداع. هذه أنسب فرصة لاختتام المناقشة.

الكاتب العدل : أولم تستدعني لكي أُنظّم لك عقداً ؟

أَرْنولْف : اجل استدعيتك لهذه الغاية. غير أني أفضّل تأجيلها الآن. وسأرسل في طلبك عندما يحين الأوان. فلا داعي للأخذ والردّ.

الكاتب العدل : أعتقد بأنك رجل متشبّث برأيك، وأنا على يقين بأن الحق الى جانبي.

المشهد الثالث

الكاتب العدل وآلان وجورجيت وارنولف.

الكاتب العدل : أولم تطلب أنت مني المجيء بناءً على رغبة معلّمك ؟

آلان : اجل، اجل.

الكاتب العدل : انا أجهل إن كنتَ تعرف ما سأقول. على كل حال، إذهب من قبلي وبلّغ سيّدك انه رجل مهووس لا يدري ماذا يفعل.

جورْجيت : لن نتأخر عن إعلامه بذلك.

المشهد الرابع

آلان وجورجيت وارنولف.

آلان : سيدي ...

أَرْنولْف : اقتربا مني. فأنتما صاحباي المخلصان، انتما صديقاي الحميمان، ولديّ ما اقوله لكما.

آلان : الكاتب العدل ...

أَرْنولْف : دعنا الآن من موضوعه. الأمر يتعلّق بشخص آخر. علمت بأن هناك مهزلة تُدبَّر لمفاجأتي بها. يا للعار الذي سيلحق بكما اذا فقد معلّمكما شرفه واعتباره بين الناس. عندئذ لن تتمكنّا من الظهور في أي مكان عامّ. وعندما يشاهدكما أحد سيدلّ عليكما بأصبعه. وبما أن المسألة تخصّكما كما تخصني، طبعاً يتحتم عليكما أن تحتميا من أذى هذا المحتال مهما كلّف الأمر.

جورْجيت : نشكرك على إهتمامك بنا.

أَرْنولْف : اني أحذّركما من الإتّكال على أيٍ كان والوثوق به.

آلان : ولماذا ؟

جورْجيت : نحن نعرف كيف ندافع عن أنفسنا عند الاقتضاء.

أَرْنولْف (لآلان) : اذا قال لك أحد بلهجة لطيفة : « يا صديقي آلان، عليك أن تسعفني وتتدارك تباطُؤي ... »

آلان : يا للحماقة.

ارنولف (لجورجيت) : واذا قال لكِ : « يا جورجيت اللطيفة، انت حلوة وطيبة القلب ».

جورْجيت : أردّ عليه : « يا لك من غبيّ ».

ارنولف (لآلان) : حقّاً، كيف يمكنك أن ترى الشرّ في مصير رجل شريف تتجلّى في ملامحه الفضيلة بأروع معانيها ؟

آلان : « انت محتال لعين ».

ارنولف (لجورجيت) : حسناً. سأموت حتماً اذا لم أُعالج ما سبّب لي هذه الآلام المبرّحة.

جورْجيت : « انت رجل مستهتر لا تحتاط لأي امر ».

أرْنولْف : هذا لا يهمّ. أنا لا أطلب شيئاً بدون مقابل، وأعرف جيداً كيف أكافئُ من يؤدي لي أية خدمة. مع ذلك، يا آلان، خذْ هذا سلفاً لتشتري ما تشاء. وأنت ايضاً، يا جورجيت، خذي هذا المبلغ وتصرّفي به على هواكِ. (يتناول كل منهما مبلغاً من المال). هذا ليس إلا نموذج من عطاءاتي السخيّة. وما أطلبه منكما لا يتعدّى السماح لي برؤية سيدتكما بعض الوقت.

جورجيت (وهي تدفعه) : نحن لسنا من هذه الفئة من الناس.

أرْنولْف : وما هو مانع تقديم هذه الخدمة البسيطة ؟

آلان (وهو يدفعه) : اخرج حالاً من هنا.

أرْنولْف : مهلاً، مهلاً.

جورجيت (وهي تدفعه) : هيا أخرج سريعاً.

أرْنولْف : حسناً. ما بالكما تقابلاني بهذه الخشونة ؟

جورْجيت : ألا أتصرّف كما ينبغي ؟

آلان : نظراً الى ما وجهته الينا ...

أرْنولْف : لا أحد يجبركما على قبول ما عرضته عليكما من المال.

جورْجيت : لم يسبق لنا أن نرضى بالقيام بمثل هذا العمل الحقير.

آلان : أتريد أن نعود الى موقفنا الرافض ؟

أرْنولْف : ابداً. هذا يكفي. إرجعا الى حيث كنتما.

آلان : لا سبيل الى تفوّهك بأية كلمة اخرى.

أرْنولْف : لا، لا. عودا الى حيث كنتما، فأنا أترك لكما ما قد أعطيتكما من المال. إذهبا، وأنا ألْحق بكما. إفتحا أعينكما جيداً، ولا تغفلا عمّا طلبته منكما.

المشهد الخامس

ارنولف

أرْنولْف : سأكلّف الإسكاف المقيم عند زاوية الشارع بالتجسّس لحسابي. لأني أريد أن أُحصي عليها كل حركاتها وسكناتها سواءً عند خروجها أو عند تلقّيها بعض الزيارات. وسأحاول ان أمنع استقبالها بائعات الشرائط والشعر المستعار، والمزيّنة وصانعات المناديل والقفازات وبائعات سائر الأصناف. لأن هؤلاء اللواتي يستطعن الاتّصال بها في كل يوم قد ينقلبنَ الى وسيطات غرام. فلقد خبرت أمور الدنيا وجرّبت شتّى وسائل الاستمالة والإغراء، وعليّ أن أظلّ حذراً تجاه كل من يمكنه أن يؤثّر عليها ويأتي لمقابلتها.

المشهد السادس

هوراس وأرنولف

هوراس : يسعدني ان أصادفك في هذا المكان. فقد سررت لكوني خرجت برفقتك بدون أن أحسب حساباً للمغامرة التي أقوم بها. فقد كانت أغني وحدها في الشرفة تتنشّق الهواء الطلق. وبعد أن أومأت اليّ وتظاهرتْ بأنها نازلة الى الحديقة، فتحت لي الباب. ولكن ما كدنا أنا وهي نصل الى غرفتها حتى سمعت صوت الشاب الذي يلاحقها آتياً من جهة الدرج. ولكي تنقذ موقفها الحرج حيالي، بادرتْ الى إخفائي في خزانة كبيرة. وحين دخل الشاب لم أشاهده في بادئ الأمر، لكني سمعت وقع أقدامه المستعجلة بدون أن ينطق بكلمة. ومن حين الى آخر كان يتنهّد شاهقاً ويطرق بشدة على الطاولة مضطرباً، كأنه يركل كلباً صغيراً يهاجمه. واذْ ألْقى بغتةً بيد مرتعشة برباط الكلب الذي لقيه على الأرض كسر بعض الأواني التي كانت تزيّن ظهر الموقدة. لا شك في أن هذا الفتى الأحمق قد أتى ملبّياً نداءها، فاستحقّ مني أن أصبّ عليه جام غضبي. بعد لحظة خرج الشاب من الغرفة بدون أن يفصح

عما يضايقه، وخرجت أنا من الخزانة. وكنت اخشى أن ألتقي به عرضاً فيفتضح أمر وجودي هناك. لأن المغامرة ستفضي حتماً الى معضلة كبيرة. لكني كنت مضطراً تلك الليلة أن أتسلّل بهدوء الى حجرتها ولو متأخّراً. وقد اتفقنا، لكي تعرفني، أن أسعل ثلاث مرات. عندئذٍ تفتح هي النافذة، ثم بواسطة سلّم وبمساعدتها أحاول أن أصعد اليها. ها أنا ابوح لك بذلك نظراً الى ما يجمع بيننا من صداقة متينة. ويسرّني كثيراً أن أطلعك على ذلك، لأن هذا الحديث يلذّ لي ترديده مئة مرة، ما دام صدري يضيق به إن تركته مكتوماً. أعتقد أن ما سمعته مني يهمّك ويفرحك. والآن، الوداع، اذ عليّ أن أنصرف الى أمور ضروريّة.

المشهد السابع

ارنولف

أَرْنولْف : ماذا جرى ؟ إن هذا الشاب المغرور يصرّ على إزعاجي، ولا يدع لي وقتاً لأتنفّس. فكل الاحتياطات التي اتّخذتها لم تنفع لمنع دهائه هو العاشق المتيّم من إحباط خططي واحتياطاتي. فظهرتُ رغم نضوجي وخبرتي كالأبله المخدوع أمام ذكاء هذه الصبيّة البريئة وعاشقها الشاب المحتال. فقد مرّت عليّ عشرون سنة، وأنا أتأمّل كالفيلسوف في ما يلاقيه الأزواج المساكين من مصير كئيب، واستخلص العبر من قصصهم المشؤومة التي تتجدّد في حياة أكثر الأزواج حرصاً وحيطة. وعندما شئت ان أتزوّج بحثت عن الوسائل التي تقيني التعرّض الى الفضائح وتضمن لي الإبتعاد عن كل المعايب والمصائب. وخلتُ أني بما اكتسبته من خبرة سأصل الى شاطئ الأمان بلجوئي الى السياسة والحكمة فتحيد بي ظروفي ووعيي عن مصير العديد من الرجال الذين لا يلبثون رغم كل حذرهم أن ينضمّوا الى قافلة الأزواج المخدوعين، وأنا لا اريد أن أكون في عدادهم رغم ما أصبح لي من الخبرة خلال عشرين عاماً كما ذكرت، ورغم كل احتياطي وتبصّري. أكرّر أني أخشى أن أنضمّ الى

زمرة الأزواج التعساء المخدوعين. تبّاً لك ايها المصير الغاشم ان شئت ان تجعلني ممن يظنّون انهم ينعمون في جحيم الحب، اللّهمّ اذا استطاع هذا الشاب المغرور أن يسرق مني قلب حبيبتي. سأفعل المستحيل لأتجنّب هذه الكارثة الفظيعة التي قد تنزل بي إن تقاعست عن ردة فعل ضرورية تحتّم عليّ أن لا أتهاون في تفجيرها كالقنبلة بوجه هذا الغدّار المحتال لأمنعه من تنفيذ مؤامرته الدنيئة الهادفة الى انتزاع مالكة فؤادي من أعماق صدري.

المشهد الثامن

كريزالد وارنولف

كريزالْد : هل تريد ان نتعشّى قبل قيامنا بالنزهة المرغوبة ؟
أَرْنولْف : لا، انا صائم هذا المساء.
كريزالْد : وماذا دعاك الى هذه التقوى ؟
أَرْنولْف : أرجوك أن تعذرني لأني مشغول بأمور محرجة.
كريزالْد : أولا يتيسّر لك أن تحقق الزواج الذي تتوق اليه ؟
أَرْنولْف : اراك قلقاً بسبب مشاكلي، وهذا ما لا أريد أن يشغل بالك.
كريزالْد : يا الهي، ما أكثر أحزانك. ليتني أستطيع أن أخفّفها عنك. حقاً، ان صدري يضيق بما تلاقيه من مصاعب.
أَرْنولْف : مهما حدث لي أظل أقلّ غمّاً من سواي من الرجال الذين يتذمّرون من مزاحميهم على حب نسائهم.
كريزالْد : من الغريب أنك رغم وضوح الأمور تضطرب من سير هذه القضية، فتتوخّى السعادة والارتياح من خلال مشاكلك المعقّدة، فتتساهل مثلاً حيال الرجل البخيل والخشن والخبيث والمرائي والجبان، وتقف واجماً أمام المشقّات التي تعترض سبيل مشروع زواجك معتبراً أن مواقف الحياة كلها شريفة ما عدا حالة واحدة هي خيانة المرأة بإهمال زوجها وإنصرافها الى عشيقها. فلماذا تنظر هكذا بتشاؤم الى واقع الحال الذي لا ترى فيه أي ارتياح

أو إبتهاج. ولماذا تسودّ الدنيا في عينيك عندما تواجه شرّاً لا تستطيع تحاشيه. ولماذا تريد، عند الاقتران بامرأة تعجبك، أن تستحقّ الشكر والمديح على اختيارك شريكة حياتك اذا تبيّن لك عند الامتحان انها بسلوكها المنحرف ليست أهلاً لثقتك وتقديرك، وتلوم نفسك وانت غير مضطر الى تحمّل عار تهتكها. هيّا واجه الواقع برحابة صدر، وإن كان مرّاً، إذْ لا شيء في الدنيا مضمون العواقب. فالناس يندّدون بالشرّ والفساد ويشفقون على من يتحمّل النتائج الوخيمة. ولكي يسلم الإنسان من شرك الأهواء واستهتار النزوات لا بد له من تجنّب الوقوع في مزالقها. فلا تَحْذُ حذوَ من لا يهمه في الحياة، إلا أباطيل الدنيا وتوافه الأهواء، بل عليك أن تقدّر المودّة الصادقة المعتبرة من أثمن ما في الوجود، ولا تنجرفْ امام العواطف المتقلّبة التي لا تفضي إلّا الى الحسرة والندم. أنا، يا صديقي، لا أحبّذ نزوات العشاق ولا أشجّع الشباب المتهور المندفع وراء أحلامه الرخيصة وغرائزه البهيمية التي تجرّ عليه عواصف الحزن والشقاء. لأنه قصير النظر قليل الحرص سريع الانفعال. فالانسان العاقل هو من يتبصّر بعواقب الأمور ويتوخّى سلامة النتائج. وفي هذه الحالة ألوم تساهل الرجل الذي يحمّر خجلاً من تصرفات زوجته البذيئة. لذا أنصحك بأن تختار دائماً أهون الشرَّيْن وتلتزم جانب الإعتدال والحكمة.

أَرْنولْف : بعد هذا الخطاب الرنّان، لا بد لي من أن أشكرك على صراحتك وصواب تفكيرك. لذلك أقول لك أني مسرور بما بيّنته لي من مكنونات صدرك وشرحته من همك بسبب المعاكسات التي تواجهها في قضية زواجك.

كريزالْد : انا لا أشكي همي جزافاً، بل أعرض لك ما يراود خاطري من هواجس في موضوع المرأة التي اريدها شريكة أمينة لحياتي، وأقارن اختيارها بحظ من يهمّ بالقاء زهر طاولة اللعب ولا يعرف ما تخبئه له الايام من نصيب. وهنا أتمنّى أن أكون موفّقاً في اتّخاذ قراري النهائي الذي أخشى أن يتحكّم فيه القدر الغاشم فلا أظفر بما اشتهي وأتوق الى الحصول عليه.

أَرْنولْف : ما دمت تأكل وتشرب كما تشاء، عليك أن تُقنع نفسك بأن سائر الأمور ستسير ايضاً على ما يُرام.

كريزالْد : يمكنك أن تستخفّ بما يشغل بالي في هذا العالم المليء

بالمشاكل. فهذا لا يمنعني من التحسّب لإتّقاء ما لا تُحمَد عقباه. عليّ اذاً ان افكّر جدّيّاً في قضية زواجي، لا سيما بعدما لمسته من الخلافات المذهلة المتكرّرة يومياً بين المتزوّجين المحسودين على ما يظنه قصار النظر سائداً في الظاهر بينهم من تفاهم ومودة وأمانة. أنا لا أريد أن أتورّط في ما قد يكون مدعاة تعاستي، وأفضّل أن أتروّى لأحظى بامرأة عاقلة فاضلة كالملاك، لا أن تكون سفيهة خبيثة كالشيطان اللعين. أريد أن أقترن بفتاة رصينة وفيّة عفيفة نقيّة القلب، لا بدمية طائشة تنقاد الى إغراءات الشباب الأرعن فتجعل الحياة الزوجية جحيماً لا يُطاق. وهكذا، لأني لا أحبّ المغامرة، تجدني أبحث عن رفيقة تريح قلبي ولا تعذّبه بانحرافاتها الدنيئة وعنادها البغيض.

كريزالْد : لا تَكْفُرْ، يا صاح، بالقِيَم التي تَلْقاها حتماً عندما تبحث عنها بنور الوعي والتبصّر. فلم يخب ابداً أمل من اعتمد الاعتدال والسماحة في تصرفاته وقراراته.

أَرْنولْف : ولكنّ ما اخشاه في هذا الحال هو خداع المرأة المنافقة المرائية.

كريزالْد : ظنونك قتّالة كالمرض العضال. لا تنسَ ان في الدنيا نساءً صالحات. أراك تتغافل عنهن ولا ترى منهن سوى الحثالة. عليك أن تغيّر نظرتك المتحيّزة الى واقع الأمور.

أَرْنولْف : انا لا أحب التنكيت، ولا أودّ سماعه. فأرجوك ان تكفّ عن ترديده عليّ.

كريزالْد : لماذا غضبت ؟ هل لي أن أعرف ما السبب ؟ الوداع. عليّ أن أذهب. دع الوقت يساعدك على جلاء هذه المسألة التي لا تجد لها حلّاً مناسباً في ظروفك الحاضرة إلّا اذا انتزعت المنظار الأسود الذي يحجب عن عينيك رؤية الحقيقة المجرّدة.

أَرْنولْف : سأجتهد لألاقي علاجاً شافياً لهواجسي وحلاً ملائماً لمعضلتي.

المشهد التاسع

آلان وجورجيت وارنولف

يا صاحبايّ، أنا أطلب مساعدتكما لأني أثق بمهارتكما ومودتكما. غير أني في هذه المناسبة بحاجة الى التثبّت من إخلاصكما. كونا على يقين بأني لن أضيّع أجركما. أسألكما أن لا تثيرا ضجّة حول الشاب الذي أريد هذه الليلة أن أمسك به في حجرة أغني وهو مصمّم على دخولها خلسةً. نحن الثلاثة سننصب له كميناً، وعلى كلّ منكما أن يتسلّح بعصا، وعندما يصل الشاب الى آخر الدرج، ــ وقبلاً علينا أن نفتح له النافذة ــ أن تنهالا عليه ضرباً بشكل يجعل آثار العصيّ تظلّ بارزة على ظهره. فيكون له هذا التأديب خير عبرة كي لا يعود الى هنا. ولكن إياكما أن تأتيا على ذكري إن سُؤلتما في هذا الموضوع عن الدافع. وأنا من جهتي سأتجاهل الأمر تماماً. فهل أنتما على استعداد لتلبية طلبي ؟

آلان : اذا كانت الحاجة تقضي بضربه فقط، ثقْ يا سيدي، بأننا كلانا لها. وسترى عندما أضربه أنا، مدى قوّة زندي.

جورْجيت : وزندي انا ايضاً، يا سيدي، وإن كان لا يدلّ على ما يتمتع به من القوة. فعند اللزوم ينقضّ كالمطرقة الثقيلة.

أرْنولْف : أُدخلا الآن اذاً، ولا تفوها بكلمة. أرجو أن يلقّنه تدخّلنا درساً مفيداً. أنا على يقين، اذا استقبل جميع الأزواج في هذه المدينة عشّاق نسائهم بمثل هذه الحفاوة والترحاب، سيتوب معظم المتهتكين الماجنين.

الفصل الخامس

المشهد الأول

آلان وجورجيت وارنولف

أَرْنولْف : ماذا حملكما على اللجوء الى هذا العنف ؟
آلان : لقد أطعنا أوامرك المشدّدة، يا سيدي.
أَرْنولْف : كيف تتذرّعان بهذه الحجة الباطلة ؟ انا طلبتُ منكما أن تضرباه لا أن تقتلاه، وأن تنهال الضربات على ظهره لا على رأسه، وهدفي هو أن أضع حداً لعرقلته شؤون حياتي الخاصة. فبأية ورطة رماني الآن حظي العاثر اذ بلاني بكما ؟ وكيف يتسنّى لي أن ابرّئ نفسي من دم هذا القتيل الشاب ؟ هيا أدخلا الى المنزل وإياكما أن تتلفّظا بكلمة واحدة. لقد سألتكما ببراءة أن تؤدّباه فقط، وحين يأتي الصباح سأرى كيف أتدبّر الأمر واتلافى عاقبة هذه الكارثة. واسفاه، ماذا سيحلّ بي، وماذا سيقول والده عندما يبلغه نبأ نكبته بابنه ؟

المشهد الثاني

هوراس وارنولف

هوراس : يجب عليّ أن أذهب لأستطلع صدى الحادث.
أرْنولْف : لا أحد يعلم بما يخبّئه لنا الغد ... من القادم الى هنا ؟
هوراس : أهذا أنت، يا سيد أرنولف ؟
أرْنولْف : نعم، أنا. ولكن من أنت ؟
هوراس : أنا هوراس وقد جئت اليك لأرجو أن تُسْدي اليّ معروفاً. فوجدتك تخرج باكراً.
ارنولف (**بصوت خافت**) : ما هذا الاختلاط في الأمر ؟ هل في الأمر سحر أم سراب ووهم ؟
هوراس : كنتُ متضايقاً جداً، وأنا أشكر السماء على مصادفتك هكذا. أتيت لأخبرك بأن المسألة سارت على ما يرام اكثر ممّا كنت انتظر. لكن المفاجأة كادت تهدم كل ما بنيناه. لست أدري كيف أبدأ لأطلعك على المهمة التي كنت أقوم بها. فحين أوشكت أن أدخل من النافذة بوغتُّ بظهور أشخاص لم أكن أتوقع حضورهم في تلك اللحظة، رفعوا ايديهم وانهالوا عليّ ضرباً. فتعثّرتْ قدمي وسقطتُ على الأرض وأُصبتُ برضوض. وبعد تلقّي حوالي عشرين ضربة عصى نجوت بأعجوبة. وكان هؤلاء الأشخاص من جماعة مزاحمي على قلب الفتاة. وعندما ارتميت على الأرض تحت وطأة ضرباتهم المبرّحة، ظنوني قد فارقت الحياة. فما كان منهم إلّا أن انسحبوا وتفرّقوا، وساد الصمت بعد تواريهم عن الأنظار. وأخذ كل منهم يتهم رفيقه بالإمعان في استخدام العنف لتأديبي. ولما كان ظلام الليل لا يزال مخيّماً تلمّسوا جسمي ليتثبّتوا من موتي، والقلق يسيطر على تحرّكاتهم. فتظاهرت انا بالموت ولزمت الجمود. وبعد غيابهم حاولت أنا أيضاً أن انسحب من المكان. لكن أغني التي كادت تفقد رشدها دنت منّي لترى ما حلّ بي، ونظراً الى خلوّ الجوّ في تلك البرهة، هربتْ معي من المنزل، ولا أدري ماذا حطّمت أثناء استعجالها. ماذا أقول لك ؟ أخيراً أصغتْ الى النصائح التي أسديتها اليها أنا

حبيبها، فعدلتْ عن العودة الى مقرّها. وهكذا تلاحظ أنها أقدمت على مغامرة كانت جرّت عليها متاعب هي في غنى عنها، وأنا افضّل أن أموت، على أن أسبب لها أقلّ ازعاج. لأني احبّها بصدق من أعماق قلبي، وأودّ أن أقترن بها، واكرّس لها ايام عمري كلّها حتى الممات. مع أني اواجه معارضة وليّ أمرها الذي يقوم مقام والدها. وعليّ ان أصبر حتى أنال رضاه. فليس أمامي سوى القناعة. بما أنا حاصل عليه في الوقت الحاضر، وأن أظلّ اميناً على مودّتها حتى يتيسّر لي ان أحظى بها كزوجة حبيبة. قلْ لي، هل أستطيع ان أتّكل عليك لكي تأويها في منزلك يوماً أو يومَيْن ريثما أتمكّن من تنظيم أوضاعي وأجعل إحتفاظي بها في بيتي شرعياً في نظر القانون، واتجنّب الملاحقة. لأني مصمّم على اخفاء أمر هربها. وهكذا ستكون لك ابنة موقتاً لأُبعد عني جميع الشبهات. وبما أني إئتمنتك على سرّي هذا وقد عرفتك دائماً رجلاً مخلصاً ودوداً، ألجأ اليك واطلب مساعدتك في هذا المجال، واودع في بيتك حبيبة قلبي التي ستصبح قريباً جداً شريكة حياتي العزيزة.

أَرْنولْف : انا مستعد لتأدية كل خدمة تلزمك لتأمين سعادتك.

هوراس : أحقّاً توافق على تلبية رغبتي ؟

أَرْنولْف : بكل طيبة خاطر، وأنا مسرور جداً باغتنام هذه الفرصة السانحة لأبرهن لك عن صداقتي واخلاصي. فثق بأن ما تطلبه مني يسعدني أن أؤديّه لك راضياً.

هوراس : سأكون أسير فضلك ما حييت. ها قد بدّدتَ قلقي بحكمتك وطمأنت فكري بتفهّمك وضعي وحاجتي. ولا أُخفي عنك أن أحد انسبائي قد رافقها في قدومها الى أقرب زاوية من هذا الشارع.

أَرْنولْف : لكن كيف العمل وقد سطع الآن نور الصباح ؟ فاذا جئتُ بها أنا الى هنا، ربما أبصرني بعض الناس. واذا ذهبتَ انت لتأتي بها سيتكلم من يشاهدك من الخدم. ولكي نكون في مأمن من كافة المخاطر، لا بدّ لنا من نقلها تحت جنح العتمة لنحجبها عن جميع الانظار. فما قولك ؟ أنا ماضٍ وسأنتظر أول مناسبة لنقلها الى المكان المتّفق عليه.

هوراس : في الواقع، هذه احتياطات ضرورية يتحتّم علينا أن لا نُغفلها. لأني

أفضّل ان اسلّمك إياها تسليم اليد، وأعود بكل هدوء وأمان الى منزلي، بدون أن يدري أحد بما جرى.

ارنولف (وحده) : ارجو أن تتمّ الأمور بشكل يرضي الجميع. (يخبّئ أنفه بمعطفه).

المشهد الثالث

اغني، وهوراس وارنولف.

هوراس : لا تقلقي سأصطحبك الى منزلٍ آمن بعد أن تمكثي عندي بعض الوقت. وإلّا هدمنا كل ما توفّقنا الى تحقيقه حتى الآن. أدخلي من هذا الباب ودَعيني أدلّك على غرفتك. (ويتناول ارنولف يدها بدون أن تعرف من هو).

أغْني : لماذا تتركني وحدي ؟

هوراس : يجب عليّ أن أذهب، يا عزيزتي أغني.

أغْني : لا تتأخرْ إذاً في الرجوع إليّ.

هوراس : أنا مستعجل اكثر منك، يشدّني اليك ما يختلج بين ضلوعي من شوق وحنين.

أغْني : ثقْ بأني عندما لا أراكَ تجتاحني موجة من الحزن والقلق.

هوراس : هذا هو لسان حالي أنا أيضاً، لأني، بعيداً عنك، لا أشعر إلّا بالاضطراب والخوف من فقدانك.

أغْني : لو كان صحيحاً ما تقول لتوجّب عليك أن تظلّ بمعيّتي.

هوراس : ماذا تقولين ؟ هل تشكّين بصدق شغفي بك ؟

أغْني : لا أشك بهيامك بي مطلقاً، لكنك لا تستطيع أن تحبّني بمقدار ما أنا أهواك. (يشدّها أرنولف اليه) من يشدّني بهذه القوّة ؟

هوراس : لا تنسَيْ أننا نتعرض كلانا للخطر إن أبْصَرَنا أحدٌ معاً. فأنا أشدّك اليّ لكي أحميك من كل مكروه بقدر ما يمكنني أن أكون حريصاً على راحتك وسلامتك.

أغْني : لكن كيف تريدني أن أتبع شخصاً مجهولاً ؟
هوراس : لا تخافي، يا عزيزتي، فأنت بين يدي من يفتديك بروحه.
أغْني : أكون في حمىً آمن عندما أكون بين ذراعَيْ حبيبي هوراس فيطمئن قلبي ... (ويشدها ارنولف اليه مرة ثانية) إنتظرْ ...
هوراس : الوداع، فالنهار الطالع يضطرني الى مغادرتك.
أغْني : متى يتسنى لي أن أشاهدك ثانيةً ؟
هوراس : قريباً جداً، إن شاء الله.
أغْني : كم سينتابني من الضجر الى حين لقائك المرتقب.
هوراس : أشكر الله، لم تعدْ سعادتي تحت رحمة أي مزاحم لي على حبك، ويسعني الآن أن أرقد مِلْءَ جفنيّ بكل أمان واطمئنان.

المشهد الرابع

ارنولف، وأغني

ارنولف (يخبّئ انفه بمعطفه) : تعالي، فليس هنا أريد منك أن تمكثي. لأني أعددت لك مقرّاً انسب، أنا الآن ذاهب بك إليه. هل عرفِتني ؟
أغني (وقد عرفته) : أهذا أنتَ ؟
أرْنولْف : هل أخافك وجهي، يا محتالة ؟ يحق لك ان تفزعي. فأنا جئت الى هنا مرغماً لأني عالم بأن تصرّفي يضايق حبّك. (تنظر أغني حولها لعلّها تبصر هوراس). لا تستدعي غريمي الشاب ليأتي الى نجدتك. فهو بعيد لا يستطيع الوصول اليك. اراك رغم حداثة سنّك قد احتلتِ عليّ، وبسذاجتك التي ليس لها مثيل، إذْ سألتِني إن كان الأطفال يأتون الى هذا العالم عن طريق الأُذُن التي نسمع بواسطتها، قد ضربتِ المواعيد اثناء الليل ولحقتِ بحبيبك بدون إحداث أية ضجة. كم آلمني ان أسمع ما وجّهته اليه من كلام حلو رقيق وكم جاملْتِه ولاطفْتِه. لا بد من أن تكوني قد تعلّمت كل هذه اللياقات واتقنْتِها في المدرسة التي تخرّجتِ منها بدراية واسعة ومهارة نادرة، قلّ أن تصدر عمّن

هي في مثل سنّك المبكرة، رغم قلّة خبرتك في الحياة. ولقد برهنتِ على أنك لا تهابين المخاطر ولا تتردّدين في الإقدام على أجرأ التصرفات في سبيل صيانة حبك له. وهذا اللعين المحتال لم يكفّ عن تشجيعك على التحرك اثناء الليل لينتزعك من كنفي ويحظى بغنجك ودلالك ويحتفظ لنفسه بلذّة التمتع برضاكِ وحبكِ الغاليَيْن.

أغْني : لماذا تكلّمني بهذه اللهجة ؟

أرْنولْف : فعلاً أنا مخطئ بحقّك اذ خصصتك بهذه المعاملة الرقيقة.

أغْني : انا لا ارى ماذا فعلت من قبيح أو شاذٍّ في سلوكي معك.

أرْنولْف : ألا تعتبرين اللحاق بعشيقك جريمة نكراء ؟

أغْني : في الحقيقة، هذا الشاب الذي تصبّ عليه جام غضبك، لا يكلّ عن التصريح لي بأنه مصرّ على الإقتران بي. وأنا قد حفظت دروسك القيّمة حين أرشدتني الى وجوب الارتباط بوثاق الزواج لمحو كل خطيئة ناجمة عن أية مداعبة خارج نطاقه.

أرْنولْف : لكني أنا الذي كنت أنوي الاقتران بك، ولقد أعلنت لك حبّي مراراً وتكراراً.

أغْني : دعنا نتكلم بصراحة. هذا الشاب تنطبق أوصافه على ما اطلبه في شخص فتى أحلامي وشريك حياتي اكثر ممّا أجده فيك. أنت تنظر الى الزواج كورطة مزعجة عسيرة مقلقة. وكل ما حدّثتني به طبع في ذهني صورة قاتمة رهيبة عن الزواج كما تتصوره انت. بينما هو، كل ما حدّثني به يفوح منه شذى العطر المنبعث من مباهج الحياة الزوجية، يرغّب فيها المحبّين ولا ينفّر منها احداً.

أرْنولْف : هذا اكبر دليل على أنك تهوينه كالعمياء، يا جاحدة، يا ناكرة الجميل.

أغْني : أجل أنا أحبه وأهواه بكل جوارح مهجتي.

أرْنولْف : وتجسرين ايضاً على إعلان غرامك أمامي.

أغْني : ولماذا أخفيه عنك وأكتمه بين ضلوعي ما دمت أنا صادقة بشعوري نحوه.

أَرْنولْف : وهل أصبح حبه واجباً مفروضاً عليك، أيتها الوقحة ؟
أَغْني : أجل، لأنه ملأ شغاف قلبي وغمرني بسعادة لم أعرفها قبل أن أراه وأقع في هواه.
أَرْنولْف : كان عليك أن تطرديه من فؤادك.
أَغْني : وهل تريد أن أغلق قلبي دون عطفه عليّ، وأتّعامى عمّا يملأ به صدري بهجة وسروراً ؟
أَرْنولْف : أولا تعلمين أن هذا الميل اليه يغيظني لأنه أبغض ما في الدنيا لديّ ؟
أَغْني : وما دخلي أنا، كلّا ثم كلّا. لماذا يغضبك تصرفي على هذا النحو ؟ وماذا ترى فيه من شرّ يضيرني أو يلحق بسواي.
أَرْنولْف : هذا صحيح. اذا كان الأمر يفرحك، فهل عليّ أنا أن أكبت عواطفي نحوك ؟
أَغْني : عواطفك، وما هي علاقتي بمشاعرك ؟
أَرْنولْف : لماذا أشقى انا بصدّك ؟
أَغْني : يؤسفني ما تقول. ولكن، ما حيلتي وقلبي يهوى سواك ؟
أَرْنولْف : هل يحقّ لك ان تجرحي إحساسي وتدوسي شعوري نحوك ؟
أَغْني : أتريد مني أن ألجأ الى النفاق والخداع اذا رضيت بك ؟
أَرْنولْف : ولماذا لا تحبينني، يا آنستي الغبية ؟
أَغْني : يا إلهي. أنا لست مسؤولة ولا يقع عليّ أي لوم، اذا لم تعرف كيف تستهويني. فأنا لم أمنعك عن استمالتي اليك، على ما أظنّ.
أَرْنولْف : لقد إجتهدتُ بكل ما لديّ من قدرة وخبرة. غير أن مساعيّ برمّتها ذهبت أدراج الرياح وباءت بالفشل الذريع.
أَغْني : في الحقيقة، هو إذاً أدرى منك في الاستئثار بقلب المرأة، لأنه لم يتعب ابداً في استمالتي اليه.
أَرْنولْف : ما هذا الكلام الجسور القبيح الذي توجهينه اليّ ؟ أجدك تتحدّثين عن الهوى والغرام بطريقة سبقتِ فيها المتفلسفات من بنات جنسك، أيتها السفيهة الحمقاء. وأنت تظنين نفسك أنك أدرى من الرجال بقضايا العشق

والهيام. وقد نسيتِ كل ما بذلته أنا في سبيل تربيتك وإيوائك في داري طوال هذه السنين العديدة حتى بلغتِ ربيع صباكِ.
أغْني : كلا، لم أنسَ ما قدّمته لي من عناية ورعاية. فعريس أحلامي سيسدّد لك كل ما انفقته عليّ الى الآن.
أرْنولْف : وهل باستطاعته ان يلغي ما يتوجّب عليك نحوي من الشكر وعرفان الجميل ؟
أغْني : لكلِ أمر حدود، أرجوك أن لا تتجاوزها.
أرْنولْف : حتى ما تحمّلتُه من مشقّات في تربيتك والقيام بأودك منذ نعومة أظفارك ؟
أغْني : لقد قمتَ بواجب إنساني إرتضيته لنفسك، وأنا لا أنكر أنك سهرت على تربيتي وتعليمي بأفضل الأساليب. لكن، هل هذا يجبرني على التغافل عن شباب حبيبي وحميد خصاله ولهفته عليّ، وعلى الالتزام بالتضحية بصباي وبميل قلبي، للقبول بشيبتك وضيق خُلُقِك وأنت في هذا العمر المتقدّم، كزوج بديل عنه ؟
أرْنولْف : لا تتجاهلي عواطفي نحوك. هل هذا ما اقنعك به فتاكِ المغرور ؟
أغْني : لا يسعني أن أتعامى عن الواقع الساطع كنور الشمس، لأفضّلك عليه، وأدفن ريعان صباي في أحضان كهولتك ؟
أرْنولْف : أكاد أفقد صوابي عندما ألْمس وقاحته تتحدّى وضعي حيالك، وكم أودّ أن أصفعه لأرده الى صوابه.
أغْني : يؤسفني أن تحقد عليه هكذا، وأنت أقدر منه في بعض الأحوال.
أرْنولْف : كلمتك هذه الأخيرة تنتزع السلاح من يدي وتعيد الحنوّ والعطف الى فؤادي المشغوف بأنوثتكِ. وما عجبي إلّا من الرجال الذين يقعون مثلي في هوى صبية نظيرك. ويتقلّون على جمر صدّها. لأن هذا ضعف تفكير منهم لا يوصلهم الى مرامهم. ويؤسفني ان لا أتّعظ بما ينتهي اليه العديد من الأزواج حيال نساء لا يَنْسَجِمْنَ معهم على صعيد المشاعر غير المتبادلة والميول غير المتجاوبة بينهم. فيمسون كأنهم حيوانات ضارية تتهارش في اقفاص ضيّقة، بدون أن تُراعى حرمة إحساس أو رغبة. على كل حال، بما أني ادرك حرج وَضْعَيْنا نحن الاثنين لا يسع قلبي إلّا أن يلتمس منك أن تقدّري عواطفي

نحوك، وأن تراجعي حساباتك في الربح والخسارة، لعلّك تجدين في نفسك بعض الميل اليّ لقاء الحب الأعمى الذي أكنّه لك بدون أيّ تحفّظ.

أغْني : أنا لا أجد أحلى على قلبي من أن أراعي شعورك. لكني أتساءل كم من القهر والأسى سيكلّفني تفضيلي الإقتران بك والتعامي عن الشاب الذي استولى حبه على فؤادي.

أرْنولْف : يا عزيزتي، أنت قادرة على هذا الإختيار اذا شئت ان لا تدوسي قلبي. (يتنهّد) أصغي فقط الى تنهداتي كعاشق متيّم بهواك، وانظري الى عيوني التي لا ترى النور إلا من خلال بسمتك، واتركي هذا الشاب الوقح وتخلّي عمّا يقدّمه لك من حب طائش واقبلي بنضوجي وما يمكنني أن أغدقه عليك من مباهج الدنيا. أنت الآن في فورة الصبا تميلين الى ذاك الشاب الذي لا أرى فيه الكفاءة ليمتعك بأطاييب العيش وهناء البحبوحة. بينما أنا مستعد لأن أبذل الغالي والنفيس في سبيل رضاك وسعادتك سأدلّلك وأغنّجك وأقبّلك وأحتضنك وأنزّهك ولا افارقك ابداً. (على حدة) الى أين سيوصلني هيامي بها يا ترى ؟ (بصوت مرتفع) لا شيء يوازي ما أحفظه لك من الحب. أي برهان تريدين أن أقدّم لك على تعلّقي بشخصك الحبيب وتفانيّ في سبيل إعجابك، يا من جحدت فضلي ؟ هل تريدين مني أن أبكي متلهّفاً وأتوسّل اليك متضرّعاً ؟ هل يسرّك ويرضيكِ أن أتذلّل عند قدميك ؟ هل يروق لكِ أن انتف شعري وأن أقتل نفسي فداك. قولي لي : « نعم، أقبل بك زوجاً »، وأنا على أتمّ الاستعداد لأن أثبت لك ما يستعر في مهجتي من لهيب هواك.

أغْني : كفى، كفى. إعلم جيداً ان كل أحاديثك لا تهزّ قلبي، لأن هوراس بكلمتين فقط يؤثّر على عواطفي اكثر من كل عبارات خطاباتك الطويلة المملّة هذه.

أرْنولْف : لا طاقة لي على احتمال هذا التحدّي منك، لأنه يضرم نار غيرتي وغضبي عليه. فيحملني على متابعة جهودي للحصول على مبتغاي ولا تنسَيْ أني صعب المراس كالوحش المتمرّد. وسأسعى بكل ما أوتيت من قوة لمطاردتك اينما كنت وحيثما ذهبتِ. لأنك برفضك توسلاتي تخرجينني عن صبري وتعقّلي. وإلّا، لن يهدأ لي بال حتى أشاهدك تدخلين الدير لتترهّبي.

المشهد الخامس

آلان وارنولف

آلان : لا أفهم ما جرى، يا سيدي، وأتحيّر جداً كيف أن أغني وجثة الشاب الهامدة التي تركناها منطرحة على الأرض قد اختفتا معاً.

أرْنولْف : ها هي الفتاة في غرفتي، إذهب واحتجزها. وهكذا لن يستطيع المحتال أن يوافيها. لندعْهُ يبحثْ عنها. ولن تمضي مدة نصف ساعة فقط حتى أدبّر لها ملاذاً اميناً يحويها بحرص شديد. أجلبْ عربة واصطحبها، ولا تدعْ عينيك تفارقان شخصها ابداً. لعلّها بعد هذه العزلة تجد نفسها بعيدة عن محيطها فتملّ في عزلتها حبّ مزاحمي الشاب وتكفّ عن التعلّق به وانتظاره.

المشهد السادس

هوراس

هوراس : ها أنذا قد أتيت لأرى الحزن مرتسماً على وجنتيك. يا إلهي، هل تمكّن السيد ارنولف من ترسيخ شقائي ؟ وهل شاء مصيري المشؤوم ان يُنزل بي هذا الظلم الذي لا يطاق ويسلخني عن حبيبتي. لقد جاء أبي الى هنا متكبّداً مشقّات السفر، ورأيته عندما وطأت قدماه ارض هذا المكان، وعلمت ان سبب قدومه اليّ هو رغبته في أن يزفّني الى فتاة أخرى ويفرح بتحقيق هنائي كما يظن. فتصوّر كم سينتابه القلق والكدر أكثر مني، كما قلت بالأمس، وكم سيجتهد نسيبي أنْريك، طبعاً بالاشتراك مع والدي، جدّياً لهدم ما رسمته للتنعّم بحياتي كما يعجبني. إذْ إنهما يطلبان مني أن أقترن بابنته الوحيدة، ونا لا أريد أن أستمع الى هذا الكلام الذي يناقض رغبتي. فقد أتى والدي ليزورني ومن حديثه توقعت ما يزعجني ويغيظني. فأرجوك أن لا تكشف له عمّا اودعتك اياه من سرّي، ولا تعلمه بارتباطي الذي سيحزنه.

أستحلفك ان تشرح له وتحاول إقناعه بالعدول عن فكرته التي ترمي الى تزويجي فتاة غير التي اهواها.

أرْنولْف : طبعاً سأسعى الى اقناعه بما تريد.

هوراس : إنصحه بالتريّث قليلاً واخدمني بذلك خدمة الصديق المخلص.

أرْنولْف : لن أتأخر لحظة عن عمل ما تشاء، فاطمئن بالاً.

هوراس : اني أضع كل أملي وكل ثقتي في قدرتك على جعله يعدل عن فكرته.

أرْنولْف : حسناً، لن أخيب ظنك فيّ.

هوراس : اني أوكل اليك أمر أبي. فقل له أن عمري ... ها هوذا، اني أبصره قادماً الينا ... هيّا أنصت الى الحجج التي يمكنني أن أزوّدك بها لهذه الغاية.

(يظل في زاوية من خشبة المسرح).

المشهد السابع

أنريك واورونت وكريزالد وهوراس وارنولف.

أنريك (لكريزالد) : حالما شاهدتك، بدون أن يدلّني احد عليك، عرفت أنك قادم، ورأيت فيك ملامح اختك الحبيبة التي جعلتني مراسم الزواج في حينه قيّماً عليها. كم يكون سروري عظيماً لو تسنّى لي أن آتي بزوجتي الوفيّة لتفرح بلقائك ولقاء جميع الأهل بعد ألم الفراق الطويل. ولكن بما أن مصيرنا يحرمنا من مشاهدتها فيما بيننا هنا، علينا أن نكتفي بما بقي لي ولها من أثر وحيد بعد حبّنا الجارف هي ابنتنا الصبيّة. هذا حقاً دافع لا يستهان به يجعلني أميل الى تعزيز هذه الفتاة الغالية جداً على قلبي. ان اختيار ابن صديقي اورونت كعريس لها لهي بادرة سارّة بحدّ ذاتها. لكن المهمّ أن يعجبك هذا الاختيار كما يعجبني أنا.

كريزالْد : أكون قد أمتهنت هذا الاختيار إذا شككت بتفضيلك المحقّ.

ارنولف (لهوراس) : أجل سأخدمك بأفضل الوسائل.

هوراس : اذاً إغتنمْ هذه الفرصة الملائمة.
أَرْنولْف : لا يكنْ لك ادنى شك من هذا القبيل.
اورونت (لارنولف) : هذا العناق الحارّ يدلّ على حنوّ لا حدّ له.
أَرْنولْف : ان ابتهاجي عظيم بهذا اللقاء.
أُورونْتْ : هل تدري كيف جئتُ الى هنا ؟
أَرْنولْف : بغتةً بدون أن تعلمني، وأنا أعرف ما يدفعك الى المجيء إليّ.
أُورونْتْ : لا بد من أن تكون قد توقّعت هذا النبأ ...
أَرْنولْف : نعم.
أُورونْتْ : انا مسرور جداً بقدومك.
أَرْنولْف : ان ابنك يتشبّث بعزمه على إتمام هذا الزواج وقلبه المتيّم بالهوى لا يجد أي إزعاج في هذا الموضوع الدقيق. وقد طلب مني أن أحملك على تغيير فكرك وعدم معارضتك أمر زواجه هذا. لذا أنصحك بأن تكون راضياً على اختياره الفتاة التي تعجبه ويحبّها، وأن لا تصرّ على ممارسة سلطتك الأبوية في التأثير عليه للانقياد الى ما تراه أنت مناسباً له. فدعْ اذاً هذين الحبيبَيْن يحقّقا حلمهما الذهبي، لأن الواجب يقضي بأن نترك له حرية التصرّف في هذا المشروع الشخصي الجوهري.
هوراس : تبّاً لك من منافق دجّال.
كريزالْد : اذا كان حقاً قلبه ينفر من تدابيرك، فأنا أصرّ على عدم توسّل العنف، يا عزيزي، للوصول الى إخضاعه لمشيئتك. وأنا على يقين بأنه سينحاز الى رأيك راضياً.
أَرْنولْف : ماذا تقول ؟ هل تريد أن ينقاد الأب الى مشيئة ابنه، وأن يبدو ضعيف الارادة حيال رغبة هذا الابن ؟ متى كانت الأفضلية لانصياع الكبير الى أهواء الصغير ؟ ما أحلى ان نرى اليوم نظام القانون الطبيعي ينقلب رأساً على عقب. فينصاع من يعود اليه الأمر والنهي الى من يجب عليه أن يطيع وليّ امره. لا، لا، هذا صديقي، وعليّ أن أسانده، لأني اعتبر فوزه نصراً لي أنا ايضاً. فلقد وعد، وعليه ان يفي بوعده. ورأيي ان يكون حازماً في قراره. وعلى ولده أن يطيعه ولا يخرج عن تلبية طلبه.

أورونْتْ : هذا كلام معقول، وفي هذا المجال أؤكد لك أني سأسعى جاهداً لإقناعه بالامتثال لمشيئتي انا والده وولي نعمته.
كريزالد (لارنولف) : يدهشني هذا التفرّد والتسرّع في البتّ بارتباط كهذا، ولا أجد ما يدعو الى ذلك بمثل هذا الإصرار.
أَرْنولْف : أنا أعرف ماذا أفعل، وأقول ما يجب عليّ أن لا أصمت عنه.
أورونْتْ : نعم، نعم. يا سيد أرنولف، لقد ...
كريزالْد : هذا الاسم يزعجه، وعليك أن تدعوه السيد دي لا سوش، كما قيل لك سابقاً.
أَرْنولْف : هذا لا يهمني كثيراً.
هوراس : ماذا تقول ؟
ارنولف (يلتفت الى هوراس) : أجل، هذا هو الخلاف. ولك أن تحكم على ما كان يتحتّم عليّ أن أفعله في هذا الموقف المحيّر.
هوراس : ما الذي يضايقك ؟

المشهد الثامن

جورجيت وانريك واورونت وكريزالد وهوراس وارنولف

جورْجيت : ان لم تكن حاضراً، يا سيدي، سنلاقي صعوبات كثيرة في إبقاء أغني هناك. لأنها مصمّمة على الهرب مهما كلفها الأمر. وربما ألقت بنفسها من النافذة.
أَرْنولْف : جيئوا بها اليّ، فأنا استطيع أن أمنعها. (لهوراس) لا تحزن، يا صاح، ولا تكره أمراً لعله خير لك، كما يقول المثل، فكل إنسان ينال ما كُتب له من نصيب.
هوراس : ليس من مصيبة يمكنها أن تضاهي مشكلتي. وهل في الدنيا من هو مثلي وصل الى قعر الهاوية حيث تدهورت انا الآن.

ارنولف (لأورونت) : عجّل في إجراء مراسم الحفلة لكي أشترك فيها. وسأكون أو من يلبّي الدعوة.
أورونْت : هذا هو لسان حالي أنا أيضاً.

المشهد العاشر

أغني وآلان وجورجيت واورونت وانريك وازنولف وهوراس وكريزالد.

أرْنولْف : تعالي، أيتها الحسناء، تعالي. انتِ الثائرة التي لا يستطيع أحد أن يثنيك عن اندفاعكِ. هذا هو الشاب الذي تعشقينه وبوسعك أن تحبّيه وتبتسمي له وتقبّليه مكافأة على تشبثه بهواك. الوداع، فالواقع يخالف قليلاً آمالك وأمانيكِ. واعلمي أن لا سبيل الى إرضاء جميع العشاق ولا كل الناس.
أغْني : هل تقبل، يا هوراس، ان اكون هكذا من نصيب سواك ؟
أرْنولْف : هيا بنا، أيتها الثرثارة.
أغْني : اريد أن أبقى هنا.
أورونْت : قولي لنا : ما هو هذا السرّ الغريب ؟ فإننا ننظر جميعنا بعضنا الى بعض ولا ندرك كنه ما يدور الآن حولنا.
أرْنولْف : اذا سمحتم، يسعني أن أشرح الموقف لكم. الى اللقاء.
أورونْت : الى أين تنوي الذهاب ؟ أنتَ لا توضح لنا مقصدك كما يجب.
أرْنولْف : لقد نصحتك رغم كل معارضته بأن تُتمّم مراسم الزواج بدون تأخير.
أورونْت : نعم، ولكن لإتمامها، ألا تعلم أن الفتاة المرغوبة هي الآن عندك ؟ أمّا الفتاة الاخرى التي تُدعى انجيليك فهي في الحقيقة إبنة السيد انريك. اذاً لا أجد أن حديثك يرتكز على أي أساس معقول.
كريزالْد : لقد تعجّبت لدى مشاهدة طريقته في التنفيذ.
أرْنولْف : تنفيذ ماذا ؟

كريزالْد : الزواج السرّي الذي أسفر عن ولادة ابنة كُتِم أمر وجودها عن الاسرة بكاملها حتى الآن.

أورونْتْ : وقد عاشت بإسم مستعار، لكي لا يكتشف الأمر أبوها، وقد أُرسِلَتْ الى الحقول لتربى هناك. فلما عاكس حظها العاثر ظروفها التعيسة، جرى إبعادها عن مسقط رأسها.

أورونْتْ : لكي تواجه مشاكل لا تُحصى في تلك البلاد النائية التي تفصل بين مقرَّيْها البراري والبحور.

كريزالْد : وهناك قيّض الله لها من إهتمّ بتربيتها ورعايتها.

أورونْتْ : وعند عودة الوالد الى فرنسا بحث عن ابنته حتى اهتدى الى من تولّى امر حضانتها.

كريزالْد : وأعلمتْنا إحدى الفلّاحات بصراحة أنها تُركتْ عندك وديعةً معزّزة مُكرّمة.

أورونْتْ : ولمّا كانت في حالة فقر يرثى لها، عُهدت الى رعايتك في بيتك نظراً الى ما عُرفتَ به من حبّ البرّ والاحسان.

كريزالْد : واستناداً الى ما يتحلّى به من رحابة الصدر وعلو الهمّة والميل الى عمل الخير، أوصل الفتاة الى ما هي عليه اليوم.

أورونْتْ : وستراها الآن عندما تأتي الى هنا وتوضح أمامنا سرّها الدفين.

كريزالْد : انا اقدّر مدى حزنك لما جرى. لكن حُسْن حظك سيبيّن لنا كم هي سعيدة بأن تقول لك : إن شئت ان لا تكون مخدوعاً عليك أن تُبعد عنك فكرة الزواج وتتخلى عنها نهائياً.

ارنولف (**يخرج وهو في غاية التأثّر لا يقوى على الكلام**) : آه، ثم آه.

أورونْتْ : لماذا هرب بدون أن يفوه بكلمة واحدة.

هوراس : يا أبي، ستطّلع على هذا السرّ العجيب بكامل تفاصيله. فقد شاء القدر أن تجري الأحداث كما توقّعتْه حكمتك. وتطلّعتْ اليه بصيرتك. فأنا قد ارتبطْتُ بعهد حيال هذه الصبية اللطيفة. فقادتني بكلمة الى ما جئت تبحث عنه، ولأجلها قد أُزعجك بالفعل رفضي التنازل عن حبّها كما تشاء ...

أنْريك : انا لا أشك أوّلاً بأني رأيتها بأمّ عيني، ومنذ تلك اللحظة شعرت

بالاضطراب يتغلغل الى أعماق نفسي. فيا بنيّتي، أنا لا أعرف كيف أعبّر لك عن شدة سروري وابتهاجي بالتعرّف اليك كشريكة حياة ابني هوراس.

كريزالْد : كنت شاركتك فرحك، يا عزيزتي، لو ساعد هذا المكان على ذلك. تعالوا نذهب الى البيت لإجلاء هذا السرّ العويص. ثم نفي حقّ صديقنا على ما قام به من خدمات جليلة، ونشكر السماء التي تحلّ المعضلات الشائكة على أفضل الصور وبأوْلى الوسائل التي تُرضي الجميع.

(تمّت)

إنتِقَاد مَدرَسَة الزَوجَات

أشخاص المسرحية

أُوراني : ابنة عم اليز
ايليز : ابنة عم اوراني
كليمان : صديقة اوراني وايليز
كالوبان : خادم.
المركيز دُورانت : أو الفارس.
ليزيداس : شاعر.

الأحداث تجري في باريس في منزل اوراني

فصل واحد

المشهد الأول

أوراني : هل جاء أحد ليزوركِ، يا ابنة عمي ؟
إيليز : لا أحد بتاتاً.
أوراني : حقاً، يدهشني أن نبقى اليوم كلتانا وحيدتين.
إيليز : هذا يدهشني أنا ايضاً. لاننا لم نتعوّد ذلك. ومنزلك، لله الحمد، ملجأ طبيعي لجميع تنابل البلاط الملكي.
أوراني : في الحقيقة، فترة ما بعد الغداء، تبدو لي طويلة جداً.
إيليز : أما أنا فوجدتها قصيرة جداً.
أوراني : وهذا عائد الى ان المثقّفين، يا ابنة عمي، يحبّون الوحدة والعزلة.
إيليز : لا أُنكر أني اميل الى معاشرة الأصحاب.
إيليز : وانا ايضاً أحبّها. لكني افضّل أن اختار جلسائي. لأن معظم الزيارات السخيفة تجعلك تمجّينها وتتحاشينها ·لتلوذي بالاختلاء بنفسك.
أوراني : هذا نوع من اللياقة المبالغة التي تدفعك الى معاشرة خيرة الناس فقط.
إيليز : غير أن المسايرة تدعوك الى تحمّل كل الناس من جميع الفئات بلا مبالاة.
أوراني : في الحقيقة، انا اتذوّق الاحاديث المعقولة ولا اتسلّى بسماع ما هو مبتذل بوجه الاجمال.

إيليز : الابتذال لا يصل دائماً الى حدّ الازعاج. وأغلب من يصدر عنهم يُفقد حديثهم كلِ طرافة منذ الزيارة الثانية. وعلى ذكر المبتذلين، ألّا تفضلين ان تبتعدي مثلاً عن صاحبك المركيز المملّ ؟ هل تظنّين أني قادرة على تحمّل ما يردّده باستمرار من سماجته التي ليس لها حدود ؟

أوراني : لا تنسَيْ ان حديثه رائج هذه الأيام، ويتواصل التنكيت حوله في البلاط بدون انقطاع.

إيليز : بئس من يمارسون السخرية ويجتهدون طوال النهار ان يردّدوا هذه اللهجة الغامضة. ان افضل الأحاديث التي تدور في قصر اللوفر هي من نمط المداعبات الموحلة التي يتجاذب اطرافها جماعة سوق الخضار واللّحامين وساحة موبار حيث يلتئم المشبوهون وَذَوُو الاخلاق المنحطّة. أمّا أحلى مزاح يدور بين أهل القصر ويسوغ للانسان المثقّف ان يتباهى به فهو قول الرجل : « يا سيدتي، انتِ في الساحة الملكية، وجميع الناس يتطلّعون اليكِ عن بعد ثلاثة أميال من باريس، وكلّ منهم يراكِ بعين الرضى والتقدير ». لأن قرية « الرضوان » لا تبعد اكثر من ثلاثة أميال عن هذا المكان. أولا تجدين في ذلك كياسة وخفّة روح ؟ أولا يحقّ لمحبّذي هذه اللقاءات أن يفاخروا بها ؟

أوراني : الغالبية الساحقة لا تنظر الى هذه الوقائع كأمور طليّة المغزى. ومعظم الذين يقلّدون هذه اللهجة يعرفون جيداً انها بليدة سخيفة.

إيليز : بئس ترديد مثل هذه الحماقات التي تعتبر نوعاً من المزاح السمج. ولو كنت حَكَماً، لما وجدت عذراً لمروجيه ومتذوّقيه، بل كنت قسوت في ادانتي على محبّذي هذه التفاهات والترهات.

أوراني : دعينا من هذا الموضوع الذي يثير إشمئزازك. ولنتساءل لماذا سيتأخّر دورانْت هذا المساء في المجيء ليتناول معنا طعام العشاء ؟

إيليز : ربما نسي إرتباطه بهذا الموعد و ...

المشهد الثاني

كالوبان واوراني وايليز.

كالوبان : ها هيذا كلامين، يا سيدتي، قد أتت لتراكِ.
أوراني : ما هذه الزيارة الغريبة ؟ يا الهي.
إيليز : انتِ تشكين الوحدة. وها قد أرسلت لكِ السماء من يسلّيكِ.
أوراني : عجّل، يا كالوبان، وقل لها اني لست هنا.
كالوبان : لقد قيل لها أنك موجودة في البيت.
أوراني : ومن قال لها هذه البلاهة ؟
كالوبان : انا، يا سيدتي.
أوراني : تبّاً لك من متسرّع. سأعلّمك كيف تجيب من تلقاء ذاتك في المستقبل بدون استشارتي.
كالوبان : سأذهب واعلمها بأنك قد خرجتِ.
أوراني : قف عندك، يا أبله، ودعها تصعد، بما أنك سمحت لنفسك بارتكاب هذه الحماقة.
كالوبان : هي لا تزال في الشارع تخاطب أحد الرجال.
أوراني : كم تضايقني هذه الزيارة الآن، يا ابنة عمي.
إيليز : لا أنكر أن هذه السيدة ركيكة بطبيعتها. وأنا لم أتحمّل يوماً وجودها بصحبتي. لأنها فعلاً غريبة الأطوار، وأحاديثها التافهة بعيدة كل البعد عن المنطق السليم.
أوراني : انت تجورين عليها قليلاً بوصفها هكذا.
إيليز : لا، لا. هي تستحقّ ما نعتّها به. وإذا أردت أن تنصفيها، فأي إطراء توجهينه اليها ؟ هل يمكنك أن لا تصفيها بالمتفلسفة في أسفل معاني هذه الكلمة ؟
أوراني : مع ذلك، هي غير بعيدة عن هذه النقيصة الذميمة.
إيليز : هذا صحيح. هي تستحق هذه التسمية بدون أن تدرك مدى فحواها. صدّقيني، انها متفلسفة من رأسها الى أخمص قدميها. وهي بارعة في التصنّع

بما تبديه من حركاتها وهزّ ردفيها وكتفيها ورأسها كأنها محشوّة نوابض لا تدعها تهدأ لحظة واحدة. وصوتها بنوع خاص يعلو وينخفض، وشفتاها تستديران وتنفرجان باستمرار نظير عينيها اللتان لا تنفكّان تجحظان وتغمزان وتغمضان وتنفتحان ...

أوراني : مهلاً، مهلاً، لئلّا تصل فجأة وتسمع...

إيليز : لا، لا، لن تصعد بسرعة. انا لا أزال اتذكّر ليلة التقائها بصديقنا دامون، والصفات التي وسمتها بها من جرّاء ما لاحظناه عليها من حركاتها الكثيرة بوجه عام. أنتِ تعرفين الرجل جيداً وعدم اكتراثه بمبادلة الحديث. فلقد دعته الى تناول طعام العشاء على مائدتها باعتباره صاحب نكتة، ولم تلاحظ عليه ابداً إنه بدا سخيفاً بين جماعة الأشخاص المنكّتين عليه أمامها كأنه مخلوق عجيب يريد أن لا يشبه احداً سواه من البشر. وقد ظن الجميع أنه مدعوّ ليسلي الحاضرين بفكاهاته نظراً الى ما امتاز به من الكلام اللبق والتعليقات المترجلة على كل ما يقال اثناء السهرة والشروحات المفصّلة التي يستفيض فيها حيال كل موضوع يثار اثناء وجوده. غير أنه خيّب أملهم بسكوته الى حد جعل السيدة تبدي ارتباكها ازاء كل ما قدمته من تعريف عن شخصه الفريد.

أوراني : أُصمتي. ها أنا اراها قد وصلت الى باب الغرفة.

إيليز : لي كلمة أخرى أقولها. كم أودّ أن اراها قد اقترنت بالمركيز الذي تكلّمنا عنه. فالجمع بينهما سينجم عنه حقاً ضمّ المتفلسفة الى صاحب الحديث المبتذَل.

المشهد الثالث

كلامين وأوراني وإيليز وكالوبان.

أوراني : حقاً، فات الوقت ...

كلامين : ارجوكِ ان تقدّمي لي مقعداً لأرتاح عليه.

اوراني (**لكالوبان**) : هيّا اجلب مقعداً بسرعةٍ للسيدة.

كلامين : يا إلهي.

أوراني : ما بكِ ؟

كلامين : لم أعد أقوى على الوقوف.

أوراني : ماذا دهاكِ ؟

كلامين : قلبي يخفق بشدّة.

أوراني : هل زاد ضغط دمك في هذه الآونة الأخيرة ؟

كلامين : كلّا.

أوراني : هلّا فككْتِ ازرار ردائك لتسهيل تنفّسك.

كلامين : لا، لا لزومَ لذلك.

أوراني : اذاً بماذا تشعرين ؟ ومنذ متى تتضايقين هكذا ؟

كلامين : منذ أكثر من ثلاث ساعات، حين كنت في القصر الملكي.

أوراني : ماذا تقولين ؟

كلامين : لقد تحمّلت كفّارة عن ذنوبي، غلاظة مسرحية « مدرسة الزوجات » التي ازعجتني جداً وسبّبت لي ضيق الصدر. ولا أعتقد أني سأتخلّص من هذه العلّة قبل مرور اسبوعين.

إيليز : هكذا تنتابنا الأمراض احياناً بدون أن نفكّر بها أو نعلم من أين انقضّت علينا.

أوراني : انا وابنة عمي لسنا ندري أي مزاج يعتمل في داخلنا. لكننا ذهبنا أمس الأوّل لمشاهدة هذه المسرحية، وعدنا منها مسرورتيْن منشّطتَيْن.

كلامين : هل شاهدتماها فعلاً ؟

أوراني : نعم، وأصغينا الى كلامها من أوله الى آخره.

كلامين : أوَلم تشعرا بأي اشمئزاز، يا عزيزتي ؟

أوراني : أنا لست سريعة الانفعال، والحمدلله. ولقد وجدت ان هذه الهزلية قادرة على شفاء علل الناس بدل أن تبليهم بأي سقم يضني.

كلامين : يا إلهي. ماذا تقولين ؟ هل يستطيع شخص مثقف مثلكِ أن يفوه بمثل هذا التصريح ؟ هل يتسنى لإنسان خبير واسع الاطلاع نظيرك أن يخرج عن المعقول ويحبّذ هذه المهزلة السخيفة ؟ وهل يجوز لفكر واسع يتوق الى

حلو النكات أن يبتهج بسماعها والتلذّذ بسماجتها ؟ وبمعنى آخر هل يسوغ لمثقفٍ متلهّف الى المزاح الفطن أن يصمّ اذنيه بالاصغاء الى بلاهة الهزليات التافهة ؟ من جهتي انا لم أجد ذرة من الفطنة في كل عباراتها وحكاياتها البذيئة. وما بلاهة السؤال عمّا « اذا كان الاطفال يأتون الى هذه الدنيا عن طريق الأذُن » إلا سخافة ممقوتة، وقصة « الحلوى الغارقة بالزبدة » قد ذهبت بشهيتي، ونبذة «الحساء » جعلتني اتقيّأ من القرف.

إيليز : يا الهي. كم أنت موفّقة بإيراد كل هذه الأمثلة. لقد ظننت ان مغازي المسرحية جيدة. لكني أرى، يا سيدتي، ان لديك فصاحة بليغة تقلب الأمور بشكل مُقْنِع، وتستميلين محدّثك الى رأيك، ولو كان من أعند الرافضين.

أوراني : أمّا أنا فلا أساير أحداً. ولكي أبدي فكرتي بصراحة، أعلن أن مؤلف هذه المسرحية بلغ ذروة النجاح بين سائر مسرحياته.

كلامين : أنا أشفق عليك، وأنت تتكلمين هكذا، ولا يسعني أن أتحمّل منك هذا التقصير في التمييز بين الغثّ والثمين. ولا أفهم كيف يمكنك أن ترضَيْ عن تمثيلية كهذه تزرع قلة الحياء في الأذهان وتلوّث المخيلة بأدران البذاءة والنذالة أحياناً.

إيليز : وأنا من جهتي استغرب منك هذا الحكم الجائر، يا سيدتي. انك تبرهنين عن كونك لا تتمتعين بحسّ مرهف في النقد، كما تتوهمين وانا اشفق ايضاً على صاحبنا موليار لتحدثك عنه كأنه من ألدّ أخصامك.

كلامين : الاجدر بك أن تتراجعي عن حكمك المغلوط ؟ لعلّ تغيير رأيك في هذه الهزليّة التي اعجبتكِ تبدّل ما علق في عقول الناس مما تخصّينها به من إطراء.

أوراني : في الحقيقة، لا أرى ما جعلك تعتبرين انها تتضمّن ما يخدّش براءة الحياء.

كلامين : يا للأسف. كل ما فيها يناقض معالم الفضيلة. وعندي ان المرأة الشريفة لا يسعها إلّا أن تحمرّ خجلاً من تعابيرها السافلة التي لا تعدو كونها بؤرة قذارة وسفاهة.

أوراني : ارى أن للسفاهة في مفهومك معاني خاصة لا يدركها سواكِ من

الأدْعياء. فأنا لا أجد فيها شيئاً ممّا تتوهّمينه وتشيرين اليه.

كلامين : لأنك حتماً لا تريدين أن تبصري الحقيقة على جليتها، ولأن كل هذه الأقذار التي تشمئزين منها تبدو، والحمدلله، كأنها متوارية عن الأبصار لا تحتاج الى ستر قياحتها. ما دامت روائحها الخانقة لا تحتاج في عرفك الى التبديد، رغم أن حاسّة الشمّ الأكثر زكماً تخشى أن تتنشّق زخمها الكريه.

إيليز : ألِلى هذا الحدّ ؟

كلامين : نعم، إن لم يكن الأمر أدهى.

أوراني : على كل حال، أودّ أن تسترعي انتباهي الى واحدة مما تسمينها قذارات.

كلامين : يؤسفني ان تكوني قد اصبحت بحاجة الى من يدلك على البشاعة.

أوراني : أجل، أودّ أن تدلّيني على مقطع واحد فقط أزعجك الى هذا الحدّ.

كلامين : وهل هناك أسوأ من مشهد الفتاة أغني عندما افصحت عمّا علّموها اياه من اقوال خسيسة.

أوراني : واين القذارة في هذا الأمر ؟

كلامين : أحقاً لا ترينها ؟

أوراني : ارجوك أن تشرحي لي ما تستغربينه ؟

كلامين : تبّاً لك من غبيّة.

أوراني : كيف تجرؤين على نعتي هكذا ؟

كلامين : لم يبقَ لديّ طاقة على الاحتمال.

أوراني : انا لا أجد في كل هذا أيّة إساءة.

كلامين : هذا شأنك. وانا لست من رأيك.

أوراني : بل العكس هو الصحيح، على ما ارى بوضوح. فأنا أنظر الى الأمور كما تُعرَض امام عينيّ ولا أقلبها الى ما يجب ان لا نبصره فيها لأنه غير الواقع.

كلامين : اين شهامة المرأة ؟...

أوراني : شهامة المرأة لا تكمن في الحركات المصطنعة. والمصيبة هي ان الإنسان الطائش يشاء أحياناً ان يفوق العقلاء رصانةً ورجاحة عقل. وهنا يكمن الشطط الذي ما بعده شطط. وانا لا ارى خطأً أفدح من البحث عن الشرف

حيث لا تدعو الحاجة الى وجوده. فترُمَى الكلمات البريئة بأحطّ النعوت والتجريح، ثم التلميح الى أكثر الأمور براءة، كأنها أقبح السفالات. صدّقيني، أن اللواتي يلجأن الى التصنّع والتكلّف لسن ابداً من نساء الخير والصلاح، بل بالعكس، لا بد لإدّعاءاتهن ومراوغاتهن من أن تُزعج وتُخجل أهل الرزانة والتحفّظ. فمن الهيّن اغداق الذمّ على الأمور جزافاً كما يسهل بلحظة هدم ما استغرق بنيانه آماداً طويلة. وعلى سبيل المثال، ما لاحظناه في ذلك اليوم، اثناء مشاهدتنا هذه الهزلية على المسرح من مقصورة جاورت مقصورتنا حيث لم تكفّ بعض السيدات إظهار تأثّرهنّ بالمسرحية كهزّ الرؤوس وتقطيب الحواجب واشارات الايدي، مما أثار تواتر التأفف من سلوكهنّ الغريب، من كل حدب وصوب. ولم يكن هذا الانتقاد ليُوجَّه اليهنّ لولا حركاتهنّ المصطنعة السمجة، حتى ان أحد مراقبي القاعة صرخ مندّدا بأعلى صوته : أنهن في الحقيقة يتظاهرن بعفّة آذانهن اكثر مما يخفين من تزمّت وتهتك في سائر أنحاء أجسادهنّ.

كلامين : لا بد من أن يكون الانسان أعمى ليتحمّل مثل هذه المسرحية، أو يتعامى عمّا تحويه من مباذل لا تطاق.

أوراني : على المرء ان لا يرى ما ليس له في الواقع من وجود.

كلامين : انا لا أزال على إصراري بأن المسرحية تغصّ بالقبائح المقذعة.

أوراني : وانا لا أزال غير موافقة على ما تدّعينه وتلصقينه بها من دناءة.

كلامين : غريب منك أن لا تبصري ما ورد من تجريح الفضيلة في كل ما قالته اغني خلال المقطع المشار اليه.

أوراني : لم تتلفّظ بكلمة واحدة غير لائقة. أمّا اذا شئت ان تؤوّليها على هواكِ فأنت التي تضعين القذارة حيث لا أثر لها، وليست هي، بما أنها تتكلم عن شريط من النسيج أخذه منها الشاب كتذكار.

كلامين : هو شريط اذا اردتِ أنت ان تعتبريه هكذا. ولكنك تتناسَيْن تردّدها وعدم رغبتها في الإفصاح عما أخذه الشاب منها فعلاً. وهذا يفسح المجال لأبعد الشكوك المريبة. ومهما شئتِ أن تتغاضَيْ عما قصدتْ ان تخفيه، فلن تتوصّلي الى تبرئتها من جريرتها.

إيليز : هذا صحيح. وانا لا أرى من داع الى تردّدها وتكتّمها. فهي مخطئة في موقفها هذا، ولا حاجة الى الدفاع عن نقاء براءتها.
كلامين : لا سيما وهي تصرّ على إخفاء السفالة التي تخجل من الافصاح عنها.
إيليز : كيف تنعتين تصرفها، يا سيدتي ؟
كالوبان : محاولة ستر السفالة، يا سيدتي.
إيليز : يا الهي. أين السفالة هنا ؟ وأنا لا أفهم تماماً ماذا تعنين بكلمة سفالة ؟ بينما أنا أجد طريقة تعبيرها اروع ما يمكن في مثل موقفها السليم.
كلامين : أخيراً أجدك تميلين الى رأيي.
أُوراني : يا الهي. هي متحدّثة لبقة لا تفصح دائماً عما تفكّر فيه. فلا تثقي بتصريحها اذا أردتِ أن تصدّقيني.
إيليز : ما أردأك في وضع اقوالي موضع الشك، في نظر سيدتي. فاذا شاءت ان تصدّق اقوالك، يمكنك أن تتخيّلين ما يكون من أمرها. وما أتعسني اذا تبنّيتِ هذه الفكرة الخاطئة عني.
كلامين : لا، لا. أنا لا أعتمد على كلامها. وأعتقد بأنك اصدق مما تنسبه اليك من الشك في اقوالها.
إيليز : كل الحق الى جانبك، يا سيدتي، فأنا لا يسعني إلّا أن اقرّ بصدق نواياكِ، وأجدك أهلاً للثقة، واقدّر آراءك ومشاعرك وتعابيرك الأمينة في كل ما تخوضينه من مناقشات.
كلامين : في الحقيقة انا ايضاً لا أقصد إلّا الصدق في كل ما اقول.
إيليز : هذا ظاهر للعيان، يا سيدتي. وأرى تصرفاتك طبيعية بكل معنى الكلمة. فأحاديثكِ ولهجة صوتك ونظراتك وخطواتك وأعمالك ودقة وصفك جميعها تتّسم بحسن النيّة، وتستأثر بإعجاب كل الناس. فأنا ألاحظ سلوكك في ما اراه واسمعه، وأجدني مقتنعة بأنك نزيهة وبعيدة كل البعد عن التحامل على أحد في أي موضوع كان.
كلامين : هل ترومين ان تهزأي بي، يا سيدتي ؟
إيليز : معاذ الله. سامحيني، يا سيدتي، إن كنت قد أزعجتكِ.

كلامين : أنا لست مثالاً أعلى، يا سيدتي.
إيليز : بلى، يا سيدتي، بلى.
كلامين : انت تبالغين في الثناء عليّ، يا سيدتي.
إيليز : كلا، كلا، يا سيدتي. انا لا اقول سوى الحقيقة المجرّدة.
كلامين : ارجوكِ ان لا تمعني في اطرائك، يا سيدتي.
إيليز : في الواقع، أنا لا أنسب اليك نصف ما تستحقينه من مديح، يا سيدتي.
كلامين : يا الهي. لنقف عند هذا الحدّ. لأنك، اذا تابعتِ، ستورّطيني في مزيد من الإحراج. (لأوراني) : أخيراً اصبحنا اثنتَيْن نعارض ما تبدينه من رأي. صدّقيني إن قلت لك ان العناد لا يليق بمثيلاتك المثقفات.

المشهد الرابع

المركيز وكلامين وكالوبان واوراني وإيليز.

كالوبان (عند باب الغرفة) : قف مكانك، يا سيدي.
المركيز : بدون شك، انت لا تعرفني.
كالوبان : أجل، أنا أعرفك حق المعرفة. مع ذلك لن تدخل.
المركيز : لماذا تفتعل هذه الضجّة، ايها الخادم ؟
كالوبان : لا يجمل بأيٍ كان ان يدخل عنوة بدون استئذان.
المركيز : أنا أريد أن أقابل معلّمتك.
كالوبان : اقول لك أن هذا غير ممكن هكذا.
المركيز : ها هي في الغرفة.
كالوبان : صحيح انها موجودة. لكنك لن تقابلها.
أوراني : ماذا يجري هنا ؟
المركيز : خادمك الأحمق يمنعني من الدخول، يا سيدتي.
كالوبان : أنا أُبلغه أنك لست هنا، يا سيدتي. وهو يصرّ مع ذلك على الاقتحام.

أوراني : ولماذا تقول له اني لست هنا ؟
كالوبان : في المرة السابقة وبّختني لأني قلت له أنك موجودة.
أوراني : هذا الخادم غبي. ارجوك، يا سيدي، ان لا تصدق ما يقول، لأنه أحمق لا يدرك ما يتلفّظ به.
المركيز : ارى ذلك بوضوح، يا سيدتي. ولولا احترامي شخصك الكريم، لكنت لقّنته درساً في احترام الأشخاص المرموقين مثلي.
إيليز : ابنة عمي ممنونة من صدور هذه اللياقة عنك، يا سيدي.
اوراني (لكالوبان) : أسرع بإحضار مقعد للسيد، يا ابله.
كالوبان : ألا يرى هذا المقعد القريب منه ؟
أوراني : أصمت وقدّمه له.

(يدفع الخادم الصغير المقعد بخشونة ويخرج).

المركيز : لست ادري لماذا يحتقرني خادمك الصغير، يا سيدتي.
إيليز : هو مخطئ حتماً.
المركيز : اظن أن ذلك يعود ربما الى قلّة تقديره مظهري. (يضحك). ها، ها، ها.
إيليز : عندما يتقدّم في السن سيحترم بدون شك شرفاء المجتمع أمثالي.
المركيز : بماذا كنتنَّ تتحدّثن، يا سيداتي الفاضلات، عندما قاطعت كلامكنّ بدخولي.
أوراني : عن هزلية « مدرسة الزوجات ».
المركيز : وكيف تجدْنها، يا سيداتي ؟ هل أعجبتكنَّ.
كلامين : ارجوك، يا سيدي، أن تقول لنا كيف وجدتها أنت ؟
المركيز : وقحة بكل معنى الكلمة.
كلامين : كم أنا مسرورة بهذا الجواب.
المركيز : انها أردأ تمثيلية شاهدتها حتى الآن. إذْ إني بصعوبة إهتديت الى مكان اجلس فيه بعد ان كدت اختنق من الزحام عند الباب. وكم داس المتدافعون على قدميّ. وكم اجتهدت في اعادة أشرطتي الى وضعها وترتيبها المألوف.

إيليز : هذا برهان دافع على وجوب الانتقام من هزلية « مدرسة الزوجات » كما تقول بحقّ، يا سيدي.
المركيز : ثم تُقدَّم على المسرح تمثيلية أشنع من هذه التي نتكلم عنها.
أُوراني : ها هوذا دورانْت الذي كنا ننتظره.

المشهد الخامس

دورانْت والمركيز وكلامين وايليز وأُوراني.

دُورانْت : لا تزعجوا انفسكم ولا تكفّوا عن حديثكم. فأنتم تخوضون موضوعاً لا ينقطع الناس منذ أربعة ايام عن مناقشته في جميع بيوت باريس، ولم يشاهد أحد اروع من تنوع الآراء التي أُبديت عنه في تقديره ومدحه أو الامتعاض منه وذمّه. فقد سمعت اقوالاً متضاربة في نوعية هذه الهزلية من محبّذيها ومن المندّدين بها.
أُوراني : وهاك سيدي المركيز لا ينفكّ عن شذبها.
المركيز : هذا صحيح. فأنا قد وجدتها قبيحة الى آخر درجات البشاعة. وليس ارذل من مضمونها ومغزاها.
دُورانْت : اما أنا، يا عزيزي المركيز، فأرى ان حكمك هو القبيح الذميم.
المركيز : ما هذا القول، ايها الفارس المغوار ؟ هل افهم منك أنك تقدّر هذه المسرحية ؟
دُورانْت : اجل، انا اقدّرها حق قدرها.
المركيز : بذمّتي، أنا أؤكد لك أنها أحقر ما شاهدت.
دُورانْت : حكمك ليس مقنعاً. فلماذا، أيها المركيز، تجد هذه المهزلة كما تدينها ؟
المركيز : لماذا هي بذيئة بغيضة ؟
دُورانْت : نعم لماذا ؟
المركيز : انها بغيضة لأنها دنيئة.

دُورانْت : بعد حكمك هذا المبرم لا مجال لأي نقاش عنها. إذْ أصدرت سيادتك الحكم بشجبها. ولكن مع ذلك اسألك ان تشرح لنا ماذا دعاك من نقائصها الى اتخاذ هذا الموقف المنحرف

المركيز : انا لا أعلم تماماً لماذا. ربما لأني لم أتكلّف عناء الاصغاء الى ما قيل اثناء تمثيلها. على كل حال، أنا واثق بأني لم أشاهد مسرحية أسوأ منها. عاقبني الله إن كنت متحاملاً، وهذا دوريلاس الذي عارضت رأيه قد اقتنع بوجهة نظري، واعتبرها هو أيضاً كما رأيتها انا.

دُورانْت : حكمك سديد، وتشبّثك برأيك في محله. وها قد بيّنت لك صواب نظرتك.

المركيز : يكفي أن أشير الى قهقهات الضحك المتواصل في أرض القاعة حتى نحكم على هذه الهزلية بأنها سيئة وغير موفّقة.

دُورانْت : انت اذاً، ايها المركيز، من هؤلاء الرجال المترفّعين الذين يأبون ان يعترفوا بسلامة ذوق المشاهدين الجالسين في القاعة، ولا يقبلون ان يضحكوا اسوةً بالمتشامخين في مقصوراتهم الفخمة، ولو كان الموضوع هزلياً طريفاً يستوجب الضحك. لقد صادفت ذلك اليوم، في المسرح أحد أصدقائي وقد أظهر سخافته في تعرّضه لهذا الموضوع بالتجريح ايضاً. لأنه أصغى الى الهزلية بأقصى الانتباه وبرصانة مثالية، وكان الجميع يقهقهون ضاحكين إلّا شخصه الكريم الذي لازم العبوس وجهه المتجهّم. وكلما ازداد الحاضرون ضحكاً ازداد هو عبوساً، ونظر الى المشاهدين في القاعة نظرة هزء وازدراء. وهو لا يكفّ عن الترديد : « إحكوا، يا جماعة القاعة، اضحكوا ». وكان منظره « هزلية » اخرى، وهو مقطب الحاجبين كئيب حزين. فأصبح سخرية جميع الحاضرين الذين أعلنوا بدون استثناء أنهم لم يشاهدوا مسرحية أجمل ولا أفكه منها. وبيّنوا الفرق الشاسع بين التمثيلية التي يدفعون نصف ليرة ذهبية لمشاهدتها وبين التي يدفعون ربع هذه القيمة لمشاهدة غيرها. وهذا طبعاً عائد الى سلامة الذوق، وسداد الرأي ودقة الملاحظة والحكم على قيمة ما يُقدّم على خشبة المسرح. لا سيما ان بين أهل القاعة في المسرح أقحاح يحقّ لهم أن يصدروا أحكامهم الصائبة على أي عمل فني ويميزوا بين الغث والثمين.

لأنهم لا يتعامون عن رؤية الروائع، ولا يسعهم ان يتجاهلوا التحرك المصطنع والتبجّح السخيف ازاء التحف التي تستحّق كل تقدير وثناء.

المركيز : ها قد أصبحت، أيها الفارس، محبّذاً منصفاً تستحسن نظرة أهل القاعة. وهذا يسرني كثيراً، ولا يمكنني إلّا أن أعتبرك من المدافعين المتحمسين عن آرائهم وميولهم كصديق حميم لهم. ها، ها، ها.

دُورانْت : إضحك بقدر ما يروق لك. فأنا اعرف ان أميّز بين الذوق السليم المدرك وفورات الهوس الصادرة عن دماغ محموم كالمركيز مسْكاري. لا شيء يزعجني اكثر من هؤلاء الأشخاص الذين لا يتورّعون عن اظهار سخافتهم رغم المزايا التي يتحلّون بها، هؤلاء الذين يصرّون على التحدّث عن كل المواضيع بدون أن يتعمّقوا فيها ويذمّون ويمتدحون الامور بدون أن يفهموا جوهرها. وعندما يشاهدون لوحة زيتية مثلاً أو يستمعون الى مقطوعة موسيقية يرذلون أو يُعجبون مما ليسوا أهلاً لاستيعابه وتذوّق روعته ولا يحجمون عن تشويه الجمال وترفيع القباحة أمام العارفين والخبراء في تقييم الروائع الفنّية. ولهؤلاء المتبجحين اقول : « اصمتوا، يا سادة، واستروا عار جهلكم، فليس كل من صف الصواني اضحى حلواني ». ارجوك ايها المركيز، أن تحفظ رأيك في صدرك ولا تعرض قلة معرفتك للملأ خشية ان يفهموا حقيقتك ويبيّنوا لك مستواك.

المركيز : لماذا، ايها الفارس، تخاطبني بهذه اللهجة القاسية ؟

دُورانْت : ايها المركيز، أنا لا أقصدك شخصياً بهذا الشرح. اني أوجّه كلامي الى العديد من الناس الذين يهينون غيرهم بمثل هذه الأحكام الطائشة فأنا لا أوافق سواهم ان أفراد الشعب يتشابهون في الحقارة. فأنا لا أوافق على هذا الاسلوب الخسيس الذي يلحق الغبن بأصحاب الفكر والرأي، كما هو الحال في رفع شأن من ليس اهلاً لأي تقدير، لعلّ هؤلاء المنصّبين ذواتهم ديّانين يدركون وعن غيّهم يرعوون.

المركيز : قل لي، ايها الفارس : هل تعتبر ليزان من المثقّفين ؟

دُورانْت : أجل، بدون شك، بل هو واسع الثقافة والإطّلاع.

أُوراني : هذا أمر لا سبيل الى نكرانه.

المركيز : إسأليه رأيه في هزلية « مدرسة الزوجات » وسترين كيف سيجيبك أنها لم تعجبه.

دُورانْت : يا الهي، كم أدّت الثقافة الواسعة الى إفساد الأذواق. لأن كثرة الاضواء تُري الأشياء على غير لونها الحقيقي. وكم أدّى تفرّد البعض بآرائهم الى تحوير الأمور وازاحتها عن مجراها الطبيعي، لمجرد الافتخار باعتبارهم قادة الفكر واصحاب التوجيه.

أُوراني : هذا صحيح. وصاحبنا هذا من هذه الفئة من الناس بدون شك. لأنه يريد أن يكون الأوّل في ابداء الرأي والوحيد الذي ينتظر منه الحكم على مستوى الأعمال الأدبية. وهو يعتبر أن كل قول يخالف رأيه يرمي الى حجب الأنوار الساطعة. لذا يتّخذ موقفاً مناوئاً، لابراز حكمه ولو كان يغاير الواقع. وهو مصرّ على وجوب الأخذ برأيه في كل عمل ثقافي. وانا على يقين بأن المؤلف لو عرض عليه مسرحيته قبل أن يقدّمها للجمهور لكان أكّد له أنها أروع ما كتب حتى الآن.

المركيز : وما قولك في المركيزة أرمنْت التي تذيع في كل مجالسها أنها فظيعة، وانها شنيعة ولم تستطع إحتمال القذارات التي تحفل بها.

دُورانْت : انا اقول لك انها تستحق هذا الامتياز الذي ابرزته في سياق موضوعها، وان الكثيرين يبدون سخفاء لدى تبجحهم بأنهم شرفاء اكثر ممّا هم في الحقيقة. ومع أنها مثقّفة، فقد تبعت المثال السّيئ، وان اللواتي يفقدن بعض مواهبهنّ من جراء تقدّمهنّ في السن يحاولن استدراك ذلك بما يظهرنه من الحركات المصطنعة والتمسك بأهداب الفضائل للتعويض عما فاتهنّ من الصبا والجمال. وهؤلاء بالذات يبالغن في تصرفاتهنّ اكثر من غيرهن، فيوصلهّن تشبثهنّ بمهارة التمويه الى رؤية قباحات وقذارات لم يسبقهنّ اليها احد. وكم تمسّك البعض بأوهامهم الى حدّ تشوبه تعابير لغتنا واستعمال كلمات فارغة خلت من مفهومها، لا سيما في العبارات التي لا يوجد لها رأس ولا ذنب، وتبتعد مسافات عن معناها الأصلي.

أُوراني : لم اتصوّر قبلاً، ايها الفارس، انك بلغت هذه الدرجة من الهوس.

المركيز : لقد انتقلت، ايها الفارس، من ذمّ المسرحية، الى القدح بمن حكم عليها بأنها سيّئة.

دُورانْت : كلا ثم كلا. انا أصرّ على القول أن هذه السيدة قد أخطأت في إبداء اشمئزازها.

إيليز : مهلك، يا سيدي الفارس، ربّما هنا سيدات غيرها يرين رأيها بالذات.

دُورانْت : أعتقد أن هذا ليس رأيكَ الأكيد عن اقتناع بما شاهدت، وأنك عندما حضرت هذه المسرحية كنتَ ...

إيليز : هذا صحيح. لكني غيّرت رأيي. وهذه السيدة عرفت كيف تدعم حكمها بالبراهين المقنعة الى حدّ أنها استمالتني الى وجهة نظرها.

دورانت (لكلامين) : ارجو منك المعذرة، يا سيدتي، فأنا مستعدّ لنفي كل ما صرّحت به اكراماً لشخصك الغالي، اذا كان هذا يرضيكِ.

كلامين : انا لا أريد ان تسايرني، بل أن تظل الى جانب الحق. لأني متشبّثة بقولي ان هذه الهزلية لا تستحق اي دفاع عن صلاحها وجودتها، وانا شخصياً لا يسعني أن أعتبرها ...

أُوراني : ها هوذا مؤلف المسرحية السيد ليزيداس. فقد جاء الى هنا لخوض الجدال القائم في موضوع تمثيليّته. فأرجوك، يا سيدي ليزيداس، أن تجلس على هذا المقعد بجوارنا لتشترك في المناقشة.

المشهد السادس

ليزيداس ودورنت والمركيز وإيليز، وأوراني وكليمين.

ليزيداس : لقد وصلت متأخراً، يا سيدتي، اذ كان عليّ ان اقرأ المسرحية في منزل حضرة المركيزة التي كلمتك عنها. وما انهال على هذه التمثيلية من اطراء ومديح اضطرني الى البقاء هناك ساعة اضافية اكثر مما كنت اتوقعه.

إيليز : لا بد من أن يكون للثناء سحر خاص في نظر المؤلف لاحتجازه هكذا.

أوراني : تفضّل اجلس، يا سيدي ليزيداس، وستقرأ مسرحيتك بعد تناولنا طعام العشاء.

ليزيداس : جميع من كانوا هناك وعدوني بمشاهدة التمثيلية، وهم على أتمّ الاستعداد للقيام بما يترتّب عليهم من واجبات لمساندتها.

أوراني : لا أشك بذلك مطلقاً. ولكني ارجوك مرة ثانية أن تتفضّل وتجلس. نحن الآن هنا للقيام بمهمّة يسرّني أن تؤديها شخصياً بعمق ودقة.

ليزيداس : اسمحي لي، يا سيدتي، بأن ألْفت انتباهك الى أن معظم المقصورات قد حُجزت.

أوراني : هذا حسن. على كل حال، حضرت لأني بحاجة اليك والجميع هنا يخالفون رأيي.

ايليز (لأوراني وهي تشير الى دورانْت) : كان هذا الرجل يحبّذ مسرحيتك. لكنه حين علم بأن هذه السيدة (تشير الى كليمين) تخالفه في الرأي، انحاز اليها وأصبح لزاماً عليك ان تبحث عن نجدة من لدن سواه.

كلامين : لا، لا اريد ان يمتنع عن مجاملة السيدة ابنة عمك، وأن يدع ذهنه يعارض قلبه.

دُورانْت : اسمحي لي، يا سيدتي، أن أستجمع شجاعتي للدفاع عن نفسي.

أوراني : أوّلاً، علينا أن نعرف ما هو رأيك، يا سيدي ليزيداس.

ليزيداس : في أي موضوع، يا سيدتي ؟

أوراني : في موضوع « مدرسة الزوجات ».

ليزيداس : انه جيد جداً.

دُورانْت : وماذا يعني لك ما ورد فيها إجمالاً ؟

ليزيداس : لا شيء اقوله بنوع خاص في هذا المجال. وأنتم تعلمون أن علينا، نحن المؤلفين أن نتبادل المناقشة في موضوع مسرحياتنا بجدّ ونزاهة.

دُورانْت : والآن، ما رأيك بهذه الهزلية ؟

ليزيداس : رأيي أنا ؟

أوراني : أجل. قل لنا، من فضلك، ما هو رأيك انت المعروف بنزاهتك وحيادك.
دُورانْت : رأيك الذي نقدّره ونحترمه.
ليزيداس : طبعاً، لماذا لا أبديه ؟ أوليست أروع مسرحية في الدنيا ؟
دُورانْت : ها، ها. أنت عفريت سيّئ النيّة، يا سيدي ليزيداس. لأنك لا تفصح بصراحة عن رأيك الصادق.
ليزيداس : أعتذر اذاً عن قول أية كلمة.
دُورانْت : يا الهي. انا أعرفك جيداً. فلا تحاول أن تحجب عنّا رأيك.
ليزيداس : رأيي أنا، يا سيدي ؟
دُورانْت : ألاحظ أنك تُثني على هذه المسرحية من قبيل اللياقة والكياسة فقط. لأنك في سرّك لا بد من أن تجدها رديئة كما هو حال الكثيرين ممّن شاهدوها.
ليزيداس : ها، ها.
دُورانْت : إعترفْ بأن هذه الهزلية عمل مُبتَذَل لا يستحق الذكر.
ليزيداس : انا أقرّ بأنها لم تنل تأييد العارفين بأصول الفنّ.
المركيز : الآن سمعت الحقيقة، ايها الفارس، وقبضت ثمن تنكيتك. ها، ها، ها.
دُورانْت : عليك أن ترفع رأسك، ايها المركيز. فقد أصبت الهدف بعينه.
المركيز : أرأيت كيف نستميل العلماء الى ناحيتنا.
دُورانْت : هذا صحيح. ولحكم السيد ليزيداس وزن لا يستهان به. وهو يودّ أن أسلّم برأيه. وبما أن لديّ الجرأة الكافية للدفاع عن نفسي (يشير الى كلامين) إزاء إعتراض هذه السيدة على ميولي، لذا لن يرى غضاضة في محاربة مشاربه الشخصية ذاتها.
إيليز : هل اصبح الجميع ضدّك، من هذه السيدة الى حضرة المركيز، الى السيد ليزيداس، وأنت لا تزال مصمّماً على مقاومتهم جميعاً ؟ تبّاً لك. هذا غير مأنوس من شخص مدرك نظيرك.
كلامين : هذا الأمر حقاً يضايقني، لا سيما عندما أجد أشخاصاً ممتازين

يصرّون على الدفاع عن حماقات هذه المسرحية.

المركيز : صدّقيني يا سيدتي، انها سيئة من مطلعها الى خاتمتها.

دُورانْت : هذا لا يستبعد قوله، ايها المركيز. فلا أسهل من الوصول الى النتيجة الحاسمة كما جرى الآن. ولا ارى ان هناك ما يناقض صواب قرارك السديد.

المركيز : بذمّتي، أؤكد لكم أن سائر المسرحيّين الذين شاهدوا هذه التمثيلية لم يوفروا تنديداً إلّا رشقوها به.

دُورانْت : لم يعد لي من كلام أقوله. فالحق الى جانبك، ايها المركيز بما ان سائر المسرحيّين يَصفونها بأحطّ النعوت، فما عليّ إلّا أن اصّدقهم وانحاز الى رأيهم. لأنهم جميعاً اشخاص منوّرون يتكلمون بدون أن يكون لهم اي غرض من وراء ذلك. أجل لم يعد لي من كلام اقوله. وهكذا أُسلّم بصواب رأيكم السديد.

كلامين : إن سلّمت أو لم تسلّم، انا واثقة بأنك لن تتمكّن من إقناعي بوجوب تحمّلي البذاءات والقذارات التي تعجّ بها هذه التمثيلية. ولا القبول بالذمّ والتحقير الذي توجّهه الى النساء بوجه عامّ.

أُوراني : انا لا يسعني أن أنفعل ولا أن أحفل بكل ما يقال في هذه المسرحية. لأن هذا النوع من الذم ينهال رأساً على الاخلاق ولا يلحق بالأشخاص المقصودين إلا انعكاساً بصورة غير مباشرة. فلا نقبل أن ينوبنا اي نقد بشكل من الأشكال. وكل ما يدور في المسرحيات من هجوم علينا، يجب أن لا نقابله باستياء ونغضب من جرائه على كل الناس. لأننا مدعوّون الى عدم رؤية نقائص الغير في ذواتنا، وإلّا انتقصنا من صفاتنا ومزايانا وحملنا سوانا على الظن بأن في طباعنا ما ليس له في الحقيقة من وجود ابداً.

كلامين : انا لا أتكلم عن هذه النقائض بالنسبة إلى ما قد ينعكس عليّ. لأنني واثقة ببعدي كل البعد عن أن أشبه إحدى هؤلاء الزوجات اللواتي دار الكلام عليهن فيها.

إيليز : بدون شك، يا سيدتي، لا أحد يبحث عن شخصك بين نماذج تلك النساء المبتذلة. لأنك لا تنتمين اليها بتاتاً.

اوراني (**لكلامين**) : لذلك أنا لم أقلْ، يا سيدتي، اية عبارة تمسّكٍ بالهجاء الذي طال اشخاص هذه المسرحية وقد ظلّوا ضمن نطاق العموميات.

كلامين : لا شك عندي في ذلك، يا سيدتي. والآن لننتقلْ الى فصل آخر. انا لا أعرف كيف تتقبّلين الاهانات الموجّهة الى جنسنا اللطيف في بعض مقاطع المسرحية. من جهتي، أنا أعترف لك بأن غضبي الهائل لا حدّ له بالنسبة الى المؤلف الذي دعانا أغبياء.

أُوراني : ألّا ترين ان المتكلّمة كانت بلهاء حمقاء لا تعرف ماذا تقول ؟

دُورانْت : ثم ألا تعرفين أن لا مفعول لإهانة العشاق، كما أن ضرب الحبيب حلو كالزبيب، حسبما يقال ؟ وأن هناك عشّاقاً يثورون لأدنى مشكلة، كما أن هناك محبّين يتحمّلون بصبر ولذة كل ما يصدر عن الحبيب من مساوئ ؟ ففي هذا المجال نجد أغرب الكلمات تتخذ معاني متباينة متناقضة احياناً، تدل في أغلب الحالات على التحبّب والتودّد رغم غلاظة مدلولها، وتنزل كالعسل على قلوب المحبين.

إيليز : قلْ ما تشاء، فأنا لن أقوى على تحمّل مواقف « الحساء ـــ والحلوى الغارقة بالزبدة » التي تحدّثت السيدة عنها منذ هنيهة.

المركيز : اجل موقف « الحلوى الغارقة بالزبدة » الذي أبديت عنه ملاحظتي. كم أنا مدين لسيدتي على تذكيرها ايّاي بهذا الموقف ذاته. هل في مقاطعة النورْمَنْدي تفّاح يكفي لإعداد هذه « الحلوى الغارقة بالزبـدة » ؟ أجـل « الحلوى الغارقة بالزبدة » ؟

دُورانْت : وماذا تقصد من ترديد ذكر هذه الحلوى ؟

المركيز : لا شيء غير الحلوى الغارقة في الزبدة بمعناها المعروف، ايها الفارس.

دُورانْت : لا بد من أن تقصد بها أمراً آخر.

المركيز : لا شيء ابداً غير الحلوى ...

دُورانْت : برهن لنا على صحة قولك.

المركيز : الحلوى الغارقة في الزبدة لا تعني سوى هذا التعبير الصريح.

أُوراني : لا بد من تفسير فكرته، على ما أرى.

المركيز : أقول الحلوى « الغارقة في الزبدة » يا سيدتي، ولا أعني غير الحلوى فقط.

أوراني : وماذا تقصد من ترديد ذكرها بشكل غير مألوف ؟

المركيز : أؤكد لك أني لا أعني سوى الحلوى بحدّ ذاتها.

أوراني : اذاً لا شرح لديك.

إيليز : سيدني المركيز يعرف ماذا يقول. وهو قد أفحمكم جميعاً بأسلوبه العذب الرقيق. والآن أسأل السيد ليزيداس أن يكمل النقاش، وأن يختمه بطريقة مرضية.

ليزيداس : ليس من عادتي أن أنهال باللوم على أحد، وأنا سموح للغاية في ما يخصّ تآليف سواي. مع ذلك بدون أن أقصد إزعاج صديقي، حضرة الفارس الذي يشهد بمقدرة المؤلف، لا بدّ لي من الإقرار بأن هذا النوع من الهزليات ليس منزّهاً عن الأخطاء مطلقاً. وان هناك فَرْقاً كبيراً بين التافه والرائع من المسرحيات الرصينة. مع ذلك، أرى أن كل الناس يريدون أن يدلوا بدلائهم في هذه الأيام، والكل يسعون الى ذلك. لذا نجد فراغاً مخيفاً في هذه المؤلفات عندما تطال الحماقات فيها كل أهالي باريس. ولا أكتم عنكم ان قلبي يقطر دماً عندما ألْمس لمس اليد أن هذا الاسلوب المعيب شمل كل انحاء فرنسا.

كلامين : فعلاً، نرى أذواق الناس فاسدة بشكل مريع في هذا الموضوع بنوع خاص، لأن هذا العصر يتخبّط في الرذيلة بصورة رهيبة.

إيليز : هذا تعبير موفّق « يتخبّط في الرذيلة ». هل هو من ابتكارك، يا سيدتي ؟

كلامين : نعم.

إيليز : لا شك عندي أبداً بمقدرتك.

دُورانْت : هل تعتقد، يا سيدي ليزيداس، ان كل الفكر وكل الجمال موجودان فقط في القصائد الرصينة، وان المسرحيات الهزلية ليست إلّا تفاهات وسخافات لا تستحقّ الذكر والثناء ؟

أُوراني : هذا ليس رأيي مطلقاً. لأن المأساة حقاً رائعة عندما يكون تنسيقها

موفّقاً. غير أن للهزلية مذاقاً خاصّاً وسحراً جذّاباً، وأعتقد أن كلًّا منها ليس اسهل ولا أقلّ قيمة من سواها بين الوان المسرحيات.

دُورانْت : بدون شك، يا سيدتي، لا سيما عندما تضيفين ميزةً بارزة الى مصاعب الهزلية ربما تبلغين الحدّ الأقصى من التعبير. اذ أجد من الأسهل ان تتقبّل دافع العواطف السامية، وأن نرفض حجّة الحظ العاثر، ونتهم المصير البائس ونبخس حقّ التفوّق، من ان نلج الى صلب سخافة الانسان الحقير، ونحصر نقائص البشر جميعها في موضوع المسرحية. عندما ترسمين صور الأبطال تبتكرين ما تشائين من المآثر، لأن هذه الرسوم التي تُبتدع عندما نكون مرتاحين لا يمكنها ان تتشابه بل تترك الخيال على سجّيته يحلّق في سماء العبقرية فيصل غالباً الى النبوغ، وهو يبحث عن جوهر الحقيقة. هكذا، عندما نحاول ان نرسم الناس لا بدّ لنا من أن نظهرهم على سجيّتهم. مع أننا في اعماقنا نبحث عن أبرز صور تشابه الواقع على علّاته. وبهذه الطريقة لا نصل الى النتيجة المنشودة. لأن رسومنا اذ ذاك لا تنطبق على إنسان جيلنا كما كنا نودّ ان نصوّره. وبكلمة وجيزة، يكفي، لكي لا يقع علينا أي لوم، ان نسمّي الأمور في المسرحيات الرصينة، بأسمائها الحقيقية، ونكتب بأسلوب واضح ينمّ عن ذوق سليم ونهج صحيح. لكن هذا لا يكفي اذ لا بدّ لنا من أن نُدخل المزاح والمرح بنوع أخص في صلب الهزليات، لأن التوصّل الى اضحاك المشاهدين المدركين المنزّهين فنّ قائم بذاته.

كلامين : اعتقد أني من هؤلاء المدركين المنزّهين. مع ذلك، لم أجد كلمة واحدة تستدعي الضحك الفكاهي في كل ما رأيته من هذه الهزلية.

المركيز : وانا لم أجد ما ذهبت خصّيصاً لأجله.

دُورانْت : من ناحيتك، ايها المركيز، لا أستغرب عدم عثورك على ما تبحث عنه في أعماق كيانك من عاصفة التهريج الرخيص.

ليزيداس : في الواقع، يا سيدي، ان ما تلاقيه اليوم، لا يساوي كثيراً، وجميع السخريات اضحت تافهة لا تستدعي حتى الابتسام.

دُورانْت : اما البلاط الملكي فلم يكن من رأيك في أي شكل من الأشكال.

ليزيداس : البلاط، يا سيدي ...

دُورانْت : أكمِلْ، يا سيدي ليزيداس، فإني ألاحظ من قولك أن البلاط لا يدرك هذه النقاط الهامّة. وهذه هي حجتكم الدائمة أنتم معشر الكتّاب حين لا تنجح تآليفكم احياناً. فتلومون انحراف أخلاق العصر وتحامله وقلة المعرفة المتفشّية بين افراد الحاشية الملكية. ألّا اعلم، يا سيدي ليزيداس، ان لهذه الحاشية عيوناً تبصر ما يفعله غيرها، وانها تفهم خفايا الأمور وتلاحظ ادق التوريات والاستعارات والتلميحات. ولا تنسَ ان حكم هذه الحاشية بالذات هو المعوّل عليه لأنه مقياس نجاح التمثيليات وإخفاقها، اذ تعلم جيداً ان الذوق السليم هو اساس التوفيق في كل عمل ادبي، وان فنّ النجاح يدين لمن يعرف كيف يمسك بناصيته ويسخّره لأهدافه، فيحظى بإعجاب الأذكياء والبسطاء من المشاهدين ويعرف كيف يقارن بين الغث والثمين ويغرق بين البديع والسخيف بصرف النظر عن النوايا المبيّتة والتصميمات المسبقة في الحكم بالنسبة الى شتى المواضيع.

أُوراني : صحيح أنك من الذين تقع أنظارهم يومياً على مختلف الأعمال المسرحية، فاكتسبت في حقلها خبرة لا يستهان بها، وبإمكانك ان تميّز بجلاء ووضوح سخرية موفّقة في صلْب الحديث، وأخرى تأتي سمجة كرقعة في غير محلها.

دُورانْت : لا يُنكر ان في الحاشية اشخاصاً ليسوا أهلاً لأخذهم بعين الاعتبار، وأنا أول من يجابه استنتاجاتهم الغامضة المريبة. لكن علينا أن نعترف بأن معظمهم من ذوي الثقافة العالية والفطنة الخارقة ويمكنهم أن يقدّروا القرائح المبدعة والأقلام الخلّاقة في سماء العبقرية. لذا، من الظلم ان ندين طول باعهم وإدراكهم قيمة نتاج الأذهان اللامعة في كل مجال، لا سيما في الهزليات وما تتضمّنه من مهارات في فنّ إضحاك جماهير المشاهدين مما تبرزه من رقّة التعبير ونعومة التلميح وذوق رفيع في إيراد النكات وخاصة « المدهنة » وتشريح طباع اشخاصهم وتحليل عواطفهم وميولهم وافكارهم وتصرفاتهم حسب مصالحهم الذاتية ومحاربتهم كل ما ينسجم وروح الخير أو الشر الذي يكمن في أعماق كيانهم اثناء كفاحهم لنيل رضى المستمعين اليهم سواءً في مجالي النثر والشعر البليغين.

ليزيداس : لا مفرّ لنا، يا سيدي، من الإقرار بأن موليار موفّق في جميع تآليفه، كما هو ناجح في تمثيل أشخاصه على أكمل وجه. وسرّ بروزه في هذا الميدان يعود الى من يرعاه ويعطف على عمله المسرحي ويشجع كتاباته اللاذعة في بعض الأحيان. ولكن علينا أيضاً أن نعرف أنه، مع كل ما يجود به عليه جمهوره من تحبيذ وتشجيع أنه لا يخلو من نقائص ظاهرة للعيان، لأن الانسان لا يمكنه بلوغ درجة الكلمال.

أُوراني : هذا حقّاً كلام غريب يصدر عنكم يا معشر الشعراء، اذ تمدحون ظواهر المسرحيات وتهجون حتى جوهر الناجحة منها وإن تسابق الجمهور الى مشاهدتها والتمتع بنكهة انتقاداتها، ولا تنبسون ببنت شفة في موضوع المسرحيات التي يقاطعها هذا الجمهور عندما لا يستسيغها. وهكذا تحتقرون بعضها وتمجدون غيرها لأسباب لا نتوصّل الى ادراك ما يحملكم على التصرف هكذا.

دُورانْت : انتِ تعرفين جيداً ان كرم الاخلاق يوجب مناصرة المنكوبين.

أُوراني : على كل حال أرجوك، يا سيدي ليزيداس، ان تدلّني على النقائص التي لا أتمكّن من الاهتداء اليها.

ليزيداس : ان مَن تعمّق في مطالعة كتابات ارستطاليس وهوراسيوس بإمعان، يا سيدتي، يرى ان هذه المسرحية لا تنطبق ابداً على جميع قواعد الفن.

أُوراني : أؤكد لك أني لست من المدمنين على قراءة تآليف هؤلاء الكتّاب، وأني لست من المتمرّسين بقواعد الفنّ.

دُورانْت : انت اذاً من جماعة الذين يتمسّكون بقواعدهم الخاصة، ويؤيدون الجهلة ويربكوننا كل يوم بوجهات نظرهم العرجاء. من يسمعك تتكلّمين يظن أنك تعتبرين قواعد الفن من أغمض أسرار الكون، مع أنها ليست اكثر من سلسلة ترتيبات سهلة التطبيق نظّمها الإدراك المنفتح والذوق السليم لإتّباعها في نظم مختلف أنواع الشعر، وهذا الذوق لا يزال يطبّقها اليوم كما فعل في الماضي بدون اللجوء الى مساعدة هوراسيوس أو أرستطاليس. أودّ أن أعرف ما اذا كانت أُولى قواعد المسرحيات هي العمل على نيل رضى المشاهدين والسير بهم على الدرب القويم الموصل الى هدف المؤلف في كتابة

مسرحياته. فهل تريدين أن لا يبدي الجمهور إعجابه بما يلائم مفاهيمه ورغباته وأن لا يلاقي كل منهم متعة في ابداء حكمه على ما يشاهده من خير أو شرّ، من نجاح أو اخفاق بالنسبة الى مقاييس ذوقه وادراكه ؟

أوراني : لقد لاحظت أمراً هامّاً على هؤلاء السادة المتفلسفين، ألّا وهو أنهم يبشّرون اكثر من سواهم بالقواعد، لأنهم يعرفونها اكثر من سواهم، وهم ذواتهم يكتبون الهزليات التي لا يستسيغها أحد.

دُورانْت : هذا ما يدعو، يا سيدتي، الى عدم الأخذ بما يقوم فيما بينهم من مشاحنات في غاية الغموض والابهام. لأن المسرحيات التي تحترم القواعد لا تُرضي كالتي لا تتقيّد بها، وتنال إعجاب الغالبية الساحقة من الجماهير. علينا اذاً ان ننبذ هذه المزايدات التي ترمي الى التحكّم بذوق الجمهور. علينا ان نحبّذ الهزلية حسب ما تتركه من أثر في أعماق نفوسنا وكم تهز مشاعرنا، وان لا نركن الى الحجج الواهية التي تحول دون تمتّعنا بما تدخله الى قلوبنا من بهجة وسرور.

أوراني : عندما أشاهد هزلية أنتبه الى الأمور التي تحرّك إحساسي وعندما تعجبني لا أتساءل إن كنت مخطئة وإن كانت قواعد ارسطاليس تحرّم عليّ الضحك والاستمتاع.

دُورانْت : هذا تماماً ينطبق على من يستطيب مَرَقاً لذيذ الطعم ويريد أن يتفحّص ما إذا كان هذا المرق ينطبق على قواعد كتاب الطبّاخ الماهر الذي طهاه.

أوراني : هذا ايضاً صحيح. وأنا أعجب بنعومة بعض الأشخاص في مسائل علينا أن نشعر بجودتها في أعماق نفوسنا.

دُورانْت : الحق الى جانبك، يا سيدتي، اذا وجدتِ مثل هذه الصفات غريبة عنّا. اذ اننا في هذا الحال نكون مضطرين الى عدم تصديق إحساسنا. وهكذا تستبدّ الأمور بمشاعرنا ولا نجرؤ ان نحكم على أية بادرة بأنها جيدة بدون اذْن من حضرات السادة الخبراء.

ليزيداس : اخيراً، يا سيدي، أرى ان كل حججك قائمة على إعجابك بهزلية « مدرسة الزوجات » ولا يهمّك بتاتاً إن كانت خاضعة للقواعد، إلّا اذا ...

دُورانْت : اسمح لي، يا سيدي، ليزيداس، بأن لا أوافقك على هذا القول. لقد أعلنت أن الفنّ المبدع غايته الأولى نيل الإعجاب. وبما أن هذه الهزلية قد أعجبت من كُتبتْ وقُدّمت لهم، لا يهمّني الباقي ابداً. لكني، مع ذلك، أؤكد لك أنها لا تخالف اية قاعدة من القواعد التي تكلّمت انت عنها. لقد قرأتها، والحمدلله، كما قرأها غيري، وأنا مستعد لأن اثبت لك ان هذه المسرحية خاضعة أكثر من سواها للأصول المعروفة والمتّبعة.

إيليز : تشجّع اذاً، يا سيدي ليزيداس، لأننا سنخسر اذا تراجعت عن رأيك.

ليزيداس : ماذا تقولين ؟ بربّك، أين المقدّمة والخاتمة والحبكة ؟ ...

دُورانْت : يا سيدي ليزيداس، انت ترهقنا بكلماتك الرنّانة. ارجوك أن لا تعرض أمامنا معلوماتك الواسعة. عليك أن تظل انساناً متواضعاً في حديثك، وان تدع جانباً لهجة آلهة الفنّ، وأن تتكلم لغة يفهمها جميع البشر. هل تظنّ ان غموض هيكلية المسرحية هي التي تخلع عليها الأبّهة والفخامة ؟ أوليس الأوْلى بنا أن نتكلم عن شرح المسائل وبسط الأحداث واستخلاص العِبَر ؟

ليزيداس : لقد ذكرت أقسام التمثيلية كما هو مصطلح عليها. لكن، بما أن آذاننا لم تتعود سماع هذه التسميات، سأعددها لك بطريقة أخرى، وارجوك أن تردّ إيجابيّاً على ثلاث أو أربع نقاط سأبسطها الآن أمامك. هل يمكن قبول مسرحية يخالف موضوعها عنوانها كهزلية أو غيرها ؟ اذ ان الاسم الشعري في كل مأساة يشتقّ من كلمة مصطلح عليها تدل على نوعية العمل لتبرز طبيعة هذا الشعر في مستوى الهدف المبيّن في المسرحية. وفي هذه الهزلية لا وجود لأي عمل منهجي ما دام أساس احداثها يرتكز على السرد الذي تقوم به أغني او يقوم به حبيبها هوراس.

المركيز : لقد أصبت، ايها الفارس الشجاع.

كلامين : هذه بادرة هامة من الناحية الثقافية، تنحصر في التركيز على نعومة الأمور المعالجة.

ليزيداس : هل ترى في كل ما نناقشه هنا سوى مسألة ثقافية اكثر من بضع كلمات تثير ضحك جميع المشاهدين ولا سيما عبارة « مجيء الأطفال الى هذه الدنيا عن طريق الأذن » ؟

كلامين : هذا استفهام ممتاز.

إيليز : ماذا تقولين ؟

ليزيداس : هناك مشهد الخادم والخادمة داخل المنزل. ألّا تلاحظون أنه طويل مملّ ومبطّن بالمعاني الشائكة ؟

المركيز : هذا صحيح.

كلامين : طبعاً، بدون شك.

إيليز : الحق الى جانبه.

ليزيداس : ثم ألا يقدّم ارنولف امواله لهوراس بوفرة وسهولة ؟ وبما أنه الشخص السخيف في المسرحية كان من المفروض ان يقوم بدور الرجل الشهم السموح.

المركيز : حسناً. هذه ملاحظة تؤخذ بعين الاعتبار.

كلامين : بل تستحقّ الاعجاب.

إيليز : لأنها مدهشة.

ليزيداس : والموعظة القائمة على « حِكَم الزواج » ألّا تجدونها مبتذلة تخدّش حرمة أبسط قواعد الحياة الزوجية الكريمة ؟

المركيز : هذا قول سديد.

كلامين : أجل، هكذا علينا أن نتكلم جميعاً.

إيليز : لا أجد أروع من هذه المصارحة.

ليزيداس : ثم هناك السيد دي لاسوش الذي يبدو كأنه رجل مثقّف وتظهر رصانته في كثير من المواقف الحرجة. ألا تلاحظون أنه كان مهرّجاً سخيفاً في المشهد الخامس بنوع خاص، عندما شرح للفتاة أغني عنف هيامه بها إذْ يحدجها بنظراته الغريبة، ويُسمعها تنهداته المتذلّلة ويذرف امامها دموعه الكاذبة التي أثارت قهقهات جميع الحاضرين.

المركيز : لعمري، هذا منتهى الابداع.

كلامين : بل هذا هو أغرب الغرائب.

إيليز : ليحيى السيد ليزيداس.

ليزيداس : اني أُهمل مئة ناحية أخرى خوفاً من أن أبدو مملّاً.

المركيز : بذمّتي، أيها الفارس، لم تفلح في استلحاق نفسك.
دُورانْت : لا بد لنا من تفحّص القضية من جميع نواحيها.
المركيز : ها قد عثرت على الرجل الذي تبحث عنه.
دُورانْت : ربما.
المركيز : أجب، هيا أجبني بكل صراحة.
دُورانْت : وبكل طيبة خاطر، أقول أنه ...
المركيز : أرجوك أن تكمل ردّك.
دُورانْت : دعني اذاً اتصرف. اذاً ...
المركيز : وربّي، انا أتحدّاك كي توضح جوابك.
دُورانْت : طبعاً، وان لا تتوقّف عن النطق.
كلامين : أرجوك ان تصغي الى حججه الدامغة.
دُورانْت : أوّلاً، ليس صحيحاً تصريحنا بأن المسرحية برمّتها تعتمد على السرد. اذ فيها الكثير من الحركة حسب طبيعة الموضوع والنصّ. وبما أن هذا السرد موجَّه في معظمه ببراءة متناهية الى الشخص المقصود الذي يدخل هنا في اغلب المشاهد، بفوضى تسلّي الحاضرين وتأخذ في ايراد كل خبر يخصّ جميع الأبعاد، إذْ يصبح لزاماً تدارك وقوع الشر الذي يُخشى حدوثه.
أُوراني : من جهتي انا ارى جمال الموضوع في هزلية « مدرسة الزوجات » يتجلّى في المسارات المستمرّة. وهذا يبدو لي مسلّياً للغاية. لأن الرجل المثقّف الذي يدرك كل براءة حبيبته، ويظهر عداءه لمزاحمه الطائش، لا يتوصّل الى تجنّب خيبة آماله.
المركيز : هذا امر تافه، تافه جداً.
كلامين : وجوابك هزيل، هزيل للغاية.
إيليز : وحججه باهتة غير مقبولة بتاتاً.
دُورانْت : امّا موضوع « مجيء الأطفال عن طريق الأُذُن »، فلا ينال الاعجاب إلّا بعد تعليق ارنولف عليه. ولم يقصد المؤلف ان يلقي هنا كلمة مرضية بل أن يبيّن طبع العاشق ويرسم بذاءته بصورة أوضح. لأنه يورد حماقته المبتذلة على لسان أغني كأنها أروع تعبير يسرّها ابرازه بشكل غير معقول.

المركيز : هذا جواب غير ملائم وفي غير محله.
كلامين : لا يُرضي ولا يُقنع.
إيليز : لأنه لا معنى له البتّة.
دُورانْت : اما المال الذي يجود به بدون حساب، فضلاً عن رسالة حبيبته المخلصة فذلك يضفي على تصرفه ضمانة كافية بأنه مرغوب. لأن الانسان لا يسعه ان يكون جدّياً في موقف معيّن وسخيفاً في موقف آخر. وفي مشهد « آلان وجورجيت » داخل المنزل، وقد اعتبره البعض طويلاً يبعث على الضجر، لا شك في أن له هدفاً. وبما أن ارنولف قد ضُبط متلبّساً بجرمه أثناء سفره، ونظراً الى ثبوت براءة معشوقته، وقف طويلاً عند بابها من جرّاء رفض الخادم والخادمة فتح هذا الباب وعدم السماح له بالدخول، مع أنه هو الذي اتّخذ جميع هذه التدابير لمنع خصمه من تخطّي عتبة المنزل.
المركيز : لا قيمة لهذه الحجج الواهية.
كلامين : اجل هذه كلها أعذار هزيلة.
إيليز : تستدعي الشفقة.
دُورانْت : أمّا الخطاب الأخلاقي الذي تدعوه موعظة، فلا شكّ أنه دليل على صدوره عن رجل وقور لا يبغي تخديش أي شعور كما تشير أنت اليه. ولا شك أيضاً في أن كلمات « جحيم، وخلقين الأبالسة » تخفّف من مبالغة أرنولف إن لجأ اليها للكشف عن براءة مخاطبته. أمّا المفاجأة الغراميّة الواردة في المشهد الخامس الذي اعتبرها البعض مهينة ومضحكة للغاية، فأردّ عليها اني اريد أن أعلم إن كانت موجّهة الى العشاق بقصد ذمّهم، وإن لم يكن طبيعيّاً صدورها عن أشخاص عقلاء إتخذوها وسيلة كسواهم في مثل هذه المواقف الحرجة ؟ ...
المركيز : الأفضل لك، ايها الفارس، ان تلازم الصمت التام.
دُورانْت : حسن جداً. لماذا لا ننظر الى انفسنا ونفكّر في ما يسعنا أن نقوله عندما نقع في شرك الهوى ؟
المركيز : انا لا استطيع ان أُصغي الى ما تقوله انت فقط.
دُورانْت : استمع اليّ، اذا شئت، حتى في موضوع شقاء الهيام ...

المركيز (يدمدم) : لا، لا، لا. لا، لا، لا.

دُورانْت : ما هذا ؟

المركيز : لا، لا، لا. لا، لا، لا.

دُورانْت : لست أدري اذا ...

المركيز : لا، لا، لا. لا، لا، لا.

أُوراني : يبدو لي أنك ...

المركيز : لا، لا، لا. لا، لا، لا.

أُوراني : تجري الآن امور مسلّية في شجاركما هكذا. فأنا ارى أن المؤلف يستطيع أن يكتب هزلية صغيرة، وأن تأتي هزليته لا بأس بها في أعقاب « مدرسة الزوجات ».

دُورانْت : الحق الى جانبك.

المركيز : بذمّتي، ايها الفارس، ستقوم فيها بدور لن يكون سمجاً بالنسبة اليك.

دُورانْت : هذا صحيح، ايها المركيز.

كلامين : أمّا أنا فأتمنّى لك النجاح، على أن تعالج الموضوع كما جرى في الواقع.

إيليز : وانا اقوم بدوري بكل طيبة خاطر.

ليزيداس : وانا كذلك اظن أنني لن أرفض الدور الذي سيُسنَد اليّ.

أُوراني : بما أن السرور والرضى سيشملنا كلنا، ايها الفارس، عليك أن تكتب مذكرة بكل ما قلناه، وتقدّمها الى موليار الذي تعرفه حق المعرفة، فيطّلع هكذا على ما يترتّب عليه أن يتقيّد به في مسرحياته المقبلة.

كلامين : اظنّه لن يتخفظ، لأن ذلك لن يكون على سبيل مجاملته.

أُوراني : ابداً، ابداً. أنا أعرف مزاجه، وهو من جهته لن يقبل بأن تُنْتَقَد مسرحيّاته على هذه الصورة، لا سيما اذا كان هذا النقد مصدره المشاهدون.

دُورانْت : اجل، لكن أية عبرة سيلاقي في تعنّته ؟ انه لن يرى في اعتراضاتنا كلاماً لا عن الزواج ولا عن عرفان الجميل، ولا أرى كيف يسعنا أن نختم هذه المناقشة الحامية.

أُوراني : لا بد لنا من أن نتخيّل حادثاً مثيراً، لوضع حد لهذه الخلافات.

المشهد السابع

كالوبان وليزيداس ودورانت والمركيز
وكلامين وإيليز وأوراني.

كالوبان : المائدة جاهزة، يا سيدتي.

دُورانْت : هذا ما كنا نحتاج اليه لوضع آخر لمسات الخاتمة التي نبحث عنها، ولا يمكننا أن نجد وسيلة طبيعية اكثر منها. اذ سيتسنّى لنا أن نتناقش بكل حرّيّة، وبدون أن يضطر أحدنا الى الاستسلام والتسليم بفوز خصمه. وإذا بخادم صغير يأتي ليقول لنا : ان المائدة جاهزة. فهيّا بنا ننهض، ليتناول كل منّا طعام عشائه بسلام.

أُوراني : حقاً، لا سبيل الى إنهاء انتقاد الهزلية بطريقة افضل من هذه، إذْ علينا ان نظلّ دوماً أصدقاء.

(تمّت)

إرتجاليّة فِرساي

أشخاص المسرحية

موليار	:	مركيز سخيف.
بريكور	:	رجل رصين.
لاكرانج	:	مركيز سخيف.
دي كروازي	:	شاعر.
لاتوريّار	:	مركيز غضوب.
بيجار	:	خادم.
الآنسة دي بازْك	:	مركيزة متصنّعة.
الآنسة دي بري	:	مفكّرة متغنّجة.
الآنسة موليار	:	هاجية مثقّفة.
الآنسة دي كروازي	:	لئيمة ناعمة الملمس.
الآنسة هرْفي	:	خادمة متفلسفة.

الأحداث تجري في فرساي داخل قاعة المسرح.

فصل واحد

المشهد الأول

موليار، وبريكور، ولاكرانج، ودي كروازي، والآنسة دي بازْك، والآنسة بيجار، والآنسة دي بري، والآنسة موليار، والآنسة دي كروازي، والآنسة هرفي.

موليار : (وحده يتحدّث الى رفاقه الذين لا يزالون في مؤخّرة المسرح).
هيّا، يا سادتي وسيداتي، ما لي أراكم تهزأون بظرفكم ولا تريدون أن تأتوا جميعكم الى هنا ؟ حصد الطاعون كل الأغبياء رُدَّ عليّ، يا سيدي بريكور.

بريكور : ماذا تريد ؟

موليار : يا سيدي لاكرانج.

لاكرانج : ماذا تقول ؟

دي كروازي : من فضلك.

موليار : أيتها الآنسة دي بازْك.

الآنسة دي بازْك : قل لي، ماذا تريد ؟

موليار : ايتها الآنسة بيجار.

بيجار : ما الأمر ؟

موليار : ايتها الآنسة دي بري.

الآنسة دي بري : ماذا تريد ؟

موليار : ايتها الآنسة دي كروازي.

الآنسة دي كروازي : ماذا ترغب ؟
موليار : ايتها الآنسة هرفي.
الآنسة هرْفي : ها أناذا.
موليار : اظن أني سأفقد عقلي حيال كل هؤلاء الأشخاص. (يدخل بريكور ولاكرانج زودي كروازي) : يا جماعة، يا سادة، ألا تردون ان تراجعوا ادواركم ؟
بريكور : ماذا تريد أن نفعل ؟ نحن لا نعرف ادوارنا. فإذا قصدت ان نراجع الآن، كيف تريد أن نقوم هكذا بأدوارنا كما يجب ؟
موليار : تباً لكم من حيوانات غريبة. كيف استطيع أن أوجّهكم كممثّلين ؟ (تصل الآنسات بيجار، ودي بازك، ودي بري، وكذلك يصل موليار، ودي كروازي، وهرفي).
بيجار : ها نحن قد جئنا. ماذا تنوي أن تفعل ؟
الآنسة دي بازك : بماذا تفكّر ؟
الآنسة دي بري : وما هي الغاية من استدعائنا ؟
موليار : من فضلكم، إصطفّوا هنا. وبما اننا كلنا نلبس ثيابنا المسرحية، وبما أن الملك لن يصل قبل مرور ساعتين، تعالوا نقضي هذا الوقت في التمرين على التمثيل، وهكذا نرى كيف سنتدبّر أمرنا.
لاكرانج : كيف تريدون أن نقوم بأدوار لا نعرفها ؟
الآنسة دي بازك : من جهتي أنا لا اتذكّر كلمة واحدة من الدور الذي يجب عليّ أن اقوم به.
الآنسة دي بري : انا على يقين بأنني أحتاج الى من يردّني في دوري من أوله الى آخره.
بيجار : وانا لا أستطيع إلّا تلاوة دوري في ورقة أُمسكها بيدي.
الآنسة موليار : وانا ايضاً.
الآنسة هرْفي : امّا أنا فليس لديّ سوى كلام قليل أقوله.
الآنسة دي كروازي : وأنا ايضاً. لكن لا أعلن أني قادرة على اداء كل ما يترتّب علي قوله.

دي كروازي : وانا أدفع عشرين فرنكاً لكي انسحب من تمثيل دوري.
بريكور : وانا أنوي أن أنسحب ولو تلقيت عشرين ضربة سوط.
موليار : ها أنتم عاجزون جميعاً عن القيام بأدواركم التي لا تعرفونها، وعليكم أن تمثلوها. فماذا كنتم تفعلون لو كنتم في مكاني انا المسؤول عنكم ؟
بيجار : من ؟ أنت ؟ انت لا خوف عليك ابداً. فلأنك ألّفتَ المسرحية لا بد من أن تتذكّر بعض الكلمات.
موليار : وهل أنا لا أخشى أن أنسى ما يجب عليّ أن أقوله ؟ انتم لا يهمّكم أمر النجاح كما يهمّني انا وحدي. وهل تظنّون ان تقديم الهزلية أمر بسيط هيّن أمام جمهور محترم كالذي نواجهه، وأن نسلّي ونُضحك اشخاصاً يكنّون لنا كل مودّة وتقدير، وهم لا يقهقهون إلّا متى شاؤوا ؟ وهل من مؤلف لا يرتجف امام مثل هذه المشكلة ؟ أوليس عليّ أنا أن أردّد أني أودّ أن أنجح لقاء ما يفرضه عليّ العالم من تضحيات ؟
بيجار : اذا كان هذا الأمر يجعلك ترتجف، عليك أن تحتاط لكل الاحتمالات وأن لا تتعهد في مدة ثمانية أيام بإنجاز ما قبلت أن تقوم به الآن.
موليار : وكيف لي أن لا أوافق عندما يطلب الملك مني ذلك ؟
بيجار : كان عليك أن تعتذر بلباقة، وحجّتك أن الأمر مستحيل إعداده في هذه البرهة الوجيزة التي حُدِّدت لك. فإن سواك في محلك، يحسب حساب ما تؤول اليه سمعته إن أخفق ولم يتمكّن من إحراز النجاح المرغوب، خلافاً لما تسرّعت وقبلت به. ارجوك ان تقول لي الى اين ستتدحرج مكانتك اذا لم توفّق الى ما آليت به على نفسك ؟ وماذا سيكون موقف اخصامك من فضلك ؟
الآنسة دي بري : في الواقع، كان عليك أن تعتذر للملك، أو أن تطلب منه تمديد المهلة المحدّدة.
موليار : يا الهي. إعلمي، يا انستي، ان الملوك لا يحبّون عدم الاستجابة حرفيّاً لرغباتهم والخضوع لإرادتهم وهم لا يعترفون بوجود العقبات أمام تحقيق مطاليبهم. ولا ينظرون الى الأمور بعين الرضى إلا اذا تمّت في الأوقات التي يتمنونها. واذا فرض عليهم تأجيل موعد تأمين تسليتهم مع حاشيتهم،

هناك الطامة الكبرى. فهم يرومون مشاهدة ما يسلّيهم في الأوقات التي تناسبهم. وكلّما روعيتْ تلبية مشيئتهم في حينها، ولو بدون استعداد كافٍ، كلما ازداد إعجابهم بما نقدّمه لهم من ترفيه. وهكذا لا يسعنا إلا أن نتقيّد بظروفنا حتى غير الملائمة في سبيل ارضائهم. وحين يطلبون منا القيام بما نتوق نحن اليه، علينا أن نبادر الى استجابة رغبتهم لكسب رضاهم. لذلك يجب علينا أن نقوم بما تعهّدنا به ولو غير متقنٍ كما نتمنى. وإن خشينا أن لا ننجح تماماً في تأديّة عملنا فذلك أفضل لنا، لأننا مع ذلك نقطف غار المجد بمجرّد خضوعنا لأوامرهم التي يجب أن تطاع. والآن تعالوا نراجع ادوارنا، من فضلكم.

الآنسة دي كروازي : كيف تريد أن نتصرّف اذا كنّا لا نحفظها ؟

موليار : أؤكد لكِ، انكم ستعرفونها. حتى إن لم تحفظوها كلها كما يجب، ألَا تستطيعون أن تسدّوا الفراغ في اذهانكم بما أنكم ستُلقون أدواركم نثراً لا شعراً، وأنتم مطّلعون على تفاصيل الموضوع.

بيجار : انا في خدمتك. لكن النثر أصعب عليّ من الشعر، كما تعلم.

الآنسة موليار : هل تسمح لي بأن أصارحك ؟ كان عليك أن تعدّ هزلية تقوم أنت بمفردك بدورها الأوحد.

موليار : أصمتي، يا امرأتي، لأنك جاهلة.

الآنسة موليار : شكراً جزيلاً على هذا الثناء، يا زوجي العزيز. هذا ما خبّأه لي الزواج الذي كثيراً ما يبدّل الناس. لكنك لم تكن لتخصّني بهذا النعت الحقير منذ ثمانية عشر شهراً قبل أن نتزوج.

موليار : ارجوكِ ان تسكتي.

الآنسة موليار : أمر غريب أن تصل بنا حفلة بسيطة الى ازالة جميع صفاتنا الحميدة عنّا، وان ينظر اليّ زوجي اللّبق بعينين مختلفتين كليّاً عمّا أَلِفْته منه.

موليار : ما هذا الخطاب الرنّان.

الآنسة موليار : بذمّتي، لو كتبت أنا هزلية سأجعلها تدور حول هذا الموضوع بالذات، وأبرّئ عدداً كبيراً من الزوجات من كل التهم التي تُوجّه اليهنّ،

وسأبيّن المعاملة السمجة التي يخصّهنّ بها ازواجهنّ عوضاً عن اللياقة المرغوبة.

موليار : دعونا الآن من هذا الجدل العقيم، فليس وقته في هذه الساعة الحرجة. لأن لدينا اموراً اخرى لا بد لنا من إنجازها.

بيجار : بما أن عملاً معيّناً قد طلب منا، دعْنا نصبّ جهودنا على الانتقاد الذي وُجِّه اليك على عدم كتابتك هزلية عن الهزليين الذين كثيراً ما حدّثتنا عنهم مطوّلاً. هذه المسألة تأتي الآن في حينها، وتناسب هذا الطرف العسير بصورة أوْلى خاصة أنك تودّ أن ترسم شخصيّتك، والفرصة سانحة لترسم شخصياتهم هم أيضاً، وتدعو ذلك رسم صور الشخصيّات على علّاته كما يريدون أن يروا صورتك أنت للتنكيت عليها، إذ أن تقليد الشخصية المضحكة في دور هزلي يأتي في الحقيقة كرسم شخصية الممثل ذاته إسماً على مسمّى. كذلك يأتي رسم شخصياتهم بألوانها الزاهية أو الباهتة كما يتسنى لك أن تصوّرها في لوحات اخلاقهم السخيفة التي نقلّد بها شخصياتهم حسب طبيعتهم. لكن تقليد الممثل الهزلي في أدوار رصينة هو تصويرها حسب عيوب أصحابها كما يراها الممثل نفسه، رغم أنهم لا يعبجهم أن يبصروا ذواتهم على حقيقتها الواقعية بما تنطوي عليه من نقائص وسخافات ملحوظة.

موليار : هذا صحيح. لكن لديّ اسباباً تضطرني الى عدم تنفيذ رغبتي هذه حالياً. ولا أظن ان هذا العمل يستحق المغامرة. فضلاً عن أن الفكرة بحدّ ذاتها يقتضي تنفيذها وقتاً أطول لإعدادها بشكل مقبول. وبما أن ايام هزليّتهم هي ايام هزليّتنا عينها، لم يتيسّر لي أن أراهم بوضوح لكي أدرسهم بطريقة أوْلى وأعمق، إذ لم أتمكن من رؤيتهم منذ جئنا الى باريس سوى ثلاث أو أربع مرات فقط. لذا لم أحفظ من أسلوب حديثهم وتحرّكهم سوى ما لفت انتباهي فوراً. وأنا بحاجة الى دراسة أوسع لأُحصي عليهم حركاتهم وسكناتهم وكيفيّة تخاطبهم، كي تجيء صورهم أقرب ما يمكن الى واقعهم الغريب العجيب.

الآنسة دي بارْك : بالنسبة اليّ لقد حفظت بعض التفاصيل التي قدّمتها لي.

الآنسة دي بري : انا لم اسمعك تتكلم عنهم.

موليار : هذه فكرة مرّتْ يوماً بخاطري، وقد أهملتها كأمر تافه أو مزاح سمج، ربما لا يستدعي الضحك.

الآنسة دي بري : حدّثني عنهم قليلاً، بما أنك وصفتهم لسواي.

موليار : ليس لدينا الآن الوقت اللازم.

الآنسة دي بري : قل لي كم كلمة فقط.

موليار : لقد فكّرت في هزلية تضمّ شاعراً نويت أن أمثّل دوره انا بذاتي. فقد جاء يوماً ليقدّم مسرحية الى فرقة تمثيلية أقبلتْ حديثاً من الأرياف. وسألني : هل لديك ممثلين وممثلات أهل لأن يبرزوا محاسن عمل ادبي ؟ لأن مسرحيّتي الممتازة فريدة من نوعها. فأجابه الممثلون : نحن رجال ونساء مشهود لنا بمقدرتنا حيثما ذهبنا. فسأل : ومَن منكم يمثّل دور الملوك ؟ فأجبته : هذا ممثل يجيد نظير هذه الأدوار أحياناً . فسأل أيضاً : ومن تعني ؟ أهذا الرجل الهزيل الجسم ؟ أتريد أن تهزأ بي ؟ لا بد من شخص طويل القامة ضخم الجسم ليقوم بدور الملك. ولا بد من أن يكون منتفخ البطن عريض الكتفين، كما يليق بالعاهل أن يكون، ليملأ العرش حين يجلس عليه بأفضل صورة ممكنة. لا بد من أن تفهمني جيداً. فالملك يجب أن يتحلّى بقامة مديدة. وهذا أول نقص ألاحظه في ممثّلك المقترح. والآن دعني استمع اليه، وهو يلقي على الأقلّ عشرة اشعار. هنا بادر الممثل الى إلقاء بعض الأبيات من مسرحية نيقوماد :

ألم أقل لك يا أراسْبْ أنه خدمني بعد أن وسّع بسط سلطتي.

وذلك بلهجة طبيعية للغاية حسب امكاناته الفنيّة. فما كان من الشاعر إلا أن صاح : هل تعتبر هذا إلقاءً ؟ لقد شوّه الأشعار. يجب عليه أن يلقيها بأبهة. إسمعني كيف ألْقيها أنا. (وقلّد « مون فلوري » الممثّل الممتاز الذي يعمل في قصر بوركوني. ثم أضاف : هل لاحظت هذا الموقف ؟ تمعّن جيداً بذلك. هنا لا بد من أن تُبرِز البيت الأخير من الشعر. فبهذا تنال الاستحسان وتحرّض الجمهور على التصفيق. لكن، يا سيدي ـــ اجاب الممثل ـــ يخيّل اليّ أن ملكا يخاطب وحده قائد حرسه، يتكلم بصورة اكثر انسانية، ولا يلجأ الى هذه اللهجة المستهجنة. ـــ اراك لا تعرف ما يجب عمله. تابعْ إلْقاءك كما فعلت، وسترى اذا كنت قادراً على استدرار أي اعجاب. والآن لنتفحّص دور « عاشق وحبيبته ». هنا بادرتْ إحدى الممثلات، وتبعها أحد الممثلين، للقيام معاً بتقديم مشهد كميل وكوزْياس :

الآنسة دي كروازي : « هل تمضين أيتها الحبيبة العزيزة، وهل تفضّلين هذا الشرف الكئيب على كل ما تفاخرين به من خصال حميدة ؟ واأسفاه. انا ارى الامور بكل وضوح ... الخ. » وقد أبدى كلاهما مقدرة وطبعيّة مشكورتين حسب استطاعتهما. فاعترض الشاعر حالاً : « هل تهزأون بي ؟ إنهما لم يأتيا بما يستحق التقدير. هكذا، كان عليهما أن يلقيا ما قالاه كلاهما ».
(يقلّد الآنسة بوشاتو الممثلة في قصر بوركوني) :
« هل تمضين ايتها الحبيبة العزيزة ... لا، أنا أعرفك جيداً ... ».
هل رأيتم كيف جاء إلقائي طبيعياً مشوّقاً ؟ « ألا اعجَبُوا بمحيّاها هذا الباسم، وهي تحافظ عليه رغم ما تنوء تحته من وقر المصائب ». هذه هي الفكرة التي أُلحّ على ظهورها في جميع من أجنّدهم من الممثلين والممثلات.
الآنسة دي بري : اجد هذه الفكرة مرضية، وقد لاحظتها منذ أول بيت شعر. ارجوك أن تواصل.
موليار : (يقلّد بوشاتو الممثل المعروف، في مقطع من مسرحيّة « السيّد »)
« لقد اخترق صميم فؤادي ... الخ ».
وهل لك أن تتعرّف اليه في دور بومبيّي في مسرحية « سرتوريوس » ؟ (يقلّد ايضاً الممثل « هُوت روش »).
« الصداقة التي تسود الفريقين، لا تشرّف كثيراً ... الخ ».
الآنسة دي بري : هنا اتعرّف اليه قليلاً. ولكن بينهم شخصاً يصعب عليك أن تحذو حذوه.
موليار : يا إلهي. ليس هناك من نستطيع أن نتشبّث به في أي موضوع، لو تسنىّ لي أن ادرسه جيداً. لكنكم تضيّعون الآن الوقت الغالي بالنسبة الينا جميعاً. دعونا نفكّر في أنفسنا. ارجوكم أن لا تجعلونا نتلهّى اكثر مما فعلنا في إطالة الحديث بدون جدوى (يخاطب لاكرانج) إجتهد ان تقوم إزائي بدورك في شخص المركيز.
الآنسة موليار : دائماً ادوار المركيز.
موليار : نعم، دائماً ادوار المركيز. مَن تريدين ان نتّخذ من اشخاص لتقييم الاخلاق على المسرح ؟ فالمركيز حالياً هو الشخص الذي ينال الاعجاب اكثر من سواه في الهزليات. وبما أن في كل المسرحيات القديمة نرى دائماً خادماً يُهرّج ويُضحك المشاهدين، هكذا في كل مسرحيات ايامنا الحاضرة لا بد من

وجود مركيز سخيف يضحك الجمهور ببلادته.

بيجار : في الحقيقة لا سبيل الى الاستغناء عنه.

موليار : والآن، تفضّلي، يا آنستي ...

الآنسة دي بازْك : يا الهي. أنا لا أتمكّن من القيام بدوري كما يجب. ولست أدري لماذا أسندت اليّ شخصية المرأة المتصنّعة

موليار : بل يا الهي أنا. ارجوك، يا آنستي، ان تعودي الى ما طُلب منك من انتقاد مسرحية « مدرسة الزوجات » الأمر الذي قمت به خير قيام، وأجمع الكل على ان ما أدّيته من القاء لا يتسنى لأحدٍ سواك أن يؤدّيه بطريقة أولى. صدقيني، انك ستُبْدعين في هذه المسرحية ايضاً وستقومين بدورك بصورة افضل ممّا تأملين.

الآنسة دي بازْك : وكيف يمكن أن يتفوّق عليّ إنسان، وليس في الدنيا مَن يتقن التصنّع اكثر منّي ؟

موليار : هذا صحيح، ويجعل منك ممثلة ممتازة لا تُجارى. لأنك تحسنين تمثيل الشخصية مهما ناقضت طبيعة مزاجك. أرجوك اذاً أن تتخيّلي كل المقوّمات الخلقيّة التي ينطوي عليها دوركِ، وان تتقمّصي واقع الشخصية التي تمثّلينها. (لدي كروازي) أنت ستقوم بدور الشاعر، وعليك أن تجسّد هذه الشخصية وتتظاهر بما يميّز هذا المتحذلق الذي يتباهى باحتكاره أجمل ما في الكون من احاسيس وان تقلّد نبرة صوته الجهوري الرنّان ودقّة لفظه وإلقائه وتوقّفه عند كل كلمة يتفوّه بها من شأنها أن تسترعي انتباه سامعيه وتستدرّ إعجابهم بدون أن يدع أيّة هفوة أو شائبة تقلّل من أهمية كلامه. (لبيركور) أمّا أنت، فعليك أن تمثل دور الرجل الشهم الشريف كما فعلت في دورك أثناء انتقاد « مدرسة الزوجات » أي يجب عليك أن تتّخذ موقفاً رصيناً حازماً، وطبقة صوت طبيعية معتدلة، على أن تقلّل من حركات يديك بقدر المستطاع. (للاكرانج) انت ليست لديّ اية ملاحظة ألفت انتباهك اليها، لأني واثق كل الثقة بأنك ستقوم بدورك خير قيام. (للآنسة بيجار) أنتِ ستمثلين دور إحدى هؤلاء النساء اللواتي، عندما لا يغازلن الرجال، يعتقدن ان كل ما عدا ذلك مسموح به ولا غبار عليه. هؤلاء النساء اللواتي لا يتساهلن ابداً في ما يخصّ

تزمّتهن، فينظرن الى محيطهنّ نظرة استعلاء وشموخ، ويعتبرن ان كل ما تتحلى به غيرهنّ من فضائل لا تذكر بالنسبة الى ما يملتكنه ويتشبّثن به من خُلُقٍ وشرف لا يأبه له المجتمع الذي تعشن في كنفه. عليك أن تضعي هذا الطبع الغريب نصب عينيك وتلتزمي بتصنّع حركاتك كيفما تصرّفتِ. (للآنسة دي بري) اما أنتِ عليك أن تقومي بدور احدى هؤلاء النساء المرائيات اللواتي يتمسّكن بمظاهر الفضيلة شرط أن لا يؤخذن متلبّسات بذنوبهنّ كي لا يُثِرن حولهم الشبهات وهنّ يُصرِرْن على جعل أمورهن تسير بهدوء مهما حامتْ حولهنّ الظنون والأقاويل، لأنهنّ يعتقدن بأن الخطيئة لا تكمن إلّا في الفضيحة التي يجتهدن ان يتحاشينها حرصاً على صيانة سمعتهنّ ولو ظاهرياً، وهنّ يسمّين أصدقاءَ مَن يعتبرهم الآخرون عشاقاً. وأنتِ خير من يقوم بإبراز هذا الطبع المزدوج الخبيث. (للآنسة موليار) وانتِ ستمثلين الدور ذاته الذي قمت به في الانتقاد، وليست لديّ أية ملاحظة أبديها لك، لأني واثق ملء الثقة بمقدرتكِ أنتِ ايضاً. (للآنسة دي كروازي) وأنتِ ستقومين بدور إحدى هؤلاء السيدات اللواتي يمِلْن الى أعمال البر والاحسان حيال كل الناس، وبالحري هؤلاء النساء اللواتي يلقين كلمة غمْز (على الماشي) ويتضايقن بل يتألمن عندما يقال لهن انهن يغتبْن قريبهنّ. وانا على يقين بنجاحك في مثل هذا الدول الذي يلائمك. (للآنسة هرفي) أما أنتِ فتجسّدين نموذج المتفلسفة التي تشترك من حين الى آخر في الحديث وتكرر، كما يتسنى لها، تعابير معلّمتها. ــ ها قد وصفتُ لكل واحدة منكن ما يناسبها وتجيده من الأدوار التي تنطبق أكثر ما يكون على نفسيّتها. والآن، هيّا بنا نراجع أدوارنا لنرى كيف سيدور مجرى الحديث فيما بيننا. ولكن، ها هوذا الإنسان المزعج قد أقبل. ولم يكن ينقصنا إلّا حضوره الى هنا في هذا الوقت بالذات ليلهينا عن القيام بعملنا.

المشهد الثاني

لاتوريّار، وموليار، الخ.

لا توريّار : نهارك سعيد، يا سيدي موليار.
موليار : انا في خدمتك، يا سيدي. (على حدة) حملتْه الأبالسة الى الجحيم.
لا توريّار : كيف حالك.
موليار : الحمد لله. وبماذا يمكنني أن أخدمك ؟ (للممثلات) يا آنساتي، لا ...
لا توريّار : انا قادم من مكان لم أَقُلْ فيه عنكم إلّا كل كلمة خير.
موليار : اشكرك جداً على لطفك. (حصدك الطاعون). (للممثلين) ارجوكم ان تنتبهوا الي ...
لا توريّار : هل تقومون اليوم بتقديم مسرحية جديدة ؟
موليار : نعم، يا سيدي، (للممثلات.)لا تنسَيْنَ ...
لا توريّار : هل طلب الملك منك إعدادها ؟
موليار : اجل، يا سيدي. (للممثلين) من فضلكم، فكّروا في ...
لا توريّار : ما هو عنوانها ؟
موليار : ماذا قلت، يا سيدي ؟
لا توريّار : سألتك ما هو عنوانها ؟
موليار : أؤكد لك أني لا أعرف. (للممثلات) يجب عليكنّ أن ...
لا توريّار : كيف ستكون ألْبستكم ؟
موليار : كما ترى.)للممثلين) ارجوكم ان ...
لا توريّار : متى ستبدأون بها ؟
موليار : عندما يأتي الملك. (على حدة) ما أغلظ هذه الأسئلة.
لا توريّار : ومتى تظنّ أنه سيجيء ؟
موليار : خنقني الطاعون، يا سيدي، إن كنتُ أعلم متى.
لا توريّار : هل حقّاً لا تدري ؟
موليار : أؤكد لك، يا سيدي، إني أجْهَلُ انسان على وجه الأرض. أُقسم لك

أني لا أعرف شيئاً مما تستفهم عنه مني. (على حدة) أكاد أختنق. هذا الدخيل، بل هذا الغبي، قد أتى ليطرح عليّ ببلادة كل أسئلته هذه، وهو لا يبالي بأن لديّ اشغالاً ملحّة يلهيني عن انجازها.

لا توريّار : انا في خدمتكنّ، يا آنساتي.

موليار : جميل سجداً. ها هو يلتفت الى سواي لإضاعة وقتنا.

لاتوريار (للآنسة دي كروازي) : أنت لطيفة وجميلة كملاك صغير. (ينظر الى الآنسة هرفي) : هل تمثّلان اليوم كلاكما معاً ؟

الآنسة دي كروازي : اجل، يا سيدي.

لا توريّار : هل تعلمين بأن المسرحية بدون دورك لا تساوي كثيراً ؟

موليار (للممثلات بصوت خافت) : هل من سبيل الى صرف هذا الرجل من هنا ؟

الآنسة دي بري (للاتوريار) : يا سيدي، ارجوك أن تأخذ علماً بأننا مجتمعون ها هنا لنراجع ادوارنا إستعداداً لتقديم المسرحية.

لا توريّار : بذمّتي، أنا لا أريد أن أؤخركم عن عملكم. يمكنكم أن تتابعوا ما باشرتموه.

الآنسة دي بري : ولكن ...

لا توريّار : لا، لا. لا اريد أن أضايق أحداً. تصرّفوا أمامي بكل حرّيّة.

الآنسة دي بري : ولكن، كيف ؟

لا توريّار : انا رجل لا أبالي بالرسميّات، كما قلت لكم، وباستطاعتكم ان تراجعوا ادواركم حسبما يروق لكم.

موليار : يا سيدي، يصعب على هؤلاء السيدات ان قلن لك انهن يتمنّيْن ان لا يكون احد حاضراً هنا، إن أمكن، حين يراجعن ادوارهنّ.

لا توريّار : ولماذا ؟ لا حرجّ علي من ذلك مطلقاً ولا ازعاج.

موليار : يا سيدي، هذه عادة يتمسّكْن بالمحافظة عليها. وأظن أنك ستُسرّ بمشاهدتهنّ عندما تراهنّ على المسرح يمثلن ادوارهنّ بصورة اكثر إتقاناً.

لا توريّار : هذا يعني أنكم غير مستعدات كفاية، على ما أرى.

موليار : بل قل لسنا على استعداد بتاتاً، يا سيدي. فأرجوك أن لا تستبق الأمور.

المشهد الثالث

موليار ولاكرانج، الخ.

موليار : ما هذا العالم الحافل بالفضوليّين المرهقين. وعلينا الآن أن نبدأ. تصوّروا أوّلاً ان المشهد يجري في مدخل حجرة الملك حيث تتمّ كل يوم أمور مسلّية. إذْ من السهل استقدام اي شخص كان الى هناك عند الاقتضاء، حتى أني لا أجد مانعاً من إحضار النساء اللواتي ارغب في اصطحابهنّ الى ذاك المكان المحظور. وعلى هذا الاساس تُفتَتح الهزلية بوجود مركِزَيْن في المدخل المذكور. (للاكرانج) تذكّرْ جيداً بضرورة مجيئك، كما قلت لك، بهندام لائق حسب عادات القصر، بعد أن ترتّب شعرك المستعار، وانت تدمدم أغنية معروفة : « لا، لا، لا. لا، لا، لا ». وانت عليكم أن تَصطفّوا الى جانبه. اذ لا بدّ من تأمين الأبّهة بحضور المركيزين، وهما شخصيتان بحاجة الى صحبة لا بأس بها، وبجوّ يوحي بالإحترام والإكرام. هيا باشروا.

لاكرانج : « نهارك سعيد، ايها المركيز ».

موليار : يا الهي. هذه ليست ابداً لهجة تليق بمركيز، عليك أن ترفع صوتك وتفخّمه. لأن أغلب هؤلاء السادة المرموقين يتكلّمون بطريقة خاصة لكي يترفّعوا عن عامة الناس. كرّر اذاً « نهار سعيد، ايها المركيز » بلهجة مناسبة.

الآنسة دي كروازي : « نهارك سعيد، ايها المركيز ».

موليار : « انا في خدمتك » ...

لاكرانج : « ماذا جاء بك الى هنا ؟ »

موليار : « بذمّتي، كما ترى، اني انتظر أن يُخلي جميع هؤلاء السادة لي الطريق كي أصل الى الباب وأتمكّن من إثبات وجودي هنا ».

لاكرانج : « يا للعجب. ما هذا الجمع الغفير ؟ أنا لا أريد أن أزاحم احداً، وافضّل أن أكون آخر الداخلين، حين يتاح لي ذلك ».

موليار : « هنا ما لا يقلّ عن عشرين شخصاً لا يرون كيف يمكنهم الدخول وهم لا يكفّون عن التزاحم وعن شغل الممرّات المؤدّية الى الباب ».

لاكرانج : « علينا أن نصرخ بأعلى صوتنا ونُبلغ الحاجب إسمينا بصوت مرتفع لكي يعجّل لنا استدعاءنا الى الداخل ».

موليار : « هذا يلائمك. أمّا أنا فلا أريد أن يقلّدني موليار في إحدى هزلياته ».

لاكرانج : « أظنّ أيها المركيز، أنه قلّدك في مسرحيّته « الإنتقاد ». ».

موليار : « انا ؟ انا لست سوى خادمك. إنه قلدك أنت شخصياً بالذات ».

لاكرانج (**يضحك**) : « ها، ها، ها. هذا حقاً غريب جداً ».

موليار (**يضحك**) : « ها، ها، ها. فعلاً هذا مضحك للغاية ».

لاكرانج : « اراك تصرّ على نفي ما تمّ من تقليد شخصيتك في تمثيل دور المركيز من خلال مسرحيّة « الانتقاد ».

موليار : « هذا صحيح. لقد تعرّض لشخصي. ولا شك في أنه قصد التكلّم عنّي ».

لاكرانج : « بذمّتي. في الحقيقة، لقد قصدك أنت. ولا يسعك الإنكار. وأنا مستعدّ لأن اراهن على ذلك، وسنرى من منا يكون الحقّ الى جانبه ».

موليار : « وعلى ماذا تريد أن تراهن ؟ »

لاكرانج : « على مئة فرنك، أنّه قصدك انت ».

موليار : « وأنا اراهن على مئة فرنك انه بالأحرى قصدك أنت بالذات ».

لاكرانج : « رهاني على مئة فرنك نقداً ».

موليار : « طبعاً نقداً : منها خمسة وتسعون فرنكاً من حساب آمينْتاس، وعشرة فرنكات نقداً مني ».

لاكرانج : « انا موافق ».

موليار : « هكذا تمّت الصفقة ».

لاكرانج : « ان دراهمك تتعرّض لخطر جسيم ».

موليار : « وكذلك مالك يقتحم مغامرة غامضة ».

لاكرانج : « لمن نلجأ كي يحلّ لنا هذه المعضلة » ؟

المشهد الرابع

موليار وبريكور ولاكرانج الخ.

موليار : « ها هوذا رجل مستعدّ لأن يحكم فيما بيننا، أيها الفارس ».
بريكور : « ماذا تقول » ؟
موليار : هذا رجل آخر يتكلّم بلهجة المركيز. ألم اقلْ لك أن دورك يتطلّب منك أن تتحدث بطبعيّة ؟
بريكور : هذا صحيح.
موليار : هيّا اذاً، « ايها الفارس ».
بريكور : « ماذا تقصد » ؟
موليار : « أحكم بيننا على اساس رهانٍ ارتبطنا به ».
بريكور : « اي رهان » ؟
موليار : « لقد تناقشنا في موضوع المركيز الذي قلّده موليار في مسرحيته « الانتقاد » ومن يكون هذا المركيز. والرهان هو على مَنْ منّا ينطبق الدور الذي مثّله، هل عليّ أنا أم عليه هو » ؟
بريكور : وانا أحكم انه لا عليك ولا عليه. فأنتما كلاكما مهووسان، اذ تريدان أن ينسب إحدكما الى الآخر مثل هذه الأمور الغريبة عنكما. فقد سمعت ذاك اليوم أشخاصاً ينسبون اليك ما تنسبه أنت الآن اليه، وقال أن لا شيء يزعجه نظير إتهامه بأنه يقصد شخصاً معيّناً في الصُوَر التي يرسمها عادةً. لأنه يرمي الى رسم الأخلاقيات عامّةً بدون أن يقصد شخصيات معيّنة، وان جميع الأشخاص التي يصوّرها تمثل افراداً لا وجود لهم في الواقع، وان الاشباح التي يُلبسها أهواءه هي لتسلية المشاهدين ليس إلّا، وأنه سيحنق إن نسب اليه أحد غاية غير التي يهدف اليها، وان ما سيدفعه الى الاقلاع عن كتابة الهزليات هو التشبيه الذي تنسبه اليه كما يستنتج ذلك اخصامه الخبثاء،

لكي يثبتوا عليه هذه الفكرة البغيضة ويسيئوا الى سمعته لدى بعض الناس الذين لم يفكّر في دخولهم بمثل هذه المواضيع الشائكة. وانا فعلاً أجد أن الحق كل الحق الى جانبه. ارجوكم أن تقولوا لي لماذا يصرّح بصوت مرتفع ان فلاناً يقلّد شخصية هذا أو ذاك، بينما ما يفعله يمكن أن ينطبق على مئة إنسان. نظير قضية الهزلية التي تمثل عامةً جميع نقائض البشر، وبنوع أخصّ اشخاص عصرنا الحاضر. اذاً يستحيل على موليار أن يرسم طباع اشخاصٍ لا وجود لهم في اية بقعة من بقاع الأرض. واذا اضطررنا الى إتهامه بأنه يُفكّر في ذلك من خلال جميع الاشخاص الذين يرسم عيوبهم، لتحتّم عليه أن يكفّ عن تأليف الهزليات.

موليار : « بذمّتي، ايها الفارس، أؤكد لك أنك تقصد أن تبرّئ ساحة موليار وتسعى الى ابعاد التهمة عن صديقنا الحاضر ها هنا ».

لاكرانج : « كلا ثم كلا. أنت تريد أن يتجنّبك، وسنجد حَكَماً آخر يفصل بيننا ».

موليار : لنسلّم بذلك. لكن، قل لي، أيها الفارس، ألا تعتقد بأن موليار قد أفرغ جعبته الآن وأنه لن يلاقي بعد اليوم أي موضوع لمعالجته.

الآنسة دي كروازي : « ألم يعد لديه اي موضوع آخر ؟ لا بد لنا، ايها المركيز المسكين، من أن تؤمّن له على الدوام عدداً من امثاله، ونحن لا نريد أن نساير هذا الرجل العاقل الحكيم في كل ما يقول ويفعل ».

موليار : مهلاً، مهلاً. لا بد لنا من أن نتفحّص قليلاً ما يقوله صاحبنا : « انه لا يجد ابداً موادّ ... » يا ايها المركيز المسكين، سنجد له نحن نماذج كافية لكي يسلك طريق التعقّل في كل ما يقول ويفعل. وهل استنفد في هزلياته كل سخافات البشر ؟ وبدون أن نخرج من البلاط، أليس أمامه عشرين مزيّة من طباع الناس لم يتناولها بعد بتشريحه وتجريحه ؟ أوليس لديه من يطلبون صداقة الجميع وحين يديرون ظهورهم يتسابقون في ميدان المنافسة لتمزيق بعضهم بعضاً ؟ أوليس لديه كل المخادعين في مجال الاغراء وكل المتملّقين المنافقين الذين لا لون لهم ولا مذَاق ؟ هؤلاء الذي يضيفون المرّ والحلو الى مواضيعهم الباهتة التي تدمي قلوب من يقصدون إيذاءهم وإيلامهم، لانهم لا

يصغون الى اقوالهم ؟ أوليس لديه هؤلاء الجبناء المتزلفون الذين يبحثون عن اقتناص الغنائم، وهؤلاء الذين استعبدهم المال وتحكّمت بهم شهوة الثروة وهم يحرقون البخور أمام من أنعم عليهم الحظ بالازدهار، وانتزع من صدورهم عاطفة الشفقة والرحمة ؟ أوليس لديه جميع من ينقمون على البلاط الملكي والأتباع النفعيّين الذين يعفّرون جباههم على أعتاب المتنفّذين وهم عديدون يترقبون الفرص لتأدية اية خدمة ترضي البعض طمعاً بالمكافأة الممنوحة لمن أرهقوا الأمير مثلاً طوال عشرة أعوام ؟ أوليس لديه ايضاً من يسايرون الجميع وهم يتباهون بما يتلقونه من ثناء وإطراء وإمعان في المديح، يميناً ويساراً، ويمشون في ركاب المتزلفين والمتوسلين للحصول على بعض الصداقات، ولا يحجمون عن ترديد : « انا أضع نفسي في تصرفك. ـــ انا خادمك الأمين. ـــ اعتبرني من أخلص أتباعك، يا سيدي. ـــ إعتبرني من أوفى اصدقائك، يا عزيزي. ـــ انا مسرور جداً بمعانقتك، يا صديقي. ـــ أرجوك أن تجود عليّ بلجوئك الى خدماتي. ـــ كن على ثقة بأني لك بكلّيتي. ـــ انت الرجل الوحيد الذي احترمه وأكرمه في هذه الدنيا. ـــ ليس في العالم إنسان أُوَقِّره اكثر منك على هذه الأرض. ـــ استحلفك أن تصدّق ما اقوله لك. ـــ ألتمس منك أن لا تشكّ بصدق كلامي. ـــ انا من أوفى انصارك وأخلص خدّامك. الخ. الخ. » ألا أعلم، ايها المركيز، ان لدى موليار نماذج لا تُحصى من هؤلاء المتسوّلين، وان ما تحدّث عنه في مسرحياته الى الآن، لا يعدو كونه جزءاً زهيداً مما يبصره من شتّى معايب المجتمع. في الحقيقة، على هذا النمط يتحتّم أن يكون التمثيل وإلّا فلا.

بريكور : هذا يكفي.

موليار : يمكنك أن تتابع قولك.

بريكور : « ها هما كلامين وايليز ».

موليار (**للآنستين بارك وموليار**) : هكذا يمكنكما أنتما أن تتصرفا (للآنسة دي بارك) كوني على حذر، وهزّي رِدْفَيْكِ كما تشائين، وتصنّعي الحركات التي تروق لك. أنا أعرف أن هذا سيغيظك قليلاً. لكن ما العمل ؟ لا بد للانسان في بعض الحالات من أن يلجأ الى العنف، وإن لم يكن من طبعه.

الآنسة موليار : « هذا لا شك فيه، يا سيدتي. فقد عرفتك من بعيد، وعلمت من حركاتك انك لا تستطيعين ان تظهري على غير حقيقتك.

الآنسة دي بازْك : « انا هنا انتظر خروج رجل تربطني به قضيّة اريد أن اعالجها نهائيا ».

الآنسة موليار : « وانا كذلك ».

موليار : سيداتي، هذه صناديق يمكنكنّ أن تستعملنها كمقاعد لترتحن عليها بعض الوقت.

الآنسة دي بازْك : هيّا اجلسي من فضلك، يا سيدتي.

الآنسة موليار : بعد أن تجلسي أنتِ، يا سيدتي.

موليار : حسناً، عَقِبَ هذه الرسميات واللياقات، كل واحدة منكن ستستقلّ مقعداً وتتكلّم وهي جالسة. ما عدا المركَزَيْن اللذَيْن سيقفان تارة ويجلسان طوراً حسب اضطرابهما الذي اجده طبيعيّاً. « ارجوك، ايها الفارس، ان ترتّب هندامك ».

بريكور : « كيف » ؟

موليار : « انك ترتدي بدون اصول ».

بريكور : « لقد سَرَتْ اليّ عدوى فوضى المجون.

الآنسة موليار : « يا الهي. كم أجدكِ، يا سيدتي، مخطوفة اللّون، متجهمة الوجه، وشفتاك بلونٍ ناري عجيب.

الآنسة دي بازْك : « ماذا تقولين، يا سيدتي ؟ لا تنظري الي ابداً. فأنا لست أدري لماذا أبدو اليوم هكذا في غاية القباحة.

الآنسة موليار : ارفعي، يا سيدتي، شعرك قليلاً.

الآنسة دي بازْك : « تبّاً لك من ملاحظ. اراني الآني فظيعة الطلعة الى حدّ أني أرْعبت نفسي، حين تطلّعت الى المرآة.

الآنسة موليار : « لا بل بالعكس، أجدكِ رائعة الحسن.

الآنسة دي بازْك : « أبداً، أبداً.

الآنسة موليار : « تعالي الى هنا لنراك جيداً.

الآنسة دي بازْك : « تبّاً لكِ. ارجوكِ ان لا تسخري مني.

الآنسة موليار : « من فضلك.
الآنسة دي بازْك : « يا الهي. ماذا تقولين ؟
الآنسة موليار : « اجل، اجل.
الآنسة دي بازْك : « انت تدفعينني الى حافة القنوط.
الآنسة موليار : « مهلاً. انتظري برهة.
الآنسة دي بازْك : « لماذا ؟
الآنسة دي كروازي : « يا الهي. كم أنت غريبة التصرّف، إذ تصرّين على ما تريدين الوصول اليه.
الآنسة موليار : « يا سيدتي، أحلف لك أن ليس من صالحك أن تكشفي عن خفاياكِ في رابعة النهار. فالألسنة الطويلة تدّعي انك حتماً تتبرّجين حين لا تلزمك اية زينة. وها أنت الآن تكذّبين هذه الأقاويل.
الآنسة دي بازْك : « يا للأسف، أنا لا أفهم ماذا تقصدين بالتبرّج ... لكن الى أين يذهبن هؤلاء السيدات ؟

المشهد الخامس

الآنسة دي بري، والآنسة دي بارك، الخ.

الآنسة دي بري : « هل تُردْنَ، يا سيداتي، أن اتحفكنّ بأروع نبأ يسرّكن ؟ ها هوذا السيد ليزيداس يُعْلمنا بأن مسرحية قد كتبت للتهجم على موليار، ويقوم بتقديميها للجمهور كبار الممثلين.
موليار : « هذا صحيح، وقد شاء مؤلفها أن يقرأها لي، وهو المدعو بر ... برو ... بروسو.
دي كروازي : « يفيد الاعلان عن تقديمها ان اسمه بورسو. لكن، في الحقيقة، اقول لك سرّاً ان كثيرين قد اشتركوا في تأليفها. ولا بد من الانتظار طويلاً لكي نشاهدها على المسرح. وبما أن جميع المؤلفين والممثلين الهزليّين يعتبرون موليار كألدّ أخصامهم، فقد اتحّدنا كلنا لنبدي فيه رأينا الصريح الذي

لن يرضيه. وكل واحد منا قد رسم قسماً من صورته بدون أن تُذكَر اسماؤنا على عملنا هذا. وسيُعتبر شرفاً عظيماً في نظر الناس، ان يكون سقوطه على يد امثالنا من أهل الفن. ولكي نجعل فشله ذريعاً، أصررنا على اختيار مؤلف لا شهرة له ونسبناها اليه.

الآنسة دي بازْك : « انا من جهتي أُعلن ان سروري في هذه المناسبة ليس له حدود.

موليار : « وانا ايضاً. اذ لا بد من أن يقع الساحر يوماً في قبضة ساحر أمرّ منه، كما أن الظالم لا بد له من أن يُبلى بأظلم. وأنا واثق بأن خصمكم سينال جزاء ما جنت يداه، بدون شك.

الآنسة دي بازْك : « هكذا سيتعلّم صاحبنا كيف يهجو ويمسخ كل ما تقع عليه عينه. كيف يريد هذا الوقح أن يعتبر المرأة خالية من كل نباهة ؟ وهو يدين كل تعابيرنا اللبقة ويدّعي ان جميع أحاديثنا نحن النساء لا تتّسم بأي سموّ.

الآنسة دي بري : « الحديث ليس المهمّ، لأنه يهشّم تعلّقنا بالعواطف مهما كانت بريئة، وبالطريقة التي يتكلّم عنها يُستنتج ان الجدارة هي في نظره جريمة لا تغتفر.

الآنسة دي كروازي : « هذا في الواقع تحامل لا يطاق. إذ لا يتسنى هكذا لامرأة ان تأتي بعمل جليل، بدون أن تضطر الى فتح عينيها وأخذ الحذر حتى ممّا تطمح اليه من الانجازات النبيلة.

بيجار : « هذا لا يزال مقبولاً بالنسبة الى مهاجمة النساء الخيّرات اللواتي يخلع عليهن اسم الجنّيات الشريفات.

الآنسة موليار : « هو متطاول وقح، وعليه أن ينال عقابه.

الآنسة دي كروازي : « تمثيل هذه الهزلية، يا سيدتي، يحتاج الى مساندة. وممثّلوا قصر ...

الآنسة دي بري : « يا الهي. عليهم أن لا يخشوا سوءاً. فأنا أضمن لهم نجاح مسرحيتهم حتى بالدفاع عنها بواسطة السلاح الأبيض، اذا اقتضى الأمر.

الآنسة موليار : الحق الى جانبك، يا سيدتي. هناك جمهور غفير يهمه أمرها،

وسيجدها رائعة. اني أَدَع لكم أن تتصوروا كيف سيغتنم الفرصة جميع من هزأ بهم موليار لكي ينتقموا منه في هذه المناسبة مبتهجين لدى مشاهدتهم الهزلية المذكورة.

بريكور (**بلهجة ساخرة**) : بدون شك. وأنا أتكفّل لكم بتأمين اثني عشر مركيزاً وستة متفلسفات وعشرين غادة متدلّعة وثلاثين رجلاً خدعتهم زوجاتهم، لن يتردد أحدٌ منهم في التصفيق تشفّياً وإعجاباً بهذا الهجوم على موليار الذي طالما تعرّض لهم بالقدح والذمّ.

الآنسة موليار : « فعلاً، لماذا السخرية من جميع هؤلاء الأشخاص الى حدّ إهانتهم، ولا سيما من خدعتهم زوجاتهم، ومع أنهم من خيرة الرجال.

موليار : « بذمّتي، قيل لي أن مهاجميه ينوون تحطيمه هو ومجمل هزلياته، كما يستحق، وان الممثلين والمؤلفين من موقع الأرز الشامخ الى زاوية أصغر شجيرة مهملة، هم متحمسون حتى الهوى للإنتقام منه.

الآنسة موليار : « حقاً، هو يستحق أكثر من ذلك. لماذا يكتب مسرحيات خبيثة ليعرضها على أهالي باريس، وفيها يرسم صوراً نادرة يرى كل فرد وجهه فيها ؟ لماذا لا يؤلف مسرحيات مثل التي يكتبها السيد ليزيداس مثلاً ؟ لماذا لا يمتنع عن الاستفزاز فلا يكسب الاعداء، وهكذا يثني عليه لفيف المؤلفين ؟ لا أنكر ان مثل هذه الهزليات لا تستقطب اهتمام معظم المشاهدين، لكنها في المقابل تكون عادة مكتوبةً بصورة لائقة مرضية، فلا يهاجمها احد، ويتمنى كل من شاهدها ان يعاود حضورها للتمتع بروعة أحداثها وطليّ حديثها.

دي كروازي : « وهكذا، أشكر الله على أني لا أجد حولي من أخصام في هذا الميدان، فتحظى جميع مؤلفاتي باستحسان كافة العلماء.

الآنسة موليار : « اراك مسروراً بتصرفاتك ». وهذا في نظري افضل من كل تصفيقات الجمهور وكل الأموال التي تدرّها مسرحيات موليار على كاتبها المذكور. ماذا يفيدك إقبال الجمهور على هزلياتك ؟ المهمّ أن تنال رضى زملائك حضرات الكتّاب.

لاكرانج : « أرجو أن تقول لي متى ستُمثّل مسرحية « صُورة الرسّام » ؟

الآنسة دي كروازي : « لست أدري. غير أني استعدّ لأن أكون في طليعة من يهتفون لها : « هذا بديع رائع ».

موليار : « وانا كذلك.

لاكرائج : « وقاني الله من كل شرّ. وأنا ايضاً مستعدّ للهتاف بهذا المعنى.

الآنسة دي بارْك : « أما أنا فإني مستعدة ايضاً للدفاع شخصيّاً عنها بكل ما أوتيت من قوّة. وسأعلن استحساني على رؤوس الاشهاد لكي ابدّد غيمة انتقادات مناوئيه. وهذا أقل ما يجب علينا أن نقوم به من تشجيع لاستدرار كل مديح انتقاماً وصوناً لكرامتنا ومصالحنا.

الآنسة موليار : « هذا قول سديد مفحم.

الآنسة دي بري : « وهذا ما يتحتّم علينا جميعاً أن نكرره على الدوام.

بيجار : « بدون أدنى شكّ.

الآنسة دي كروازي : « بكل تأكيد.

الآنسة هرْفي : لا رحمة ولا شفقة تجوز على من يقصد تهشيم الشخصيات ومَسْخها.

موليار : « بذمّتي، يا صديقي الفارس، لا بد لموليار من الاختباء.

بريكور : « من ؟ هو ؟ أعدك، أيها المركيز، بأنه بالعكس سيتقصد الذهاب الى المسرح ليضحك مع سائر الضاحكين ويسخر من الصورة المخزية التي ستُرسَم له.

موليار : « أؤكد لكم أنه سيضحك. ولكن ضحكة هزلية للغاية.

بريكور : « لا، ربما وجد سبيلاً للضحك أكثر مما تتخيّل. لقد تصفّحت التمثيلية ولاحظت أن ما يعجب فيها هي الأفكار المأخوذة من مسرحيات موليار بذاته. وأعتقد أن السرور الذي ستدخله على قلوب المشاهدين سيشمل الجميع بدون استثناء، لا سيما بسبب المقاطع التي ترمي الى النيل من مقدرته على الهزء بذوي النقائص والمباذل. وأكون خالياً من كل ادراك، إذا لم تتبيّن للجميع صحة هذا الرأي. لأن الأشخاص الذين حاول أن يسخر من معايبهم هم الذين سيهاجمونه قبل سواهم انتقاماً لما ابرزه فيهم من سخافات وتفاهات

رغم كل براعته في فنّ تصوير معالمهم في الآن ذاته كرجال مرموقين في مجتمعهم.

لاكرائج : « لقد ابلغني الممثلون انهم ينتظرون ردّه، وانهم ...

بريكور : « ردّه ؟ سيكون في نظري، أغبى المعتوهين اذ تنازل وردّ على تطاولهم ». والجميع يعلمون اي دافع يحملهم على المبادرة الى ردّة الفعل هذه. وعندي، أن أفضل جواب يلقمهم اياه موليار لقاء تهجّمهم على نبوغه هو السكوت التام. لأن هذه الهزلية الساخرة ستنجح كعدد كبير من سابقاتها. وهذا سيكون حتماً خير وسيلة لانتقامه كما يجب من تطاولاتهم. وبما أني ادرى من سواي بمزاجاتهم فكلّي ثقة بأن هذه المسرحية ستحرمهم من جمهور غفير يزعجه التندّر به هو بطلهم الساخر، كما يروق لهم قدحه وذمّه بالشخصيات التي يتضايقون من تبجحاتهم.

موليار : « لكن، ايها الفارس ... ».

بيجار : اسمح لي ان اوقف مراجعة هذه الأدوّار. هُنَيْهةً. (لموليار) هل تريد أن أقول لك كلمة. لو كنت مكانك لدفعت الامور باتّجاه آخر. فالجميع يترقّبون منك ردّاً عنيفاً. وحسب ما بلغني، انك عُوملْتَ بقساوة في هذه الهزلية، مع أنك محقّ بإفراغ جعبتك في انتقاد الممثلين بدون أن توقّر أو توفّر أحداً منهم.

موليار : انا مستاء جداً من كلامك هذا الذي استغربه منك، بل منكنّ انتنّ النساء، تجاهي بوجه الاجمال. تريدين أنتِ أن احنق على منتقديّ، وان اصبّ عليهم جام غضبي، وانهال عليهم بالشتائم والسباب، كما فعلوا هم بي. وهذا أقصى ما يرضي كرامتي المُهانة، وجل ما أقابلهم به من تحقير واذلال. لأنهم بدأوا هم بمهاجمتي على هذا النحو. واذا ظلّوا مصمّمين على تقديم مسرحية « صورة الرسام » بدون أن يخشوا أي ردّ من قبلي، أظنهم يستعدّون للاجابة على كل من يعارضهم، ويقول : « دعوه يرشقنا بجميع الشتائم التي وجهناها نحن اليه، ويكفينا ان نربح ما نرغب فيه من مال » هذا لعمري ينافي اي شعور بالخجل من تصرفات بذيئة كهذه، ولن أنتقم لتهجّمهم على شخصي بعد أن

أغدقت عليهم ما يستحقونه من تحقير كانوا متأهّبين لتقبله وعدم الاعتراض عليه.

الآنسة دي بري : لا يَبْرحْ من بالك أنهم على كل حال إشتكوا من ثلاث أو أربع عبارات قارسة رشقتهم بها في مسرحيتك « الانتقاد »، وفي مسرحيتك الأخرى « المتفلسفات ».

موليار : هذا صحيح. ان الجمل الثلاث أو الأربع كانت قاسية جداً، ولهم ملء الحقّ ان يذكروها. لكن حقيقة الأمر ليست كذلك. لأن الاهانة الكبرى التي وجهتها اليهم تكمن في كوني نلت إعجاب المشاهدين اكثر ممّا كنت ارتقّب. وكل وسائلهم منذ قدومنا الى باريس قد أكّدت ما أَلْصقته بهم من أوصاف مزعجة. دعيهم يتصرفوا على هواهم فمساعيهم كلها لا تقلقني ابداً. هم ينتقدون مسرحياتي، وهذا من حسن حظي أنا اذ يقول الشاعر : « واذا أتتْك مذمتي من ناقص، فهي الشهادة بأني كامل » وانا أسأل الله ان يعينني على أن لا أَقْدِم على ما يرضيهم. لأن أحجامي سيكون حتماً في غير صالحي.

الآنسة دي بري : على كل حال لا يسرنا أن تُمزِّق هذه المسرحيات وترميها في سلة المهملات.

موليار : هذا لا يهمّني مطلقاً. أوَلم الاقي بهزليتي كل النجاح الذي تمنّيته ؟ وقد جاءت انتقاداتهم غير المجدية بحقّي متأخرة جداً. فأرجوك أن تبيّني لي إن كان هذا قد أثّر على كتاباتي. وما قيمة التهجّم على مسرحيّتي التي نالت كل هذا النجاح والإعجاب ؟ أوَلا يطال تنديدهم حُكْم الذين أثنوا عليها أكثر مما يطال من ألّفها ؟

الآنسة دي بري : بذمّتي، كم كنت أودّ تمثيل دور هذا المؤلف الصغير الذي يكتب مسرحياته الكبيرة عن أشخاص لا يفكرون به.

موليار : انت متحمّسة جداً. الموضوع الذي يسلّي جماعة الحاشية الملكية هو دور السيد بورسو. فكم أودّ أن أعرف كيف يمكن هؤلاء النقّاد ان ينصفوا مثل هذا الانسان المبتذل المتطاول ليجعلوه طيّعاً مقبولاً. واذا اطنبوا بمدحه على المسرح، لا بدّ من يسخر منهم جمهور المشاهدين، بل سيناله الشرف العظيم اذا قام احد الممثلين بتقليده امام حضور كريم كهذا. وهو شخصياً لا

يتمنى افضل من نجاحي هذا حين يهاجمني بأقصى قواه لينال الحظوة في أعين المشاهدين. أؤكد لكم أن هذا الانسان ليس لديه ما يخسره، وان الممثلين لم يستفزوا ثورة غضبه إلّا لكي يزجّوا بي في هذا الصراع غير المتكافئ ويثنوني بهذه الحيلة المصطنعة عن كتابة باقي المسرحيات التي صمّمت على تأليفها على غرار سابقاتها طبعاً. مع ذلك أراكم مقصّرين عاجزين عنَ دفعي الى مواجهة هذه التحدّيات. أخيراً سأضطر الى اعلان موقفي المشرّف على الملأ. أنا لا ادّعي اني سأردّ على انتقاداتهم وانعكاس انتقاداتهم. سأدَعُهم يوجّهون كل الانتقادات الممكنة الى هزلياتي بملء رضاي. يسعهم أن يتناولوها بالتجريح وان يخلعوا تطاولاتهم كثوب فضفاض على مسرحياتهم، ويحاولوا الاستفادة من بعض ما اتمتّع به من الامتيازات التي يسرّهم أن يحتكروها، وانا أتنازل لهم عنها بطيبة خاطر، لأنهم بحاجة ماسّة اليها، ويروق لهم أن أُساهم بما يسدّ رمقهم، بشرط أن يكتفوا بما أمنحهم اياه بلباقة. لأن المسايرة يجب أن لا تتعدّى حدود المعقول. ولأن هناك اموراً لا تضحك المشاهدين ولا من يدور الكلام عليهم من الشخصيات. وانا مستعدّ لأن اترك لهم مسرحياتي وتهكماتي وحركاتي واقوالي ونبرة صوتي وطريقة إلقائي حتى يتمكّنوا من القول والعمل كما يحلو لهم، اذا كان لهم في ذلك بعض النفع والفائدة. فأنا لا أعارض هذه الوسائل التي لا يسعهم أن ينسجموا فيها، ويبهجني أن يُرضي هذا الانتحال كل المشاهدين. لكنني لقاء التنازل لهم عن كل ما ذكرت، أسألهم أن يتركوا لي الباقي، ولا يمسّوا بصورة طبيعية تلك القضايا الهامة التي تخصّني والتي ألمحوا لي الى أنهم سيهاجمونها في هزلياتهم. هذا ما ألْتمسه من ذلك الرجل الشهم الكريم الذي يتعاطى كتابة مسرحياتهم. وهذا كل الجواب الذي سيتلّقونه مني.

بيجار : لكن، في النهاية ...

موليار : اخيراً، ستدفعونني الى حافة الجنون. دعونا نقفْ هنا، ولا نُضِعْ وقتنا سدىً بالتحدّث اكثر ممّا فعلنا، ونحن نتلهّى بإلقاء الخُطَب بدَلاً من ان نراجع ادوار هزليتنا. إلى أين وصلنا عندما توقّفنا ؟

الآنسة دي بري : لقد وصلت الى المكان ...

موليار : يا الهي. أنا اسمع ضجة. هذا هو الملك قد اقبل بدون شك. وأرى اننا لن نستطيع التملّص من هذا المأزق. هذه نوتيجة التلهّي بما لا لزوم له. فأرجوكم أن تتصرفوا بأفضل ما يمكن من الطرق المفيدة.

بيجار : بذمّتي، أنا قلقة وخائفة، ولا أعرف كيف سأؤدّي دوري، اذا لم اراجعْه بكامله.

موليار : ماذا تقولين ؟ الا تعرفين كيف تؤدّين دورك ؟

بيجار : كلا.

الآنسة دي بارْك : ولا أنا.

الآنسة دي بري : ولا أنا ايضاً.

الآنسة موليار : وانا كذلك.

الآنسة هرْفي : وانا ايضاً.

الآنسة دي كروازي : وانا أيضاً وأيضاً.

موليار : ماذا يسعكم اذاً أن تفعلوا ؟ هل تسخرون جميعكم مني ؟

المشهد السادس

بيجار، وموليار، الخ.

بيجار : جئت أعلمكم، يا سادتي، ان الملك وصل، وإنه ينتظر منا ان نبدأ.

موليار : ها أنا الآن، يا سادتي أجدني في أحرج مأزق واجهته في حياتي. أنا لا أمل لي بالخروج من هذه الورطة سالم الكرامة. لأن هؤلاء النساء الخائفات يُعلنَّ لي أنهن لا يزلن بحاجة الى مراجعة ادوارهن قبل مباشرة تأديتها بعد لحظة. ألْتمس منكنّ أن تصبرن عليّ برهة. فالملك طيّب القلب رحب الصدر ويعلم أنه استعجلنا في تلبية طلبه. (يخرج بيجار) أرجوك أن تثوب الى رشدك، وان تعتصم بحبل الشجاعة.

الآنسة دي بارْك : لا بد لك من أن تذهب وتعتذر عن عدم الامكانية.

موليار : كيف تطلبين مني أن أعتذر ؟

المشهد السابع

موليار، والآنسة بيجار، الخ. وخادم.

احد الخدم : ارجوكم، يا سادتي، أن تبدأوا بالتمثيل.
موليار : بعد لحظة، يا سيدي. (على حدة) سأفقد عقلي بسبب هذه المعضلة و ...

المشهد الثامن

موليار، والآنسة بيجار، الخ وخادم آخر.

خادم آخر : أرجوكم، يا سادتي، ان تباشروا اذاً.
موليار : بعد هنيهة، يا سيدي. (لرفاقه) والآن ما العمل ؟ هل تريدون أن تلحقوا بي العار ؟

المشهد التاسع

موليار، والآنسة بيجار الخ. وخادم ثالث.

خادم ثالث : الرجاء، يا سادتي، ان تبدأوا حالاً.
موليار : نعم، يا سيدي. سنباشر فوراً (على حدة). كم رسول جاء يستحثنا على البدء بقوله : « باشروا اذاً »، ربّما بدون أمر الملك.

المشهد العاشر

موليار، والآنسة بيجار الخ. وخادم رابع.

خادم رابع : ارجوكم، يا سادتي، ان تبدأوا بدون مزيد من التأخير ...
موليار : ها نحن سنبدأ، يا سيدي. (لرفاقه) بربّكم، ما العمل ؟ هل تريدون أن أغرق في البلبلة والفوضى ؟

المشهد الحادي عشر

بيجار، وموليار الخ.

موليار : أتيت تطلب منا أن نبدأ، ولكن ...
بيجار : لا، يا سيدي، جئت لأعلمك بأننا أخبرنا الملك بحيرتنا والمأزق الحرج الذي نتخبّط فيه. وهو لطيبة قلبه الفائقة قَبِل بتأجيل تقديم هزليتك الجديدة الى مناسبة أخرى، ويكتفي اليوم بما تستطيع أن تقدّمه له إرتجالياً.
موليار : أشكرك، يا سيدي، فقد رددت الى الحياة. لقد جاد الملك علينا الآن بأفضل منّة إذْ منحنا الوقت الضروري الذي نتمناه للاستعداد كما يجب. وها نحن ذاهبون كلنا لنشكر عطفه السامي علينا وتلطّفه وتفهّمه وضعنا العسير بسبب ضيق الوقت.

(تمّت)

أَمِيرَةُ إيلِيدْ

أشخاص المسرحية

أميرة إيليد

أَكْلائت : إبنة عمّ الأميرة.

سِيْنتي : إبنة عمّ الأميرة.

فيليس : مرافقة الأميرة.

إيفيتاس : والد الأميرة.

أُوريال : أمير إيتاك.

اريسْتومان : أمير ميسان.

ثيوكْل : أمير بيال.

أَرْبات : وكيل أمير إيتاك.

موروِن : مُعْجَب بالأميرة.

لِيكاس : مرافق إيفيتاس.

أشخاص الفواصل الستّة

التي تتخلّل فصول المسرحية الخمسة.

الفجر

ليسيكاس : حارس.

ثلاثة خدّام

ساتير : أحد الرعيان.

تيرْسي
كالامين } : راعيتان

الفاصل الأوّل

المشهد الأول

حكاية الفجر

الفجر : عندما يعرض الحب مناظر الطبيعة الخلاّبة أمام عيونكم، ابتهجوا ايها العشاق الظرفاء، ولا تأْبَهُوا لهذا التشامخ المتمرّد الذي يزيّنه لكم الغرور، وأنتم في عمر الورود تنشدون أُلحان الهيام، وتقدّسون أواصر الودّ والوفاء. ثمّ تنشّقوا عبير الوَلَه والحرّيّة، وَتَحَدُّوا اللائم الحقود، فالقلب الرقيق لا يعرف القسوة، وينال إعجاب الجميع، ويَسْمُو بشعائر الإخلاص، إذْ ليس أروع في الكون من المودّة المتواضعة.

المشهد الثاني

الموسيقيون والخدم

الخادم الأول: إنهضوا، إنهضوا وهيّوا إلى الصيد المنظّم ورتّبوا كلّ أموركم. هيّا، قفوا بسرعة وسيروا إلى الأمام. فقد طلع النهار، وتهادت الشمس على أديم السماء.

الخادم الثاني : ها هي النسمات تتلاعب بالأزهار، ولآلئها تلمع كالأضواء المتوهّجة..

الخادم الثالث : وأخذ البلبل يُنشد ترانيم الصفاء ببهجة، كأنه يحيّي الطبيعة ويسبّح باري الكون.

الثلاثة معاً : هيّا، هيّا أسرعوا الى الأمام. (يكلّمون ليسيكاس الذي كان نائماً) : ما هذا، يا ليسيكاس ؟ ما بك ؟ إستيقظْ. ها قد بزغ الفجر وانتشرت الأنوار في كل الأرجاء. هيّا انهضْ، وبادرْ الى الصيد المنظّم، فلا بدّ من إعداد كل الأمور. إنهضوا جميعاً، إنهضوا واسرعوا..

ليسيكاس : (وهو يستيقظ) : بربّي، أنتم مجتهدون نشيطون. وأراكم تفتحون عيونكم على العمل باكراً، وكلّكم حيوية وانتباه..

الموسيقيّون : ألاَ ترى الشمس قد تألّقتْ في كبد السماء ؟ هيَّا، يا ليسيكاس، هيَّا.

ليسيكاس : أرجوكم أن تتركوني أنام أيضاً بعض الوقت.

الموسيقيّون : لا، لا. عليك أن تهبّ واقفاً، يا ليسيكاس.

ليسيكاس : أنا لا أطلب منكم سوى منحي ربع ساعة من الزمن.

الموسيقيّون : كلاّ، ثم كلاّ. هيّا انهضْ.

ليسيكاس : أرجوكم ...

الموسيقيّون : هيّا انهضْ.

ليسيكاس : لحظة، من فضلكم.

الموسيقيّون : كلاّ.

ليسيكاس : ألْتمسُ منكم ...

الموسيقيّون : لا، يتحتّم عليك أن تنهض حالاً.

ليسيكاس : إرحموني.

الموسيقيّون : كلا. إنهض.

ليسيكاس : أُريد أن ...

الموسيقيّون : لا، لا، لا.

ليسيكاس : أمهلوني لحظةً ...

الموسيقيّون : كلاّ، ثم كلاّ. هيّا الى النهوض، يا ليسيكاس، واسرع الى الصيد. عليك أن تهيّئَ كل المطلوب منك. هيّا عجِّلْ.

ليسيكاس : دعوني أنهضْ على مهل. انتم قوم غريبو الأطوار كي تُضايقوني هكذا، وتسبّبوا لي الإنزعاج طوال النهار بهذا الإلحاح السَمِج. أنا لا أزال مفتقراً الى النوم، لأنه ضروري لا غنى عنه للانسان. وإلاَّ تراكمتْ عليَّ المتاعب والكوارث ...

الخادم الأول : يا ليسيكاس ...

الخادم الثاني : يا ليسيكاس... .

الخادم الثالث : يا ليسيكاس ...

الثلاثة معاً : يا ليسيكاس إنهضْ ...

ليسيكاس : إذهبوا إلى الجحيم، أيّها الصاخبون. كم أتمنى أن تلتهمكم ألْسنة اللهيب.

الموسيقيّون : إنهضْ، إنهضْ. قفْ على رجْلَيْك أيها الكسلان، وعجّل ...

ليسيكاس :. لقد هدّ التعب قواي، وقلّة النوم قَرَّحَتْ عينيَّ.

الخادم الأول : يا دجّال.

الخادم الثاني : يا منافق.

الخادم الثالث : يا كسلان.

الثلاثة معاً : يا شيطان.

ليسيكاس : ها، ها، ها. أتمنّى أن يقضي عليكم الطاعون، أيها الصاخبون. وليمسخْني إبليس إذا لم أُحطِّم رؤوسكم الفارغة. ألاَ ترون كيف تضايقونني، أيها الرعاع ؟ من دعاكم الى تمزيق طبلة أُذُني هكذا بصراخكم، أيها الملاعين.

الموسيقيّون : هيا انهضْ.

ليسيكاس : عدتمْ الى نغمتكم المرهقة.

الموسيقيّون : هيّا أسرعْ.

ليسيكاس : أُمضوا الى جهنّم، أيها المزعجون.

الموسيقيّون : هيّا، هيّا، قمْ الى العمل أيها الكسلان.

ليسيكاس : (وهو ينهض) : هكذا تتصرّفون حيالي كل مرة تذهبون أثناءها

الى الصيد. هذا حقًّا مزعج للغاية. الآن وقد استيقظت، عليّ أن أُوقظ الآخرين. هيّا بدوركم أنتم أيضاً، أيها السادة، استيقظوا وانهضوا. هيّا أسرعوا الى الصيد المنظَّم، ولا بدّ من إعداد كل ما يلزم. هيّا انهضوا، انهضوا. فقد استيقظت أنا ليسيكاس ونهضْت، وجاء الآن دوركم، يا كسالى، إنهضوا.

الفصل الأول

المشهد الأول

أُوريال، وأَرْبات

أَرْبات : هذا السكوت الحالم الذي لم نتعوَّدْه يدعوكم في كل لحظة الى البحث عن الوحدة والإنفراد. وهذه التنهّدات الطويلة التي تفلت من أعماق صدوركم، وهذه الأنظار الشاخصة المتعَبَة تبوح بأُمور كثيرة لمن هو في مثل عمري، وأنا أظنّ، يا سيدي، أني أسمع لأول مرة هذه اللغة الغريبة عني. ولكن، بدون أن أستأذنكم، وخوفاً من أن تكون مغامرتي هائلة، لا أجسر على شرح غوامضها لكم.

أُوريال : فسِّرْ لنا، يا أَرْبات، بكل حرِّيّة هذه الآهات وهذه النظرات الشاردة وهذا السكوت العميق. فأنا أسمح لك هنا بأن تقول كيف فرض الحب عليّ شريعته وتحدّاني بدوره في عقر داري، ولو لم أحملْك على الخجل من ضعف قلبي المعذَّب الذي يأبى الخضوع والإذعان..

أربات : أأنا أَلُومك، يا سيدي، بسبب عواطفك الرقيقة، وميل قلبك الولهان ؟ إن أحزان الأيام السالفة قد أضنت فؤادي وعذّبني لهيب الحب، وكاد يحرق أنفاسي، وإن كانت أيّامي قد أشرفت على المغيب. لذا لا أنكر أن الهوى يليق بأمثالك، وأن نور المحيّا الجميل يُبهج فؤادي. لكنه لا يُحيي آمالي، كما يُلهب عواطفك الفتيّة. فَهِمّة الشباب، يا أيها الأمير، لا تزال تملأ

جوانبك، والكرم ينبع من بين ضلوعك. فإن الهوى أروع عاطفة وأنبل فضيلة يتحلّى بها الانسان. وها هي مُهَج الأبطال تتهداى فوق ذرى المجد والحب والعطاء. فهيّا، يا صديقي، الى أعاليك لتسرح في آفاق العزّ والهناء التي تليق بشخصك الكريم. بينما أنا المسكين أندب حظي العاثر وأجرّ أذيال الخيبة في دنيا العشق بين طيّات ظلام تعاستي، راجياً لك دوام العزّ طوال عمرك المديد، أيها الأمير المفدّى.

أوريال : إذا كنتُ تحدّيْتُ زمناً جبروت الهوى، يا عزيزي أرْبات، فها هو الآن ينتقم منّي، وقد عرف أن قلبي غارق في وهدة سحيقة، أنت لا ترضاها أن تكون مثواي الأخير، بعد أن علمت بأني أهيم بحب أميرة إيليد. أنت تعرف كبرياء هذه الصبيّة البهيّة الطلعة التي تتحاشى زمرة العشّاق، وهم يحاولون الاستيلاء على عواطفها، ولا تجهل قوّة الجاذب الذي يهيمن على عواطفنا. فأنا عند رجوعي من « أرْغوس » مررت بهذه الإنحاء، فلفت إنتباهي بهاء أميرة إيليد، بكل ما تتمتّع به من جمال الخلقة وسموّ الأخلاق. واستحوذت على مشاعري وبعين خيالي أبصرت شواطئ « إيتاك » البعيدة التي مضت عليّ سنتان بدون أن أشاهد أراضيها الواسعة. وقد بلغني وأنا في بلاطي كيف تنظر هذه المرأة الشابّة الى الزواج بحقد وكره شديد. وكيف تجوب الغابات الفسيحة مسلّحة بالقوس والسهام، لا تعشق من ملذات الحياة سوى الصيد. لذلك جعلتْ شبّان الأغريق ينتهدون حسرة على روعتها المهيبة .ومصيرها الحزين في تشبّثها بمقاطعتها الزواج. وهذا ما دفعني الى التعلّق بها والسعي الى امتلاك فؤادها وحمّسني على قهر برودها واستمالتها اليّ دون سواي. وقد بلغني أنّ والدها إيفيتاس يجمع حوله لفيفاً من أمراء الإغريق ليختار لها منهم عريساً ملائماً.

أرْبات : ما الفائدة، يا مولاي، من الإحتياطات التي تأخذها ؟ ولماذا التكتّم الذي تتمسّك به. تقول إنك تحب هذه الأميرة الممتازة، وقد جئت لتنال الحظوة في عينيها بدون أن تعلن من جهتك عن حبك ولهفتك. أنا من جهتي لا أفهم هذه السياسة الملتوية. ولن أحاول أن أفهم الخطط التي يلجأ اليها العشاق لتحقيق أمنياتهم وأحلامهم، لأني أجهل ما هي الوسائل

التي يستخدمها المحبّون لبلوغ مرامهم في يوم من الأيام.

أوريال : ما العمل، يا أربات ؟ فأنا عندما اشكو ضناي لا ينوبني سوى ازدراء هذه الصبية المتشامخة، وأزجّ نفسي بين العديد من الامراء الخاضعين لأهوائها. وها هما ملكا ميسان وبيال يقدّمان على مذبح غرامها قلبيهما كضحية غير مقبولة، ويعرضان أمسى فضائلهما رخيصة لتصبح عند قدميها كنفايات مهملة لا تتنازل وتلتفت اليها. فأرجوك أن تصون حبي من عنف أهوائها، ما دمت أقرأ في نظراتها حُكْماً مبرماً على قلبي بالهلاك المحتّم.

أربات : انتبهْ، يا صاح، فانك باحتقار عنفوانها وبالاهتمام بنيل رضاها لن تفوز بكسب عطفها بل تزيدها بروداً لقاء حرارة تعلّقك بشخصها المتعالي. ولن تصل الى مرامك مهما تذرّعت بالصبر الجميل والإمتثال الى رغباتها المتعدّدة فأنت لا تملك سحراً فعالاً أكثر مما لدى أُولئك الأمراء المغرمين بتيه دلالها والمعجبين مثلك بروعة حسنها.

أوريال : كم يلذّ لي أن أسمع من فمك الإشادة بما يجيش بين حنايا ضلوعي من ميل جامح لا يخضع لأي عقل راجح. وبما انك تودّ أن أصارحك بما يجول في خاطري، عليك، يا أرْبات، أن تُطلع الأميرة على ما أقاسيه من عذاب في هواها. وأنت تعلم أنها ذهبت عند بزوغ الفجر الى الصيد حين نوى مُورون أن يفاتحها نيابةً عنّي بما يكوي فؤادي من لواعج ولهي بها ...

أربات : ذكرتَ اسم مورون، يا مولاي ؟.

أوريال : قد يدهشك هذا الاختيار، لما يبدو احياناً على هذه الانسان من دلائل الهوس. فإنه رغم الانجازات التي حققها، لا يزال حِسُّه أوعى من الذين ينتقدونه ويتحاملون عليه. فالاميرة تعجبها نكاته وفورات مرحه ومزاحه التي تحبّبه اليها وربما اقنعتها على طول المدى بصدق مودّته وغزارة مواهبه، عساها تجد في شخصه الرفيق المناسب الذي يؤنس لياليها الموحشة وهي معتصمة في وحدتها. إسمح لي، يا صديقي، أن أحاول بواسطة ما يمهّده المال من سبل الفرج أن أتوصّل الى بلوغ ما تتوق اليه أشواقك من تحقيق احلامك الذهبية.

المشهد الثاني

مورون، وأربات، وأوريال

مورون (بدون أن يراه أحد) : النجدة، النجدة. أنقذوني من هذا الوحش الضاري.

أوريال : يخيَّل إلي أني أسمع صوتاً.

مورون (بدون أن يراه أحد) : من فضلكم، خلّصوني، أغيثوني.

أوريال : هذا هو بعينه. الى أين هو مسرع هكذا، والرعب يبدو على محيّاه.

مورون : كيف يتسنّى لي أن أنجو من هذا الخنزير البرّي ؟ أيها الآلهة انتشليني من أنيابه الهائلة. أعدكِ بأن أحرق في سبيلك أربع مكاييل من البخور وأن أضحّي بأسْمن عجلَيْن لديَّ، إن أنقذتِني، وإلاّ هلكتُ لا محالة.

موريال : ما بك ؟.

مورون : ظننتك وحشاً مفترساً أطلّ عليّ بشدقَيْه المريّتَيْن. يا إلهي. إني لا أتمالك نفسي من الفزع.

أوريال : ماذا تقول ؟

مورون : مزاج الأميرة غريب محيِّر، وإذا تابعنا مسيرة الصيد في هذه الأجواء المقلقة، سنفاجَأ حتماً بالمزعجات. أية متعة يجد الصيادون في تعريض ذواتهم إلى ألْف مصدرِ خوف. هذا إذا اكتفوا بصيد الأرانب والغزلان، هذه الطرائد اللطيفة التي تهرب أمامهم. ولكنهم يتورّطون بالسعي وراء البهائم الرهيبة الخبيثة التي لا تهاب الإنسان بل تهاجمه بوحشية منقطعة النظير.

أوريال : أنا لا أعلم أيّة لذة يلاقون في هذه المجابهة الخطرة ؟

مورون : (وهو يلتفت) : إنه حقًّا لتمرين شاقّ. بربّك، ماذا يُحبّب الأميرة المدلّلة بمثل هذه الغرائب : كسباق العربات في هذا النهار المكفهرّ ؟ كان علينا أن نتحمّل تقلّبات الطقس أثناء هذا الصيد المرهق الذي نفّرنا من مفاجآته ... لكنْ، أُسكُتْ ... لنعد الى قصّتنا. أين وصلنا في هذا الموضوع ؟.

أوريال : كنت تتكلّم عن تمرين شاقّ.

مورون : نعم، ما أفظع هذه المهمّة. وأنا في الصيد متعثّر الحظ من أول النهار الى آخره. واذا بي أبتعد عن كل رفاقي لأبحث عن زاوية هادئة تحت شجرة وارفة أستسلم في ظلّها الى النوم بعض الوقت. ثم إهتديت الى المكان المناسب لأغط في نوم مريح. لكن خنزيراً برّيًا باغتني وروّعني ...

أوريال : ماذا تقول ؟.

مورون : أجل، هذا لم يزعجني بمقدار ما كان ينتظرني من مفاجآت. إقترب لعلّ روعي يهدأ قليلاً فأتمكّن من سرْد باقي القصّة على مسمعك. لقد شاهدت الخنزير البرّي الذي ،كان صيّادونا يطاردونه. وهو منكّس الرأس مفتوح الشدقين، بارز الأنياب، ينطلق كالسهم ... لك أن تتصوّر وضعي وأنا أمامه معرّض للغارة التي يشنّها عليّ. لكن الحيوان المسرع هاجمني حين كنت أنحني لألْتقط من الأرض سلاحي الذي سقط من يدي بسبب شدّة فزعي.

أرْبات : وانتظرته أنت بأقدام ثابتة ؟.

مورون : تبّا لحماقتي. لقد رميت كل ما كان في يديّ، وهربت بأقصى السرعة.

أربات : هل حقًّا هربت من الخنزير البرّي، ومعك سلاح تستطيع أن تقتله به ؟ إعترفْ بأنّ هذا تصرّف غير مشكور.

مورون : لا أخالفك بأنه عمر غير مقبول. ولكن، ما كان بامكاني أن أفعل غير ذلك.

أربات : لو كنت سريع الخاطر لاستطعت ...

مورون : إشملني بحلمك، يا عزيزي. أنا أفضّل ألْف مرة أن يُقال عني إني هربت، على أن يقال رحمة الله عليّ أنا مورون، لأني لم أفرّ من أمام الخنزير البري. نعم أنا أفضّل ألْف مرة أن لا يقال عني : إن مورون أظهر شجاعة نادرة في مجابهة الخنزير، فقتله الخنزير، رحم الله مورون رحمة واسعة.

أوريال : حَسَن جداً.

موررون : نعم، نعم. أفضّل الفرار لأعيش يومين بسلام في هذه الدنيا، على أن أدخل التاريخ لدى آلاف السنين قبل الأوان.

أوريال : في الحقيقة كان موتك كدّر صفو عيش الأصدقاء. لكن قلْ لي الحقيقة : ألاَ يزال فؤادك يتقلّى على نار الغرام ؟

موررون : يتحتّم عليّ، يا مولاي، أن أخفي عنك أني لم أفعل شيئاً بعد، ولم أجد متّسعاً من الوقت لأكلّمها كما أشاء. وموضوع غرامك شائك، ولدى الأميرة قضيّة دولة هامة جداً. وفي رأسها سياسة معقّدة بعد أن أعلنت الحرب على الزواج. وهي تنظر الى الحب نظرة إرتياب كأنه نمر يريد أن ينقضّ وينشب أظفاره وأنيابه في الضحية التي تغامر وتواجهه في هذا الميدان البغيض. دعني أُبلغها برويّةٍ ما أعرفه عنك من لباقة وبُعْد نظر، علّني أُوفّق الى تقريب وجهات النظر المتباينة بينكما. أنت تعلم كم كانت أمّي في صباها رائعة الجمال، وكم كان محيطها متشبّثاً بالتقاليد الموروثة. وكم كان المرحوم والدك أميراً كريماً سخيّ الكفّ. وكم كان أبي، « ألْبينور » رجلاً مقداماً نبيل الأخلاق حائزاً على احترام الجميع في وسطه. وإذ احتاجا كلاهما يوماً الى وساطة، تقدّمتُ أنا لبذل جهودي ... ولكن، ها هيذا الأميرة مقبلة ومعها اثنان من منافسيك.

المشهد الثالث

الاميرة (وحاشيتها)، واريستومان، وثيوكْل، وأُوريال، وأَربات، وموررون

اريستومان : هل يسعكِ، يا مولاتي، أن تتجاهلي ما لسحر عينيك من تأثير على هذَيْن الشابَيْن الشهمَيْن ؟ لقد اعتقدتُ ان قتْل الخنزير البرّي كان مغامرة مسلّية، ونحن نجهل أنك خارجة الى الصيد. ولكني لقا برودك هذا كان عليّ أن أشعر بعاطفة مغايرة لأني لا أودّ أن أقابِل معاكسة حظي العاثر بإهانة لا أقصدها.

ثيوكل : أمّا أنا، يا مولاتي، فأعترف لك بأن إسعادك هو أعزّ أماني قلبي، ولا أريد أن تقودني أيّة مغامرة الى ازعاج خاطرك العزيز. لذا مهما كلّفني الأمر سأظل طوع بنانك.

الاميرة : وهل تظن، يا مولاي، أني بحاجة الى الإلحاح لكي أفرض مشيئتي التي يتفانى الجميع في تلبيتها حالما أَلَمّح الى رغبتي تلميحاً، لكي يجوب كل الرجال كافة الجبال والوديان والغابات لتأمين راحتي وسلامتي، أثناء خروجي الى أي صيد كان. وأنا مصرّة على النجاح في اصطياد الغزلان والخنازير البرّيّة الوحشية على السواء، رغم ما يتّصف به جنسي اللطيف من النعومة واللباقة. فأرجوك، يا مولاي، أن تعلمني ما كانت نتيجة صيد الخنزير في هذا اليوم المشؤوم، واحْسَبْني أحد الدخلاء المتطفّلين.

ثيوكْل : ولكن، يا مولاتي ...

الاميرة : ارى انك تريد إقناعي بأني مدينة لك بحياتي. أنا لا أُنكر ذلك، وإلاّ كنت جاحدة، لا أقدّر فضلك عليّ. فأشكرك من كل قلبي على إغاثتك. ولن أتأخّر عن إطلاع الأمير والدي على هذه المنّة الفائقة التي طوّقت بها عنقي، أيها الفارس الشهم المفضال.

المشهد الرابع

أُوزْيال، ومورون، وأرْبات

مورون : هل شاهدت رجلاً اكثر حماقة من هذا الذي يمتعض لمقتل خنزير برّي شرس ؟ كم كنت أنا أغدقتُ عليه المكافآت والهدايا لقاء تصرفه النبيل.

أرْبات : أراك كثير التفكير في هذا الأمر الغريب. ولكن لا شيء يستطيع أن يقف أمام رغباتك، يا مولاي. ستأتي ساعتها، وسنعرفِ كيف نصون كرامتك، ونضطرها الى الاعتذار.

مورون : لا بدّ لها من أن تدري بحبك قبل أن تذهب، وأن ...

أوريال : لا، لا، يا مورون. أريد أن لا تفوه أنت بكلمة، وأن تدعني أحكّ جلدي بظفري. فقد قررت الآن أن أسلك طريقاً مخالفاً لدربها. لأني أرى أنّ اتجاه عواطفها هو عكس ما أصبو أنا اليه. ولكي أتغلّب على ما يعترض سبيلي من عقبات، عليّ أن ألْجأ الى طرق جديدة مجدية. وأملي كبير في بلوغ مرامي قريباً.

أزْبات : وهل لي، يا مولاي، أن أعرف الى أين تذهب بك آمالك وأحلامك ؟.

أوريال : سترى، يا عزيزي، بدون إمهال، فهيّا. فقط عليك أن تلازم الصمت بعض الوقت.

الفاصل الثاني

المشهد الأول

مورون

مورون : الى اللقاء. أنا باقٍ هنا. ولي حديث قصير مع هذه الاشجار والصخور. فيا أيتها البراري والينابيع والأزهار، أودّ أن أعلمك بأني أعشق حبيبتي « فيليس » وقد تعلّق بها قلبي، وأنا أُشاهدها تَحْلُب بقرتها، ويداها ملوّثتان حليباً فازداد بياضهما. ومجرد هذه الفكرة تسحر لبّي الآن. يا « فيليس »، يا « فيليس » أين أنتِ ؟ إن أمرك حقاً لعجيب غريب.

المشهد الثاني

دبٌّ، ومورون

مورون : يا سيدي الدبّ، أنا خادمك الأمين. فأرجو أن تشفق عليّ. أؤكّد لك أنْ لا غذاء في جسمي لكي تفترسني. فأنا جلد وعظم ولا أُشبعك، بل أرى أنّ هناك أشخاصاً يلائمونك أكثر مني لتتغذّى بلحومهم. فارجوك أن تنصرف عني، يا سيدي الدبّ أنت دافئُ الفِراء، رشيق القوام، ميّاس القدّ، تتلوّى يميناً ويساراً كأنك تؤدّي أحلى الرقصات. عيناك برّاقتان، وأنفك

صغير، وفمك ظريف، وأظفارك ناعمة. فألّتمس منك أن تبتعدك عني سريعاً وتتركني وشأني. وإلّا، يا الهي، وجدتني هالكاً لا محالة.

(يظهر بعض الصيادين)

يا سادة، اشفقوا عليّ وارثوا لحالي. أرجوكم أن تقتلوا هذا الوحش المفترس. شكراً لكم. ها هو قد فرّ، لأن أحدكم قد لطمه على رأسه. غير أنه توقّف، وراح يهاجمكم. هيّا، يا أصدقائي، ادفعوه عني بقوّة. ها هو قد سقط أرضاً على وشك أن يفارق الحياة. هيّا نضربه مئة ضربة. الآن قُضي علي. أكرر لكم شكري الجزيل، وأهنئكم على هذا الإنتصار.

الفصل الثاني

المشهد الأول

الاميرة، وأكْلانْت، وسِينْتي

الاميرة : أجل، أنا أحبّ أن أمكث في هذه الأمكنة الهادئة الجميلة. إذ ليس في ربوعها إلّا ما يبهج النفس، وكذلك في جميع قصورنا المزيّنة بأروع الزخارف التي تُضاهي جمال الطبيعة في أيام الربيع، من أشجار وصخور ومياه وعشب أخضر، وكلّها تشدّني إليها بحسنها الفائق.

أكْلانْت : أنا أيضاً نظيرك أُحبّ هذه المناظر الفتّانة، وأقصدها لأرتاح في كنفها من زحمة المدينة وضجيجها، وأمتّع انظاري بما تحفل به من الروائع المدهشة التي تزيّن باب « أِليس » حيث يلتقي الهاربون من الصخب لينعموا بسكون هذه العزلة الممتازة بعد عناء المدينة وإرهاقها هنا يتأمّل كلّ أمير بعظمة الكون، ويرتاح نظرك بفخامة عربات السباق التي تستحقّ أن تطيل الشخوص بعينيك الى تنسيقها الفريد.

الاميرة : لماذا كل منهم يلتمس حضوري ؟ ماذا عليّ أن فعل لألبّي حبّ استطلاعهم ؟ وكلّهم يسعَوْن الى نيل رضاي وامتلاك قلبي العطوف ؟ وكم تزداد دهشتي إذا لم يتوصّل أحدهم الى استمالة عواطفي.

سِينْتي : الى متى سيظل قلبك النفور يتمرّد على طالبي ودّه الأبرياء الذي يبذلون بدون جدوى كل ما يملكون من جهود ؟ أنا لا أجهل كم يقاوم

قلبك الخُضُوع والإستسلام الى النزوات العابرة. لأنه يبغي أن يحتلّه العاشق الولهان الى الأبد. ولسوء حظي، أنا لا أَقوى على التراجع أمام عنفوانك وصمودك لدى ردّ عواطفي خائبة. أنا الجدير بكسب مودّتك واستدرار حنوّك. لأني لا أستطيع العيش بدون حبّ، وقد ملأ هواك شغاف قلبي.

أكْلانت : أؤكّد لكم أن أنبل عاطفة في الوجود هي الحب والسعي الى تحقيق السعادة، وإلاّ أضحت كل مباهج الحياة باهتة، لولا الحب الذي يُضفي عليها زهو المودّة وروعتها.

الاميرة : هل يسعكما كلاكما ان تتلفّظا بهذه الكلمات الحكيمة ؟ بدون ان تحمرّ خدودكما حياءً وانتما تساندان هذا الهيام الخاطئ الذي يدل على الضعف والإنسياق والفوضى والقرف وكافّة النزوات التي لا تشرّف جنسنا اللطيف. أنا مصرّة على التمسّك بالإباء حتى آخر لحظة من حياتي، ولا أنوي أبداً أن أخضع لأهواء المستبدّين المتعنّتين. فكل الدموع والتنهدات، وكل الثناء والتبجيل لا تبرّر جبانتهم. وأنا حين أنظر الى أمثالهم من أصحاب الدناءات الجشعة التي تحطّ من قدر الاشخاص مهما كانوا أقوياء ان أسمع إقرارهم بالعجز عن التغلّب على تسكّعهم وخجلهم.

سِينْتي : يا مولاتي، هناك نقاط ضعف يرزح تحت وطأتها الإنسان وإن بلغ أعلى ذرى السلطة والمجد. فأرجو أن لا تغيّري يوماً أفكارك. وإن شاء الله نسمع قريباً بأن قلبك مال ...

الاميرة : كفى. لا تتابعي الإندفاع وراء أمنيتك الغريبة. فأنا أكره هذا النوع من الإنحطاط، وإنْ قُدِّر لي أن أنحدر عن مستواي، فلن أغفر لنفسي هذا الإنحراف الفظيع.

أكْلانْت : حذار، يا مولاتي، فالحب يعرف كيف ينتقم لكرامته المهدورة، وربّما ...

الاميرة : لا، لا. أنا أتحدّى هذا النزعة والسلطة الواسعة التي ينسبونها اليه، وما هي في الحقيقة إلاّ وهم باطل، وحجّة واهية تتذرّع بها أصحاب القلوب الضعيفة، فينعتون الحب بالقويّ الذي لا يُقهَر، ليُضْفو السلطة والجبروت على عواطفهم الهزيلة التي تجرفهم الى هاوية الغرام.

سِينْتي : لكن، لا تنسَيْ أن الجميع يعترفون بقوة الهوى وسلطانه، حتى ان الآلهة ذاتها قد خضعت أمام سطوته. وها هو الإله « المشتري » قد جعله العشّاق المزعنون لأهوائهم خاضعاً هو أيضاً مراراً عديدة لمشيئة الإلهة ديانا، التي تشيدين بعظمتها، وتسيرين على خطاها، هي التي لم تخجل من ارسال آهات الهيام والحسرة.

الاميرة : لاَ تنسَيْ أن معتقدات عامّة الشعب حافلة بالأخطاء. مع أن الآلهة من طينة غير طينة البشر، ونحتقرها عندما ننسب اليها ضعف طبيعة الانسان.

المشهد الثاني

مورون، والاميرة، وأكْلانْت، وسينْتي، وفيليس

اكْلانْت : هيّا اقترب، يا مورون. تعالَ وساعدنا في الدفاع عن الحبّ من تعسّف مشاعر الاميرة الجائرة.

الاميرة : ها قد انضمّت اليك قوة لا يستهان بها للدفاع عن وجهة نظرك.

مورون : صدّقيني، يا مولاتي، أنا أعتقد أنْ لا سبيل إلى إضافة حرف على ما قيل نّي، ولا الى ذمّ سلطة الحب الغالبة دائماً. فلقد جابهت طويلا هذه العاطفة وبذلت جهدي كغيري. لكن إبائي انهزم أخيراً لأن مولاتك قد روّضت كبريائي وجعلت عنفواني طيّعاً كالحمل الوديع. فامتثل نفوري الرافض ونُفّذ رغباتها بعد أن سيطرت على قلبي في ميدان الغرام. وكما انجرفت أنا أمام هذا السيل المتدفّق، لم يسلم سواي من الغرب.

سينْتي : ماذا تعني ؟ هل إنساق مورون في تيّار الحب والهيام ؟

مورون : نعم أنا أيضاً غُلِبْتُ على أمري.

سينتي : وأنت أيضاً مِلْتَ مع نسمات الهوى.

مورون : ولماذا لا ؟ لماذا أقاوم ؟ أَوَلَسْتُ أهلاً لما يغدقه عادةً على البشر من بهجة وهناء ؟ أعتقد أن هذا الوجه الجميل يستحقّ الإعجاب، وأنّ

طلعته البهيّة، والحمد لله، هي من أسمن النِعَم التي لا اتنازل عنها لأي انسان.
سينتي : بدون شكّ، تكون مخطئاً إذا ...

المشهد الثالث

ليكاس، والاميرة، وأكْلانْت، وسينْتي، وفيليس، ومورون

ليكاس : يا مولاتي، سيأتي والدك الأمير الى هنا ليزورك، وهو يصطحب أمراء بيال، وإيتاك، وميسان.
الاميرة : يا إلهي. ماذا يقصد بجلبهم إليّ ؟ هل ينوي أن يدبّر هلاكي بإجباري على اختيار أحدهم كزوج ؟

المشهد الرابع

الأميرة، وأوريال، وأريستومان، وثيوكْل، والأميرة، وسينْتي، وفيليس، ومورون

الأميرة : يا مولاي، أسألك أن تسمح لي بقول كلمة لأعبّر عن الأفكار التي تجول في بالي. هناك حقيقتان، يا مولاي، كلتاهما ثابتتان، أودّ أن أؤكدهما لك : الأولى هي أنّ لك عليّ السلطة الأبوية المطلقة، ومهما أمرتني به، لمن أوجب الواجبات عليّ أن أطيعك طاعة عمياء. والثانية هي أني أنظر الى الزفاف نظرتي الى الموت الزؤام، وأنّ من رابع المستحيلات أن أتغلّب على كرهي الطبيعي هذا. فإنْ أرغمتني على الزواج فكأنك حكمت عليّ بالأعدام. ولكن مشيئتك هي بالنسبة إليّ أُولى الأولويّات وإطاعتي أوامرك

هي أعزّ أمنياتي وأغلى من حياتي. بعدئذ تكلّم، يا مولاي، واحكمْ عليّ كما تشاء بالموت أو بالحياة.

الامير : يا بنيّتي الحبيبة، أنتِ مخطئة إنْ أصبحت حذرة الى هذا الحدّ. وأنا غير مرتاح الى تفكيرك هذا الذي يحدو بك الى اعتبار إرادة أبيك مجحفة بحقّك هكذا. وأنتِ تُسيئين بهذا العنف الى عواطفك الغريبة عن أمثالك الصبايا اللواتي يحلمن بالحب والزواج. أتمنّى أن تنجلي الحقيقة لعينيك وأن ينفتح قلبك لحبّ أحد الشبان النبلاء الذين تأبى شهامتهم ومروءتهم إلّا اسعاد فؤادك المتلهّف للسعادة. إذْ لا بدّ في طول بلاد الإغريق وعرضها من وجود الرجل الذي يستحق أمانتك وسموّ أخلاقك. فأنا ألْتمس من السماء أن تمنّ عليك بالهناء الذي يوفّره لك الزواج الصالح، واتمنّاه لك من صميم قلبي. ولكي استمطر هذه النعمة عليك قدّمت في هذا الصباح بالذات ذبيحة للإلهة فينوس. وعلى ما فهمت جيداً من الآلهة، فقد وعدتني إلهة الجمال هذه أن تجود علينا بمعجزة خارقة. على كل حال مهما حصل، أنا مصمّم على التصرّف حيالك كأب حكيم إذ يهمّني بالدرجة الأولى هناؤك وسعادتك، يا ابنتي العزيزة، بصرف النظر عن كل مصالح مملكتي وما تجرّه العلاقات الاجتماعية عليّ من مغانم اذا كانت لا تؤول الى تأمين رضاك وسلامتك قبل كل شيء. وما أطلبه منك هو أن تكوني أكثر مسايرة ولياقة في تعاطيك مع زوّاري بدون أن تضطريني الى الإعتذار عن برودتك وقلّة اكتراثك. أرجوك أن تعاملي هؤلاء الأمراء بما يستحقّون من البشاشة والإكرام والتقدير لقاء ما يقدّمونه كل من الإحترام والغيرة على هنائك، وأن ترافقيني الى ميدان السباق حيث كل منهم يودّ أن يُظهر لك براعته وجرأته واكرامه.

ثيوكْل : الجميع يسعون الى بذل كل جهودهم لإحراز قصب السباق. ولكني، في الحقيقة، قلبي الحماس لفوزي أنا، ما دام قلبك ليس المكافأة المتنازَع عليها.

أريستومان : أمّا أنا، يا مولاتي، فلا أطمح إلّا الى جائزة واحدة هي فؤادك العزيز عليّ، وأنا مستعد أن أبذل قصارى جهدي للفوز به في هذه المباراة

التي تبيّن مهارة المتسابقين. ليتك تعلمين كم من الاهميّة أعلّق على الفوز في هذه المباراة التي آمل فيها بأن أحوز على بهجة تقربيي الى قلبك العطوف وشملي برضاك الذي أعتبره غاية المنى.

أورْيال : أمّا أنا، يا مولاتي، فلست من هذا الرأي مطلقاً. وبما أني أعلنت دوماً إني غير ميّال الى الحبّ، فإن اهتمامي ينصرف الى ما لا يهدف إليه سواي. فأنا لا أبغي امتلاك قلبك لأن الفرح الوحيد الذي أرمي إليه في هذا السباق هو الغاية التي أسعى اليها كما قلت لك. (يغادرها وينصرف).

الاميرة : من أين أتى بكل هذا الشموخ البغيض الذي لم أكن لأنتظره. فيا أيتها الاميرات، ما رأيكنّ بمثل هذا الامير الغريب الأطوار ؟ هل لاحظتن بأيّة لهجة متعجرفة حدّثنا هذا المتشامخ ؟.

اكْلانْت : لا شكّ لدي أن في اعتداده بنفسه بعض التطرّف.

مورون : ما اروع الجزمة التي يلبسها في رجليه.

الاميرة : ألاَ ترى أنّ الأجدر به أن يُخفّف من حماسه وتفاخره وأن يراعي ظروف قلوب بنات حواء التي تجاوره ؟.

سينتي : بما أنكِ معتادة أن لا تتلقي إلّا عبارات الثناء والتقدير من أفواه الجميع حُقّ لك أن تندهشي من المديح الذي صدر عنه بدون مبالاة.

الاميرة : لا أخفي عنك أن حديثه قد ضايقني. وأني أتمنّى أن يتسنّى لي تذليل كبريائه وعجرفته. وكم وددت أن لا أشاهد هذا السباق، غير أني أُصرّ الآن على الذهاب خصّيصاً لحضوره، وأن أبذل كل جهودي لأثير عواطفه وأشواقه.

سينْتي : حذار، يا مولاتي، فالمهمّة خطيرة. إذ عند تحريك العواطف لا يسلم المرء من تحمُّل القسم الأكبر من فورة الشهوات ألتي تضطرب جذورها في أعماق الأنسان.

الأميرة : ارجوك أن لا تخشى أي طارئ. هيّا، أنا كفيلة بعدم المبالاة بأي تحريض كان.

الفاصل الثالث

المشهد الأول

مورون، وفيليس

مورون : هل تنوين، يا فيليس على البقاء هنا ؟.

فيليس : كلاّ. دعْني أرافق سائر الحاضرين.

مورون : تبًّا لك من قاسية. لو كانت تيرْسيس هي التي ترجوك أن تذهبي معها لقرّرت فوراً بقاءك هنا لمشاكستي.

فيليس : قد يجوز أن أفعل ذلك. وأنا موقنة بأني أُسَرّ بمرافقة هذا وذاك على السواء. لأني أرتاح الى صوتهما. بينما نقيقك كالضفادع يخدّش أذني. وحين تنشد مثل غيرك أعِدُك وعداً قاطعاً بأن أستمع إليك حتماً.

مورون : لا بدّ لك من المكوث ولو قليلاً.

فيليس : لا أستطيع.

مورون : أرجوك.

فيليس : لا، لا، أبداً.

مورون : لن أدعك تذهبين.

فيليس : ما هذا الكلام ؟.

مورون : لا أطلب منك إلاّ البقاء بصحبتي لحظةً.

فيليس : سأبقى معك، اذا وعدتني بتنفيذ أمرٍ ما.

مورون : ما هو ؟.
فيليس : أن لا تتكلّم بتاتاً.
مورون : ما هذا الطلب الغريب، يا فيليس ؟.
فيليس : وإلّا، لن أبقى بمعيّتك لحظة واحدة.
فيليس : هل تريدين أن ...
فيليس : دَعْني أتصرّف.
مورون : إبقي، فلن أنبس ببنت شفة.
فيليس : كن على حذر. ولدى أوّل كلمة تنطق بها سأفرّ هاربةً.
مورون (يأتي بحركة مسرحيّة) : كما تشائين، يا فيليس. آه منك. أتهربين، ولا يسعني أن أُمسك بكِ ؟ إسمعي جيداً ما أُقول لك : لو كنت أعرف الغناء لهان الأمر. فأغلب نساء اليوم يقعن في شراك الحب عن طريق السمْع. لذلك تراهنّ السبب في جعل الجميع يميلون الى الموسيقى، ولا يَلْقى أي رجل حيالهنّ ذرّة من الإعجاب إلّا بعد أن ينشد بعض الأشعار الغزلية بحضورهن. لذا أنا أنوي أن أتعلّم الغناء لأكون نظير غيري. ها هو ذا الرجل الذي أنتظره.

المشهد الثاني

ساتير، ومورون

ساتير : لا، لا، لا..
مورون : يا صديقي ساتير، هل تذكُر ما وعدتني به منذ زمن طويل ؟ أرجوك أن تُعلّمني الغناء.
ساتير : لا مانع عندي. لكنْ قبل ذلك أَنصِتْ الى هذه الأغنية التي ألّفتها منذ هنيهة.
مورون : هو معتاد على الإنشاد، ولا يسعه أن لا يتكلّم عن فنّ سواه. هيّا أَنشِدْ، وأنا كلّي آذان صاغية لسماعك.

ساتير : كنت أحمل ...
مورون : أنت تكلّمت عن أغنية.
ساتير : كنت أحمل ...
مورون : تبّا لك. أنشِدْ أغنيةً غراميّة.
ساتير : كنت أحمل في قفصٍ،
عصفورين التقطتهما،
عندما جعلتِ الصبيّة كلوريس
بعض الزهور تتلألأ
في إناء قاتم اللون،
وانعكس بريقها على محيّاها
لكن، يا للاسف، ذكرتُ عصفورَيْن
عندما وقعت عليهما لمحة من عينيها
فانبعث من لحظها سحر تسلّط عليهما
تعزّيا أيّها العصفوران الصغيران
فالذي التقطكما اضحى سجيناً مثلكما
لدى سماع زقزقتهما اللطيفة العذبة
أنشدا وعدّدا أوصاف جمال حبيبتي
أجل غنّوا جمعكم أيها العصافير
لأن آلامي المبرّحة قاتلة.
ولكن إذا ما غضبت هذه القاسية
عند سرد حكايتي الصادقة المواسية
التي تروي العذاب الذي أعانيه بسببها.
اسكتي، أيتها العصافير، وكفّي عن الإنشاد.
مورون : ما اروع هذه الأغنية، أرجوك أن تعلّمني إيّاها.
ساتير : لا، لا، لا..
مورون : لا، لا، لا.
ساتير : فا، فا، فا.
مورون : فا، فا. تبًّا لك أيها الغبي الأحمق.

الفصل الثالث

المشهد الأول

الاميرة، وأكْلانْت، وسينْتي، وفيليس

سينْتي : صحيح، يا مولاتي. هذا التصرّف قد أبرز مهارته غير العاديّة، والهندام الذي بدا فيه أدهش الجميع للغاية، إذْ كان الفائز في السباق. غير أني أشكّ كثيراً بأنح حصل على القلب الذي حلم بامتلاكه. لأنك جعلت من الصعب على ملامحه أن توضح تعابيرها، وبدون التطرّق الى سائر شؤونه. وكان لروعة رقصك وعذوبة صوتك الرخيم أثر بليغ يليّن أقسى القلوب.

الاميرة : ها هوذا يخاطب موورن، وسنطّلع منه، ولو قليلاً، على ما كانا يتداولانه هكذا باهتمام، دَعْهما يُكملان حديثهما، ولنسلك هذا الدرب كي نلاقيهما في الطرف الآخر من الطريق.

المشهد الثاني

أُوريال، وموورون، وأرْبات

أوريال : لا أُنكر أني ابتهجت جداً، وأنّ عينيَّ وأُذُنيَّ لم تستمتعا هكذا قبلاً مثل الآن. صحيح انها محبوبة في كل زمان ومكان، لكنها الاضن

فاقت كل ما تحلّت به في الماضي، وجمالها تعدّى جميع الحدود في الروعة والكمال. ولم يزهو محياها بمثل هذا اللون الوردي، ولا بدت عيناها بمثل هذا السحر الأخّاذ، ولا كان لنظراتها هذا التعبير البليغ. لقد ارتدّت عذوبة صوتها، طابعاً رخيماً كأنه صادر عن حنجرةِ ملاك جهوريّة تشدو بعظمة السماء وأمجاد الأرض. وها هي نبرات ألْفاظها الناعمة تخترق أعماق نفسي وتملأ شغاف قلبي المتيَّم بهواها. وإذا بحركاتها الرشيقة تتجاوب مع ما ينبض في عروقي من حماس وأشواق واندفاع نحو قدّها الأهيف وقامتها المتناسقة، كأنها منحوتة من رخام صافٍ تتفاعل جاذبيّتها ألْف مرة بين ضلوعي، لما فيها من قوّة لا تُقهَر، ترمي بقلبي ملوَّعاً عند قدميها، كما يجثو المتعبّد الخشوع أمام إلهة قديرة.

موورون : ارجوك أن تَحْذَرها، يا مولاي، اذا أردت أن تظلّ مالكا نفسك. فلقد اكتشفتُ مخلوقة أخرى، أعتقد أنها تناسبك أكثر منها. فالنساء في هذا العالم يشبهن الغزلان الغريبة الأطوار. إنْ دلّلناهنّ أفسدناهنّ بألطافنا. فيتمرّدن ويحاولن السيطرة على شعورنا، بينما يجب علينا نحن أن نتغلّب على كيدهنّ ونتحكّم بعواطفهنّ تماماً بعكس ما نظهره لهن من الاحترام والمسايرة كما يفعل سائر الرجال.

اربات : يا مولاي، ها هيذا الأميرة تبتعد عن حاشيتها وتتّجه نحونا.

موورون : كنْ حازماً وسِرْ بأقدام ثابتة في الدرب الذي تسلكه. وسأسمع قريباً ما ستقول هي لي : في هذه الأثناء تنزّه قليلاً في المماشي الخضراء المزهرة. وتظاهرْ بعدم الإكتراث لما في نفسك من رغبة الإجتماع بها. وإذا صادفتها أمكثْ معها أقلّ فترة ممكنة.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المشهد الثالث

الاميرة، ومورون

الاميرة : أنت صديق حميم، يا مورون، تربطك بأمير إيتاك أوثق العلاقات.

مورون : نعم، نحن على صلة قديمة، يا مولاتي، وتجمعنا مودّة وثيقة.

الاميرة : أخبرني، لماذا لم يأتِ الى هنا، وسلك طريقاً آخر حالما أبصرني ؟.

مورون : لأنه رجل غريب الأطوار، لا يرتضي إلّا الاكتفاء بأفكاره وآرائه.

الاميرة : هل بلغك ما أغدقه عليّ من الثناء منذ برهة ؟.

مورون : نعم، يا مولاتي، سمعته بأذني، ووجدته يخرج قليلاً عن المألوف بجسارته. فأرجوك أن تغضّي الطرف عنه، يا صاحبة السموّ.

الاميرة : أنا لا أخفي عنكَ، يا مورون، أن تهرّبه قد أزعجني وأنا أودّ من كل قلبي أن أتبادل الحديث وإياه، لكي أُخفّف قليلاً من تشامخه.

مورون : لن تكوني مخطئة، يا مولاتي، بل أجد أن تصرفك هكذا هو عين الصواب. لأنه يستحقّ الصدّ والجفاء. غير أني أكتمك أني أخشى أن لا يكون النجاح حليفك.

الاميرة : ماذا تقول ؟.

مورون : أقول إنه أقوى مكابر عنيد، وأسوأ مشاكس صلب العود، إذْ يُخيَّل إليه أنه الوحيد في هذه الدنيا يحوي كامل الصفات والخصال الحميدة.

الاميرة : على كل حال، ألَمْ يحدّثكَ عنّي ؟.

مورون : هو ؟ أبداً، يا مولاتي.

الاميرة : ألم يكلّمْك عن إعجابه بصوتي وبرقصي ؟.

مورون : على الإطلاق. لم ينطق بكلمة واحدة قط.

الاميرة : أجل، هذا ازدراء مزعج، وأنا لا أطيق تحمُّل مثل هذا المتشامخ المتجبّر الذي لا يعجبه العجب.

مورون : هو لا يقدّر ولا يحب إلّا نفسه.

الاميرة : سأفعل المستحيل لأُخضع عنفوانه لمشيئتي كما أشتهي.

مورون : لا تنسَيْ، يا مولاتي، أنّ ليس في جوارنا رجل قادر على الصمود أكثر منه.
الاميرة : ها هو يقترب منّا.
مورون : أُنظريه كيف يسير بدون أن ينتبه أو يلتفت إليك.
الاميرة : من فضلك، يا مورون، إذهبْ ونبهه الى وجودي ها هنا، واستدرجْه للمجيء اليّ.

المشهد الرابع

الاميرة، وأوريال، ومورون، وأرْبات

مورون : يا مولاي، جئت لأُعْلِمكَ أن كل الأمور تسير على ما يُرام. وها هي الأميرة تتمنّى عليك أن توافيها. ولكن، لا بدّ من أن تتابع القيام بدورك كما ينبغي، وخشية أن تنسى ما عزمت عليه، يجب أن لا تطيل وجودك معها.
الاميرة : اراكِ تحبّ العزلة هذه الأيام، يا مولاي. وهذا مزاج غير مأنوس منك، يا صاحب السموّ. إذ ليس من طبعك أن تتجنّب هكذا جنسنا اللطيف، وأن تتهرّب منه، وأنت في عمر الورود، تنعم بهذه اللياقة واللباقة والوسامة التي يحسدك الجميع عليها.
أُوريال : هذا المزاج، يا مولاتي، ليس في الحقيقة خارق العادة، وليس ممّا يعزّ وجوده في هذه الديار. فأرجوك أن لا تحكمي عليّ هكذا بقسوة، وتستائي من تفضيلي الوحدة أحياناً بدون أن تحسبي حساباً لعواطفك أنتِ أيضاً.
الأميرة : الفرق شاسع بين ما يليق بجنس النساء ؟ ولا يليق بجنس الرجال. أوَلاَ ترى أنّ من المستحسن أن تكون المرأة حسّاسة، وأن تحفظ طهارة قلبها من أدران الهوى وتَحْتَرس من الإحتراق بلهيبه. وأنت أدرى الناس

بأنّ الإباء والتمنّع في الواقع فضيلة تتحلّى بها المرأة، بينما يمسي نقيصة بل جرماً يصِم الرجل بالعار. وكما أن الجمال يزيّن جنسنا الناعم، ولا يجدر بنا أن نحبّ بدون أن نستحقّ ما نحبّذه من إكرام وتقدير، طبعاً بدون أن نسبّب إحراجاً نندم عليه ربما مدى العمر.

أوريال : أنا لا أرى، يا مولاتي، موجباً لإظهار أي اهتمام بالهوى من قِبَل من لا ترى أية فائدة في مثل هذا الحَرَج.

الاميرة : هذه ليست حجّة، يا مولاي. فأنا لا أرى من مانع أن تقتبل الحب من لا تريد أن تقع هي نفسها في شباك الهيام.

أوريال : من جهتي، لست من هذا الرأي بتاتاً. وفي وضعي أنا الذي لا أرغب في أن أكون مُحِبًّا، يُغيظني جداً أن أكون محبوباً.

الاميرة : وما السبب ؟

اوريال : علينا واجبات نحو من نحبّ، وأنا لا أقبل أن أكون عقوقاً.

الأميرة : وبما أنك ترفض أن تكون جاحداً؛ عليك إذاً أن تحبّ من يُحبّك.

أوريال : أنا، يا مولاتي، لا أقبل بذلك أبداً. أكرّر أني آبى أن أكون جاحداً أُنكر أيّ فضل عليّ، لكنّي أفضّل مع ذلك أن أكون عقوقاً على أن أحبّ أي شخص كان.

الاميرة : ربما أحَبَّكَ هذا الشخص، فهل يطاوعك قلبك أن ...

أوريال : كلاّ، يا مولاتي، ليس في الكون من يستطيع امتلاك قلبي. فحرّيّتي المطلقة هي السيدة الوحيدة التي تسيطر على مصيري. وعندما تمنّ السماء عليّ بمن يتجلّى فيها البهاء الكامل، وتُجسّد في نظري أروع نفس في أحلى جسد، ويتبيّن لي أنها تمثّل أصفى ذهن وأبرع مهارة وأرقى حُسْن، وأنّ هذه المخلوقة الحاوية كل الحنّيّة والرقّة واللطافة التي يمكن أن يتصوّرها الرجل، أعترف لك بكل صراحة أنني سأهواها بكل جوارحي.

الاميرة : وهل هذا مستطاع في دنيانا غير الكاملة ؟

موررون : تبًّا للتجبّر الوقح. كم أتمنى أن أُنزل به ضربة قاضية.

الاميرة (تكلّم ذاتها) : ما حيلتي بمثل هذا المتكبّر العنيد الذي لا أجد سبيلاً الى إذلال عنفوانه ؟

موورون (يخاطب الامير) : تشجّع، يا مولاي. فهذا أفضل ما نطقت به.
أوريال : آه، يا موورون، لم أعد أطيق صبراً، رغم كل الجهود التي أبذلها.
الاميرة : هذا يدلّ على فقدان الإحساس بشكل لم يسبق له مثيل. لأن حديثك تعدّى كل حدود المنطق السليم.
أوريال : ما حيلتي أنا، وقد جبلتني يد الباري من هذه الطينة الجافّة. لكن يا مولاتي، أود أن أقاطع نزهتك، لأني أشعر ضمناً بأنكِ بتٌّ تميلين مثلي الى الوحدة والانفراد.

المشهد الخامس

الاميرة، موورون، وفيليس، وتيرْسيس

موورون : هو لا يفوقك كثيراً، يا مولاتي، في مجال قسوة القلب.
الاميرة : أنا مستعدّة لأن أتنازل عن كل خيرات الدنيا، لكي انتصر عليه وأُذِلُّ كبرياءه.
موورون : أنا أُقدّر موقفك، يا مولاتي.
الاميرة : فهل لك، يا موورون، أن تساعدني على ذلك.
موورون : أنتِ على يقين، يا مولاتي، بأني دوماً في خدمتك.
الاميرة : كَلِّمْه اذاً عني في سياق أحاديثك، وامتدحْ له مهارتي، وبيّن له عراقة نسبي وحَسَبي، وحاول أن تهزّ عواطفه بأحلى الوعود والآمال. وأنا أسمح لك أن تقول ما يحلو لك للوصول الى حَمْلِه على النظر اليّ بعين الرضى والإعجاب.
موورون : دعيني أتصرفْ.
الاميرة : أنا مُصرّة على بلوغ أَرَبي في هذا الميدان. وأرجو بكل إلْحاح على إيقاعه في شراك حبي.
موورون : هذا اللعين في الحقيقة يحوي كل الصفات الحسنة. فهو وسيم

جذاب أنيق لبق يليق فعلاً بأحلى أميرة تمتاز بالجمال الرا ع والأخلاق الحميدة.

الاميرة : أخيراً يمكنك أن تأمل بالحصول على كل ما تطلبه مني، إذا وجدت سبيلاً الى جعل فؤاده يهيم بحبي.

مورون : ليس من أمر مستحيل على دهائي. لكن، يا مولاتي، إذا افترضنا أنْ أحبّكِ، قولي لي ماذا يكون موقفك إذ ذاك حياله ؟.

الاميرة : حينئذٍ سأبتهج وأتلذّذ بانتصاري عليه وإخضاع غرورة لمشيئتي، وأعاقبه على البرود الذي قابلني به، فأُذيقه طعم الجفاء والصدّ والقسوة التي ستخطر ببالي إزاء تجبّره وتمرّده عليّ أنا التي يتزاحم الجميع على نيل رضاي والحظوة في عينيّ.

مورون : كوني على يقين، يا مولاتي، بأنه لن يستسلم بسهولة.

الاميرة : آه، يا مورون، لا بدّ من اخضاعه لإرادتي، لا بدّ.

مورون : لا، لا. هذا غير ممكن. فأنا أعرفه حق المعرفة، وأعتقد أن كل المساعي في هذا السبيل ستذهب هباءً منثوراً في مهبّ الرياح.

الاميرة : علينا أن نحاول بكل الوسائل ان نصل الى مبتغانا. وسنرى ان كان قلبه قد قُدَّ من الصخر الأصمّ. هيَّا، أنا أودّ أن أخاطبه وأن أحاول تحقيق خطةٍ فعّالة خطرت الآن ببالي.

الفاصل الرابع

فيليس، وتيرسي

فيليس : تعالي، يا تيرْسي. ها هما ذاهبان. والآن أخبريني عما يعذب قلبك. منذ مدة طويلة أرى في عينيكِ ما تريدين أن تصارحيني به، وأنا كلّي آذان صاغية لسماعك.

تيرسي (تنشد) : أنتِ الآن تستمعين إليّ
والحزن يسحق فؤادي
أجل قلبي غير مطمئنّ
يا أحلى حلوات زماني.
ها أنا أُوصل صوتي الى اذنيْكِ
بدون أن أتمكن من دخول قلبَكِ

فيليس : هيّا أكملي. لقد بلغ غناؤك مسمعي، وهذا ليس بالأمر اليسير. وها هي الأيام تمهّد السبل لحصول المعجزة. فانشيدين شكواكِ ونجواكِ وما يُخالج فؤادك من شجون وهموم.

المشهد الثاني

مورون، وفيليس، وتيرْسي

مورون : ها قد أمسكتُ بخناقكِ، أيتها المحتالة. أنت تبتعدين عن الجماعة لتستمعي الى ما ينشده خصمي ومنافسي.

فيليس : نعم، ابتعدت لهذه الغاية. وأعترف لك مرة اخرى بأني أُسَرُّ بصحبته. وكم يلذّ لي سماع شكوى العشاق المتيّمين حين يُعلنون هموم غرامهم بهذه الفصاحة والصراحة. فلماذا لا تُغنّي أنت مثله لكي أُصغي اليك بشوق فائق ؟.

مورون : واذا كنتُ لأ أحسن الغناء؛ فأنا أُتقن فنًّا آخر. وحين ...

فيليس : أُصمتْ، أريد أن أُنصِت الآن اليها هي. قولي لي، يا تيرْسي، ما تشائين أن تُسمْعيني إياه.

مورون : آه منك، يا قاسية.

فيليس : قلت لكَ أُسْكُتْ، أو أستاء منكَ وأحنق عليكَ.

تيرْسي : أيتها الاشجار العارية، وأنتِ أيتها البراري الجرداء،

برد الشتاء قد جرّدك من كل ثيابك الخضراء.

لكن الربيع لن يلبث أن يعود، ويكسوك زهواً وبهاءً.

إنّما نفسي الحزينة ستظل محرومة من البهجة والهناء

لأن حبيبي هجرني وكاد أن يسفك مني الدماء.

مورون : تبًّا لي أنا المحروم من الصوت البديع. لماذا بخلت عليّ أيتها الطبيعة القاسية بصوت حنون أعبّر فيه عن أساي، كما يفعل سائر المحبين ؟.

فيليس : في الحقيقة، يا تيرْسي، ليس أروع من التغلّب على جميع اخصامكَ.

مورون : لكن، لماذا لا أستطيع الغناء ؟ أَوَلَيْسَ لي من روايا، ومن حنجرة، ومن لسان كسائر المخلوقات ؟ أجل، أجل. هيّا، أُريد أن أُنشد أنا أيضاً، وأبرهن لكِ أنّ الحب يجترح المعجزات. ها هيذا أغنية أَلّفتها لأجلك.

فيليس : هيّا، أسمعني ألحانك. أودّ أن أُشنّف أُذُنيَّ بصوتك الذي قلّ أن يصدح بأنغام الهوى والشباب.

مورون : عليّ إذاً أن أتشجّع. وعليكِ أنتِ أن تعتصمي بالصبر الجميل.
مورون (يُنشُد) :
تسلّطكِ على قلبي
يرهق إحساسي
آه، يا فيليس، حبك أرهق أنفاسي
فتنازلي الى مواساتي. لكن،
هل تقوَيْن إلاّ على سلبي
نعمة الحياة من بين ضلوعي ؟
ألاَ حيّي معي، أنا مورون، إنشادي هذا الذي يُحاكي شدْوَ البلبل الصدّاح.
فيليس : هذا أفضل ما سمعتْه أُذُناي. ولكن، يا مورون، كم أفضّل التغنّي بفضائلي على أن يموت شخص في سبيل غرامي. فهذه حَسَنَة لم أتمتع بمثلها حتى الآن. وأنا أشعر في أعماق روحي بأني أُحبّ أيّ انسان يرتضي الموت في سبيلِ هواي.
مورون : هل حقًّا تحبّين أي شخص يموت في سبيل هيامه بك ؟.
فيليس : نعم. وما الغرابة في ذلك ؟.
مورون : وهل هذا شرط أساسي لكي ينال إعجابك ؟.
فيليس : كلاّ..
مورون : هذا قول يريح ضمير السذّج فقط. وسأبرهن لك أني أعرف كيف أموت عندما أشاء أنا، لا حين يشتهي لي ذلك سواي.
تيرسي (تنشد) : ما هذه الحلاوة الجارحة، الكامنة في موتٍ يرضي الحبيب ؟
مورون : ارجوك أن تهتمّي بما يعنيك، وأن تَدَعيني أقتل نفسي على هواي كما يحلو لي. هيّا، أريد أن أفوق كافّة العشاق. فأنا لست من أُولئك الذين يتكلّفون ويتصنّعون. أُنظري الى هذا الخنجر المرهف الحدَّيْن. كيف سأغرزه في صدري (يسخر من تيرسي). أنا خادمك الأمين : تبًّا لغباوتي وحماقتي.
فيليس : هيا يا تيرْسي. تعالَيْ واشرحي لي ما غنّيْتِ لي من أقوال، لأني لم أفهم تماماً ما ترمين اليه.

الفصل الرابع

المشهد الأول

أوريال، والاميرة، ومورون.

الأميرة : أيها الأمير، كم بدا منّا حتى الاضن من التوافق في عواطفنا ؟ كأن السماء شاءت ان تزيد تعلّقنا بحريتنا، ونفورنا الشديد من الحبّ. فأنا مرتاحة لأنْ أفتح قلبي وأبوح لك بسرٍّ تبدّل ميلي الذي سيفاجئك. لقد نظرت دوماً الى الزواج كنير ثقيل مرهق، وأقسمت أن أغادر هذه الحياة، بدون أن أتنازل عن حرّيتي المطلقة. ولكن مرّت بي لحظة عجيبة حملتني على الاستغناء عن هذه الحرية العزيزة لقاء حنان لم أكن أرجوه. والفضل يعود في ذلك الى الأمير الذي فتح اليوم عينيَّ على حقيقة كنت أجهلها. فحدثت المعجزة وأصبحتُ مرهفة الحسّ إزاء ما يحفظه لي من العواطف النبيلة التي كنت أزدري بها. لقد وجدت أسباباً كي أسمح لنفسي بهذا التغيير المباغت، ويمكنني أن أدعمها بالرغبة في استجابتي التماس أبي، وأُمنيّةِ دولةٍ بكاملها. لكني في الحقيقة مستاءة من الحُكْم الذي أصدرته بحق ذاتي، وأودّ أن أعرف إذا كنت أنت تدين أو لا تحبذ الزواج هكذا.

أوريال : يسعكِ أن تختاري من تشائين، يا مولاتي. وأنا أوافق على قرارك بدون أيّ تردّد.

الاميرة : بمن تنصحني اذاً ان يقع عليه اختياري ؟.

أوريال : لو كنت داخل قلبك، لكنت أرشدتك الى من ؟ غير أني لست فيه ولا أستطيع أن أشور عليك.

الاميرة : يسعك أن تحزر، وتسمّي لي من تراه مناسباً.

أوريال : أخشى كثيراً أن أُخطئ في ذكْر الشخص المرغوب.

الاميرة : على كل حال، من تتمنّى أن أعلن عن تفضيلي إياه كعريس أحلامي ؟.

أوريال : أنا أعرف جيداً في الواقع، من أتمنى أن يكون هذا العريس. ولكني قبل أن أُسمّيه، أودّ أن أعرف رأيك.

الاميرة : لا مانع عندي، أيها الامير، من إعلانه لك. وأنا واثقة بأنك ستوافق على اختياري. ولكي لا أدعك تنتظر اكثر مما فعلت، أقول لك بصراحة إنّ أمير ميسان هو الذي يستحقّ أن يكون بطل أحلامي.

أوريال : يا إلهي.

الاميرة (بصوت خافت) : لقد نجح ابتكاري هذا كل النجاح، يا مورون، وها هو مضطرب النفس.

مورون (يخاطب الأميرة) : حَسَن، يا مولاتي. (يخاطب الأمير) : تشجّع، أيها الامير. (يخاطب الاميرة) : لقد وقع صاحبنا في الفخّ. (يخاطب الأمير(: لا تكترثْ لهذا الأمر.

الأميرة : ألَا ترى أن الحق الى جانبي ؟ وأن هذا الأمير يستحق مثل هذا الإختيار.

مورون (يخاطب الأمير) : استفقْ من ذهولك، يا صاح، وفكّر في الجواب. ماذا دعاك، أيها الامير، الى هذا السكوت التام ؟ أراك في غاية الدهشة.

أوريال : في الحقيقة جاءت المباغتة مذهلة، يا مولاتي. وأنا أتساءل كيف خَلَقَت السماء كائنَيْن متشابهَيْن في كل النواحي نظيرنا، وعواطفنا متطابقة، وقرارنا يتحدّى سلطان الحب، وفي الوقت عينه نبدي كلانا سهولة غير منتظرة للوصول الى نتيجة واحدة محيّرة. لأني، يا مولاتي، ومثالك يسمح لي بهذا التصريح المدهش، إذ لا أُخفي عنك أن الهوى ملك اليوم فؤادي، وأن إحدى جاراتك الأميرة، أعني الحسناء أَكْلانْت قد ملأت فراغ قلبي،

وأضحت محجّة آمالي وقبلة امنياتي. أنا سعيد، يا مولاتي، بمثل هذه المعادلة بيني وبينك في تبديل أفكارنا. ولم يعد لديّ أدنى شكٌ في صواب اختيارك الجدّي، كما ارتحتِ أنت أيضاً الى اختياري الملائم. ولا بدّ لهذه المعجزة من أن تظهر للملأ، لأنها غمرت قلبينا معاً بالفرح والسرور. فأنا أتمنّى، يا مولاتي، أن تكوني راضية على من ستصبح من نصيبي وشريكة حياتي، وأن تسمحي لي بالذهاب الى والدك الأمير لطلب يدها منه.

مورون : ما أنبل شهامتك، وما أطيب قلبك الكريم.

المشهد الثاني

الاميرة، ومورون

الاميرة : آه، يا مورون، لم أعد أتحمّل أكثر من هذا. فالضربة التي لم أكن أتوقّعها قد تغلّبت كليًّا على صمودي وإصراري المعهود.

مورون : لا أنكر أن هذا النبأ فاجأني، وقد اعتقدت أن خطّتك قد نجحت تماماً.

الاميرة : لقد حدث هذا التباين حقاً بعكس كل ما توقّعته. ولا أُصدّق ان صبيّةً غيري قد ظفرت بحبّه الذي كنت أنا أنوي امتلاكه.

المشهد الثالث

الاميرة، وأَكْلانْت، ومورون

الاميرة : لي عندك رجاء، أيتها الأميرة أكْلانْت، ولا بدّ ن أن تستجيبيه إكراماً لي. أمير إيتاك يحبّك ويريد أن يطلب يدك من والدي الأمير.

أكْلانْت : هل ذكرتِ أمير إيتاك، يا مولاتي ؟.

الأميرة : نعم. هو بذاته أكّد لي أمنيته هذه، وقد سألني أن أساعده على تحقيق رجائه. غير أني ألتمس منك أن ترفضي هذا الطلب، وأن لا تُصْغي الى ما يمكنه أن يقوله في موضوع كهذا.
أكْلانْت : لكن، يا مولاتي، إن كان صحيحاً ما يريده هذا الأمير، وأنه يحبّني حقيقةً، لماذا تطلبين مني أن أُخيّب أمله ؟
الاميرة : لا، يا أكْلانْت. أنا ألتمس منك هذه المنّة، وأرجوك أن تلبّي رجائي. واعلمي أني بسبب رفضه حبّي، أُصرّ على حرمانه من تحقيق أعزّ أمانيه، وهي أن تُزفّي إليه.
أكْلانت : يا مولاتي، عليّ أن أطيع أمرك. لكني أعتقد أن امتلاك قلبٍ كهذا سعادة لا يسعنا أن نرفضها، ولا نبالي بها.

المشهد الرابع

أريستومان، ومورون، والاميرة، وأكْلانْت

اريستومان : يا مولاتي، جئت أشكركِ على رغبتك في مساندة ميلي وشعوري وعدم رضاك على مسايرة منافستي، وأنا أطوع من بنانك، إذْ ألتمس مباركتك أغلى أمنياتي.
الاميرة : ماذا تقول ؟ أَوْضِحْ.
اريستومان : أمير إيتاك، يا مولاتي، أكد لي منذ برهة انك تعطّفت وأعلنتِ عن اختيار عريسك المرتقب الذي مال اليه قلبك بين شبّان سائر أنحاء بلاد الإغريق.
الاميرة : وهل ذكر لك أني أنا قد أخبرته بذلك ؟.
اريستومان : نعم، يا مولاتي.
الاميرة : هو شاب طائش. وأنت تسرّعتَ، أيها الامير، في تصديق النبأ الذي نقله اليك. يبدو لي أن تصديق مثل هذا الخبر يتطلّب التريُّث بعض

الوقت للتثبُّت من صحته، كما يجدر بك أن تفعل حتى إن سمعته من فمي أنا بالذات.

اريستومان : يا مولاتي، إن كنتُ حقًّا تسرّعت في تصديقه ...

الاميرة : من فضلك، أيها الأمير، لنكفّ حالاً عن مواصلة النقاش، واذا شئت أن تُسدي إليّ معروفاً، أرجوك أن تسمح لي بدقيقتَيْن أخلو أثناءهما بنفسي منفردةً في التأمُّل بهذا الموضوع الخطير.

المشهد الخامس

الاميرة، وأكْلانْت، وموروں

الاميرة : ما أغرب هذه المغامرة. وكم تعاملني السماء بصرامة محزنة. على الأقلّ تذكّري، أيتها الأميرة أكْلانْت، ما رجوته منك في هذه القضية بالذات.

أكْلانْت : كما قلت لك سابقاً، يا مولاتي، عليك أن تسايري الظروف.

مورون : لكن، يا مولاتي، لو كان هذا الأمير يهواكِ، لما قبلت أنا به. ومع ذلك لا تريدين أن يكون لسواكِ. ألاَ تجدين هذا غير معقول على الإطلاق ؟.

الاميرة : كلاّ، لا أُطيق أن يكون خصمي هذا سعيداً بصحبة امرأة غيري. ولو تحقّق هذا الزفاف، لَمُتُّ قهراً وكمداً.

مورون : لا بدّ من الرضوخ للامر الواقع، يا مولاتي. فقد كنت تودّين أن يصبح شريك حياتك. وفي جميع تصرفاتك حياله ليس من الصعب أن نلاحظ ما كنتِ تحفظينه لهذا الرجل من الحب السافر رغم محاولتك إخفاءه بدون جدوى.

الاميرة : أأنا أحبّه ؟ يا الهي. أأنا أهواه ؟ كيف بلغت بك الوقاحة الى التلفّظ بهذه الكلمات المغضبة ؟ هيَّا أُغرب من وجهي أيها المستهتر، ولا تُرِني صورة وجهك بعد الآن..

مورون : يا مولاتي ...

الاميرة : قلت لك : إنسحبْ من هنا فوراً. وإلّا أجبرتك على اخلاء هذا المكان بطريقة اخرى.

مورون : لقد وصلني حقّي. وأنا أستحقّ اكثر من ... (يلتقي نظره بنظر الاميرة فيضطر الى الانسحاب).

المشهد السادس

الاميرة

الاميرة : ما هذا الإحساس المجهول الذي يغمر قلبي ؟ وما هذا الإضطراب الخفي الذي يُقلق طمأنينة نفسي ؟ أَوَلاَ يكون صحيحاً ما قيل لي منذ لحظة، وبدون أن أكون على علم به، إن هذا الأمير الشاب ليس من نصيبي ؟ آه، لو كان الأمر حقيقة ملموسة، لتبيّن لي أني لا أستطيع أن أُحبّه مطلقاً. وهل يسعني أن أرتكب مثل هذه الحماقة ؟ لقد أبصرتُ معظم شبان الدنيا يجثون عند قدميَّ بكل خضوع وامتثال، ويقدّمون لشخصي جزيل الاحترام والتبجيل والإذعان، ولم يتوصّلوا الى التأثير على فؤادي. هكذا فاز إبائي وازدرائي، واحتقرت كل من أحبّوني. بينما أنا أحب الرجل الوحيد الذي يحتقرني. لا، لا، أنا أعرف جيّداً أني لا أُحبّه، وليس لدي من حجّة لنبذه. وما أشعر به الآن ليس حباً. فما هو إذا ؟ ومن أين أتاني هذا السمّ الزعاف الذي يجري في عروقي بسرعة، ولا يدعني أرتاح لحظة واحدة ؟ أُخْرُجْ من قلبي أيّاً كنت، أيها العدو اللدود المتنكّر بمظهر الصديق المخلص. جابهْني علناً، وإن كنت في نظري أفظع وحش مفترس يتسلّط على غابات الدنيا بأسرها. فتخلّصني منك أشواكي وسهامي الفتّاكة. وانتم، أيها الأحبّاء، يا من تستحقّون كل إعجاب على حلاوة أناشيدكم التي، بما تحويه من سحر، تُلَطِّف أصخب الإضطرابات والمشاغبات. إقتربوا مني، من فضلكم، واجتهدوا أن تُدخلوا البهجة والمرح الى صدري الذي ضاقت به الأحزان وسحقه الهمّ والقلق.

الفاصل الخامس

كاليمان، وفيليس

كاليمان : قولي لي، يا فيليس، ماذا يعني الحب ؟.

فيليس : ماذا تعرفين أنت عنه، يا صديقتي العزيزة ؟.

كاليمان : قيل لي إنّ لهيبه أفتك من براثن الصقر والباشق، وإنّ عذابه آلم من أيّ كارثة مفجعة.

فيليس : أمّا أنا فقد قيل لي إنه أسمى عاطفة في الوجود، وإن الحياة بدون حبّ هي شكل من أشكال الموت.

كاليمان : فأي هذين التفسيرَيْن علينا أن نصدّق ونتّبع في حياتنا ؟.

من نصدّق ؟ وفي أيٍّ من الاثنين علينا أن نتوسّم خيراً أوْ شرّاً.

كاليمان وفيليس معاً : الحب هو السبيل الأصح، ومنه يتبيّن ما علينا أن نصدّق.

فيليس : ها هي « كلوريس » تنشد الحب في كل مكان، وتشيد بمآثره التي لا تُحْصَى.

كاليمان : بينما « أمارانْت » تزرف عليه الدمع أسفاً في كل مكان وزمان.

فيليس : اذا كان الحب مصدر كل هذه المشاكل والأحزان، لماذا لا يُحجم الجميع ع ن التعلّق به والتسليم لأهوائه.

كاليمان : اذا كان دِفْئه، يا فيليس، حافلاً بكل هذه الحسنات، لماذا يُحرَّم علينا مذاق عذوبته المستساغة ؟.

فيليس : لأيٍّ منهما علينا أن نميل ؟.

كاليمان : ماذا علينا أن نختار ؟ أشرّه أمْ خيره ؟ : كلتاهما معاً : الحبّ هو السبيل الأصحّ.
ومنه نتبيّن ما علينا أن نُصدِّق.

الاميرة (وهي تقاطعهما، تقول لهما) : تابعا السير وحدكما اذا شئتما. فأنا لا يتيسّر لي أن أرتاح هنا. ومهما كانت أناشيدكما حُلْوَة، فلا يسعها إلاَّ أن تضاعف قلقي وهمي.

الفصل الخامس

المشهد الأول

الامير، وأوريال، وموررون، وأكْلانْت، وسينْتي

موررون : أجل، يا مولاي، هذا لم يعد مزاحاً. فقد أُقصِيتُ عن مكانتي لديه، وكان عليّ أن أتدارك تدهوري بأسرع ما يمكن. ولا سبيل الآن لي الى رؤية أحد يتشفّى بإخفاقي نظيرة في تحقيق آمالي.

الاميرة : كم أنا مدين لهذه الحيلة الغرامية، أيها الامير، فقد كشفتْ لنا سرّ التأثير على قلبه وعواطفه.

أوريال : مهما قيل لكِ، يا مولاتي، أَجْرؤ أنا أن آمل بتحقيق هذا الحلم الجميل. لكن، إذا كان ذلك يُعَدّ مني جسارة زائدة في تمنّي الحصول على سعادة هذا الزواج، وإن كانت شخصيتي ودولتي ...

الاميرة : دَعْنا من الدخول في متاهات هذا المشروع، أيها الامير. فأنا أجد في شخصك ما ستجيب أمنيات أبٍ نظيرك. ولو كنت تمتلك قلب ابنتي، لما خانك الحظ في هذا الوجود.

المشهد الثاني

الاميرة، والامير، وأوريال، وأُكْلانْت، وسينْتي، ومورون

الاميرة : عجباً. ماذا أُبصر هنا ؟.

الامير، نعم، ثمن زفافكما باهظ جداً. وأنا مستعد بكل طيبة خاطر لتلبية كل ما تحتاج اليه من طلبات.

الاميرة : إني أجثو عند قدميك، يا مولاي، لألْتمس منك منّةً. فقد عوّدتني دائماً على سماحة حنوّك الفائق. وأعتقد أني مدينة لك بالكثير من الألطاف التي جدت بها عليّ بدون حساب. وإذا كنت يوماً حفظت لي بعض المودّة، فأنا أرجوك اليوم أن لا تحرمني من حاجةٍ عزيزة على قلبي، وهي أن لا تصغي بتاتاً، يا مولاي، الى طلب هذا الأمير، وأن لا تمنحه يد ابنتك أُكْلانْت لتصبح شريكة حياة خصمي.

الامير : ولأيّ سبب، يا ابنتي، أنت تريدين أن تمنعي هذا الزفاف ؟.

الاميرة : لا لسبب إلّا لأني أكره هذا الأمير، وأريد، إن استطعتُ أن أُلْغي مشروعه هذا البغيض.

الامير : هل تكرهينه الى هذا الحدّ، يا ابنتي ؟.

الاميرة : لقد بالغ في احتقاري.

الامير : كيف ؟.

الاميرة : لم يجدني جديرة بحصر أمنيته في الإقتران بي.

الامير : وبماذا أغاظك تصرّفه هذا ؟ وأيّة إهانة تجدينها في هذا التفضيل الذي يحقّ له ؟.

الأميرة : هكذا احتقرني ولم يحبّني كغيره من الشبان. كان عليه أن يهواني وأن يترك لي الحق بأن أرفضه. فإنّ اختياره الآن سواي ليس إلّا ازدراء سافر بكرامتي، وإهانة موجّهة الى شخصي بإغفاله اياي على هذا النحو من الاهمال. الأمر الذي يُلحق بي العار، وقد اختار من بلاطك بالذات صبيّة أخرى لتُزفّ اليه وتصبح رفيقة عمره.

الامير : وأي سوء ينوبك من جراء ذلك ؟.

الاميرة : أنا أنوي، يا مولاي، وأُصرّ على الانتقام منه بسبب عدم إكتراثه لي. وبما أني أعرف جيداً أنه يهيم بحبّ أكْلانْت، أريد أن أحول دون إتمام هذا الزواج، إنْ شئتَ، يا مولاي الكريم، لكي أحرمه التنعّم بحب صبيّةٍ غيري.

الامير : وهل تلحّين على بلوغ مرامك ؟.

الاميرة : نعم، يا مولاي، بكل تأكيد. واذا تسنّى له الحصول على ما يتوق اليه ستراني أموتي كمداً أمام عينيك.

الامير : هيا، يا ابنتي، اعترفي هنا بفضلٍ خطير، وهو أن هذا الامير قد فتح عينيك على حقيقة ناصعة ملموسة وهي أنك تحبينه رغم إنكارك هذا الواقع الأكيد.

الاميرة : أنا، يا مولاي ...

الامير : نعم، أنت تهوينه.

الاميرة : أتقول إني أهوى ؟ هل أنت حقاً تلصق بي هذه التهمة الباطلة ؟ يا إلهي، تبًّا لحظي العاثر. وهل يسعني أن أسمع هذا القول المغلوط بدون أن أموت قهراً ومذلّةً ؟ هل كُتِبَ عليّ أن أتدهور الى هذه الوهدة من الشقاء بما تتهمني به من حبّ هذا الإنسان الغريب الأطوار الذي طالما ازدرى به وتجاهل وجودي. لو كان شخص آخر سواك، يا مولاي، يتّهمني بأنّي أحبّه، لعرفت كيف أجابهه وأُجبره على التراجع عن تصريح غير الصحيح.

الامير : نعم، يا ابنتي، أُؤَكّد لك أنك لا تحبينه بل تكرهينه من كل قلبك. ومن جهة أخرى ترينني موافقاً على التماسك، وفي سبيل إرضائك، أرفض أن أزف اليه ابنة عمك الأميرة أكْلانْت.

الاميرة : يا إلهي، ها أنتَ قد رددت اليّ حياتي، يا مولاي.

الامير : ولكي أطْمَئِنّ أنا وأُطَمْئِنك أنت أيضاً الى أنه لن يقترن بها أبداً، ها أنا أُصرّ على زفّك أنتِ بالذات اليه.

الاميرة : هل تسخر مني، يا مولاي ؟ إنّ هذا الحلّ ليس ما يطلبه الأمير المخالف ويتلهّف الى تحقيقه سريعاً.

أوريال : اعذريني، يا مولاتي، على قلّة لباقتي في هذا الموضوع، وأنا أستشهد

بقول والدك الأمير في هذه اللحظة، لأني لم أطلب يدك في الماضي لتكوني شريكة حياتي. فإصرارك على موقفك الخاطئ غير مقبول. عليك أن تنزعي القناع عن وجهك، وأن تُظهري شعورك الحقيقي الذي استشفه من خلال نفورك ورفضك. وإن أردتُ أن أقدّم برهاناً لا يناسبني، سأكشفُ لعينَيْك حقيقة ميل قلبي، فأُعلن الآن صراحةً أني حتى هذه اللحظة لم أعشق صبيّة سواك: فأنت، يا مولاتي، تتهمينني بأني لا أهواك. وأنا لا أُنكر أنّ كل ما أظهرته لك من عواطفي كان مخالفاً تماماً لواقعي، وقد أوحى به اليّ إحساس خفي إتّبعته بطريقة صارمة لا تخطر ببال إنسان معتدل. وكان لهذه الخطّة ان تتوقف حتماً بدون شك، وأنا أعجب لدوامها مدّة وجيزة فقط. لأني في الحقيقة كدت أموت غماً، وكاد قنوطي من صدّك يقضي على حلمي الغالي، بالإقتران بك يوماً ما. ثم إن ما كنت أبذله من جهد لكبْت شعوري الحقيقي نحوك. فإنْ غاظك هذا الكتمان، يا مولاتي، فأنا مستعد أن أموت هذه الساعة في سبيل الإنتقام لكرامتك من عنادي المتجبّر. فما عليك إلّا أن تصدري قرارك جدّيّاً، وأنا فوراً يسرّني أن أُنفّذ حالاً حكمك الذي تعلنينه بحقّي لتعاقبيني.

الاميرة : لا، لا، أيها الامير. أنا لست مستاءة، لأنك عاكست رغبتي. وكم أنا مسرورة، لعلمي أن ما كان منك هو تصنُّع محض، ما دامت الحقيقة لا تختلف عما أحلم به أنا أيضاً وهو الاقتران بك.

الامير : اذاً، إتفقنا، يا ابنتي، على قبولك بهذا الأمير زوجاً لك.

الاميرة : أنا لا أعلم حتى هذه اللحظة، ماذا أريد فعلاً، يا مولاي. فامنحني مهلة وجيزة لأفكّر مليًّا في الامر، وأرجوك أن تساعدني هكذا على جلاء الفوضى التي تعصف في رأسي علّني أرى بوضوح ما يجب عليّ أن أفعل بغية أن لا أندم في المستقبل على تصرفي المتسرّع.

الامير : عليك أن تستنتج، أيها الأمير، ما يعني هذا الكلام، وأن تبني عليه ما عليك بالتالي أن تفعله لحلّ هذه المشكلة الأساسية.

أوريال : سأنتظركِ، يا سيدتي، مدى ما تحتاجين اليه من الوقت لكي تتّخذي قرارك النهائي في تحديد مصيري الذي أضعه أمانةً بين يديكِ، حتى إن

حكمتِ عليّ بالأعدام. فأنا مستعد ان أقبله وانفّذه بدون أي إعتراض.
الأمير : تعال، يا مورون، هذا يوم الحسْم، وأنا على أتم الاتفاق والحبيبَيْن.
مورون : يا مولاي، سأكون أفضل ناصح في المرة القادمة، وسأحرص على عدم إبداء رأيي في مثل هذا الموقف الحرج.

المشهد الثالث

أريستومان، وثيوكْل، والامير، والاميرة، وأكْلانت، وسينتي، ومورون

الاميرة : اخشى، أيها الامير، أن لا يكون لصالحك اختيارك ابنتي كعروسك. ولكن هاتَيْن الاميرتين يسعهما أن يُعزّيانك وينسيانك هذا الإخفاق الطفيف.
اريستومان : نحن نعرف جيداً كيف نختار ما يلائمنا، يا مولاي. وإذا كانت هاتان الأميرتان اللطيفتان لا تكرهان الشابّين، اللذين اختاراهما، يمكننا أن نعود اليك لعقد زفافيهما السعيدين اللذَيْن يصبوان اليهما.

المشهد الرابع

فيليس، وأريستومان، وثيوكل، والأمير

فيليس : يا مولاي، أعلَنَتِ الإلهة فينوس منذ لحظة مباركتها بكل وضوح أمر تغيير ميل الأميرة في موضوع الحب والزواج. ها هم كافّة الرعيان والراعيات يظهرون بهذه المناسبة البهيجة فرحهم بالرقص والغناء. وإذا كنت لا تكره هذا المشهد السارّ سترى الفرح يعمّ الجميع في سائر أنحاء البلاد.

الفاصل السادس

تدور حلقات الرقص بين الرعيان والراعيات وترتفع الأصوات بانغام هذا النشيد :

تصرّفنَ بحكمة أيتها الرائعات المتباهيات
بسحر البهاء وقوّة الجاذبية في عيون الحسان
أُحْبِبْنَ، أيتها الراعيات
فقلوبنا مفتوحة للهوى
ومهما كان الانسان جبّاراً
لا بدّ من أن تسري جهاراً
بين ضلوعه نسمات الهيام
فتستسلم المهج لسلطان الغرام
فكّروا أيها المحبّون، باكراً واقصدوا
ان تتبعوا الدروب المتبعة واطردوا
آفة التردّد منذ البدء فيبزغ فجر الحب
ومهما كان المرء جباراً
لا بدّ من أن تسري جهاراً
بين ضلوعه نسمات الهيام
فتستسلم المهج لسلطان الغرام.

(تمّت)

ترتُوف

أشخاص المسرحية

السيدة بَرْنال : والدة أُورْكون.
أُورْكون : زوج أَلْمير.
أَلْمير : زوجة أورْكون.
داميس : إبن أُورْكون.
مرْيان : إبنة أُورْكون، وحبيبة فالير.
فالير : حبيب مرْيان.
كليانْت : زوج أخت أُورْكان.
تَرْتوف : منافق يتظاهر بالتقوى.
دُورين : مرافقة مرْيان.
لُوَيّال }
ضابط أمن } : رقيب في الجيش.
فليبوت : خادمة السيدة بَرْنال.

الأحداث تجري في باريس

الفصل الأول

المشهد الأول

السيدة بَرْنال، وفليبوت خادمتها، وأَلْمير، ومرْيان، ودورين، وداميس، وكليانْت

السيدة بَرْنال : هيا، يا فليبوت، نتخلّص منهم.

أَلْمير : أراكِ تسرعين الخطى بصورة لا تمكّنني من تتبُّع سيرك.

السيدة بَرْنال : دعكِ من المجاهَدَة، يا كنّتي، ولا ترافقيني أكثر ممّا فعلتِ، فلستُ بحاجة اليكِ.

أَلْمير : عليّ واجب لا بدّ لي من تأديتخ نحوك. ولكن، يا أمي، لماذا تخرجين هكذا باكراً ؟.

السيدة بَرْنال : لا يسعني ان أتحمّل كل هذه المشاكل. اذ لا أحد يهتم براحتي. وها أنا أُغادرك غير مسرورة، لأني في كل القصص أراني مغبونة، ولا يحترمني أحد، ما دام الجميع يتكلّمون هنا بصوت عالٍ والفوضى ضاربة أطنابها عندنا.

دُورين : إذا ...

السيدة بَرْنال : أنتِ، يا صديقتي، ابنة تابعة غير متبوعة. ولسانك الطويل يَنِمّ عن وقاحتك، وتتدخّلين كثيراً بما لا يعنيكِ، لمجرّد فرض رأيك.

داميس : ولكن ....

السيدة بَرْنال :أنتَ، يا ابني، شاب أحمق. وأنا جدّتك لا أتردّد في مصارحتك بذلك. لقد نبّهتُ والدك ألف مرة الى إنك تتّخذ دائماً موقف الولد المزعج. وهكذا لا ينوبه منك سوى وجع الرأس والعذاب.

مرْيان : أظنّ ...

السيدة بَرْنال : يا إلهي، كم أنتِ مسالمة، وكم أنتِ لطيفة. لكنك لا تتوفّقين في إصابة هدفك. ليتك تتذكّرين هول المآسي التي تنطوي عليها المياه الهادئة. وهكذا تتصرّفين بطريقة اعتباطيّة لا تؤمَن عقباها.

ألْمير : لكن، يا أمّاه ...

السيدة بَرْنال : لا، لا تستائي، يا كنّتي. فإن تصرفك غير سليم، وعليك ان تكوني في نظر أهلك قدوة صالحة تُحتذي. أؤكّد لك ان المرحومة والدتك كانت أفضل منك بما لا يُقاس. فأنت مسرفة، وهذا ما يغيظني كثيراً ولا أغفره لكِ. ها أنتِ، ترتدين ألْبسةً تليق بالأميرات. لا أنكر أنك تبغين بذلك إرضاء زوجك، يا كنتي، لكنه هو لا يتطلّب منك هذه الزينة المبالغة.

كليانْت : لكن، يا سيدتي، لا بدّ ...

السيدة بَرْنال : أمّا أنتَ، يا حضرة صهري العزيز، فأنا أقدّرك وأُحبّك وأُكرمك، لكن، ولو كنت كإبني، أرجوك أن لا تدخل بيتي. فأنتَ لا تكفّ عن وعظ الناس بحِكَم سديدة، أنت لا يتقيّد بها. بينما أنا أصارحك ولا أُلوكُ الكلام الذي أُصرّ على اسماعك إياه، كما يفرضه عليّ طبعي الحرّ.

داميس : صاحبكِ ترتوف المنافق سعيد بون شكّ.

السيدة بَرْنال : هو رجل خيْر يجب الاستماع الى أقواله، ولا يسعني أن أرى مهووساً نظيرك يخاصمه بدون أن أتألّم واستشيط غضباً.

داميس : ماذا تقولين ؟ أترضَيْن بأن ينتقدنا مراوغ مثله يغتصب السلطة ويستبدّ بدون أن نتمكّن من لومه، كما هو حال هذا المتشامخ علينا ؟.

دُورين : إذا أصغى الانسان الى حِكَمه وصدّقها، لا بدّ له من ان يمتنع عن ارتكاب الجرائم، لأن هذا الغيور على الفضيلة يراقب كل أفعالنا.

السيدة بَرْنال : وما يراقبه، يراقبه جيداً. وهو يظنُّ أن يقود سواه الى درب

الجنّة. وبما أن ابني يحبّه عليكم أن تكرموه أنتم أيضاً.

داميس : لا، يا أمّاه، هو ليس كالأب الحنون الذي يريد الخير لجميع أولاده. وأنا أخدع نفسي إذا تحدثت عنه بطريقة أخرى. لذا ترينني استشيط غيظاً واخشى أن اتوه في مجاهل هذا الدجّال.

دُورين : نعم، سلوكه يزرع الشكوك في النفوس لأنه نكرة مجهول يحاول أن يتربّع على عرش المبرّات. بينما هو لصّ حقير خسيس النوايا. يوهم الناس بأنه يلبس مِسْح التوبة وهو اكبر المحتالين. يدّعي السيادة والكرامة وهو أغبى العبيد السفلة.

السيدة بَرْنال : أشكرك على تأييد وجهة نظري بفضح مآربه الوضيعة.

دُورين : أجل، هو يعتبر ذاته قدّيساً أمامكم، ولا يفيض باطنه في الواقع إلّا لُؤماً ونفاقاً ومراءاة.

السيدة بَرْنال : هذا لسان حال جميع من خبروه.

دُورين : أمّا أنا فلا ثقة لي به البتّة، مهما تظاهر به من أمانة وإخلاص.

السيدة بَرْنال : وأنا أجهل حقيقة هذا الخادم الأحمق الذي يدّعي انه سيّد خطير. فأنتم لا تنوون له الشرّ ولا تصدقونه، لأنه يكشف لكم جميعاً حقيقتكم، ما دام قلبه ينفر من الذنوب، وهو لا يسير إلّا في الدروب المستقيمة.

دُورين : ولكن لماذا منذ بعض الوقت، لا يريد معاشرتكم ؟ وهل تغضب السماء لزيارته المشرّفة حتى يضجّ هكذا بصخب ؟ وهل من سبيل للتفاهم فيما بيننا ؟ أظنّ أنه يغار منك، يا سيدتي.

السيدة بَرْنال : أُصمتي، وفكّري بما تقولين. ليس هو وحده من يشجب هذه الزيارات. والشاهد على ذلك كل ما تتشامخين بواسطته على هؤلاء الناس، اي كل هذه العربات المتزاحمة على بابك وكل هؤلاء الخدم المنشغلين بإبراز وجاهتك المزعجة في هذا الجوار. أريد أن أعتقد أنهم ليسوا سوى مظاهر خدّاعة كالسراب. على كل حال، أَلْسِنَة عديدة تلوك سمعتك. وهذا ليس بالامر الحَسَن.

كليانْت : هل تريدين، يا سيدتي، أن لا يكلّم أحدنا الآخر ؟ وهذا في

الحياة مكروه ومذموم. فلو أنْصَتْنا الى الأقاويل المغرضة لتحتمّ علينا ان نستغني عن أصدقاءنا بسبب ما يبلغ سمعنا من نذالة أحاديثهم. وعندما نصمّم على فِعل ذلك، هل تضطر الألسنة الصديقة الى الصمت ؟ إعلمي أن لا حدود للنميمة، فعلينا أن لا نُعير بذيء الكلام اذناً صاغية، وان نجتهد لنعيش ببراءة، وندع الثرثرة تختنق في حناجر النمّامين.

دورين : جارتنا « دَفْنَة » وزوجها أُوَلَيْسَا ممّن يغتابون سُمعتنا باطلاً ؟ وهما سيّئا السلوك الى درجة تستدعي الهزء بهما، لأنهما دائماً اوائل الاشخاص الذين ينتهزون الفرصة لذمّنا وتحقيرنا.

السيدة بَرْنال : كل حججكم باطلة لأننا نعلم أن « أُورانْت » امرأة مثاليّة وكل مساعيها تهدف الى عمل الخير، ومنها فهمت أنها لم تَنْجُ مع ذلك من الألْسِنة القارصة.

دُورين : هذا مَثَل رائع لأن هذه المرأة فاضلة. لا أنكر أن نظرتها الى الأمور صارمة. لكن عمرها يشفع بغيرتها على عمل الخير. وكلنا نعرف أنها حريصة على إبقاء صفحتها بيضاء كالثلج، وأنها لا تألو جهداً في سبيل كَسْب القلوب، وأنها جديرة بكل ما تتمتّع به من صفات حسنة. لكنها عند مشاهدتها ما يتبادله المحيطون بها من قُبَل، وهم يميلون الى التخلّي عنها، وصرْف النظر عن نتائج ضعفها، تغضّ الرف عن عقوقهم وتقاوم الإستسلام بعد القلق الذي ساورها وترفض قساوة النساء المتعاليات وعتبهن الخاطئ، ولا تجهل مساوئ الناس المتوارية وراء الخداع والرياء. وهي مقتنعة بأن التغاضي في هذه المواقف إثم اكثر من ان يكون ثواباً وجزاءً.

السيدة بَرْنال : هذا هو ما تستحقّينه من روايات غريبة لإرضاء غرورك، يا كنّتي. لذا مع أني أُفضّل في ضيافتك أن ألازم الصمت، وأنتِ لا تنقطعين طوال اليوم عن الثرثرة، أراني مضطرة الى التكلم عندما يأتي دوري لأقول لك : إن ولدي لم يكن عاقلاً باستضافة هذا الشخص الوَرِع في بيته، كأن السماء أرسلته اليه بُغية إصلاح حال كل من ضلّ سواء السبيل. وأن خلاصكم من الهلاك المحتّم يقتضي الإصغاء الى نصح لضمان خيركم وسلامكم. هذه الزيارات والحفلات والاحاديث هي كلها من وحي ابليس.

فهنا لا يسمع المرء اقوالاً تدل على التقوى، لأنها بأجمعها لعنات وادّعاءات باطلة ترذل خِيَار البشر، الأمر الذي يزعج أصحاب الضمائر الحيّة. في الحقيقة هذا برج بابل، بل جحيم لا يُطاق. كل إنسان يتصرّف على هواه، ويهذي على غير هدى. أوَلاَ تسمع هذا المتبجِّح يتمتم بالتفاهات ؟ إذهبوا الى المهووسين فيما بينكم ليُغرقوكم بالضحك والقهقهة. وأنا بدون أن أُودّعك، يا كنّتي، لا أُريد أن أزيد حرفاً على ما قد صرّحتُ به. واعلمي أني لن أعود اليك إلّا عندما يتغيّر هذا الوضع من الأساس. (تصفع فليبوت) هذا نصيبكِ، أيتها الواعظة، وسأعرف كيف أفرك لك اذنك عند اللزوم. هيا، سِيري أمامي فوراً.

المشهد الثاني
كليانْت، ودورين

كليانْت : لا أريد أن أذهب الى هذه المرأة، خوفاً من أن تشتمني وتشاجرني ...

دُورين : حقًّا، من المؤسف أن لا تسمعك وأنت تنطق بهذه الكلمات. وإلّا قالتْ عنكَ كل ما يرضيك، ويدعك تقابلها بأحسن التمنيات.

كليانْت : مع انها حنقت على ترتوف ونعتته بأشنع الأوصاف..

دُورين : أجل، كل هذا لا يليق بابنها، ولو سمعتَها لصرختَ : هل هناك أقبح من هذه السماجة. لقد أرهقتْ أعصابنا لأنها، لإرضاء نزوتها، لم تحجم عن إفراغ جعبتها من الإهانات بجسارة نادرة. ولكنها أضحت كالمغفّل المتهور منذ أن علمتْ بموقف ترتوف العنيد. لقد اعتبره إبنها كأخيه وأحبّه اكثر من أمه وابنه وابنته وزوجته. وجعله امين سرّه الوحيد ومستشاره في اعماله يدلّله ويعانقه ويحنو عليه اكثر من أعزّ صيقةٍ حميمة. هذا الذي يرغب في تصدُّر المائد، ويزدرد المآكل بمقدار ما يتناوله ستة اشخاص،

وينتقي أطيب المآكل ويتدبّر أمره لكي يتنازل له عنها الآخَرون، وإذا « تدشّى » يحبّ ان يقول له الجميع « رعاك الله ». (هنا تتكلّم إحدى الخادمات، وتواصل دورين قولها) أخيراً هو المهووس وحده يظنّ أنه محور كل ما في الحياة، وأن البطل، ويُعجَبَ ويَتباهى به الجميع، ويؤتى على ذكره في كل مناسبة. أبسط أفعاله تبدو له كمعجزات، ويُعتبر كافّة كلماته كأنها خُطَب رنّانة. وانه هو الذي يعرف جيداً كل الأشخاص الذين يحتالون عليه ويتلذّذون بالسخرية منه، فلا ينقطع عن التنديد بهم، ولا يتردد عن تلقينهم الدرس تلو الدرس كلما سنحت له الظروف بذلك. ثم ينتقل إلينا ليعاملنا نظيرهم باستعلاء وشموخ، ويلقي علينا مواعظه كأنه نبيّ قدّيس ونحن من أتابع ابليس.

المشهد الثالث

ألْمير، ومريان، وداميس، وكليانْت، ودورين

ألْمير : أنتَ سعيد، لأنك لم تأتِ لتستمع الى الحديث الذي خاضته حماتك عندما كنّا قرب الباب. لكني شاهدت زوجي بدون أن يراني. وها أنا صاعدة الى فوق لأنتظر مجيئه.

كليانْت : أمّا أنا فأنتظره هنا، لأن الضجّة في هذا المكان أقل ممّا في سواه. وأودّ أن أراه لألقي عليه السلام فقط.

داميس : ألْمحي له قليلاً الى زواج أختي، لأني أظن أن ترتوف يعارضه نوعاً ما. وسيُجبر والدي على المواربة واللّف والدوران، وانتم لا تجهلون كم يهمني أن أتدخّل في الأمر، وإنْ كانت شقيقتي وفالير غاطِسَيْن في هذه المشكلة المعقّدة. لأن أخت هذا الصديق عزيزة على قلبي، وإذا اقتضت المسألة ...

دُورين : ها هو يدخل.

المشهد الرابع

أُورْكون، وكليانْت، ودورين

أُورْكون : نهارك سعيد، يا أخي.

كليانْت : كنت على أُهبة الخروج، ويسرّني أن أراك عائداً. فالبرّيّة الآن غير مزهرة تماماً بعد، كما أتمنّى.

أُورْكون : يا دورين ... أرجوك أن تنظري بعين العطف الى زوج أختي، وان تخفّفي الهمّ عني بما تزودينني به من أنبائك السارة. أحمد الله على أنّ كل الأمور في هذَيْن اليومَين إنقضت على خير. قولي لي : ماذا يجري هنا ؟ وكيف حالك الآن ؟.

دُورين : لقد انتابت الحمّى السيدة يوم أمس ولازمتها حتى المساء ورافقها صداع شديد لا يُطاق.

أُورْكون : وماذا حلّ بصاحبنا ترتوف ؟.

دُورين : ترتوف يتمتّع بصحة جيدة، وهو ممتلئ شحماً ولحماً، وخدّاه ورديًا اللون.

أُورْكون : مع ذلك، مسكين هذا الرجل.

دُورين : مساءً داهم السيدة قرفٌ غريب، ولم تستطع على المائدة أثناء العشاء أن تضع لقمة على فمها، وقد أرهقها الصدّاع.

أُورْكون : وترتوف ماذا دهاه ؟.

دُورين : لقد تعشّى وحده أمامها، وبكل خشوع إلْتهم حجلَين كاملَيْن مع نصف فخذٍ مفروم.

أُورْكون : يا له من مسكين قليل الشهيّة حقًّا.

دُورين : إنقضى الليل بطوله ولم يغمض للسيدة جفن. لأن الحمّى لم تدع لها مجالاً كي تغفو لحظة. فسهرنا الى جانبها تقريباً حتى طلوع الفجر.

أُورْكون : وترتوف ؟ أرجوك أن تُعلميني ماذا فعل ؟.

دُورين : غلب النعاس عليه فانتقل من غرفة الطعام الى حجرة النوم، وفي سريره الدافئ نام حالاً بدون أي انزعاج حتى صباح الغد.

أوزْكون : مسكين هذا الرجل، مسكين.
دُورين : في آخر الأمر، نزوٌ عند إلْحاحنا رضيت السيدة بأن تُفْصَد، فما عتّمت أن ارتاحت.
أوزْكون : وترتوف، كيف تصرّف ؟.
دُورين : استعاد شجاعته كالمعتاد، وبدون اي قلق عوّض للسدة ع ن الدم الذي فقدته بالفصْد. وأثناء تناوله طعام الإفطار تجرّع اربعة كؤوس من الخمر.
أوزْكون : في الحقيقة، مسكين هذا الرجل المثالي.
دُورين : اخيراً تحسّنت صحّة الاثنين معاً. ها أنا ذاهبة لأُنبئَ السيـدة باستفسارك عن نقاهتها وتماثلتها الى العافية.

المشهد الخامس
أوزْكون، وكليانْت

كليانت : هي تسخر منك وتضحك عليك. وبدون أن أقصد إغضابك أسألك بكل نزاهة، هل لقيت في حياتك نظيره صاحب أهواء خبيثة ومزاج سَمِج ؟ وهل وجدت رجلا مثله يتمتّع بمزيّةٍ تنسيك كل ما عدا شؤونه الخاصة به، وتجعلك لا تهتمّ باصلاح أحوالك البائسة وإصلاح محيطك أيضاً ؟.
أوزْكون : رويدك، يا زوج أختي. أنت لا تعرف شخصيّة من تتكلّم عنه.
كليانْت : أأنت تقول إني لا أعرفه ؟ ولكن، لكي تعلم حقيقة هذا الرجل ...
أوزْكون : سيسرّك، يا أخي، أن تعرفه. ولن يكون لدهشتك من حدود. هو رجل .. رجل ... أخيراً هو رجل يُتقن جيداً علومه، ويتذوّق السلام بعمق، وينظر الى الناس كأنهم جهلاء. نعم، تراني أتحوّل فوراً الى شخص آخر عندما أتكلّم عنه. لأنه يحول دون عطفي على أي مخلوق سواه، ويقصيني عن كل صداقة، ويجعلني أنظر الى أخي واولادي وامي وزوجتي بلا مبالاة، وأن لا أكترث لهم وأهتمّ بمصيرهم.
كليانْت : هذا ما يحمله بين ضلوعه من العواطف الانسانية.

أورْكون : لو رأيتَ كيف عرفتُه لكنتَ صادقته بلا إمهال. فكل يوم يُصلّي بخشوع وهو يتقرّب اليّ بوداعة ويستقطب أنظار الجميع بما يظهره من التقى، والحسرة على ما بدر منه من تقصير في الواجبات. وعندما أخبرني صديق بأنه يحتاج الى المال بادرت الى مساعدته بكل تواضع وأعطيته بعض المال، فأصرّ على ردّ جميلي قريباً، وقال لي : يكفي نصف هذا المبلغ، لأني لا أستحقّ شفقتك. غير أني رفضت ان أسترد ما منحته اياه. فأسرع الى توزيعه على الفقراء تحت نظري. ومنذ ذلك الحين إنفرج ضيقه وازدهرت أحواله، وإذا به يستردّ كل ما فقده من اموال، وراح يهتمّ بزوجتي، ثم نبّهني الى الناس الذي كانوا يغمزونها بعيونهم، وأخذ يغار عليها اضعاف غيرتي أنا. ولن تصدّقوني اذا قلت لكم الى أي مدى بلغت به الغيرة، اذْ راح ينسب الى ذاته كل شاردة وواردة تحصل، وبات أتفه أمر يلاحظه يُدخل الشك الى نفسه حتى دفعته جرأته الى الشكوى من مشاهدته بعوضة وهو يصلّي فقتلها من شدة غيظه لدى مضايقته إياه وعدم تحمّله طنينها.

كليانْت : صدّقني، أنتَ مهووس، يا أخي. أتريد أن تسخر مني بسردك لي خبراً تافهاً كهذا ؟ فماذا تقصد بهذا الإطناب ؟.

أورْكون : من هذا الحديث تَشْتَمّ رائحة تهتّكه، يا أخي. فلا بدّ من ان تكون متطرّفاً، وأنا أدْرَى الناس بما يتنازعه من سوء النيّة.

كليانْت : هذا حديث ساذج يطلقه كل من يريد أن يشمل الجهل محيطه. أنا اعتقد ان الاستهتار انتقل الى كل من له عينان ولا يبصر، ويمتنّع عن الالتفات الى مثل خزعبلات هذا المحتال الذي لا يخاف الله ولا يحترم المقدّسات. إعلم أن احاديثك عنه فقدت كل تأثير عليّ. وبتُّ نظير العديدين غيري، لا آبه الى تصنّعه وادّعائه الصلاح. فهناك مئات الأتقياء المرائين، والادعياء المخادعين الذين لا يدرون ماذا يفعلون والى أين هم صائرون. فالمؤمنون الحقيقيون هم الذين لا يبغون اثارة الضجة حولهم، ولا ينتحلون الفضائل بنفاقهم ومظاهرهم الغشّاشة. وشتّان بين التقوى والمراءاة، وهيهات أن يلتقي الصدق وكذب الدجالين على صعيد واحد، والشبح والشخص الاصيل، والعملة المزيّفة والنقود الأصليّة. صدّقني إنّ أغلب الناس برعوا

في المحاباة، لكننا لا نراهم على جليّة طبيعتهم. فالعقل بالنسبة اليهم محدود الأفق، وأنبل الغايات غالباً ما تَفْسُد إذا أُريد استغلالها في غير غايتها الصحيحة. فإن كان لك أذن صاغية فلتسمعْ.

أُورْكون : اجل، أنت بدون شكّ مِلْفان وقور. وكل علوم الدنيا تدين لك بالمهارة وسعة الاطلاع. لأنك العليم الحكيم الوحيد، بل انت فلتة زمانك ونابغة عصرك وأوانك. وكل ما عداك في محيطك غارق في الجهل والغباء.

كليانْت : انا لست مِلْفاناً مُميّزاً ولا أحصُر معارف الدنيا في دماغي. لكني بكلمة وجيزة أدرك، من جملة معلوماتي، اني أُعرف الخطأ من الصواب. وبما اني لا أعلم الى أي نوع من الأبطال ينتمي التقيّ الكامل الصفات، ليس عندي انبل وأروغ من الورع الحقيقي، ولا أبْشع ممن يشبه القبور المكلّسة، خارجها ناصع البياض، وفي باطنها أنْتَن العَفَن. على هؤلاء المشعوذين المضلّلين ان يُقلعوا عن تدنيسهم ما يتباهون به من المظاهر الخدّاعة التي يتاجرون بها، وهم يتوسّلون بذلك كسْب الكرامة على حساب من يتهمونهم بالدعارة التي يمارسونها هم أنفسهم ليغنموا ما يطمعون به من جاه وثراء. وهم يوارون رذائلهم وطمعهم تحت ما يدّعونه من العفّة وينتحلونه من الفضائل المزيّفة. فلا يتورّعون عن قتل الارواح وحتى الأجساد بواسطة أقدس ما يُجلّه ويبجّله الجميع. في عصرنا الحاضر، ياأ خي، كم من الأمثلة المجيدة تخفي وراءها الخزي والعار. أُنظرْ الى فطاحل الشهرة وأعلام الجهابذة نظرةً فاحصة، تبصرْ أن معظمهم أدعياء جبناء يتستّرون بمظاهر النبْل والشهامة لنيل مآربهم، وتدركُ ان الخاطئَ يتشبّث بالأسف سطحيًّا على خطيئته لعلّه يستدرّ عطف الغيورين الصادقين. هؤلاء هم جماعتي، وهذا هو سرّ تصرفهم الغبي المشين. وهذا هو المثال الذي يغرّهم لمعانه كالسراب الخادع. في الحقيقة، صاحبك ليس من هذا النمط، لكن حُسْن نيتك يحملك على الإشادة بتفانيه المبطّن باللؤم لأن بريق دجله قد خَلَب نظرك.

أُورْكون : يا زوج أختي العزيز، أرجوك أن تصارحني : هل أفرغت جعبتك ؟.

كليانْت : نعم.

أُورْكون : أنا في خدمتك (يهمّ بالخروج).
كليانْت : أرجوك أن تصغي اليّ، يا اخي، لأقول لك كلمة أخيرة. دع هذا الحديث عند هذا الحدّ. فأنت تعلم أن فالير بصفته صهرك قد استمد حديثه منك.
أُورْكون : نعم.
كليانْت : وانت قد أفضْت في الكلام للوصول الى علاقة هكذا وثيقة.
أُورْكون : لا أنكر ذلك.
كليانْت : لماذا اذاً تريد تأجيل إعلان النتيجة ؟.
أُورْكون : لست أدري.
كليانْت : هل هناك فكرة معيّنة تجول في رأسك ؟.
أُورْكون : ربما.
كليانْت : وهل تريد أن تُخِلَّ بتعهّدك ؟.
أُورْكون : انا لا أقصد ذلك.
كليانْت : اذاً ليس من عقبة تقف في سبيل الوفاء بوعدك.
أُورْكون : هذا يعود الى ...
كليانْت : هل تحتاج الى هذا التستّر لتعلن كلمتك ؟ لقد دعاني فالير الى زيارتك لخوض هذا الموضوع.
أُورْكون : الحمد لله.
كليانْت : لكن ماذا أقول له ؟.
أُورْكون : كل ما يرضيك.
كليانْت : عليّ قَبْلاً أن أعرف مرامك. فماذا ترغب ؟.
أُورْكون : أن يتمّ ما يشاءه ربّك.
كليانْت : علينا أن نتصارح جدّياً. فالير هو من رأيك. هل تسانده أم لا ؟.
أُورْكون : الوداع.
كليانْت : في سبيل حبّه أخشى أن نبوء بالخيبة والفشل. ولا بدّ من أن أنبّهه الى كل ما يجري الآن هنا.

الفصل الثاني

المشهد الأول

أُوركون، ومَرْيان

أُورْكون : يا مريان.
مرْيان : نعم، يا أبي.
أُورْكون : إقتربي مني، فلديّ ما اخبرك به سرًّا.
مرْيان : عن ماذا تبحث ؟.
أُورْكون : (ينظر الى غرفة صغيرة) : هل من يستمع الينا ها هنا ؟ لأن هذا المكان معرَّض للمفاجأة. لكن يُخيَّل الي أننا في مَأْمَنٍ من شرّ كل دخيل. لقد عرفتك على الدوام، يا مريان، دمثة الأخلاق. وأنت كذلك عزيزة على قلبي.
مرْيان : أنا أقدّر محبّتك الأبوية، يا أحلى الآباء.
أُورْكون : قولك هذا الصادق، يا ابنتي، يبهج فؤادي. ولكي استحقّه منك كما يجب، عليك أن تجتهدي لإرضائي.
مرْيان : يسعدني أن أكون عند حسْن ظّنك بي.
أُورْكون : هذا ما ارجوه على الدوام. ما رأيك بضيفنا ترتوف ؟.
مرْيان : رأيي أنا ؟.
أُورْكون : نعم أنتِ. أصدقيني ما تفكرين به من نحوه.

مرْيان : يا للأسف، عليّ أن أقول فيه ما تريده أنتَ.

أُورْكون : هذا كلام حكيم. قولي لي اذاً، يا ابنتي، إنه شخص عالي المقام، وإنه قريب الى قلبك، وإنه لطيف، وتودّين أن اختاره زوجاً لك. ماذا تقولين ؟.

مرْيان : (تتراجع مدهوشة) : ماذا أقول ؟.

أُورْكون : نعم ماذا تقولين ؟.

مرْيان : أرجوك ...

أُورْكون : ماذا ؟.

مرْيان : ما هذه المباغتة ؟.

أُورْكون : ماذا أسمع منك ؟.

مرْيان : هل تريد أن أُعلن لك، يا أبي، أنه قريب الى قلبي، وأنه لطيف، وأودّ أن تختاره زوجاً لي ؟.

أُورْكون : طبعاً، إن قصدتِ ترتوف.

مرْيان : اقسم لك، يا أبي، إني لا أُحسُّ مطلقاً بمثل هذا الشعور. فلماذا تريد أن تُرغمني على التصريح بذلك زوراً وبهتاناً ؟.

أُورْكون : أرغب في جعل هذه الفكرة حقيقةً ملموسة. ويكفيك سروراً أني قرّرت إتمام ذلك لأجل سعادتك، يا حبيبتي.

مرْيان : ماذا تقول ؟ هل تريد يا أبي ؟ ...

أُورْكون : نعم، يا ابنتي. أرغب، عن طريق زفافك، جعل ترتوف من أفراد أُسرتنا. سيصبح قريباً زوجك، لأني قررت ذلك نهائياً. وحسب امنيتك، اريد. ...

المشهد الثاني

دورين، وأُوركون، ومريان

أوركون : ماذا تفعلين هنا ؟ حبّ استطلاعك دافع قوي، يا صديقتي، لكي تأتي وتسترقي السمع هكذا اثناء حديثنا.

دُورين : حقاً، أنا لا أعرف إن كانت هذه إشاعة تنطلق عن سابق تفكير وتصميم، أو هي مجرّد صدفة عابرة. غير أن هذا النبأ، حالما بلغني، إعتبرته محض هراء.

أُوزْكون : هل تظنّين أن المسألة لا تُصدَّق ؟.

دُورين : الى درجة أني لا أصدّق أيضاً حديثك أنت عنه.

أُوزْكون : أنا أعرف طريقة تجعلك تصدّقينه كأنه يقين لا يرقى اليه أدنى شكّ.

دُورين : نعم، نعم، أنتَ تقصّ علينا حكاية طريفة.

أُوزْكون : أنا أخبرك بما سيشهده الجميع قريباً بأمّ العين.

دُورين : هذا كلام لا أساس له من الصحة.

أُوزْكون : إنّ ما أؤكده لك ليس لعْب أطفال.

دُورين : لا تصدّقي ما يعلنه والدك. لأنه يمازحنا..

أُوزْكون : أؤكد لك ...

دُورين : مهما أكّدت، لن يصدقك أحد منّا في هذا الشأن الخطير.

أُوزْكون : لن أتمكنّ من كظم غيظي اكثر مما فعلت حتى الآن.

دُورين : واذا صدّقناك فهذا لن يكون من صالحك. ما قولك، يا سيدي، وأنت رجل عاقل، ولحيتك التي خطها الشيب تُضفي عليك الوقار، تريد أن ترتكب حماقة بل جنوناً.

أُوزْكون : أنتِ تسمحين لنفسك بالتطاول عليّ. وهذا طبعاً لا يرضيني، يا صديقتي.

دُورين : أرجوك أن تجاذبني أطراف الحديث بدون أن تستاء، يا سيدي. هل تريد أن تهزأ بالناس بتدبيرك هذه المؤامرة الوضيعة ؟ لن تكون إبنتك ضحية تزمّتٍ مبالَغ. هناك مواضيع أخرى يجب عليك أن تفكّر بها. ثم ماذا يفيدك مثل هذا الزواج ؟ وما الذي أغراك لإختيار مثل هذا الصهر اللئيم ؟

أُوزْكون : أُصمتي، واعلمي أنه لهذا السبب يُبجَّل ترتوف، إذ إنه ظل في بؤسه شريفاً، ولا بد من ارتفاعه لذلك فوق العظمة الأرضية بما أنه حَرَمَ نفسه من الاموال والأباطيل المادّيّة. ومن جرّاء اهتمامه الزهيد بالمشاغل الدنيوية ترينه يتعلّق بالمباهج السماوية. غير ان إسعافنا يساعده على إيجاد

الوسائل الضرورية لاسترجاع أرزاقه، وحسب أحواله يُعتَبر رجلاً كريماً محترماً.

دُورين : نعم، هذا ما يدّعيه هو عن ذاته. لكن تشامخه لا ينسجم مع ما يتظاهر به من التقوى التي، على اساس الحياة المجردة المتقشّفة، يجب أن تتحلّى بالبراءة والنزاهة، بدون أن يتّكل كثيراً على عراقة حسبه ونسبه، بل على تواضعه وحرارة إيمانه التي تماشي طموحه. فلماذا يتمسّك بالتعالي والكبرياء ؟ هذا الحديث يجرح إحساسك. فلنتكلّم اذاً عن شخصه، ولندعْ نبْل أصله جانباً واصدقني هل تجد مناسباً إقتران مثل ابنتك برجل نظيره ؟ وهل تأمل من هذا الزفاف السعادة والهناء، عندما تضطر العروس الى قبول شريك حياتها مرغمةً ؟ جوهر القضية يكمن في أن يكون للعريس صفات كريمة تؤهّله لمنحها الوفاء والإخلاص كما تأمل. لأن بعض الازواج من طرازٍ مُعيّنٍ ليسوا جديرين بما على العروس أن تضعه فيه من ثقة غير محدودة، وإلّا تعرضت الى شرّ المخاطر التي تنال منها إن أساءت الإختيار أو كانت غير راضية.

أُورْكون : لا أكتمك أنّ عليّ أن أعرف منها أسَاليب الحياة الهنيئة التي تهفو إليها.

دُورين : الأوْلى بك أن تتلقّي مني بعض الدروس في هذا الموضوع.

أُورْكون : دعينا من التلهّي بهذه التوافه، يا ابنتي. أنا أدرى الناس بما يجب عليّ أن أفعله كأب عطوف. لقد وعدت فالير بأن أزوّجه إياها. وقد فهمت أنه يميل اليك، مع أني أظنه متماهل قليل الإيمان.

دُورين : هل تريد أن يتودّد إليك مراوغاً، ويتظاهر بما ليس فيه حقيقةً ؟.

أُورْكون : أنا لا أطلب رأيك في هذا الشأن. واعلمي أني لست غبيًّا، وأني أجد فعلاً في هذا الزواج تحقيق أحلى امنياتها. وأنا على يقين بأن هذا العريس لا غاية له إلّا إسعادها، وأنهما سيقضيان العمر كله متفاهمَيْن متحابْين، وأنه من جهته سيفعل كل ما يرضيها وما تأمل هي بأن يغدقه عليها من العطف والحنوّ..

دُورين : بينما هي، بعدم رضاها، ستدفعه الى الحماقة والهوس.

أوزْكون : ما هذا الكلام السخيف ؟.
دُورين : لا أتوقّع إلّا ما ستأتينا به الأيام حتماً، لأن فضيلة ابنتك، يا سيدي، في هذا الوضع غير المعقول، ستنقلب لا محالة الى لؤم وغباء.
أوزْكون : كُفّي عن مقاطعتي، والزمي السكوت، بدون أن تواصلي تدخّلك في ما لا يعنيك وما لا تدركين فحواه.
دُورين : أنا لا يهمّني إلّا مصلحتك وصالح ابنتك (تقاطعه وهو يلتفت ليكلّم ابنته).
أوزْكون : تطفّلك تعدّى كل الحدود. أرجوك أن تصمتي.
دُورين : لو لم أكن أحفظ لشخصك مودة فائقة لكنت ...
أوزْكون : أنا لا أطلب مودّة أحد.
دُورين : سأكرمك رغماً عنك يا سيدي.
أوزْكون : هذا جميل حقًّا.
دُورين : راحة بالك غالية عندي، ولا أطيق أن ينتابك أي غمّ أو نَدَم.
أوزْكون : ألاَ تريدين أن تلزمي السكوت أخيراً ؟
دُورين : ضميري لا يطاوعني على تركك تتمّم هذا الزفاف غير المرغوب.
أوزْكون : ستصمتين، أيتها الأفعى، وقد بلغت بك الوقاحة ...
دُورين : دورين : أأنت تحسب نفسك تقيًّا وَرِعاً وتستسلم الى الغضب ؟.
أوزْكون : أوركون : نعم، لأن صبري نفذ تجاه كل هذه الحماقات، وأنا مصمم على إسكاتك.
دُورين : ليكن ما تريد. واذا لم أنبس ببنت شفة، فهذا لا يعني أني غيّرت تفكيري.
أوزْكون : فكّري كما تشائين، ولكن قِفي عند حدّك (يلتفت الى ابنته ويواصل كلامه). لا أريد أن أسمع أية كلمة أُخرى في هذا الموضوع. كفى، فأنا كرجل ناضج راجح العقل، قد قيّمْت جوانب هذه القضية، وأعرف جيداً ما نويت على إتمامه.
دورين : سأجنّ، إن أنا سكتُ كما تطلب مني. (تصمت حين يدير رأسه).
أوزْكون : فضلاً عن أنّ ترتوف ليس رجلاً مستهتراً، أنا أعرف ما يتّسم به من الصفات الحميدة.

دُورين : لا أنكر أنه وسيم الطلعة. لكن هذا لا يكفي.

أُوزْكون : حتى إن لم ترَيْ فيه أية مزيّة حسنة، لا يسعكِ أن تنكري أنه موهوب (يلتفت اليها ويقف أمامها مكتوف اليدين).

دُورين : ها قد وصلتها هكذا جميع حقوقها. مسكينة، لو كنت أنا مكانها كصبيّة برسم الزواج، لما رضيت بتاتاً بأن أُجْبَر على قبول مثل هذا النصيب الرديء. وإنْ تمّ ما لا أرغب فيه، سأريه بعد الزواج ما تستطيع المرأة على كل حال أن تلجأ اليه من الحِيَل ووسائل الإنتقام.

أُوزْكون : وأنا أؤكّد لك أن حرفاً واحداً لن يتغيّر مما قد قررت الإقدام عليه.

دُورين : لماذا هذا الوعيد ؟ أنا لا أوجّه كلامي اليك.

أُوزْكون : لمنْ توجّهين إذاً حديثك هكذا بعناد ؟.

دُورين : أنا أخاطب نفسي.

أُوزْكون : جميل جداً. ولكي أعاقبك على وقاحتك، لا بدّ لي من أن أصفعك وألقّنك درساً لن تنسيه مدى العمر. (يستعدّ لصفع دورين، بينما هي تنتصب أمامه بقامتها الهيفاء، بدون أن تُحْري جواباً، ثمّ يتابع هو كلامه) عليك يا ابنتي أن تقنعيها باستجابة رغبتي وتنفيذ قراري ... يجب أن تدركي أن الزوج الذي ... اخترته لها ... لماذا لا تنطقين الآن ؟.

دُورين : لم يبق لديّ ما أقوله.

أُوزْكون : أمّا أنا فلي أيضاً كلمة اخيرة أُضيفها.

دُورين : لن يعجبني ما ستتلفّظ به حضرتك.

أُوزْكون : أجل، هذا ما أتوقعه منك.

دُورين : أُقسِم لك بأني لستُ حمقاء كما تظنّ.

أُوزْكون : أخيراً، يا ابنتي، لا بدّ لك من تحريضها على إطاعة أوامري وإعارة اختياري لها ما يستحقّه من الإهتمام والإذعان.

دُورين : (وهي تهرب) : أنا أزدري بالموافقة على الاقتران بهذا العريس المفروض.

أُوزْكون : (يحاول أن يصفعها ولا يصيبها) : حقًّا أنتِ يا ابنتي حظك تعيس وافكارك قاصرة. وأنا يصعب عليّ أن أعيش بصحبتك بعدما بدا منك من

نفور وعناد. اعتقد أني لن أستطيع أن أحيا بعد اليوم قرير العين وقد لمست ما تنطوي عليه نواياك من تمرّد وعقوق. لا بدّ لي من الخروج بعض الوقت لتنشّق الهواء الطلق، لعلّي أستعيد أنفاسي التي كادت وقاحتك أن تخنقها.

المشهد الثالث

دورين، ومريان

دُورين : هل فقدتِ موهبة النطق، وهل وجب عليّ أنا أن اتقمّص شخصيتك وأقوم بدورِكِ وأتولى الإجابة عنك ؟ هل بلغتْ بك قلّة الإكتراث الى درجة أن يُعْرَض عليك مشروع زواج سخيف وأن لا تردّي بكلمة واحدة لترفضيه ؟.

مرْيان : تجاه والد مستبدّ ماذا يسعني أن أفعل ؟.

دُورين : ما لا غنى عنه لدفع هذا التهديد الخطير عنك.

مرْيان : ماذا تقولين ؟.

دُورين : أفهميه أن قلبك لا يميل الى العريس المفروض، وأنك ستتزوجين أنتِ لإرضاء عواطفك وتلبية نداء حبّك. ولن تقترني أبداً بأي عريس يرضيه هو وحده. قولي لي، بما انك تتزوّجين أنتِ لا هو، ستقبلين بالرجل الذي يعجبك أنتِ لا هو. وإذا كان صاحبه ترتوف عزيز عليه لما يراه فيه من الصفات والجاذبيّة، فليتزوجْه هو بدون إبطاء.

مرْيان : لا تنسَيْ أن لوالدي عليّ حقوقاً، وأني لا أقوى على معاندته.

دُورين : لكن عليك أن تفكّري، وأن لا تنسَيْ أنتِ أن فالير قد أقدم على طلب يدك من ابيك. والآن، أصدقيني هل تحبينه حقاً أو لا.

مرْيان : أنت اليوم تظلمينني بسؤالك هذا يا دورين. وهل يسعك أن تطرحي عليّ مثل هذا السؤال ؟ وأنت تعلمين يقيناً ما يكنّه له فؤادي من وله ووفاء.

دُورين : لكنّي لا أعرف إن كان لسانك نطق حقاً بما يفيض به قلبك، وأن فالير فعلاً هو حبيبك المفضّل المختار.

مرْيان : مريان : قلت لك منذ هنيهة أنك تظلمينني بهذا السؤال. وأنت تعلمين مقدار هيامي وشوقي الى من أسر قلبي وملأ حبه حنايا ضلوعي.

دُورين : اذاً أنتِ متعلّقة به الى هذا الحد.

مرْيان : أجل لقد استحوذ على كل عواطفي ومشاعري.

دُورين : وعلى ما يبدو، إنه هو من جهته يبادلك هذا الوله.

مرْيان : لا شك في ذلك.

دُورين : وكلاكما تتوقان الى الارتباط قريباً بوثائق الزواج المبارك.

مرْيان : طبعاً، بلا ريب.

دُورين : فما رأيك بالعريس الذي يعرضه عليك والدك ؟.

مرْيان : أفضّل الموت على الرضوخ الى هذه الفكرة البغيضة.

دُورين : حَسَن جداً. هذا تصميم من قِبَلك لم أكن انتظره بهذه السهولة. وهل عليك أن تقبلي بالموت لتتخلّصي من هذا المأزق ؟ دواء علّتك هذه سحريّ عجيب. وكلّما خطر ببالي مشروع ابيك أكاد أجنّ من اليأس، وانفجر من الغيظ.

مرْيان : يا الهي. ما هذا الكلام ؟ ماذا دهاكِ لكي تفقدي أعصابك إزاء مشكلتي العسيرة الحلّ ؟.

دُورين : أنا لا أتأثر بالتوافه، ولا يسعني السكوت عما يتهدّدك من شقاء، اذا لم تعمدي الى ردة فعل منقذة.

مرْيان : لكن، ماذا استطيع أن أفعل ؟ وأنا قليلة الجرأة والإقدام.

دُورين : لصيانة حبّك وهنائك، لا بدّ لك من التصميم والإصرار والجرأة.

مرْيان : قلبي المغرَم يفيض بالحب والحنان نحو فالير. أوَلَيْس عليه هو أن يتشجع ويتقدّم الى طلب يدي من ابي.

دُورين : ولكن، ما هذا القول ؟ هل تعتقدين حقّاً، اذا كان والدك الرجل المستبدّ قد صمّم على مصاهرة ترتوف، أن مسؤولية تحقيق هذا الزواج الذي لا ترغبين فيه، تقع على حبيبك بسبب تقاعسه عن طلب يدك ؟.

مرْيان : غير أن رفض أبي وازدراءه بعريسي المفضّل، لن يغيّر حرفاً من عزمه، رغم ميلي الى غير من اختاره لي والدي. فهل عليّ أن أخرج

عن حيائي الأنثوي كابنةٍ مُحبّةٍ، وأن اكشف للناس عمّا يخالج قلبي من حب وشوق مكبوتين بسبب موقف أبي المتشبّث بمشروعه.

دُورين : لا، لا. أنا لا أقصد أن تصِلي الى هذا الحدّ. هكذا ستكونين من نصيب السيد ترتوف، على ما ارى، وألاحظ أني مخطئة عندما أحرّضك على اتّباع هوى قلبك وابتعادك عن هذا الزفاف الذي تحبّذينه ضمناً. ولماذا أعارض ميلك الى شخص ربما يناسبك وقد تحبّينه يوماً ؟ السيد ترتوف يعرضه عليك والدك، وإن لم يكن الرجل الذي ترتاحين اليه، أنتِ لا تودّين أن تصبحي شريكة حياته، مع أن كل المحيطين بك يقدرونه ويكرمونه. هو مشكور في بيئته، ومرشح للزواج لا يجد أحدٌ عليه أي غبار. أُذنان حمراوان وبشرته زهرية اللون، ويُعتقَد أنك ستسعدين في الحياة مع مثل هذا الزوج.

مرْيان : يا الهي ...

دُورين : ما هو مدى السعادة التي ستَلْقَيْنَها عندما سيعقد هذا العريس قرانه عليك ؟ لست أدري.

مرْيان : ارجوك أن تكفّي عن هذه المجاملة، وأن لا تناقشيني بأمر هذا الزفاف. فلقد قضي الأمر، وأنا استسلمت الى هذه الفكرة، وبتُّ جاهزة لقبول كل ما يُفرَض عليّ.

دُورين : أنا لا أُنكر أن من واجب الفتاة أن تطيع والدها حتى إن قصد أن يزفّها الى قِرْد. فهذا هو نصيبك البهيج، وليس لك أن تتذمري منه. ستسافرين معه بالعربة الى مدينته الصغيرة المجاورة الغاصّة باعمامه واولاد اعمامه الذين سيسرّك أن تجامليهم. أوّلاً ستذهبين الى جماعة من الطيّبين وستزورين بادئ ذي بدء سيّدات مجتمعه فيُجلسونك على المقاعد الوثيرة، وتُدعَيْن الى الحفلات الموسيقية الراقصة، وأحياناً الى مشاهدة الألعاب والمشعوذين، مع أن زوجك ...

مرْيان : أنت تعذّبينني بهذا التعداد. أرجوك أن تسعفيني بنصائحك القيّمة كعادتك، لا بمزاحك الساخر الذي يأتي الآن في غير محله.

دُورين : أنا في خدمتك، يا عزيزتي.

مرْيان : أرجوك، يا دورين ...
دُورين : لا بدّ من أن تمرّ هذه المرحلة الصعبة وتَعْبُر على خير وسلام.
مرْيان : يا صديقتي ...
دُورين : لا، لا ...
مرْيان : اذا كانت رغباتي ...
دُورين : أبداً. ترتوف هو عريسك، وعليك أن تجرّبي حظك معه.
مرْيان : أنت تعلمين أني على الدوام إتكلْت عليك. فأرجوك ...
دُورين : لا بدّ من أن تصطبغي بصبغة ترتوف.
مرْيان : ما دام مصيري لا يُليِّن قلبك، دعيني إذاً استسلم الى قنوطي، والجأ الى طالعي مهما كان ليعينني على تحمّل عذابي ومعالجة ألمي (تهم بالإنصراف).
دُورين : هيا، هيا إرجعي، وسأتخلّى عن غيظي وغضبي. لأني أرى من الضروري بالأحرى أن أشفق عليك وأرثي لحالك.
مرْيان : إعلمي أني، إذا تعرّضت الى هذا الاستشهاد الجائر، يا دورين، سأموت قهراً وكمداً.
دُورين : لا تقلقي، يا عزيزتي. فبالإمكان منع حدوث ذلك ببعض المهارة ... ولكن، ها هو حبيبك فالير قادم الينا.

المشهد الرابع

فالير، ومريان، ودورين

فالير : سمعت منذ لحظة، يا سيدتي، نبأً سارًّا على ما اظن ...
مرْيان : وما هو ؟
فالير : انك ستُزفّين الى ترتوف.
مرْيان : لقد صمّم ابي على تحقيق هذا المشروع.
فالير : والدك هو الذي صمّم يا سيدتي ؟ ...

مرْيان : ولا سبيل الى تغيير هذا المخطّط إلّا اذا عدل هو عنه.
فالير : ماذا تقولين ؟ هل المسألة جدّيّة إذاً ؟ ...
مرْيان : نعم جدّيدة. ويُخيَّل اليّ أنه مصمّم أكيداً على تتميم هذا الزواج.
فالير : وما هو موقفك أنتِ من هذا المشروع يا سيدتي ؟.
مرْيان : لست أدري.
فالير : أحقًّا لا تدرين ؟.
مرْيان : كلاّ.
فالير : أمر غريب.
مرْيان : بماذا تنصحني ؟.
فالير : أنا أنصحك بأن تتزوّجي.
مرْيان : وهل تنصحني بالقبول به ؟.
فالير : نعم.
مرْيان : جدّيًّا ؟.
فالير : بدون شكّ. فالاختيار جيّد، ويجدر بك أن توافقي عليه.
مرْيان : إذاً سأعمل بموجب نصحك، يا سيدي.
فالير : أظنّ أنك لن تلاقي صعوبة في اتباع نصيحتي.
مرْيان : ليس أكثر من جودك عليّ بتقديم هذه المشورة لي.
فالير : أنا، يا سيدتي، لم أقدّم لك نصحي إلّا لأرضيكِ.
مرْيان : وأنا سأعملِ بموجبها لأُعجبكَ بدوركَ ليس إلّا.
دُورين : مهلاً، مهلاً : ما الفائدة من هذه المشاكسة الغبيّة ؟.
مرْيان : لا جدوى من مواصلة هذا الهزار. أرجوكَ أن تكفّ عن هذه المكابرة. لقد صرّحت لي بأن عليّ القبول بمن يقدّمه لي ابي كعريس. وأنا اعترفت بأني أنوي القبول به لا سيما عندما نصحتني بذلك عن طيبة خاطر.
فالير : لا تعتذرى عمّا بدر مني من موافقة على ما أنت أبرزتِه لي كقرارك النهائي في هذا الموضوع، وتحتجّي بهذا المهرب لتبرّري عدم وفائك بعهودك تجاهي.

مرْيان : هذا صحيح. وأنا لا أنكر ذلك.
فالير : بدون شك، لأن قلبك لم يخفق يوماً بحبّي عن صدقٍ وإخلاص.
مرْيان : يا للأسف. كيف تسمح لنفسك بمثل هذا التفكير الساذج ؟
فالير : نعم. اعتبرت ذلك مُباحاً لأنك دست قلبي. وأنا لن أكون غبيًّا كي لا أدافع عن كرامتي المهانة، وإبائي المهدور، ما دمت قادراً على مدّ يدي الى من يقبلها من الصبايا بامتنان.
مرْيان : لا شك عندي بنواياك الطيبة. وآسف لأنك لا تستحق ما اكنّه لك من مودّة.
فالير : يا إلهي. دعي جانباً ما استحقّه أنا، لأنه أقلّ من القليل في نظرك. وأرجو أن أوفّق الى من لن أندم على الوثوق بها هذه المرة. فلا تهتمّي بشأني لأن الأيام كفيلة بإنصافي.
مرْيان : الخسارة ليست فادحة على كل حال. وهذا التبديل سرعان ما يجد المرء له عزاء.
فالير : سأسعى كل جهدي. ويمكن بالك أن يطمئنّ. فالقلب الذي ينسى حبيبه لا يصعب عليه أن يلاقي النسيان والسلوان. وإذا لم يتوصّل الى راحة ضميره، على الأقلّ يتظاهر بعدم المبالاة. لكن هذه الجبانة لا تُنسى بسهولة، ولن توحي بالمحبّة لمن تُهملنا، ولن تستحق المغفرة على تجاهلها وعودها.
مرْيان : هذه العاطفة لا شك نبيلة وسامية.
فالير : حَسَن جداً. الجميع يؤيدون هذا القول. ولكن هل تريد مع ذلك أن أحفظ لكِ مودتي، وأشاهدكِ تنتقلين الى ذراعي رجل غيري، بدون أن أُودِع فؤادي بين يدي امرأة سواك ؟
مرْيان : بالعكس، أنا لا أتمنّى إلّا ذلك، وأودّ أن يتحقق املك حالاً.
فالير : هل فعلاً تريدين أن ؟...
مرْيان : نعم.
فالير : كفاكِ ما ألْحقتِ بي من تحقير، يا سيدتي. رجائي أن يكون صدرك قد طفح الآن سروراً لهذه النهاية. (يتقدّم خطوةً كأنه يريد الخروج ثم يعود).
مرْيان : هذا جميل منك.

فالير : تذكّري أنك أنت التي تدفعينني الى بذل هذا الجهد الأخير.
مرْيان : نعم.
فالير : وان المصير الذي تهيئني له الظروف ليس إلّا إنعكاس رغبتك أنتِ.
مرْيان : إن اعتبرتَها أنتَ رغبتي أنا، فلتكنْ.
فالير : كفى، وقد وأوشكتْ أمنياتك أن تتحقّق.
مرْيان : هذا من حُسْن حظي.
فالير : ألا ترين أن ذلك سيدوم مدى حياتك بأكملها ؟.
مرْيان : أنا لا أتمنى أحلى من هذا المصير.
فالير : طيّب. (يخرج. وعندما يصل الى الباب يلتفت).
مرْيان : ماذا جدّ ؟.
فالير : ألم تنادِيني ؟.
مرْيان : أنا ؟ أظنك تحلم.
فالير : اذاً سأواصل خطواتي. الوداع، يا سيدت.
مرْيان : الوداع، يا سيدي الكريم.
دُورين : أمّا أنا فاعتقد أنكما كليكما قد فقدتما الرشد بهذا التصرف الصبياني، إذْ تركتكما تتابعان شجاركما بغباء. قلْ لي، يا سيدي فالير، الى أين سيبلغ بكما هذا التمادي. إلى أين، يا سيدي فالير ؟ (تُمْسِك بذراعه، ويتظاهر هو بمقاومتها) ؟.
فالير : ماذا تريدين ان افعل، يا دورين ؟.
دُورين : تعالَ الى هنا.
فالير : لا، لا. لقد طفح الكيل. لا تحولي دون إقدامي على ما أرادته هي.
دُورين : قفْ بربّك.
فالير : كلاً. ألا ترين الى أين وصلتْ بنا الأمور ؟.
دُورين : آه منك.
مرْيان : مشاهدتي تزعجه، وحضوري ينفّره. فالأجدر بي أن أُخْلي أنا له المكان.
دُورين (تترك فالير، وتسرع الى مريان) : هل تبادرين الى ملاقاة العريس الآخر ؟ إلى أين تذهبين ؟.

مرْيان : دعيني.

دُورين : لا بدّ من رجوعكِ.

مرْيان : كلا، كلا، يا دورين. أنتِ تحاولين عمل المستحيل. لن أبقى هنا.

فالير : لقد ثبت لي الآن أن وجودي في هذا المكان يسبّب لها عذاباً أليماً وبدون شك يجب عليّ انقاذها من هذا الجحيم.

دُورين (تترك مريان، وتُسرع الى فالير) : أنت أيضاً ؟ تبًّا لك من مُكابر. أقلِع عن هذا العناد السمج. وليقتربْ كلٌّ منكما نحو الآخر. (تشدّهما معاً الواحد نحو الآخر).

فالير : ولكن، ماذا تريدين ؟.

دُورين : أودّ أن أُبقيكما هنا معاً، وأن أحلّ هذه العقدة. هل جننتما كلاكما، لتتصرّفا على هذا النحو السخيف ؟.

فالير : ألَمْ تسمعي بأية لهجة كلّمتني ؟.

دُورين : وهل أنتِ مهووسة، يا مريان، لتنفري هكذا ؟.

مرْيان : ألَم تَرَيْ تصرّفه ؟ أوَلَمْ تسمعي ما قاله لي ؟.

دُورين : الحماقة بدرت منه ومنك سويةً. في الحقيقة هي لا تودّ إلّا نيل الحظوة في عينيك، يا فالير. وأنا شاهدة على ذلك. بينما أنتَ لا تحبّ سواها، وليس لكَ أمنية أعزّ من الإقتران بها. أُقسم لكما بحياتي إني واثقة بما أبيّنه لكما.

مرْيان : لماذا اذاً، يا فالير، أدّيت لي نصيحتك المزعجة ؟.

فالير : ولماذا أنتِ طلبتِ رأيي في هذه القضية الشائكة ؟.

دُورين : كلاكما مرتبكان لا تَعِيَانِ ما تفعلان. ليُعطني كلٌّ منكما يده. هيا ناولاني يديكما معاً.

فالير (وهو يمدّ يده الى دورين) : وما الفائدة من يدي ؟.

دُورين : وأنتِ أيضاً هاتي يدكِ.

مرْيان (وهي تمدّ يدها) : وما معنى كل هذا ؟.

دُورين : يا إلهي. تقدّما بسرعة. أنتما تتحابّان اكثر مما تتصوّران.

فالير : لا تجبري نفسك، يا مريان، على عمل ما تفعلينه مرغمةً. وانظري

الى الواقع بدون حقد. (تحوّل مريان نظرها الى فالير، وتبتسم).

دُورين : الحق أقول لكما : العشاق يتصرفون كالمجانين أحياناً.

فالير : ما هذا التمادي؟ ألا يحقّ لي الآن أن أتذمّر من تطاولكِ؟ ولكي لا أكون كاذباً، لا أمتنع عن مصارحتك بأنك تجاوزتِ حدودك ووجهتِ اليّ بنوع خاصّ كلاماً مهيناً.

مرْيان : وأنت، أوَلَسْتَ الرجل الأكثر عقوقاً بموقفك الغريب هذا؟.

دُورين : أُترُكا النقاش الحادّ الى وقت آخر. ولنفكّر في الحؤول دون تحقيق ذاك الزواج البغيض المنتصب امامنا كالكابوس الرهيب.

مرْيان : هيّا قولي لي : ما هي الوسيلة التي توصلنا الى منعه؟.

دُورين : سنجرّب عدة طرائق حتى تنجح منها المُلائِمة. فوالدك غير مكترث لصالحك، وما يريده هو مهزلة سخيفة. لكن بالنسبة إليكما، عليكما أن تلجآ الى حلّ لطيف هادئ يحوز موافقته ورضاه، بدون أن ندفعه الى استخدام العنف. واذا تعقّدت الأمور يهون عليكما إذ ذاك أن تُبَطِّئا سير استعدادات الزواج غير المرغوب. وبكسْب الوقت لا بدّ من إيجاد حلّ جذري للمشكلة المستعصية. في آخر المطاف إذا اقتضى الأمر نلجأ الى التظاهر بالمرض، فيتسنّى لنا إفساح المجال للتأجيل والمماطلة. هناك حجج لا تُحصى لا بدّ من أن يُكتَب النجاح لإحداها. والأوْلى عندي أن لا تدعا أحداً يراكما في هذه الأثناء مجتمعَيْن معاً. (تخاطب فالير) أُخرُجْ أنت الآن وحدك بدون تأخير، ووسِّط بعض الأصدقاء للوصول الى الوفاء بما وَعَدْتَ به منذ لحظة. وها نحن ذاهبتان للاستفادة من جهود شقيق صاحبنا المعقّد، ولن نتأخّر عن زجّ حماتك أيضاً في الوساطة لصالحنا. فالوادع.

فالير (تخاطب فالير) : أنا لا أضمن رضى والدي بسهولة. لكني أعدك وعداً قاطعاً بأن لا أكون لسواك.

فالير : ما أحلى هذا التأكيد الصريح. ومهما جرى ...

دُورين : الثرثرة لا تروي غليل المحبّين. هيا اخرجا الى السعي والعمل.

فالير (يتقدّم خطوة ثم يعود) : وأخيراً ...

دُورين : ما أكثر كلامك وأقلّ عملك. (وهي تدفع كلاً منهما بكتفه) : أُخْرُج أنتَ من هنا. واخرجي أنتِ من هناك.

الفصل الثالث

المشهد الأول

داميس، ودورين

داميس : لتحرقني الصواعق إذا لم أُلْجُمْ هذا الدجّال وأضعه عند حدّه. فلن يردعني أي احترام أو اعتبار متى نويت وقصدت أن أقف في وجهد عدائه.

دُورين : من فضلك، خفّف من حدّتك. فوالدك لم يتعدَّ طور الكلام، ولم يصل بعد الى الأفعال. والأجدر بك أن لا تحاسبه حتى على أقواله، والطريق طويل بين الوعيد والتنفيذ.

داميس : لا بدّ لي من تفشيل المؤامرة، وسأهمس في أذنه كلمتَيْن قارصتين.

دُورين : تمهّل في ما يخصّه ويخص والدك. ودع السيدة تقوم بمسعاها لأنّ لها دالّة على ترتوف، وهو يرتاح الى كل ما تنصحه به. ولا بدّ من أن يضطره لطفها الى مسايرتها. أملي كبير في أن نبلغ حتماً ما نصبو إليه. ستفاتحه هي بأمر الزفاف وتسبر غور عواطفه، وتُفهمه مدى الشرّ الذي سينجم عن القسْر لاسيما في موضوع الزواج. وهناك أمل كبير أيضاً بإقلاعه عن هذه الفكرة، إذ إنّ خادمه أبلغنا بأن سيّده لا ينقطع عن الصلاة. وقد أخبرني هذا الخادم أيضاً أن سيّده لن يلبث أن يجيء الى هنا.

داميس : يمكنني إذاً أن أظل حاضراً لأستمع الى ما تقولينه له.

دُورين : لا، لا. يتحتّم أن نكون وحدنا.

داميس : لن أُوجّه اليه أية كلمة.

دُورين : هل تسخر مني. أنا أعرف حماسك المعتاد. وهو كفيل بأن يشوّه كل ما رسمناه من خطط. هيّا أخرج.

داميس : كلا. أريد أن أرى بأم عيني وأسمع بأذني. وأعدك بأن لا أستشيط غضباً.

دُورين : تبّا لك من عنيد. ها هو قد أقبل. هيّا انسحب.

المشهد الثاني

ترتوف، ودورين

ترتوف (يبصر دورين (: ها أنا ألوذ بمِسْحي وتقشُّفي، وأبتهل دائماً الى السماء لتنير عقلكِ. وإذا أتى أحد لمقابلتي قولي له إني ذاهب لزيارة المسجونين وتوزيع الإحسانات عليهم.

دُورين : ما هذه المُراءاة والإدّعاءات الباطلة ؟.

تَرْتوف : ماذا تريدين أن أصنع ؟.

دُورين : أقول لك ...

تَرْتوف (يسحب منديلاً من جيبه) : يا إلهي. أرجوكِ أن تأخذي منّي هذا المنديل قبل أن أنظر إليك وأخاطبك.

دُورين : ولماذا ؟.

تَرْتوف : لتستري به صدرك المكشوف الذي لا يمكنني أن أشاهده. إذْ إن ذلك يجرح شعوري ويثير في أعماقي أسوأ الأفكار.

دُورين : أنتَ إذاً سريع الوقوع في التجربة، ومنظر الجسد يؤثّر كثيراً على أحاسيسك. أنا لا أعرف ماذا يهيّج مشاعرك. غير أني من جهتي لست ممّن يندفعون بسرعة الى الشهوات. ولو أبصرتك عارياً من قمة رأسك الى أخمص قدميك لن تغرّني رؤية بَشَرتك إطلاقاً.

تَرْتوف : تَوَاضَعي في حديثك قليلاً واحتشمي، أو أغادر هذا المكان فوراً.

دُورين : لا، لن أشوّش عليك هدوء عواطفك. لكني أودّ أن أبلغك كلمتَيْن :

إن سيّدتي لن تلبث أن تنزل الى هذه القاعة وتنوي إبلاغك أمراً ضرورياً.

تَرْتوف : سأنتظرها بكل سرور.

دُورين (تخاطب نفسها) : ما ألْطفه الآن. أنا لا أزال مصرّة على ما قد قلته عنه.

تَرْتوف : هل ستتأخر في المجيء ؟.

دُورين : ها أنا أسمع وقع أقدامها. أجل، هي بذاتها قد وصلت. وأنا أترككما معاً.

المشهد الثالث

ألْمير، وترتوف

تَرْتوف : عافاكِ الله روحاً وجسداً، وبارك أيامكِ بفيض كرمه وحبّه العميم الذي يَغمر به البشر.

ألْمير : أشكرك على هذه التمنّيات التقويّة. تفضّل إجلس على هذا المقعد لكي تكون مرتاحاً.

تَرْتوف : هل شُفيتِ من وعكتك الصّحيّة. بإذنه تعالى ؟.

ألْمير : تماماً، والحمد لله. لقد غادرتني الحمّى منذ بعض الوقت.

تَرْتوف : صلواتي ليس لها هذا المفعول لأستدرّ عليك سيل النِعَم من العلاء. فأنا لم أتوسّل الى السماء بإلْحاح إلاّ من أجل تعافيك العاجل.

ألْمير : هذا من جرّاء غيرتك وقلقك عليّ.

تَرْتوف : صحتك غالية عندي. وأنا مستعد للتنازل لك عن صحّتي اذا لزم الأمر.

ألْمير : أراك تبالغ في تمنّياتك الصادقة لي، وأنا مدينة لك بكل هذه الألْطاف.

تَرْتوف : إني أفعل أقلّ بكثير مما يتوجّب عليّ وتستحقينه أنتِ على طيبة قلبك.

أَلْمير : لقد وددت أن أخاطبك على حدّة بأمر هامّ، ويسرّني أن يكون أحد حاضراً هنا ليسمعنا.

تَرْتوف : يُسعدني أن أَلتقي بك على انفراد، يا سيدتي. فهذه فرصة سانحة طلبتها من السماء، وها أنا أتلقّاها في هذه الساعة المباركة بالذات.

أَلْمير : ما أَلتمسه وأتوق اليه هو كلمة منك تفتح قلبك لي بدون أن تخفي عني حرفاً.

تَرْتوف : هذا ما أريد أن فعله، لأكشف لك مخبّآت صدري بأجمعها. أُقسم لك أن الضجة التي أثرتها أنا بخصوص الزيارات التي تجتذبك الى هنا ليست ناجمة عن أي حقد، بل عن دافع غيرة طاهرة، وعن نيّة صافية ...

أَلْمير : أعتقد أن خلاصي هو الذي يسبّب لك كل هذا الهمّ.

تَرْتوف (يصافحها برؤوس أصابعه) : نعم، يا سيدتي، بدون شكّ هو اهتمامي بك الى حدّ ...

أَلْمير : آه، لقد شَدَدْتَ كثيراً على يدي.

تَرْتوف : هذا طبعاً نابع من عِظَم اهتمامي بمصلحتكِ. ثقي بأني لا أجرؤ على إيلامك لسبب آخر، بل كنت أفضّل ...

أَلْمير : ماذا تفعل يدك هنا ؟.

تَرْتوف : إنّي أتلمّس ثوبك. حقًّا، نسيجه ناعم للغاية.

أَلْمير : بربّك دعني من هذا. فأنا سريعة الدغدغة. (تُرجع مقعدها الى الوراء، ويقرّب ترتوف مقعده نحوها).

تَرْتوف : يا الهي. كم هذا الشغل مُتْقَن. في الحقيقة أنْسِجَة اليوم عجيبة مدهشة. لم أُبصر ما هو ا كثر نعومة وروعة من حياكتها.

أَلْمير : هذا صحيح. لكن الأجدر بنا أن نتكلّم عن قضيّتنا. يُقال إن زوجي وعدك بأن يزفّ اليك ابنتنا. أَخْبِرْني هل هذا حقًّا صحيح ؟.

ترتوف : في الحقيقة، لقد أسمعني كلمتَيْن في هذا الموضوع. وليس هذا كل السعادة التي أرجوها. بينما أرى في غير مكان ما يجتذبني الى الهناء الذي أحلم به.

أَلْمير : لانك لا تحبّ الأمور الأرضية كثيراً.

تَرْتوف : لكن صدري لا يحوي قلباً من حجر.
أَلْمير : على ما اعتقد، أنت لا تعلّق أهمية كبيرة على الملذات الأرضية لأنك تهدف دائماً الى السعادة السماوية.
تَرْتوف : الجمال الذي يجتذبنا الى البهاء السماوي لا يخنق فينا حب الأطايب الزمنية. وحواسّنا تستهويها بسهولةٍ معظم المتع التي كوّنها الباري، وجماله سبحانه وتعالى ينعكس على مخلوقاته. وقد زرع بين ضلوعنا قلوباً رقيقة مفعمة حباً ترتوي بمعاني الجمال، فتَجْلي أنظارنا وتبهج أفئدتنا. وأنا لا يسعني أن أراكِ كخليقة كاملة الأوصاف بدون أن أُعجب من خلال مواهبك بمقدرة مبدع الأكوان، وقد صنع الإنسان على صورته ومثاله. قبلاً، كنت أخشى بحرصٍ متردّدٍ على مصيري من عينَيْكِ الساحرتَيْنِ معتبراً اياهما خطراً على خلاصي، حتى خَبِرْتُ ودادك ووفاءك، فأَمِنْتُ شرّ الإنزلاق، من جراء ما لمسته فيك من الحياء والإباء. فتركت لعواطفي الحبل على الغارب تسبح في أجواء طيبة قلبك وطهارته. والآن، لا أتردّد في الإعتراف بأني بِتُّ أركن الى علوّ أخلاقك ورحابة صدرك لتعالجي ميولي وتهدّئي اضطراب نفسي بما لمسته فيك من حُسْنِ الرعاية والتشجيع على مواصلتي التهادي في رياض الغبطة والهناء. إذ أضحى في وسعك ان تتحكّمي بمشاعري وتحكمي عليّ بالسعادة أو بالشقاء كما يشاء هواكِ.
أَلْمير : تصريحك هذا، وإن بلغ غاية الظرف والكياسة، فاجأني في الحقيقة. لأنك رغم ما يبدو عليك من التحفّظ والتقوى كما عرفك الجميع ...
تَرْتوف : من ناحية التقوى، أنا لست مميّزاً عن سائر الرجال. وعندما أنظر الى ما يتجلّى في الينابيع السماوية، تتبيّن لي الحقيقة الواقعيّة رغم أنّ قلبي ينقاد بدون تبصّر الى الملذات الأرضية. على كل حال، يا سيدتي، أنا رجل من البشر ولست ملاكا. وإذا أَدَنْتِ تصريحي عن أَلْطاف شخصكِ، فالحقّ على سحرك الجذّاب الذي أسرني حالما أبصرت روائع أُنوثتك، وما لبث حُسْنك ان ملك فؤادي في شرع الغرام. فانهارت مقاومتي حيال طغيان جاذبيّتك وسَيْطَرْتِ على مشاعري في جنة حبك، وتغلبتِ على كل ما بذلتُه من جهود في دنيا الصيام والصلاة والزهْد. وإذا بعينيَّ تبوحان

لك أَلْف مرة بخضوعي لسموّ فضائلك، وها أنا أعبّر لك بصوتي عما تطفح به أشواقي إليك من الإعجاب والتقدير والتفاني. فإن علوّ همّتك ليس صدفة اذ يلمع كوميض البرق، بل هو ينبوع يترقرق منه سلسبيل حلاوتك باستمرار مدى الحياة. واذا شاءت رقة شعورك أن تعزّيني وتواسيني في خيباتي المريرة، فإن تقواك لن تتعرّض حيالي الى أية مغامرة مزعجة، وليس ما تخشينه من قبلي على أية نزوة عابرة. فالظرفاء الذين يستقطبون ميول أحلى النساء لا يتجنّوبن صخباً ولا زلّة لسان أثناء المغازلات الغرامية التي ينزلق لسانهم عند تدفّقها مع سيل شهواتهم الطاغية البعيدة عن التروّي والتعقّل. بينما الرجال الذي يغارون على أسرار علاقاتهم يصونون كرامة شعور حبيباتهم لأنهم هم من يُؤْمَن جانبهم، ما داموا يهوون مبتعدين عن فضائح العشق، ويتنعّمون بالمُتَع المعقولة بدون خوف ولا وجل.

أَلْمير : أنا أستمع الى خطابك البليغ ونفسي مرتاحة الى درر أقوالك. فلا تظن أني أنقل الى زوجي ما ردّدته أنتَ على مسمعي من حِكَمِكَ عن الحب والولاء وحُسْن التصرّف في ظل المودّة والوفاء.

تَرْتوف : وأنا عارف بأنك مرهفة الحسّ ذكية الجنان، وأنك رحبة الصدر تستوعبين فيض انفعالات مشاعري التي يطفح بها صدري بدون تعكير صفاء التفاهم الذي يسود بيننا. فالحبيب الحقيقي لا يجرح معبوده ولا تنسَيْ أني كسائر الرجال مُرَكَّب من لحم ودم.

أَلْمير : سواكَ يحمل هذه الأمور على غير هذا المحمل السليم. وتعبيري عن مشاعري لا يعني إلّا صدق أمانتي. فلن أخبر زوجي بما جرى بيننا من حديث لكني أسألك بالمقابل أن تسعى لديه الى التعجيل في عقد قران فالير ومريان بأقرب وقت ؟ وإنْ كَبَتَّ عواطفك وتخلّيْتَ عن آمالك وأحلامك في سبيل إسعاد هذَيْن العاشقَيْن العزيزين.

المشهد الرابع

داميس، وألمير، وترتوف

داميس (وهو يخرج من غرفة صغيرة حيث كان مختبئاً) : لا، يا سيدتي، لا. هذا الكلام الوقح يجب أن يُنْشَر. فأنا من مخبإي سمعت كل ما دار بينكما من حديث جَسُور. وكأن السماء ألْهمتني الى التواري في هذا المكان، لأهدّ عجرفة هذا المتهتِّك المتشامخ الذي يستحقّ التنديد. ولكي أُبادر الى الانتقام من خبثه ومراوغته، وهو يخدع والدي بتسهيل مصاهرته، هو الرجل السافل المخادع الذي يستر مآربه الدنيئة بمحاضراته المغرضة المنافقة عن الحب والزواج والآخرة.

ألْمير : لا، يا داميس. يجب علينا أن نتمسّك بالتعقّل. فحاولْ أنت أن تجعله يُحقق المنّة التي طلبتُ منه ان يساعدنا على نيلها من والدك. وبما أني وعدته بالكتمان لا أريد أن أتراجع عن الوفاء به. فكما تعرف، أنا لست ممّن يرتاحون الى مظاهره الخداعة. فلا المرأة ترضى بمثل هذا الغباء، ولا الرجل يصدّق كل ما يطرق سمعه.

داميس : أنتِ لديكِ حجتك للتصرّف هكذا. أمّا أنا فإنْ فعلت العكس فلي أسبابي الوجيهة، وتجنُّب الفضيحةِ حينئذ يصبح مهزلة ساذجة. ما دام المتشامخ الوقح لم يفز إلاّ بإغضابي؛ كذلك هذا الخبيث اللعين الذي سيطر على تفكير أبي لم يكسب سوى كَرَهي وبُغْض فالير. فما على الجاحد إلاّ اتقاء عقاب السماء على ما جنت يداه من آثام. وبهذه الماسبة الملائمة كأنها فرصة مغرية تساعدني الظروف على استخدامها عند الحاجة.

ألْمير : لكن، يا داميس ...

داميس : لا، لا. أرجوكِ أن تصدّقيني. أنا الآن في ذروة سروري. وحديثك يدفعني الى تذوّق لذّة الانتقام سلفاً. لكني سأقف عند هذا الحدّ، ولن أقدم إلاّ على ما يرضي ضميري.

المشهد الخامس

أوركون، وداميس، وترتوف، وألْمير

داميس : سنرى، يا أبي، ما هو النفع الذي تجنيه من حادث جديد سيدهشك كثيراً. أنت، على ما ألاحظ، قد استفدت من المسايرة التي ترضيك، وهذا السيد قد استفاد بدوره من مسايرتك غير المحدودة. وها قد صرّح بما يصبو اليه عبْر غيرته على مصالحك. وقد فاجأته وهو يحاول أن يلوّث شرفك بإعلانه لوالدتي تصريحاته المهينة عن حبّه ورغباته. وهي من جهتها، بما تتّصف به من دماثة الخلق والصفات الحميدة، أبَتْ أن تثير الفضيحة، فظلّت صامتةً على مضض. لكني لن أقبل مطلقاً بالتغاضي عن هذه المحاولة الدنيئة. وأعتقد أن سكوتي عن هذه المجازفة هو خطأ جسيم وجريمة لا تُغتفر.

ألْمير : نعم أنا أعتقد نظيرك أن سكوت الزوجة وعدم إعلام رَجُلَها بالأمر غير جدير بأمانتها. ففي القضيّة كرامة يجب أن تُصان. وأعلم، يا داميس، أن عواطفي لن تتأثر، ولن أكشف سرّها لأن ثقتك التي أتمتّع بها غالية عليّ جداً.

المشهد السادس

أوركون، وداميس، وترتوف

أُورْكون : هل إن ما سمعته الآن، يا الهي، كلام يُصدَّق ؟.

تَرْتوف : نعم، يا أخي. أنا جبان ودنيء بل أحقر الصعاليك. وكل لحظة من حياتي حافلة بالمساوئ، ومليئة بالجرائم والذنوب. وأعتقد أن السماء ستقاصصني بسبب ما ارتكبته من عصيان وتمرّد على شرائعها. لذا لا أتبجّح برغبتي في الدفاع عن نفسي. فصدِّقْ ما تشاء تصديقه، وصُبَّ جام غضبك عليّ كمجرم، واطردني من أمام وجهك إذا أردت، فلن يَقيَني خجلي وأسفي من استحقاق المزيد من اللوم والعقاب.

أُورْكون (لولده) : أيها الأحمق، هل تجرؤ بكل هذه النقائص ان تسوّد بياض صفحة الرجل الفضيل الطاهر ؟.

داميس : ماذا تقول ؟ هل توصَّل هذا المنافق المرائي الذي يرتدي ثوب اللطافة والعفة زوراً وبهتاناً، أن يحملك على تصديقه وتكذيبي ؟ ...

أُورْكون : آصمتْ، أصابك الطاعون.

تَرْتوف : دَعْهُ يتكلّم. فأنت تتهمه باطلاً ويجدر بك أن تصدّق أقواله. لماذا أُقدم أنا على مثل هذه المغامرة ؟ الخطأ جرى لصالحي. هل تدري على كل حال ماذا يسعني أن أفعل ؟ هل تتّكل على مظاهري الخارجية ؟ وهل تظنّ أنني أفْضلَ مما بدا مني لك ؟ لا، لا. لقد خدعتْك الظواهر فعلاً. فأنا لست، مع الأسف، ما يظنّه الجميع بي. إذْ أنهم يعتقدون أني رجلُ خير وصلاح. بينما في الواقع أنا لا أساوي فلساً واحداً. (يخاطب داميس) : أجل، يا ابنيّ العزيز، تكلَّم، عاملني كسافل وجاحد وهالك وقاتل. وزدْ عليها ألْقاباً أخرى أحقر وأبغض منها. فلن أعارضك، ولن أكذّبك، لأني أستحقّها. وأنا مستعدّ أن أجثو على ركبتيّ وأتحمّل وزرها من قبيل المذلّة والعقاب على كل ما ارتكبته من ذنوب في حياتي.

أُورْكون (لترتوف) : هذا كثير، يا أخي. (لإبنه) : أنا واثق بأن ضميرك لن يخون عهدي.

داميس : ماذا تقول ؟ هل سحرتْك أقاويل هذا المحتال الى هذا الحدّ ؟.

أُورْكون (لابنه داميس) : أُسكتْ، أيها الشقيّ. (لترتوف) أرجوك أن تنهض، يا أخي. (لابنه ثانية) : تبًّا لك من خسيس.

داميس : يمكنه ...

أُورْكون : أُصمتْ.

داميس : لقد فقدتَ صوابك. ماذا تقول ؟ هل أصبحتُ أنا ...

أُورْكون : إن أضفتَ كلمة أُخرى، حطّمتُ رأسكَ.

تَرْتوف : بربّكَ، يا أخي، أرجوك أن لا تغضب. أنا أفضِّل أن أتحمّل أقصى العذاب على أن يصيبه أقلّ خدْش.

أُورْكون (لولده) : تبّا لك من جاحد عقوق.

تَرْتوف : أُتركْه بسلام. إذا اقتضى الأمر، سيجثو أمامك ويطلب منك الغفران ...

أُورْكون (لترتوف) : يؤسفني أن تسخر .. (لابنه) : يا غبي أُنظر الى طيبة قلبه وَرِقَّة شعوره.

داميس : اذاً ...

أُورْكون : دعْهُ بسلام.

داميس : ماذا تقول ؟ أنا ...

أُورْكون : قلت لك : دَعْهُ بسلام. أنا عارف بما يدفعك الى مهاجمته. كُلُّكم هنا تكرهونه. واليوم أرى النساء والأولاد والخدّام يثورون عليه. وبدون حياء يعادونه ويحرّضونني على انتزاع ثقتي من هذا الرجل التقي. لكن كلما أمْعَنْتُم في اضطهاده لإبعاده عني، كلّما تمسّكت أنا به. وسأُعَجِّل في عقد قرانه على ابنتي، لكي أحطّم كبرياء جميع أفراد أسرتي الغاشمين الرافضين.

داميس : أنت تظنّ أنك تُحْسِن صنعاً بالنسبة إليه اذا منحته يد ابنتك.

أُورْكون : أجل، أيها الأحمق، أريد أن أغيظك. أنا أتحدّاكم جميعاً، وسأعلّمكم كيف تطيعونني وتخضعون لمشيئتي، أنا السيد الآخر الناهي في هذا البيت. هيّا انسحبوا من هنا حالاً؛ وبادروا أيها الرعاع الى الركوع، عند قدميه واستغفروه.

داميس : من ؟ أنا ؟ تريد أن أطلب السماح من هذا الوغد الحقير ؟.

أُورْكون : هل تجسر على مقاومته وعلى إهانته، أيها الصعلوك ؟ (لترتوف) ناولْني قضيباً، هيّا ناولني قضيباً، ولا تُمْسِك بي. (لابنه) وأنتَ أُخرجْ حالاً من منزلي ولا تعُدْ أبداً الى هنا.

داميس : سأخرج. ولكن ...

أُورْكون : أسرعوا كلّكم وغادروا هذا المكان. فأنا أحرمك من ميراثي، أيها السافل الحقير، وأصبّ عليك كلّ لعناتي.

المشهد السابع

أوركون، وترتوف

أُورْكون : كيف يجسر على إهانة إنسان قدّيس كهذا ؟.

تَرْتوف : سامحيه أيتها السماء على ما سبّبه من الآلام. (لأوركون) : ليتك تعلم كم يحزنني أن أرى ما يسوّد صفحة أخي.

أُورْكون : حقًّا هذا أمر مُؤْسِف.

تَرْتوف : مجرّد التفكير بهذا العَقُوق يعذّب نفسي ويسحقها .. ما أفظع هذا العمل البذيء ... قلبي يتفتّت ألماً؛ ولا أستطيع أن أتكلّم. أكاد أموت غمًّا من جرّاء هذه المعاملة السيئة.

أُورْكون : يسرع، والدموع تنهال على خدَّيْه، وهو يتوجّه الى الباب حيث تَوَارى ابنه المطرود) : أيها الأحمق، سأندم إذا سامحتُك، أؤدّبك على الفور.

تَرْتوف : هدىً من روعك يا اخي، ولا تنفعلْ. لِنَكُفَّ عن هذه المناقشة العقيمة. أنا أرى كم من الفوضى سّببتْ، وأعتقد أن الضرورة تقضي، يا أخي، بالتخلّص من هذا المأزق.

أُورْكون : وكيف نتوصّل الى ذلك ؟ هل تهزأ بي ؟.

تَرْتوف : الجميع يكرهونني. وأرى أنهم يحاولون إثارة الظنون والشكوك حولي.

أُورْكون : هذا لا يهمّ. هل تجدني أُعيرهم أذناً صاغية ؟.

تَرْتوف : لا سبيل، بدون شك، الى ملاحقته. وهذه العلاقات التي يرفضونها الآن، قد يقبلونها في المرة القادمة.

أُورْكون : لا، يا أخي، لا، أبداً.

تَرْتوف : أنت تعلم، يا أخي، أن المرأة تستميل زوجها بسهولة.

أُورْكون : لا، لا أعتقد.

تَرْتوف : دَعْني بابتعادي سريعاً من هنا، أحرمهم من كل ما يساعدهم على مهاجمتي.

أُورْكون : كلاّ، ثم كلاّ لن تذهب.

تَرْتوف : أكرّرلأ عليك، وأرجوك أن تدعني، بابتعادي سريعاً من هنا، أن أحرمهم من كل وسيلة تساعدهم على مهاجمتي والنيل مني.
أُورْكون : لا، بل ستبقى هنا، لان حياتي معلّقة بوجودك الى جانبي.
تَرْتوف : اذاً، لا بدّ لي من التقشّف. مع ذلك، إذا شئتَ أنت ...
أُورْكون : آهٍ منكَ.
تَرْتوف : كما تريد، لن نطرق بعد الآن هذا الموضوع. لكني أعرف أنّ علينا أن نستخدم كل الطُرُق. فالشرف سرعان ما يتلوّث، والصداقة تضطرّني الى تجنُّب الضجة والمواضيع الشائكة. سأتحاشى لقاء زوجتك، ولن تَرَيَاني كِلاكُما بعد هذه اللحظة أبداً.
أُورْكون : لا، لا. رغماً عن الجميع ستعاشرها. ويسرّني أن أُغيظ كل المعارضين. وأصرّ على أن يشاهدك الجميع بمعيّتها في كل حين. هذا ليس كافّة ما أبغي. سأتحدّى وأغيظ كل محيطي بجعْلك وريثي الوحيد. لذا سأهبك جميع أملاكي وأرزاقي. فأنت أعزّ صديق لديّ وسأُجعلك صهري زوج ابنتي. وهكذا تصبح من أقرب المقرّبين اليّ، أكثر من ابني ومن زوجتي ومن كل أنسبائي. فهل يسعك أن ترفض هذا الإمتياز الذي أعرضه عليك بملء رضاي.
تَرْتوف : لتكنْ مشيئة السماء. وكما تريد أنت ستمّم الأمور.
أُورْكون : ما أطيب عنصرك. تعالَ نظِّمْ مستنداً مكتوباً بهذا المعنى. ولينفجرْ غيظاً جميع من لا يرضون بهذا التصرّف الذي أُصرّ على التمسّك به.

الفصل الرابع

المشهد الأول

كليانت، وترتوف

كليانْت : أجل كل الناس يؤكدون، ويمكنكم أن تصدّقوني، أن الضجة القائمة ليست من صالحك. ولقد وجدتك، يا سيدي، مرتاحاً في هذه الفترة لكي أعبّر لك بكلمتَيْن عما أفكّر به. أنا لمْ أتفحّص بعمقٍ ما يُعْرَض عليك، بل أتجاوز ذلك وأتناول المسألة من أصعب وجوهها. لنفترض أن داميس لم يُحْسِن السلوك، وأنك أنت متَّهَم خطأً، أَوَلا يجمل بك أن تصفح عن الاساءة، وأن لا تفكّر مطلقاً بالانتقام؟ هل يجب عليك أن تتحمّل مسؤولية طرد الإبن من بيت أبيه؟ أُكرر لك بصريح العبارة أنّ الكبار والصغار استاؤوا من هذه المعاملة البذيئة. واذا صدّقتني، بادرت الى مسالمة الجميع، ولم تلاحق القضية حتى نهايتها. فإكراماً لله كُفَّ عن الغضب وَدَعِ الابن وأباه يتصالحا، ويسويّا خلافهما.

تَرْتوف : يؤسفني أن أعلن لك أني بطيبة خاطر لا أُكُنّ له، يا سيدي، أية ضغينة. فأنا أُسامحه ولا أَلومه البتّة، وأودّ أن أخدمه من كل قلبي. لكن السماء لن توافق على ذلك، ويتحتّم عليّ أن أخرج. وبعد فِعْلَتِه التي ليس لها من مثيل أصْبَح التعامل فيما بيننا فضيحة لا يعلم إلاّ الله كيف ينظر الناس إليها. فأضطر الى مداراة الجميع ليغضّوا الطرف عن استهتاري.

كليانْت : أنت تحاول أن تبرّر نفسك وتبرّئ ساحتك، وكل حججك،

يا سيدي، غير مقبولة. لماذا تهتمّ بعدالة السماء التي تُقاصص من يستحقّ العقاب ؟ دعْها تنتقم، ولا تفكّر بالعفو عن الإهانات، ولا تنظر الى أحكام البشر عندما تتمسّك بشرائع السماء. ماذا تقول ؟ علينا أن نتمّم واجباتنا نحو العلاء ولا نقلق، لئلاّ نشوّش راحة ضمائرنا.

تَرْتوف : لقد صرّحت لك بأن قلبي يغفر إساءة هذا الإنسان المتطاول، كما أوصانا الربّ، يا سيدي. ولكن، بعد الفضيحة والعار في هذه الأيام العصيبة. لن ترضى السماء بأن أعيش برفقته.

كليانْت : وهل علمت، يا سيدي، بأنك ستضطرّ الى الاصغاء مرغماً الى ما تُوَسْوِسُه الأهواء للاب الظالم. فقبول منحةٍ من المال لا تُعطيك الحقّ بأن تدّعي امتلاكها.

تَرْتوف : من يعرفني جيداً لن يفكّر بأني اشتهي أموال هذه الدنيا التي أزهد بها، ولا يغرّني بريقها الوهّاج. وإنْ تيسّر لي أن أحصل عليها عن طريق أبي، وإنْ وهبني اياها عن طيبة خاطر، أخشى أن يقع هذا المال يوماً في أيْدٍ لئيمة تتقاسمه وتستغلّه في طُرُق الشرّ والجريمة، لا في سبيلٍ يُرضي الله وينفع القريب.

كليانْت : يا سيدي، لا تأبه لهذه المخاوف التي قد يشكو منها وريث صالح. وليتحمّلْ صاحب هذا المال مسؤولية إساءة استعماله. فذلك خير لك من أن تُتَّهَم أنت بتبديده سدىً. فأنا أُعجب بدون قلق من أن تكون لك الرغبة في إبداء الرأي، من أن تعمل على تجريد الوارث الشرعي من حقوقه الأكيدة. وإذا قيّض لك الله أن تعيش بصحبة داميس، فذلك خير لك من أن تسبّب طرد الإبن من بيت أبيه. حقّاً سيتمّ ذلك على حساب تبصّرك وتحفّظك.

تَرْتوف : الآن، يا سيدي، الساعة تقارب الثالثة والنصف. وهناك واجبات تقويّة تستدعيني. فأرجوك أن تعذرني، لأني مضطرّ الى مغادرتك.

كليانْت : وما هي هذه الواجبات ؟

المشهد الثاني

ألْمير، ومريان، ودورين، وكليانت

دُورين : أرجوك أن تبادر الى إسعافها، يا سيدي. فالألم يحزّ في نفسها. والإتّفاق الذي صمّم الأب على تنفيذه هذا المساء يجعل موضوع قنوطها يزداد تأزّماً في كل لحظة، ولن يلبث هو أن يأتي الى هنا. فلنستجمع قوانا، ونحاول أن نمنعه من تحقيق رغبته بالقوّة أو بالحيلة. المهمّ أن لا ندعه يرتكب هذه الجناية التي تُضِرّ بنا جميعاً.

المشهد الثالث

أوركون، وألْمير، ومريان، وكليانت، ودورين

أُورْكون : كم يسرّني أن أراكم مجتمعين. (لمريان) ها هوذا العقد الذي يتضمّن ما يضحككم، لأنكم تعرفون ما ينطوي عليه من بنود.

مرْيان (جاثيةً على ركبتيها) : أرجوك، يا أبي، بحقّ السماء، وأنت لست غريباً عن تعذيبي، واستحلفك بكل ما من شأنه أن يليّن قلبك، أن تتنازل عن حقوقك الوالديّة هذه المرّة، وتعفيني من وعدي بإطاعتك، وأن لا تجبرني، بحسب واجب الطاعة البنويّة، أن أخضع لهذه الشريعة القاسية الجائرة وأنا أشكو ظلامتي الى العزّة الإلهية من موقفك الصلْب تجاهي في هذه الحياة، رغم أنك علّة وجودي. فلا تجعلْها في نظري تعيسة قاتمة. ولا تدفعني الى اليأس والعذاب بما تفرضه عليّ فرضاً بكل ما أوتيت من حقّ وسلطة.

أُورْكون (وهو على وشك ان يلين) : أُحْزُم أمرك، يا قلبي، ونجِّني من الضعف البشري.

مرْيان : ميلك الى من نُعجَب به لا يضايقني، فسايرْه واعْطِهِ مالك كلّه. واذا لم يَكْفِ أضفْ له أيضاً ما يعود اليّ. فأنا راضية من كل قلبي،

وأتنازل لك عنه. ولكن لا تذهبْ الى حدّ منحه إيّاي كذلك. أرجوك أن تقبل بلجوئي الى الدير مهما قَسَتْ أنظمته وقوانينه الصارمة، فيكون ذلك أهون عليّ من المصير القاتم الذي تدفعني اليه هكذا بهذا الزفاف.

أُورْكون : آه منكِ، ومن الراهبات الماكرات حين يقاومْن رغبة والد مثلي. وقوفاً، يا ابنتي. كلّما كرهتِ قبول هذا العريس، كلما ازداد استحقاقك إياه. عليك أن تروّضي مشاعرك في سبيل هذا القران، ولا توجعي رأسي أكثر مما فعلتِ حتى اليوم.

دُورين : ما هذا الكلام المغلوط ؟ ...

أُورْكون : أسكتي أنتِ، ولا تنبسي ببنت شفة. فأنا امنعك من أن تلفظي حرفاً واحداً آخر في هذا الموضوع الذي لا يعنيك.

كليانْت : إذا سمحت لي باسداء النصح لك، أجبتك ...

أُورْكون : نصائحك، يا أخي، هي أفضل ما في الدنيا، لأنها معقولة وموزونة، وأنا أُقدّرها حقّ قدرها. لكن اسمحْ لي بأن لا أصغي إليها هذه المرة.

أَلْمير (لزوجها أوركون) : بما إني أشاهد ما أراه بوضوح، لم أعدْ أدري ما أقول. إن تصلّبك في رأيك يجعلني أُعجَب بقوّة شخصيّتك. لكني أخشى عليك أن تندم في مستقبل الأيام على ما تُقْدِم عليه اليوم بتسرّع وتشبث به.

أُورْكون : أنا في خدمتكِ، فلا تغترّي. إني أعرف عطفك الخاص على ولدي الطائش الذي يصعب عليك أن تعارضيه وتلوميه في موضوع ما فعله بهذا الرجل المسكين. وقد حافظتِ على هدوئك رغم كل تأثّرك.

أَلْمير : هل يجوز لنا، لمجرّد عاطفة غرامية، أن نتمسّك بحكما الخاطئ الجائر ؟ نحن لا يسوغ لنا أن نقبل كل ما يخطر ببالنا كتفكير سليم. فنحكم على بريق العينين والبوح بطرف اللسان بأنها نابعة من أعماق القلب. أنا لا يهمّني هذا الموضوع الذي أزدري به، وهذه الحالة لا تُعجبني أبداً. بل أفضّل أن أُظهر بعض الحكمة والتروّي، ولا أوافق مطلقاً على هذه التحفّظات القاسية. لأن حججنا أحياناً لا تخلو من التجريح بالبراثن والأنياب الحادّة، ونحن لا نحجم عن مجابهة الأشخاص الأبرياء. وقانا الله من مثل هذه الحكمة الجائرة. فأنا أميل الى الفضيلة البعيدة عن قبضة إبليس، وأعتقد

أنّ رفضاً مبطّناً بالبرود ليس أقلّ قسوة لترويض قلبٍ تيّمه الهوى.
أورْكون : أخيراً فهمت لبّ القضيّة، وبتُّ أبحث عن حلّ عادل.
ألْمير : لا أزال معجبة بتصرّفك الفريد نوعاً ما. ولكن ما العمل إذا كنت قليل الأمانة صعب التصديق. لا بدّ لي من أن أثبت لك أني لا أقول سوى الحقّ.
أورْكون : سنرى.
ألْمير : أجل.
أورْكون : قصّتك عجيبة.
ألْمير : ما قولك إن وجدت سبيلاً للكشف عن الواقع بنور الحقيقة ؟.
أورْكون : هذه أضغاثُ أحلام.
ألْمير : أي صنف من الرجال أنتَ ؟ على الأقلّ، ردّ عليّ بجواب مُقْنع. أنا لا أطالبك بتعديل موقفك، بل أسألك أن تعتبر من باب الانسانية أننا نسهّل لك رؤية الأمور بجلاء، وسماع الكلام على علاّته. فما قولك في رجلِ الخير الذي تتشبّث بإكرامه عبثاً وتُصرّ على مصاهرته.
أورْكون : في هذا الوضع، أقول ... لن أقول كلمة. لأن هذا غير ممكن.
ألْمير : الغلط طال أمَده، وأصبح الشك بكلامي جناية لا تُغتَفر. ولا بدّ لي من أن أذهب الى أبعد حدود المستطاع، لأثبت لك صحّة ما أقول، مدعوماً بشهادة دامغة.
أورْكون : ليكن ما تريدين. وسأحاسبكِ على كل ما تتلفّظين به حساباً عسيراً. وسأرى مهارتك ودقّة وفائك بوعودك.
ألْمير : أُجلبْ صاحبك الى هنا.
دُورين : إنه خبيث محتال، وإذا فوجئ لا يتأخّر عن الأذى.
ألْمير : لا، لا. نحن غالباً ما ننخدع راضين بما نحبّ ونفضّل. ما دامت عزّة النفس تحمل الانسان على التشبُّث بما أنخدع به في أغلب الأحيان. هيا أنزلا هذا الشخص الى هنا (تخاطب كليانت ومريان). ثم إنسحبا من هذا المكان فوراً.

المشهد الرابع
ألْمير، وأوْرْكون

ألْمير : قرِّبْ هذه الطاولة، واختبئ تحتها.
أوْرْكون : لأي سبب ؟.
ألْمير : تواريكَ أمر هامّ وضروري.
أوْرْكون : لماذا تحت هذه الطاولة ؟.
ألْمير : يا الهي. دعني أتصرّف كما أشاء. ففي رأسي خطّة بارعة، لن تلبث أن تلمس مفعولها العجيب. ضع نفسك هنا كما أطلب منك. وحين تختبئ إحرصْ على أن لا يبصرك ولا يسمعك أحد.
أوْرْكون : إعترفي بأنّ مسايرتي هنا تتعدّى كل الحدود. غير أني أودّ أن أعرف ما سيؤول اليه تدبيرك هذا الغريب.
ألْمير : أعتقد أنك في غنى عن التعليق. (تخاطب زوجها المختبئ تحت الطاولة) : على الأقلّ سأعالج موضوعاً فريداً. فلا تتشكّكْ بشكل من الأشكال. ومهما قلت أنا، لا تعارضْني مطلقاً، لأني أقصد إقناعك، كما وعدتك، وأنوي أن أنزع القناع عن وجه هذا المرائي الدجّال. وسأبيّن لك نواياه الخبيثة الوقحة، بإطلاق سراح أفكاره الجهنميّة من عقالها. وكل ذلك، لأظهره لك على حقيقته البشعة. وأنا مستعدّة لإيقاف مسعاي حالما تُسلّم بصحة وجهة نظري. لأن المطلوب منك أن تفضح خداعه حين تلمس أن المراوغة تجاوزت حدّها. فتنقذ مصير ابنتك الصبية البريئة، ولا تعرّضني أنا زوجتك إلى ما لا بدّ من تحاشيه من إغراء هذا المسخ الغدّار. فهذه مصلحتك، وأنت مسؤول وحدك عن سلامتنا وكرامتنا. وإذا ... أشاهد هناك شخصاً قادماً إلينا. فتهيأ، وإياك أن تدعه يشعر بوجودك.

المشهد الخامس

ترتوف، وألمير، وأوركون

تَرْتوف : قيل لي إنكِ تودّين محادثتي في هذا المكان.

أَلْمير : نعم، لديّ أسرار أُريد أن أكشفها لك. فأغلق هذا الباب، قبل أن أبدأ بسردها، وانظر الى كلّ الجهات خشية أن يفاجئنا أحد. لأن القضية، كما حدثت منذ برهة، ليست حتماً من صالحنا. فعلينا أن نحذر كل مباغتة، ما دام داميس قد أسمعني بخصوصك أقوالاً مريعة للغاية. وأنت رأيت بأمّ عينك كيف بذلت أنا أقصى جهودك لمعارضة فكرته، وتخفيف حدّة عواطفه. لقد اضطربتُ قليلاً، ولكني بعون الله ما لبثت أن امتلكتُ أعصابي، بدون أن أتوصّل الى تكذيبه، فسارتت الأمور بصورة آمن. والفضل يعود الى ما نكنّه لك جميعنا من التقدير الذي بدّد الغيوم المتلبّدة في الجو المنذر بالعاصفة، لا سيما أن زوجي لا يسعه أن يحمل لك في صدره أية ضغينة. ولكي نجابه الأقاويل المشكّكة بحقنا، شاءت الظروف أن نكون معاً باستمرار في معظم الأوقات. وهذا شجّعني بدون أن أخشى أية ملامة، على المجيء الى هنا وحدي، وعلى الإنفراد بك بكل أمان، وأتاح لي الفرصة لأكشف لك مكنونات صدري وأن أتعرّض ربما لحرارة عواطفك المحرقة.

تَرْتوف : لهجتك هذه يصعب تفسيرها، يا سيدتي، لأنك منذ فترة كنت تتكلّمين بأسلوب مغاير.

أَلْمير : اذا أغضبك رفضي، فهذا دليل على أنكَ لا تفهم كنْه قلب المرأة على حقيقته، وأنك لا تدرك جيداً ما تقصده من وراء تلميحها حين تدافع، وإن بضعف، عن كرامة عواطفها. ولا يغربْ عن بالك أننا نحن الجنس اللطيف نقاوم بحيائنا المعهود، من يهاجمنا في مثل هذه المواقف، ومن يرشقنا بسهام الحب الذي يهيمن على كياننا مع اننا نعترف بأننا نشعر بادئ ذي بدء ببعض الخجل والتردّد، ولكن حيال الإلحاح، لا نلبث أن نرمي سرحنا ونستسلم راضين. وخلافاً لما ينطوي به لساننا من تمنّع سطحي فإن رفضنا يعني في أغلب الأحيان تنازلاً غير مشروط. وبما أن الموضوع

أضحى بحكم المنتهي، أفَلاَ يدل ذلك على أني لست مرتبطة بمشيئة داميس. أرجوك أن تُصْدقني أوَلَم يكن لطفاً منّي أن أُصغي الى نداء قلبك، طبعاً لأن مناجاتك قد أسرت فؤادي. وعندما ألْحَحْتُ أنا عليك لترفض الزواج المرتقب كما أُعْلِنَ عنه، أوَلَيْسَ ذلك من طرفي تحريضاً على حلّ عقدتنا المستعصية بهذه الطريقة، يعني أن إعتاق قلبك من حب غيري يعبّر عن أغلى أُمنياتي بأن أحتكر هواك أنا وحدي.

تَرْتوف : هذا، يا سيدتي، فائض من مودّتك، وسماعي هذا الكلام العذب من شفتيك، يسيل كالعسل من فمك الحلو، وكالرحيق ينتشي به شوقي اليك، وكالبلسم يشفي جراح هيامي الذي طالت أيام عذابه. فسعادتي تكمن في نيل رضاكِ، وقلبي لا يبتهج إلّا بفرحة لقائك، وها هو يستجدي منك هنا بعض الحرية ليجرؤ أن يرجو، ولو قليلاً، إكتمال هنائه. فأنا أعتبر عباراتك تدبيراً لطيفاً لحملي على العدول عن زواج وشيك. وإذا تسنّى لي أن أصارحك بمنتهى الوضوح، لا أتردّد عن القول لك إني لا أثق كثيراً بمجاملتك البارعة المبطّنة التي تعطيني من طرف لسانك حلاوة وتروغ مني كما يروغ الثعلب.

ألْمير (تسعل لتنبّه زوجها) : ماذا تقول ؟ هل تريد أن تستنفد عواطفي الرقيقة بسرعة ؟ لقد بحت لك بأعزّ مشاعري، وأنت لا تجدها كافية لتُرضي غرورك، وتريد أن تُحرج موقفي لتستغلّ ميولي واشواقي.

تَرْتوف : كلّما قلّ استحقاق الانسان عطف محبوبه، كلّما قلّتْ جرأته في أمل الحصول على وصاله. وكم من إلْتماس رجوناه وصعب علينا تأمينه. وكم ظننا كسْب الودّ سهلاً فخابت آمالنا، وكم ضَمِنَّا قطاف المتعة قبل اليقين بنضوجها. هكذا أنا الذي خلْتُ نفسي أستحقّ طيبة قلبك بتُّ أشك بسعادة، ظننتها وهميةً لأني لم أتمكّن من إقناعكِ، يا سيدتي، بصدق محبّتي.

ألْمير : يا الهي. ما أقسى هواك الذي يجابهني باستبداد، وما أفظع القلق الغريب الذي يلفّ به روحي. فهو يريد أن يفرض عليّ سلطانه، وبالعنف يصرّ على بلوغ أمانيه، الى حدّ أنك لا تَدَعُني أتنفّس الصعداء، بل تطوّق امكاناتي، وتحجز حرّيتي، وتتمادى في استغلال ضعفي للوصول الى مآربك.

تَرْتوف : إن كنتِ حقاً بعين الحذر والنفور تنظرين الى مكارمي، لماذا

تحولين دون إفساح المجال أمامي لأثبت لك صدق عزيمتي.

ألْمير : كيف تسألني أن أوافق على مطلبك، بدون أن أُغيظ السماء التي لا تغفل عن تذكيري بشرائعها المقدّسة ؟.

تَرْتوف : لو كنتِ تتمسّكين بمشيئة السماء لمعارضة رغباتي، فإن تجاوزها ليس بالامر الهامّ العسير في نظري. وهذا لا يجيز لفؤادك أن تحبسي هواه عني.

ألْمير : مهْلا، مهْلاً. تذكّر ما تُهددنا به السماء من عقاب إنْ خالفنا وصاياها.

تَرْتوف : أنا قادر على تبديد مخاوفك الواهية، يا سيدتي. وكذلك أنا بارع في إسكات تبكيت ضميرك، رغم بعض المحرّمات التي تشيرين اليها. فهناك دوماً تمهيدات تسهّل الأمور ولا تعسّرها، وحسب الحاجات توجد وسائل علمية لتوسيع نطاق الضمائر وتقليص شرّ القبائح، بفضل حسن النيّة وصلاح القصد. وانطلاقاً من هذه الاسرار الخفية عن معظم البشر، يا سيدتي، يمكنني أن أزوّدك بتوجيهات شيّقة تستطيعين أنت بمفردك تطبيقها. فما عليك إلاّ مراضاة خاطري بدون تردّد أو وَجَل. وأنا المسؤول عن العواقب بتحمُّلي وحدي سوء المصير. ولكن ما لك تسعلين هكذا بشدّة، يا سيدتي ؟.

ألْمير : وطأة الظروف تضايقني.

تَرْتوف : هلاَّ تناولت جرعةً من نقيع السوس هذا ؟.

ألْمير : سُعالي من النوع المستعصي، وأنا واثقة بأن سوس الدنيا كلها لن يشفي غليلي.

تَرْتوف : هذا حقًّا مزعج.

ألْمير : أكثر مما تتصوّره.

تَرْتوف : إعلمي أن من الهيّن تهدئة ضميركِ. فكوني هنا بأمان واطمئنان لأن لا أحد يعلم بوجودك معي. واعرفي أن فداحة الذنْب تكمن في اذاعته على الملأ، وان الفضيحة بين الناس هي نتيجة الإعلان عن الإثم، اذ ليس من خطيئة ظاهرة عندما تظلّ سرًّا دفيناً.

ألْمير (بعدما سعلت مرة أخرى) : أخيراً أرى من الأنسب أن أساير، وأن أقبل بمنحك ما تلتمسه مني، وأن لا أظنّ سوءاً باستسلامي اليك، ما دامت

الغاية جنّي بعض المتعة. لا شكّ في أن هناك محاذير بتعدّي الحدود. غير أن الربح على قدر المشقّة، وليس من هناء بدون عناء، كما أن دون قطف الوردة لا بدّ من تحمُّل ألم أشواكها. فما علينا إلّا الرضوخ الى نصيبنا. وبما أن الموافقة تتضمّن بعض الذنب، فالمسؤولية تقع على من يدفع الى العصيان، ولا سبيل الى تلبّسي أنا بهذا الجرم.

تَرْتوف : اجل، يا سيدتي، سأتحمّل الوزر وحدي، والقضية في جوهرها ...

أَلْمير : أرجوك أن تفتح الباب قليلاً، لنرى إن كان زوجي يتمشّى في هذا الرُواق.

تَرْتوف : لا حاجة للمبالاة به. فهو رجل، والقول فيما بيننا، يُقاد من أرنبة انفه. فكل أحاديثنا لا علاقة له بها، وأنا قد أَسقَطْتُه من جميع حساباتي.

أَلْمير : مع ذلك، أرجوك أن تطلّ لحظة وتلقي نظرة على ما يجري في جوارنا.

المشهد السادس

أوركون، وألمير

اوركون (يخرج من تحت الطاولة) : في الحقيقة هذا الدجال بلغ أقاصي الخِسّة والدناءة، وتصرفاته مزعجة للغاية.

أَلْمير : ماذا فعلت ؟ لماذا خرجت قبل الأوان ؟ هل تسخر مني ؟ هيا عُدْ الى مكانك، لأن وقت ظهورك لم يَحُن بعد. وعليك أن تنتظر أيضاً قليلاً حتى تبين الأمور بوضوح تامّ، ولا تتكل على الظواهر.

أُورْكون : لا، لا. لم يُفلِت من زبانية الجحيم شيطان أدهى من هذا اللعين.

أَلْمير : يا الهي. أتدري أن استعجالك خفّةٌ تُضيع علينا الفرصة لفضح نواياه الخبيثة. دعنا نقتنع كليّا بسوء مآربه، ولا تَستبق الأمور، خشية أن يبوء مسعانا بالفشل.

المشهد السابع

ترتوف، وألمير، وأوركون

تَرْتوف : كل ما حدث الى الآن، يا سيدتي، يساهم بنجاحنا الباهر. لقد أجَلْتُ بصري في الجناح برمّته، فلم أجد أحداً، وأنا مطمئنّ البال.

أُوزْكون (وهو يوقفه) : مهلاً، أنت تتسرّع في الجري وراء أهوائك الغرامية. عليك أن تلجم أشواقك الدنيئة الآثمة. آهٍ منك، يا رجل الخير والصلاح. كم كنا مغرورين بتزمُّتك، وكم أنت سافل في انسياقك وراء شهواتك المنحطّة. كنت تُلحّ على الإقتران عاجلاً بابنتي. وها أنت تراود زوجتي عن نفسها وتحاول اغراءها بكل الوسائل. لقد خامرني الشك طويلاً بسوء نواياك، وها قد سقط القناع عن وجهك الذميم. لقد اعتقدتُ فترةً أنّ بالإمكان أن تصطلح أحوالك وأن تتغيّر لهجة أحاديثك المبطّنة بالغش والخداع. ولكن الظروف برهنت في هذه اللحظة على أن ظنوني في محلّها. فلم أعد أطيق صبراً على نفاقك ودجلك اكثر مما فعلتُ حتى الآن.

ألْمير (لترتوف) : هذا ما لم أشك في حصوله. وقد أقدمت أنا على هذه الوسيلة لفضح خداعك واحتيالك، أيها الدجّال اللئيم.

تَرْتوف : ماذا تقولين ؟ هل تعتقدين ؟ ...

أُوزْكون : هيّا، هيّا. أرجوك أن لا ترفع صوتك وتضجّ هكذا. فقد ذاب الثلج وبان المرْج. ولا سبيل الى تبرير نذالة سلوكك وإجرامك.

ترتوف : نيّتي ...

أُوزْكون : لم يعد من نفع لتكرار خطاباتك الرنّانة. عليك أن تغادر هذا البيت بدون تأخير لحظةً واحدة.

تَرْتوف : بل عليك أنتَ أن تخرج، يا مدّعي السيادة. فهذا البيت يخصني كما سأثبت لك ذلك، وسأبرهن لك أن كلامك باطل، وأنك عبثاً تحاول مشاجرتي وإهانتي بدون أي حقّ. إذْ لديّ ما يؤكّد تطاولك عليّ وتحقيري بدون سبب. وستندم على موقفك هذا الغبي في طلبك اليّ أن أخرج أنا من بيتي هذا.

المشهد الثامن

ألمير، وأوركون

أَلْمير : ما هذه اللجهة الجديدة ؟ وماذا يقصد بهذا الكلام الغريب ؟.

أُورْكون : في الحقيقة أنا مخجول، ولا سبيل لي الى مناقشته.

أَلْمير : لماذا تقول ذلك ؟.

أُورْكون : لقد انتبهتُ الآن الى غلطتي الفظيعة من خلال أقواله. وها هي هبتي تجرّ عليّ الويلات.

أَلْمير : أية هبة ؟.

أُورْكون : نعم، هذا هو الأمر الواقع. وهناك مسألة أخرى تُقلق بالي.

أَلْمير : ما هي ؟.

أُورْكون : ستعرفين كل ما جرى. علينا الآن أن نتأكّد من أن صندوقاً يخصّني لا يزال موجوداً في مكانه فوق.

الفصل الخامس

المشهد الأول

أوركون، وكليانت

كليانْت : الى أين أنت مسرع هكذا ؟.

أُورْكون : أنا الآن مرهق، ولست أدري.

كليانْت : يُخيّل اليّ أن القضية بلغت حدّاً يُلزمنا بالتشاور معاً. لأن الأمور تعقّدت بعد هذا التصادم.

أُورْكون : الصندوق يشغل بالي اكثر من كل باقي المشاكل التي تبعث على القلق والقنوط.

كليانْت : ألهذا الصندوق إذاً كل هذه الأهمية الكبيرة ؟.

أُورْكون : هو وديعة عندي يخصّ صديقي « أرْكاس » الذي أُرثى لحاله، وضعها هو بذاته بين يديّ في سرّيّةٍ تامة. لأنه قبل هَرَبه قد اختراني اميناً على ما يتضمّنه من اوراق جوهرية، كما قال لي، تتعلّق بها حياته وامواله.

كليانْت : ولماذا تركها في حَوْزتك، ولم يحتفظ هو بها.

أُورْكون : أعتقد أن دافعه هو تخليص ذمّته، إذ صرّح لي بأنه على وشك افتضاح أمره حيال من خان عهده. وقد اقنعتْني حجّته بتسليمي هذا الصندوق لأخبئه له عندي. حتى اذا اقتضى الأمر، وجرى تحقيق في موضوعه، يكون لديّ مهرب وسبب جاهز، كي يظلّ ضميري مرتاحاً بأمان، ولو أقسمتُ زوراً بخلاف الواقع.

كليانْت : أنت في مأزق حرج على ما يبدو لي. والهِبَة، وهذه الثقة ما هي كما ينبئني إحساس إلّا تدبير استَنْبَطْتَه أنت على عجل، وقد يودي بك استهتارك بعيداً، وهذه الوديعة بين يديك عبء ثقيل عليك. فالرجل تخلّص من وقرها ودفعها إليك، فقَبِلْتَها بتسرّع وقلّة تبصّر. وأضحى الآن من المحتّم عليك أن تجد بهدوءٍ مناصاً ينقذك من هذه الورطة الوبيلة.

أُورْكون : ما قولك ؟ هل تعتقد أن وراء حُسْن المظهر المؤثّر، يخفي هذا الرجل شخصيّة غامضة مزدوجة، ونفساً شرّيرة ؟ وأنا قد أمّنت له حاجته بغباء ولم ... لقد قُضي الأمر، وقرّرت أن لا أثق بكل رجال الخير، وبتّ اكره التعاطي معهم، ومن الآن وصاعداً سأكون لهم شيطاناً رجيماً.

كليانْت : هدّئْ روعك، وخفّفْ حدّة غضبك. عليك أن تحتفظ بصفاء ذهنك. فأنت الآن تلمس فداحة غلطك، وتعترف بتسرّعك في وثوقك الذي جاء بغير محله. ولكي تصلح خطأك تكاد تقع في غلط أفظع منه. ورُحْتَ تخلط بين نوايا الرجال الصالحين ونذالة الوغد اللئيم، وتخبط في هذا المجال خبط عشواء. ولأجل محتال سافل غَدَرَ بك وغشّك بحجةٍ ظاهرها بريء وباطنها سبحان العليم، أخذتَ تشكّ بكل الناس وتعتقد أنهم كلهم على شاكلته، وأنّ الكون أصبح خالياً من الاتقياء الاوفياء، يعجّ بالاشقياء المجرمين. دَعْ للرعاع الأغبياء مثل هذه الحماقات، وأَعِدْ ثقتك الى أصحاب الفضيلة الذين يستحقّون عليك أن لا تُهين الخيّرين الشرفاء. وإذا وَقَعْتَ بين النقيضَيْن لا بدّ لك من أن تميل الى جهة الأصلح.

المشهد الثاني

داميس، وأوركون، وكليانت

داميس : ما بك يا أبي ؟ هل حقّاً أنت معرّض لتهديد أحدِ الخبثاء الغادرين ؟ لا بدّ من ردّ كيده الى نحره، ومنعه من ابتزازك واستغلالك.

أُورْكون : نعم، يا ابني، يؤسفني أن أكون في وضع لا أُحْسَد عليه.

داميس : دعني أقطع لسان الجاني. ولقاء وقاحته ألقّنه درساً قاسياً لا ينساه مدى العمر. إتّكل عليّ، فأنا على أتمّ الاستعداد لإنقاذك من براثن هذه المحنة، ولكي أقطع دابر الشرّ سأعرف كيف أقضي عليه وأقتلعه من جذوره.

أُورْكون : هذا كلامُ بطل تُرجى منه عظائم الأمور. لكن، أرجوك أن تهوّن على نفسك وتخفّف حماسك للاقتصاص من المعتدي. فنحن الآن نعيش في عصر مسالم لا يلائم فيه اللجوء الى العنف لفض المشاكل، إذْ لا خير من مداواة الشر بالشرّ.

المشهد الثالث

السيدة برنال، ومريان، وألْمير، ودورين، وداميس، وأوركون، وكليانت

السيدة بَرْنال : ما الامر ؟ لقد بلغتني أنباء مزعجة غامضة.

أُورْكون : هذه في الحقيقة مشاكل جديدة، تبصرها عيناي وتسمعها أذناي لأوّل مرة. وسيكلّفني حلّها باهظاً جداً. فلقد استضفت رجلاً وأصغيت الى شكواه، واعتبرته كأخ محبّ، وحاولت أن أواسي لهفته، وأن أُسدي اليه جميلاً، فوعدته بتفريج كربته وبتزويجه ابنتي ومنحه كل ارزاقي. لكنه ما لبث أن تجلّى على حقيقته. واذا به غدّار لئيم ومحتال خسيس، حتى أنه حاول أن يغرّر بأمرأتي أيضاً. ولم يكفه ما يضمره من غشّ وخداع وابتزاز فهدّدني بالويلات مستغلاًّ طيبة قلبي كي يضعني في المأزق الذي صدّقته وحاولت انتشاله منه.

دُورين : مسكين أنت.

السيدة بَرْنال : لا يمكنني أن أصدّق أن هذا المغلوب على أمره لا يتورّع عن إتيان عمل نذلٍ كهذا.

أُورْكون : ماذا تقولين ؟.

السيدة بَرْنال : كم أرقّ لحال رجال الخير المحسودين والمتّهمين زوراً على الدوام.

أوزْكون : ماذا تقصدين بقولك هذا، يا أمّاه ؟.
السيدة بَرْنال : أعني أن الحياة غزيبة في وسطكم، وأن الحقد ليس له من حدود.
أوزْكون : وما دخل الحقد في ما نحن الآن بصدده ؟.
السيدة بَرْنال : لقد أكّدت لكم ألْف مرة عندما كنتم صغاراً أنّ لا كرامة للفضيلة في فوضى هذه الدنيا، وأن الحسّاد يموتون كمداً ويبقى الحسد على الدوام.
أوزْكون : وما علاقة هذا الكلام بما حدث الآن ؟.
السيدة بَرْنال : سيُخلَق لكم ألْف قصة من هذا النوع إن بقيتم مغفّلين.
أوزْكون : كررت عليك مراراً إني شاهدت العجب بأم عيني.
السيدة بَرْنال : ليس من قرارٍ لأذى نميمة أهل الشر والفساد التي تشبه اللجج الطاغية.
أوزْكون : أنت تظلمينني، يا أمّي. قلت لك وأعيد عليك أني أبصرت الجرم الفظيع بأم العين.
السيدة بَرْنال : ألْسِنَة السوء مشبعة بالسمّ الزعاف تنفثه في كل زمان ومكان على هذه الأرض الواسعة، وليس من السهل تحاشيها.
أوزْكون : هذا حديث لا طائل تحته. قلت لك وأقول وسأقول إني أبصرت الأذى بأمّ عيني ولمسته لمس اليد. ولن أكفّ عن ترديده على الملأ الى ما لا نهاية له.
السيدة بَرْنال : يا الهي. ألا تعلم، يا ولدي، أن الظواهر خدّاعة، وأنّ على الرجل العاقل أن لا يحكم في أي أمر على ما يرى ويسمع فقط.
أوزْكون : أكاد أجنّ.
السيدة بَرْنال : طبيعة الانسان ميّالة الى الشكّ، وأنت تكاد لا تصدّق ما يظهر للعيان من خير وصلاح.
أوزْكون : لا بدّ لتفسير الإصرار على وجود النوايا الطيبة من أن ألبّي رغبتي في تصديق زوجتي.
السيدة بَرْنال : ولا بدّ من حجج دامغة لإلقاء التهم على الناس، وعليك

أنت أن تنتظر جلاء الامور لاصدار حكمك النهائي.
أورْكون : ربّاه، كيف يتسنّى لي أن أجد السبيل الى التأكُّد كما يجب. عليّ اذاً، يا امي، ان انتظر حتى تبدو الحقيقة ناصعة لعينيَّ. وهكذا ... تضطريني الى قول بعض الحماقات.
السيدة بَرْنال : أخيراً، أراك متشوّقاً الى القيام بعمل جليل، ولا يسعني أن أتصوّر أنك تصبو الى محاولة إثبات ما قد قيل.
أورْكون : لست أدري، لو لم تكوني والدتي، بماذا كنت رشقتك، وأنا في فورة غضبي.
السيدة بَرْنال : الأمر عادي وبسيط للغاية في هذه الدنيا. أنت لا تصدّق ما يقوله غيرك، وسواك لا يصدّق ما تصرّح به أنت.
كليانْت : ترانا نضيع وقتنا الثمين في مماحكات تافهة. بينما يجدر بنا أخذ الاحتياطات لردّ التهديدات الخبيثة التي يتحتّم علينا أن لا نغفل عن توقعها وننام على حرير تجاهلها.
داميس : ما هذا الكلام ؟ هل بلغت الوقاحة بصاحبنا الدجّال الى هذا الحدّ ؟.
ألْمير : أنا لا أعتقد أننا سنصل الى الطريق المسدود. فان جحوده هنا بارز للعيان.
كليانْت : جانبه غير مأمون. وسيكون له ردّات فعل عنيفة ويحاول زوراً أن يثبت أنّ الحق معه في ما يبذله من جهود. أكرر عليكم : بما أن لديه سلاحاً فتّاكاً يجمل بكم أن لا تدفعوه الى إشهاره عليكم.
أورْكون : هذا صحيح. ولكن ما العمل ؟ الآن أشعر بأني لم أكن على مستوى درء أذى هذا الشرير الغدار عني.
كليانْت : كم أودّ من كل قلبي أن أتوصّل الى تضييق شقة الخلاف بينكما، وإجراء مصالحة شاملة ليسود الوئام علاقاتكما.
ألْمير : لو علمت بأن في يده مثل هذا السلاح الجارح، لما كنت أوصلت النزاع الى هذه الهاوية السحيقة. وأنا ...
أورْكون : ماذا يريد هذا الرجل بالضبط ؟ لا بدّ لنا من أن نعرف الحقيقة. فأنا مستعد لقبول كل تسوية.

الفصل السادس

المشهد الأول

السيدة لويّال، والسيدة برنال، وأوركون، وداميس، ومريان، ودورين، وألمير، وكليانت

السيد لويّال : نهاركِ سعيد، يا اختي العزيزة. أرجوك أن تدعيني أكلّم هذا السيّد.

دُورين : هو ليس وحده، وأشكّ بأن يتمكّن الآن من مقابلة أي شخص.

السيد لويّال : أنا لست دخيلاً على هذه القضية، وأثق بأن وساطتي لن تزعجه، على ما أرى. فالموضع الذي أنوي أن أطرقه سيرضيه كل الرضى.

دُورين : ما اسمك ؟.

السيد لويّال : قولي له فقط اني آتي من قِبَل السيد ترتوف لأجْل حلّ هو حتماً من صالحه.

دُورين : هذا الرجل يأتي بصورة لطيفة من قِبَل السيد ترتوف، ليفاتحك بمسألة ترضيك، كما يقول.

كليانْت : عليك أن تتبيّني من هو هذا الرجل، وماذا يريد تماماً.

أُورْكون : ربما أتى لكي يصالحنا. فكيف يجب عليّ أن أبدو له ؟.

كليانْت : لا بدّ لك من كظم غيظك، ومحادثته بلهجة الوفاق، والإصغاء الى ما سيعرضه عليك.

السيد لويّال : نهارك سعيد، يا سيدي، لا غَفِلَتِ السماء عمّن يريد اذاك، وحقّقتْ لك أعز أمنياتك.

أوزْكون : بدء كلامك ينطبق على توقّعي الحكيم. وأظنه مقدّمة للوصول الى الإتّفاق المنشود.

السيد لويّال : أسْرتك منذ القدم كانت، ولا تزال عزيزة عليّ، فقد أمضيت عمري في خدمة سيدي والدك الوقور.

أوزْكون : أسألك العفو. لقد أخجلتني بوفرة تواضعك، وأنا استحي من عدم معرفة اسمك، فهل يمكن أن تذكره لي ؟.

السيد لويّال : أنا أُدْعَى لويّال، مسالم من مقاطعة نورْمنْدي، وظيفتي حاجب وأمسك بعكاز، رغم أنف كل حاسد. ومنذ أربعين عاماً أمارس مهنتي باعتزاز. وآتي الآن اليك، يا سيدي، عن اذنْك، لأبلغك قراراً ما ....

أوزْكون : ماذا تقول ؟ أنت هنا لِكَيْ ...

السيد لويّال : يا سيدي، لا تَحْتَدّ. هذا ليس سوى إنذار، بل إذا شئت، أمر موجّه اليك والى أفراد أسرتك بإخلاء هذا المكان. ستضع مفروشاتك خارجاً وتسمح لغيرك بأن يسكن هذا العقار بدون إمهال أو تأجيل حسب مقتضى الحال ...

أوزْكون : أأنا أخرج من هنا ؟.

السيد لويّال : نعم، يا سيدي، من فضلك. فهذا المسكن أضحى حالياً كما تعلم، مُلْك السيد ترتوف، يخصّه بلا منازع. وقد أصبح صاحب أملاكك وسيّدها المطلق بموجب عقد هو بحوزتي، كامل النصّ بالشكل والأساس، وليس عليه قانونًا أي غبار أو ما يقُال.

داميس : لا سبيل للنكران أن هذه وقاحة لم يسبقها مثيل، وإنْ أُعجبتُ بجسارتها.

السيد لويّال : يا سيدي، أنا لم يعد لي شأن معك. فهذا الشخص بالغ راشد وعاقل لطيف. وهو كملاّك سابق مطّلع على هذه الإجراءات، وليس بحاجة الى الإعتراض على أنظمة العدالة.

أوزْكون : ولكن ...

السيد لويّال : نعم، يا سيدي، أنا عارف أنك لأجل مليون لست مستعدًّا للمعارضة أو للتمرّد على قرار المحكمة. لذا أنا مقتنع بأنك ستتيح لي المجال لتنفيذ الأوامر الصادرة اليّ.

داميس : يمكن، يا سيدي الحاجب، صاحب العكّاز، أن تتباهى وتعتزّ ببزّتك السوداء.

السيد لويّال : أطلب، يا سيدي، من ولدك أن يسكت أو أن ينسحب. وإلّا إضطرزت الى تنظيم محضر مخالفة بحقّك وبحقّه.

دُورين : أرى أن السيد لويّال ينوي إثارة المتاعب.

السيد لويّال : أنا أحترم جميع الناس المسالمين، ولم آتِ الى هنا إلّا لإبلاغكم بدون إزعاج، ما أحمله من أحكامٍ مبرمة. فما عليكم إلّا أن تواجهوها بحسن القبول، وأن لا تجبروني على ...

أُورْكون : وما هو الإجراء الأدهى من أن تطلب من الناس أن يُخْلوا بيوتهم ؟.

السيد لويّال : لقد حدّدت لكم، يا سيدي، مهلة التنفيذ حتى الغد. وسآتي لأُمضي الليلة هنا مع عشرة من رجالي بدون إثارة فضيحة أو شغب. ويتحتّم عليكم شكليًّا قبل أن تناموا أن تسلّموني مفاتيحٍ باب داركم. وعليّ أن لا أُقلق راحتكم. ولكن منذ صباح الغد عليكم أن تبادروا الى مغادرة المكان بعد إفراغه من كل الادوات المنزلية. سيساعدكم رجالي على إنجاز ذا العمل وإخراج كل المحتويات. وكونوا على يقين بأن ليس بالإمكان لأي كان أن يتصرّف بطريقة أفضل ممّا فعلت أنا. وبما إني أعاملكم بأقصى التساهل، أرجوك، يا سيدي، أن تُحسِن التصرّف أنت أيضاً، وأن لا تُخِلّ بإجراء اللازم في تنفيذ مهمتي كما يجب.

أُورْكون : بكل طيبة خاطر سأناولك فوراً مئة ليرة ذهبية، لم يبقَ لديّ سواها كي تُدخل السرور الى قلبي بلطمك هذا الرجل الفظّ لطمةً يتذكّرها طوال عمره.

كليانْت : دَعْكَ من هذه الفكرة الصبيانية، ولا تشوّه عدالة القضية.

داميس : ازاء هذه الجسارة، أكاد أضبط أعصابي، وأشعر بأن يدي تحكّني لأُنزل ضربة تقصم ظهر المعتدي.

دُورين : بمثل هذه القامة الضخمة، أيها السيد لويّال، أعتقد أن كم ضربة قضيب لن تكون ضائعة فيه.

السيد لويّال : لا بدّ لكِ من عقاب صارم أنتِ أيضاً على هذا الكلام، يا صديقتي. واعلمي أن المحاكمات تشمل النساء أيضاً.

كليانْت : لنضع حداً لهذه المهزلة. فقد طفح الكيل. ناولْنا هذه الورقة، من فضلك، وارحلْ عنّا بسلام.

السيد لويّال : الى الملتقى، حفظكم الرب.

أُورْكون : أسأل المولى أن يهدّ حَيْلك وحَيْل من أرسلك الينا.

المشهد الخامس

أوركون، وكليانت، ومريان، وألمير، والسيدة برنال، ودورين، وداميس

أُورْكون : والحالة هذه، يا والدتي، وبما ان الحق الى جانبي، وأنتِ تَرَيْن من الأنسب أن تحكمي على ما تبقّى من هذه المعضلة، فلا بدّ من أن تعترفي بأن دناءته ليس لها من حدود.

السيدة بَرْنال : أنا مندهشة، وقد عراني الذهول.

دُورين : لا فائدة من شكواكم، ولومكم في غير محله. لأن ما جرى قد جرى. ولأن محبّة القريب فضيلة يجهلها كل عقوق. لا شكّ في إن المال يُفسد اخلاق الانسان. وهذا الخصم إكراماً لكم يريد أن يجرّدكم من أملاككم حرصاً على خلاصكم ورفاهكم.

أُورْكون : أُسكتي. هذه هي الكلمة التي أُضطر دائماً الى ترديدها لكِ، يا ثرثارة.

كليانْت : هيّا نبحث عن المجلس الإداري الذي علينا أن ننتخبك عضواً فيه.

أَلْمير : عليكم أن تثيروا حفيظة الجاحد عديم الانصاف. لأن حديثكم لا

تأثير له في محاولة إبطال مفعول العقد. ومن ثَمّ تظهر رجاسة منظّمة كالغراب الفاحم السواد على رقعة مكسوّة بالثلج الناصع البياض. وعلينا أن لا نرجّح نجاحه في هذه المشكلة أكثر مما نظن.

المشهد السادس

فالير، وأوركون، وكليانت، وألمير، ومريان، وغيرهم .

فالير : يؤسفني، يا سيدي، أن آتي لأزعاجك. غير أني مضطر الى التصرف هكذا، نظراً الى الخطر المحدق بك. هناك صديق تربطني به مودّة متينة، وهو يعلم مدى العلاقة القديمة التي تجمع بيني وبينك. وقد أفشى لي سرًّا مكتوماً وذلك من قبيل الغيرة على معزّتي، وحرصاً على مصالح الدولة، وأبلغني قراراً مضمونه يجبرك على الفرار من وجه العدالة. فالوغد اللئيم الذي ظلّ زمناً طويلاً يمالئك، وَشَى بك منذ ساعة الى الأمير، وسلّمه ملفّك كمجرم دولي، ضمن صندوق له اهميّة كنتَ تحفظه خفيةً، رغم أنه يشكّل خطراً على سلامة الحكومة. أنا أجهل تفاصيل التهمة الموجّهة اليك. غير أني علمت بأن أمراً صدر بحقّك، وأنه هو المكلّف بتنفيذه بمعيّة رجل الأمن الذي سيلقي القبض عليك وشيكاً.

كليانْت : هذه هيه الحقوق التي يدّعيها وتمنحه السلطة على اغتصاب أموالك.

أُورْكون : لا أنكر أنّ هذا المجرم كشف عن حقيقة نفسه، فتبيّن أنه أشرّ فتكاً من الوحوش الضارية.

فالير : وإن تلهيت وأضعت الوقت، إزداد الخطر على حياتك. فها هي عربتي تنتظر خارجاً، ويمكنك أن تستقلّها وتهرب. ولقد اتيتك بألف ليرة ذهبية لتتدبّر أمرك بواسطتها. فلا تُضع الوقت سدىً. الأمر، كما ترى، خطير جداً، وبإمكانك تجنُّب الكارثة بفرارك حالاً، وانتقالك الى مكان آمن. وأنا مستعد لمؤازرتك ومرافقتك الى حيث تشاء.

أُوزْكون : لا،لا . أشكرك على ما تقدّمه لي من مساعدة. ولِكَيْ أردّ لك جميلك يلزمني بعض الوقت. فأطلبُ من الله أن يعينني على مبادلتك هذه الخدمة الجليلة. الوداع. أرجوكم أن تأخذوا حذركم أنتم أيضاً ...

كليانْت : اذهب عاجلاً، يا اخي، ونحن هنا نتدبّر أمرنا كما يجب.

الفصل السابع والأخير

رجل الأمن، وترتوف، وفالير، وأوركون، وألْمير، ومريان، وغيرهم

تَرْتوف : مهلاً، يا سيدي، مهلاً؛ ولا تسرع هكذا. لن تذهب بعيداً كي تجد ملجأً؛ ولن تلبث أن تُسْجَنَ بأمر الأمير.

أُورْكون : تبّاً لك من خائن حقير. حفظت لي هذه النهاية التعيسة الى آخر المطاف. هذا ضرب منك يثبت مكرك وانحطاط أخلاقك، وقد توّجْتَ به غدرك الدنيء.

تَرْتوف : إهاناتك لن تفيدك، ولن تؤذيني، لأني معتاد على أمثالها.

كليانْت : أنا أعتقد أنّ الاعتدال خير الحلول.

داميس : كم يهزأ المجرمون بعدالة السماء.

تَرْتوف : مهما بلغ احتداد غيظك لن يؤثّر عليّ. وأنا لا يهمّني إلاّ القيام بواجبي.

مرْيان : أنت تظن أن هذا التصرّف يُشرّفك، وأنت بهذا العمل الذي قد جَنَيْتَ أوفر الارباح ماديًّا ومعنويًّا.

تَرْتوف : عملي طبعاً لا يُعتَبَر ناجحاً إلاّ إذا تمّمتُه حسب الأصول.

أُورْكون : هل تتذكّر أياديّ البيضاء عليك، يا ناكر الجميل، وكم من معروف اسديت إليك، أيها الجاحد النذل ؟.

تَرْتوف : أجل، لا أزال أتذكّر كم جُدْتَ به عليّ من رعايتك وعونك. غير أن تنفيذ قرار الأمير هو اليوم أوجب واجباتي. وتتميم هذا الواجب

المقدّس يخنق في أعماقي عاطفة عرفان الجميل. وأنا مستعدّ أن أُضحّي في هذا السبيل بصديقي وزوجتي وأهلي، حتى بذاتي أنا أيضاً معهم.

ألْمير : ما أحقرك من شرّير بغيض.

دُورين : لقد ظهرت أخيراً على جليّتك، أيها المنافق الغدّار، وتبيّن أنك أسفلِ الأوغاد.

كليانْت : بالأمس كنّا نظنّك الرجل الكريم الغيور على فوز الفضيلة التي كنتَ تدّعيها. حسناً فعل صاحبنا الذي طاوع امرأته لكي تكشف حقيقة خداعك ومُراءاتك، بينما أنت تراوغ وتحاول إغراء زوجته أيضاً. وإذا به يضطر في الآخر الى طردك والتنديد برذائلك. أنا لا أودّ أن أكلّمك عن تنكّرك لواجباتك، وعن احتيالك واستدراج من تدّعي صداقته الى منحك أمواله كهبة، بل أريد أن أحاسبك على اعتبارك إياه مجرماً وعلى مطاردتك اياه بعد أن أكرمك وأهداك ممتلكاته.

تَرْتوف (لضابط الأمن) : أرجوك أن تخلّصني من هذا الصراخ المزعج، وأن تنفّذ الأوامر الصادرة اليك اليوم لإلقاء القبض عليه وإتمام مهمّتك هذه.

ضابط الأمن : أجل، عليّ أن أبادر الى عمل ما جئت لأجله. لذدا، إتبعني حالاً الى السجن الذي أصبح الآن مأواك.

تَرْتوف : من، يا سيدي، أنا ؟.

ضابط الأمن : نعم أنت بذاتك.

تَرْتوف : ولماذا أُسْجَن ؟.

ضابط الأمن : لا حساب لديّ أؤديه لك. (يخاطب أوركون) : تنبّه يا سيدي، من غفلتك. نحن نعيش في ظلّ أمير عادل يكره الغش ويحارب الفساد، أمير يسهر على مصالح رعاياه، ويعاقب المجرمين، ولا يغمض له جفن حتى يردّ لك ذي حقّ حقّه بدون أن يتلهّى بالأباطيل وتنطلي عليه الحِيَل. وحين جاء من يشكوك اليه، كشفه على حقيقته وفضح نواياه العدائية الجانية. لقد عرف هذا العاهل الصالح كيف يتبيّن نذالة خصمك وعقوقه وسائر مساوئه. لأنه دقّق في أوراقك التي كانت بحوزته، والعقد الذي خوّله استملاك أرزاقك. وقد صفح عنك رغم ما وجهه اليك من إتهامات، وحرص على

الاشادة بما بذلته في الماضي من غيرتك، وأيّد حقّك. لانه يتشبث بتأمين الحقّ والعدالة لكل أتباعه المسالمين.
دُورين : الحمد لله الذي قيّض لنا هذا الحاكم النبيه الحكيم.
السيدة بَرْنال : ها أنا الآن أتنفس الصعداء.
أَلْمير : هذا حقًّا نَجاحٍ باهر.
مرْيان : من كان قادراً على إظهار الحقيقة؟.
أُورْكون (يخاطب ترتوف) : هذا هو المجرم البغيض ...
كليانْت : كفّ، يا أخي، عن هذا الحديث التافه، ولا تتدنّى الى هذا المستوى الساذج، واترك هذا الوغد الى مصيره البائس، ولا تشغل بالك بترّهاته. بل أطلب من الله أن يهديه الى الطريق المستقيم، ويقوّم إعوجاجه، ويردّه الى حظيرة الفضيلة. واسأل المولى أن يحمي اميرنا الفاضل ليظل ساهراً على استتباب الأمن والعدل. واذهبْ واجثو على ركبتيك واشكر الرب على ما اولاك من النعم في ظله الوارف.
أُورْكون : أجل، هذا قول سديد. هيا نَمْثُل أمام العزّة الإلهية لنشكر أفضاله، ونبارك اسمه المجيد الكريم. ثم نتمّم واجباتنا نحو عدله ورعايته، ونكلّل أفراحنا بمباركة زواج هذَيْن العريسَيْن، وقد لبّيا نداء قلبيهما كحبيبَيْن عزيزين سعيدين.

(تمّت)

دُونْ جْوَانْ

أشخاص المسرحية

دون جوان[1] : ابن دون لويس.
سغاناريل : خادم دون جوان.
الفير : زوجة دون جوان.
غوسمان : حامل السلاح لدى الفير.
دون كارلوس :
دون الونس : } شقيقا الفير.
دون لويس : والد دون جوان.
شارلوت :
ماتورين : } فلاحتان.
بيارو : فلاح.
تمثال الفارس الآمر القائد.
لافيوليت :
راغوتان : } خادمان عند دون جوان.
السيد ديمونش : بائع او تاجر.
لاراميه : سيَّاف.
فقير :
حاشية دون جوان
حاشية دون كارلوس ودون الونس.
شبح

تدور احداث المسرحية في صقلّية.

---

(١) دون هو لقب النبلاء في اسبانيا.

الفصل الأول

مشهد قصر[١]

المشهد الأول

سغناريل، غوسمان

سغاناريل (**لكارلوس يحمل منشقة**[٢]) : بالرغم مما يقوله أرسطو والفلسفة كلها، لا شيء يضاهي التبغ، فهو ولع النبلاء من الناس ومن يعيش بدونه لا يستحق العيش. انه ليس فقط يُفرح الأدمغة البشرية ويُطهِّرها وانما يعلِّم النفوس الفضيلة وبه يتعلّم المرء أن يكون نبيلاً. ألا ترى كم يصبح كريماً مع كل الناس وكم يُسرُّ في توزيعه يميناً ويساراً أينما وُجد ما أن يتنشّق القليل منه، فلا ينتظر أن يطلب منه ذلك إذ يهبُّ لتحقيق امنيات الناس. صحيح أن التبغ يوحي بمشاعر الشرف والفضيلة لكل من يتنشّقه. بل كفانا كلاماً عنه. لِنَعُدْ قليلاً الى موضوعنا. هكذا إذن، يا عزيزي غوسمان، دونا الفير، سيدتك، بعد أن فاجأها رحيلنا، شرعت في اللحاق بنا وقلبها الذي طالما عرف سيدي كيفية التأثير عليه بقوة، لم يستطع العيش، كما تقول، دون المجيء الى ههنا والبحث عنه. أتريد أن أكشف لك فيما بيننا عن حقيقة افكاري ؟ أخاف أن لا يبادلها

---

(١) حسبما يبدو، هو مبنى عام مفتوح لجميع المتنزّهين.

(٢) ما يجعل فيه النشوق دقيق التبغ.

مشاعر الحب وأن لا يأتي سفرها الى هذه المدينة إلّا بالقليل من الثمار وأن يكون أنفع لو بقيت هناك.

غوسمان : وما السبب ؟ ارجو، يا سغاناريل، أن تقول لي : ما الذي يوحي لك بخوفٍ على هذا القدر من الشؤم ؟ هل فاتحك سيدك بهذا الشأن وهل قال لك أنّ فتوره تجاهنا إضطرّه الى الرحيل ؟

سغاناريل : كلا ولكن، حسبما أرى، انا أعرف تقريباً مسار الأمور وقبل أن يفاتحني بشيء، أكاد أراهن ان الأمر كذلك. قد أكون مخطئاً ولكن، في النهاية وفي مواضيع كهذه، أعطتني التجربة بعض الخبرة.

غوسمان : ماذا ؟ أيكون هذا الرحيل الغير منتظر خيانةً من دون جوان ؟ أيمكنه الإساءة الى حبٍ دونا ألفير العفيف ؟

سغاناريل : كلا ولكنه لا يزال يافعاً ولا يملك الشجاعة ...

غوسمان : أيقوم رجل بمستواه بعمل جبان كهذا ؟

سغاناريل : آه، نعم، مستواه ! السبب وجيه وهذا ما يمنعه من القيام بأشياء !

غوسمان : ولكن روابط الزواج المقدّسة تجبره على الإلتزام.

سغاناريل : آه، يا صديقي المسكين غوسمان، صدقني، انت لا تعرف بعد من هو دون جوان.

غوسمان : انا لا اعرف حقاً من قد يكون هذا الرجل ولا سيما اذا كان قد خاننا هذه الخيانة، ولا افهم قط، بعد هذا القدر من الحب والإندفاع المشهود والإخلاص والولاء الملحاح والأماني والتنهدات والدموع والرسائل الولهى والإحتجاجات المتوقدة الأيمان المتكررة ومظاهر الحب التي أظهرها، حتى إنه إقتحم من شدة ولهِهِ حاجز الدير المقدس للوصول الى دونا الفير، لا افهم، كما قلت، بعد كل هذا، كيف يملك القدرة والشجاعة على الحنث بوعده.

سغاناريل : انا لا يصعب عليّ فهم ذلك. لو كنت تعرف المحتال الماكر لوجدت الأمر سهلاً بالنسبة اليه. أنا لا اقول أن مشاعره تبدّلت تجاه دونا الفير، لست متأكداً بعد من ذلك. انت تعرف أنني رحلت معه تنفيذاً لأوامره وأنه، منذ وصوله، لم يتحدّث الي قَط؛ ولكن، على سبيل الإحتياط، اعلمك، فيما بيننا، أنك ترى في دون جوان، سيدي، أكبر فاسق حملته الأرض، كلباً

مسعوراً، شيطاناً، عنيداً، ملحداً، غير مؤمن لا بالسماء ولا بجهنم ولا بالغول الذئبي (ساحر يجول ليلاً متنكِّراً بهيئة ذئب)، يقضي حياته كحيوان فظ، كخنزير أبيقور[1]، كسردنبال[2]، حقيقي يَسُدُّ أذنيه عن التأنيب الذي قد توجَّه اليه ويعتبر كترهّات كل ما نؤمن به. قلت لي انه تزوج سيدتك، صدق انه قد يفعل اكثر من ذلك في سبيل هيامه : قد يتزوج منك ايضاً ومن كلبها وقطتها. الزواج عقد لا يكلّفه شيئاً؛ وهو لا يستخدم أشراكاً كغيره لإصطياد الحسناوات. انه طالب زواج دائم مستعدّ لكل خدمة. لا شيء عنده شديد الحرارة أو البرودة : لا فرق، سيدة كانت ام آنسة، بورجوازية أم فلاحة. إذا عددّت لك اسماء كل اللواتي تزوج منهن في أماكن مختلفة لطال بنا الوقت حتى المساء. ما لي أراك متفاجئاً وقد تغيّر لونك عند سماعك هذا الكلام. ليس هذا إلّا رسماً أولياً لشخصيته، ولكي تكتمل صورته فهي تستوجب لمسات أخرى. يكفيك غضب السماء الذي سيوقع به في يوم من الأيام؛ يكفيك أنه من الأجدر بي أن أكون للشيطان من أن أكون له، وأنه يريني الكثير من أعماله البشعة حتى أنني أتمنى أن يضيع في مجاهل الأرض. إلّا أن السيد الكبير والشرير هو امر رهيب. من واجبي الإخلاص له رغم نفوري منه. لقد حلّ في نفسي الخوف منه بدل الإندفاع له فألجم مشاعري، وغالباً جداً ما يرغمني على القبول بما تمقته نفسي. ها هو آتٍ للتنزّه في هذا القصر. لنفترق. إسمع : إني اعترف لك بكل صراحة وقد خرج هذا الإعتراف من فمي بشيء من السرعة ولكن إذا أبلغته شيئاً مما قلته، سأكذّبك بصوتٍ عالٍ.

المشهد الثاني

دون جوان وسغاناريل.

دون جوان : من كان يتكلم معك ؟ يبدو لي أنه يشبه طيب القلب غوسمان، حامل السلاح عند الفير.

سغاناريل : ربّما.

دون جوان : ماذا ؟ انه هو.
سغاناريل : بذاته.
دون جوان : ومنذ متى هو في هذه المدينة ؟
سغاناريل : منذ مساء البارحة.
دون جوان : وما سبب مجيئه ؟
سغاناريل : أظنك تعرف جيداً سبب قلقه.
دون جوان : رحيلنا، دون شك ؟
سغاناريل : لقد حزن الشيخ كثيراً لرحيلنا وكان يسألني عن السبب.
دون جوان : وبما أجبته ؟
سغاناريل : انك لم تقل لي شيئاً.
دون جوان : وانت، ما رأيك في هذا الموضوع ؟
سغاناريل : أظن، من دون الإساءة اليك، أنك بصدد حب جديد.
دون جوان : أتظن ذلك ؟
سغاناريل : أجل.
دون جوان : في الواقع، لست مخطئاً ويجب الإعتراف لك بأن شخصاً آخراً حلّ في نفسي مكان الفير.
سغاناريل : يا الهي ! اعرفك كما أعرف نفسي واعرف ان قلبك الذي هو أكبر زير نساء في العالم يَلَذُّ له التنقّل من علاقة الى آخر ويكره البقاء مكانه.
دون جوان : قل لي : ألا تجدني محقّاً في التصرف على هذا النحو ؟
سغاناريل : آه، يا سيدي !
دون جوان : ماذا ؟ تكلم.
سغاناريل : طبعاً انت محق، إذا كنت تريد ذلك، فنحن لا نستطيع مضايقتك. ولكن، إذا كنت لا تريد ذلك فالأمر يختلف.
دون جوان : حسناً ! لك حرية التكلم والإفصاح لي عن مشاعرك.
سغاناريل : في هذه الحالة، يا سيدي، اقول بكل صراحة اني لا اوافقك الرأي مطلقاً وأجد في غاية البشاعة أن يحب المرء في كل مكان كما تفعل.
دون جوان : ماذا ؟ تريد أن نرتبط بأول مَن تمسك بنا وأن نتخلّى عن العالم

من أجلها وأن لا ننظر الى غيرها ؟ لهو شيء قبيح أن نطمح لشرف أو إخلاص باطل وأن نُدْفَن الى الأبد في علاقة حب ما، وأن نحجب أنفسنا منذ الشباب عن كل الجمالات الأخرى التي قد تشدُّنا اليها ! لا، لا، فالإستقرار يصلح فقط للرجال السخفاء. لكل الحسناوات الحق في أسرنا والأولى التي تحظى بمصادقتنا يجب ألّا تغتصب حقوق الأخريات في الدخول الى قلوبنا. اما أنا، فيسحرني الجمال أينما وجدته واستسلم بسهولة لهذا العنف اللذيذ الذي يجرفنا به. حتى ولو كنت مرتبطاً فالحب الذي أكنّه لحسناء ما لا يلزم نفسي مطلقاً بظلم الحسناوات الأخريات، وابقي عينيّ مفتوحتين لأختبار جدارتهن وأكرِّم كل واحدة منهن، وأعطيها الحق الذي تمليه علينا الطبيعة. ومهما يكن من امر، فأنا لا أستطيع اغلاق قلبي بوجه كل ما أراه جديراً بالحب؛ وما أن يناديه وجه جميل حتى أتنازل عن كل الوجوه الأخرى، حتى لو كنت املك الكثير من الوجوه الجميلة. على كل حال، للهوى الناشئ سحر غامض ولذة الحب كلها تكمن في التغيير. اننا نتذوق حلاوةً كبيرة حين نخضع قلب صبيّة جميلة عن طريق الإطراء والمديح، حين نرى يوماً بعد يوم التقدم البسيط الذي نحرزه، حين نحارب بالآهات والدموع والتنهدات حشمة نفس بريئة يصعب عليها الإستسلام، حين نهزم خطوةً خطوة كل المقاومات التي تصدّنا بها، حين ندحر كل وساوس الضمير التي تصنع منها شرفاً لنفسها، حين نقودها بلطف الى حين نرغب. ولكن، حين نسيطر عليها، يَنْفُد القول والتمني، فتنفد لذة الهوى كلها وننام في هدأته الى أن تأتي فتاة جديدة وتوقظ غرباتنا وتقدم لنا سحراً جديداً فتاناً. إذاً، لا شيء ألذّ من الإنتصار على مقاومة صبيّة جميلة ولديَّ في هذا المضمار، طموح الفاتحين الذين ينتقلون دائماً من نصر الى نصر ولا يسعهم الحد من طموحاتهم. ما من شيء يستطيع لجم رغباتي : أشعر ان لي قلباً يحب الأرض كلها واتمنى كالإسكندر أن تكون هناك عوالم أخرى لكي انشر فيها فتوحاتي العاطفية.

سغاناريل : يا لك من خطيب ؟ يبدو انك حفظت هذا غيباً وتتكلم كما لو كنت تقرأ في كتاب.

دون جوان : ما رأيك ؟

سغاناريل : في الواقع، سأقول ... لا اعرف ماذا اقول. انك تقلب الأشياء على نحو يبدو معه انك على حق، ولكن الحقيقة هي انك مخطئ. كانت لديّ اجمل الأفكار وقد اختلطت في رأسي من جراء كلامك. ولكن، في المرة القادمة سأكتبها لكي أناقشك.

دون جوان : حسناً تفعل.

سغاناريل : ولكن، يا سيدي، هل تأذن لي ايضاً بالقول أن نمط عيشك قد صدمني قليلاً ؟

دون جوان : ماذا ؟ وكيف هو نمط عيشي ؟

سغاناريل : انه جيد جداً. ولكن، مثلاً، كونك تتزوج كل شهر كما تفعل ...

دون جوان : هل هناك شيء امتع من هذا ؟

سغاناريل : هذا صحيح. أنما افهم أن هذا ممتع ومسلٍّ جداً وكنت لأتكيّف معه بما يكفي لو لم يكن في الأمر سوءٌ. ولكن يا سيدي، الإستهزاء بسر مقدس و ...

دون جوان : كفى، كفى. هذه قضية بين السماء وبيني وسأجد لها حلّاً دون أن تتعب نفسك.

سغاناريل : في الواقع، يا سيدي، اني اسمع دائماً أن الإستهزاء بالسماء تهوّر وأن نهاية المتهورين وخيمة.

دون جوان : مهلاً، ايها الأحمق، انت تعرف أنني لا أحب مَن يؤنبني ويوبخني.

سغاناريل : انا لا اقصدك انت، معاذ الله. أنت تعرف ماذا تفعل وإذا كنت غير مؤمن فلديك اسبابك. ولكن، هناك بعض العابثين الصغار في العالم، الذين يعيشون عيشة فسق ومجون ولا يعرفون لماذا يكفرون ظنّاً منهم أن هذا يليق بهم. لو كان سيدي مثلهم لكنت واجهته وقلت له بكل وضوح : « اتجرؤ على الإستهزاء بالسماء ؟ ألا تخاف من الإستهزاء بالأشياء الأكثر قداسة كما تفعل ؟ أمن حقك أنت يا دودة الأرض الصغيرة، ايها القزم (اقول هذا للسيد الذي ذكرته)، امن حقك أنت أن تستهزئ بما يَجُلُّهُ كل الناس ؟ ألأنك ذو شأن وتضع على رأسك شعراً مستعاراً حسن التجعيد، وريشاً في قبعتك ولباساً

مذهّباً وشرائط نارية اللون (انا لا اتوجه، في حديثي، اليك بل الى الآخر) تظن أنك اصبحت أكثر حكمةً وعلماً وأن كل شيء مسموح لك وأن ما من أحدٍ يجرؤ على مصارحتك بالحقيقة ؟ اعلمك انا، خادمك، أن السماء سَتَقْتَصُّ من الكفار عاجلاً أم آجلاً وأن حياة التهور تُحتَمِّ موتاً متهوِّراً وأن ...

دون جوان : كفى !

سغاناريل : ما الأمر ؟

دون جوان : الأمر هو أن حسناءً يهمُّني أمرها أسرتني بمفاتنها فتبعتها الى هذه المدينة.

سغاناريل : ألا تخاف، يا سيدي، من ذيول قتلك هذا الفارس منذ ستة أشهر.

دون جوان : ولماذا أخاف ؟ ألم اقتله حسب قوانين المبارزة ؟

سغاناريل : اجل وبأحسن ما يكون وليس له الحق في التذمّر.

دون جوان : لقد بُرِّئتُ من هذه القضية.

سغاناريل : اجل ولكن التبرئة هذه ربما لم تطفئ حقد الأهل والأصحاب .

دون جوان : آه ! لننسَ تماماً ما قد يحدث لنا من شر ولنفكر فقط بما قد يأتينا من ملذات. الفتاة التي اتكلم عنها هي أجمل صبيّة مخطوبة في العالم وقد جاء بها الى هنا الشخص الذي سيتزوجها. إني رأيت العاشقين بالصدفة قبل سفرهما بثلاثة أيام أو اربعة. لم ارَ قط شخصين سعيدين ومتحابين الى هذا الحد. وقد تحركت مشاعري عند رؤية شوقهما المتبادل. فأصبتُ بالغيرة. نعم، لم أطق، في البداية، رؤيتهما معاً على هذا الشكل، فأيقظ الغيظ رغباتي ووجدت في نفسي لذة كبيرة في تعكير تفاهمهما وقطع وصالهما المهين لقلبي الحساس. ولكن، لم تثمر جهودي حتى الآن وسألجأ الى الدواء الأخير : زوج المستقبل هذا سيتنزّه اليوم مع عشيقته في البحر. لقد رتبت كل شيء لإشباع نهمي وذلك دون أن أعلمك. لدي قارب ورجال استطيع بواسطتهم وبكل سهولة خطف حسنائي.

سغاناريل : آه ! يا سدي ...

دون جوان : ماذا ؟

سغاناريل : حسن جداً ما يحصل وانت تقول به كما يجب. في هذا العالم، لا شيء أفضل من أن يرضي الإنسان نفسه.
دون جوان : استعد إذن للمجيء معي واهتم بنفسك بإحضار الأسلحة كلها بغية أن ... (هنا يلمح دونا الفير) يا لها من مصادفة مكدِّرة ! لِمَ لَمْ تقل لي، ايها الخائن، انها جاءت بنفسها الى هنا ؟
سغاناريل : لم تطلب مني، يا سيدي.
دون جوان : أمجنونة هي لكي تجيء الى هنا بثيابها الريفية ؟

المشهد الثالث

دونا الفير، دون جوان، سغاناريل

دونا الفير : هل ستتنازل، يا دون جوان، وتكلمني. أآمل على الأقل انك ستتنازل وتدير وجهك نحوي ؟
دون جوان : أقرُّ، يا سيدتي، بأنني فوجئت ولم أكن أنتظر وجودك هنا.
دونا الفير : اجل. واضحٌ انكِ لم تكن تنتظرني. في الحقيقة، لقد فوجئت ولكن ليس بالطريقة التي كنت أتمناها. والطريقة التي تبدو بها متفاجئاً تقنعني تماماً بما كنت ارفض تصديقه. أَعْجَبُ لبساطتي وطيبة قلبي إذ لم اشك بك. لكن الخيانة كانت تؤكدها أمور كثيرة. كنت طيبة القلب بل على قدر كبير من الحماقة حين كنت أخدع نفسي واعمل على تكذيب عينيّ وعقلي. بحثت عن اسباب لتبرير الفتور الذي اصابك واختلقت الكثير من الأعذار لتبرير رحيل سريع كهذا وتبرئتك من الجريمة التي يتهمك بها عقلي. عبثاً كانت تنبِّهني شكوكي كل يوم إذ كنت ارفض صوتها الذي يجعلك مذنباً أُسَرُّ لسماع الكثير من الأوهام التي تصوِّرك بريئاً والتي يوحي بها قلبي. إلّا أن هذا الإستقبال لم يعد يسمح لي بالشك والأجواء التي إستُقْبلتُ فيها تعلمني بأمور أكثر مما كنت اريد معرفته. ومع ذلك، أُسَرُّ جداً لأن اسمع منك اسباب رحيلك. ارجو، يا دون جوان، أن تتكلم، لنرى كيف ستبرر نفسك.

دون جوان : يا سيدتي، سغاناريل هذا يعرف لماذا رحلت.
سغاناريل (**لدون جوان بصوت خافت**) : انا يا سيدي ؟ بالله عليك، انا لا اعرف شيئاً.
دونا الفير : حسناً، تكلم يا سغاناريل. لا يهم ممن اسمع، ولكن تهمني الأسباب.
دون جوان (**مشيراً لسغاناريل بالإقتراب**) : هيا، تكلم مع السيدة.
سغاناريل (**لدون جوان بصوت خافت**) : ماذا تريد أن أقول ؟
دونا الفير : اقترب، بما أنه يريد ذلك، واخبرنا قليلاً عن اسباب رحيلكم السريع هذا.
دون جوان : ألن تجيب ؟
سغاناريل (**لدون جوان بصوت خافت**) : لا شيء عندي للإجابة. انت تسخر من خادمك.
دون جوان : ألا تجيب ؟
سغاناريل : سيدتي ...
دونا الفير : ماذا ؟
سغاناريل (**ملتفتاً نحو سيده**) : سيدي ...
دون جوان (**مهدداً**) : إذا ...
سغاناريل : يا سيدتي، الفاتحون والإسكندر والعوام الأخرى هم سبب رحيلنا. هذا ما يسعني قوله يا سيدي.
دونا الفير : هل ستتفضل، يا دون جوان، وتشرح لنا هذه الأسرار الجميلة ؟
دون جوان : الحقيقة يا سيدتي ...
دونا الفير : آه ! انت لا تحسن الدفاع عن نفسك كرجل بلاط إعتاد هذا النوع من الأمور. إن ارتباكك يثير فيّ الشفقة. لِمَ لا تعتلي جبينك وقاحة نبيل من النبلاء ؟ لِمَ لا تقسم لي بأنك لا زلت تكنّ لي نفس المشاعر ولا زلت تحبُّني بشوق لا مثيل له، وأن لا شيء يبعدك عني سوى الموت ؟ لِمَ لا تقول لي إن شؤوناً بغاية الأهمية اضطرتك الى الرحيل دون اعلامي والبقاء هنا لبعض الوقت رغماً عنك وأنه ما عليّ سوى العودة من حيث أتيت واثقةً بأنك تتشوّق

بالطبع للّحاق بي في اسرع وقت ممكن، وتتألم، من جراء بعدك عني، تألُّمَ الجسد المنفصل عن الروح ؟ هكذا ينبغي أن تدافع عن نفسك وليس بالوقوف منذهلاً كما أراك.

دون جوان : اقرُّ، يا سيدتي، بأني لا املك موهبة المجاملة وقلبي صادق. لن اقول لك اني لا زلت أكنُّ لك نفس المشاعر واتحرَّق للّحاق بك. رحلت وهربت منك ولكن ليس للأسباب التي تتصورينها، وانما لأسباب ضميرية بحتة ولإعتقادي انني لم اعد استطيع العيش معك لوقت اطول من دون خطيئة. يا سيدتي، لقد ساورتني شكوك فتحت عينيّ على كل ما كنت افعله : خطفتك من الدير للزواج منك وفسخت نذراً يلزمك بطريق آخر، والسماء، كما تعرفين، غيورة جداً في هذه الأمور فتملكني الندم وخفت من عضب السماء ظناً مني أن زواجنا لم يكن سوى زنى متنكرسيجلب لنا مصيبة من العلاء وأنه ينبغي على نسيانك واعطاؤك الفرصة للعودة الى ارتباطاتك الأولى. هل استطيع يا سيدتي، مقاومة فكرة بهذه القداسة وإغضاب السماء في حال الإحتفاظ بك و ... ؟

دونا الفير : يا لك من حقير ! الآن عرفتك حق المعرفة، ولسوء حظي، بعد فوات الأوان. وهذا ما سيجعلني حتماً اعيش في اليأس. ولكن، ثق أن جريمتك لن تبقى بلا عقاب والسماء التي تهزأ منها تعرف كيف تنتقم لي من خيانتك.

دون جوان : السماء، يا سغاناريل !

سغاناريل : حقاً ! أما نحن فلا نبالي بها.

دون جوان : سيدتي ...

دونا الفير : كفى. لا اريد سماع المزيد منك وألوم نفسي لكوني سمعت الكثير. لهو ضعف أن يطيل الإنسان الإصغاء الى اسباب عاره. في هذه المواضيع، القلب النبيل يحزم امره من الكلمة الأولى. لا تنتظر مني العقاب او اللوم والشتائم. لا، لا. لن يكون غضبي على الإطلاق مجرد كلمات لا جدوى منها : اني احتفظ بسعيره للثأر. أكرر لك القول من جديد : ستعاقبك

السماء، ايها الخائن، على إهانتك لي وإذا كنت لا تخشاها، فاخشَ على الأقل غضب امرأة وقد أهينت.

سغاناريل (**على حدة**) : آه، لو كان عنده ضمير !

دون جوان (**بعد وقت قصير من التفكير**) : هيا لنفكر بكيفية تنفيذ مشروعنا الغرامي.

سغاناريل (**على حدة**) : كم هو كريه هذا السيد الذي أراني مضطرّاً لخدمته.

الفصل الثاني

« تدور أحداثه على شاطئ البحر وعلى مقربة من المدينة ».

المشهد الأول

شارلوت وبيارو

شارلوت : لقد جئت في وقتك، يا بيارو.

بيارو : كانا على وشك الغرق، أقسم بذلك.

شارلوت : إذاً، عاصفة هذا الصباح البحرية هي التي قلبت قاربهما.

بيارو : تعالي، يا شارلوت، سأخبرك بالضبط كيف حدث هذا، لأنه، كما يقال، انا اول من رآهما. كنت على شاطئ البحر انا ولوقا، وكنا نلهو برمي المدر كل يرمي الرمال على رأس الآخر. ولوقا الضخم كما تعلمين يحب اللهو والمزاح وأنا أحياناً ألهو معه. بينما كنا نلهو، رأيت عن بعد شيئاً يتمايل في الماء ويتقدم نحونا بصورة غير منتظمة. كنت أرى هذا بوضوح وباستمرار. وفجأة أدركت اني لم اعد أرى شيئاً. « قلت : يا لوقا أظن أن هناك رجالاً يسبحون. قال : الرؤية عندك غير واضحة قلت : اقسم لك بحقّ السماء بأن نظري سليم، وأؤكد لك أنهم رجال وقد أوشكوا على ذلك ؟ ــ قال : قال : قطعاً لا، لقد بهرك النور ــ قلت : اتراهن على ذلك ؟ ــ قال : اراهن ــ قلت : هكذا، إذاً، اتريد المراهنة بعشرة فلوس ؟ ــ قال : اجل ولكي اثبت لك ذلك، ها هو مال المراهنة ــ انا لست مجنوناً ابداً ولا

بسكران. فرميت على الأرض بجرأة المتأكد بأربع قطع نقدية وخمسة فلوس مزدوجة كما لو كنت ابتلع كأس نبيذ لأني اعرف كيف اغامر وألقي بنفسي في ساحة المعركة. ومع ذلك، كنت اعرف جيداً ماذا أفعل. لم أكن أحمق! إذاً، ما أن وضعنا الرهان حتى رأيت الرجلين يومئان لنا بالإسراع لنجدتهما. فكسبت الرهان. « قلت : هيا يا لوقا، انهما يناديانا كما ترى. لنهب لنجدتهما. ــ قال : لا، فقد جعلاني أخسر ». باختصار، هكذا جرت الأمور. لقد انّبته كثيراً ثم وجدنا انفسنا في قارب؛ ثم وصلنا واخرجناهما من الماء ووضعناهما قرب النار في بيتنا وتعرّيا تماماً بغية تجفيف الثياب. ثم اتى اثنان فيما بعد كانا قد نجيا بأنفسهما. ثم وصلت ماتورين ونظروا اليها نظرة اعجاب. هكذا بالضبط جرت الأمور يا شارلوت.

شارلوت : ألم تقل لي يا بيارو أن هناك واحداً منهم أكثر جمالاً من الآخرين ؟

بيارو : بلى، وهو سيدهم. انه، حتماً، أحد كبار الأسياد فالذهب يغطي ثيابه من رأسه حتى أخمص قدميه واولئك الذين يخدمونه هم ايضاً اسياد. على كل حال، وإن يكن سيداً كبيراً : ثقي بأنه كان قد غرق لو لم أكن هناك.

شارلوت : عجباً.

بيارو : اقسم لك : لولانا لكان انتهى.

شارلوت : ألا يزال عارياً عندك يا بيارو ؟

بيارو : لا، لقد ألبسوه أمامنا. يا إلهي، لم أرَ أحداً يلبس ثياباً مثله. كم من اشياء معقّدة يرتدي اولئك الأسياد، رجال البلاط ! أوشكت أن أضيع بسبب العجب والدهشة حين رأيت ذلك. عجباً، يا شارلوت، لهم شعر لا يلتصق ابداً برؤوسهم وهم يضعونه، بعد ارتداء ملابسهم، كقبعة كبيرة من الألياف. لهم قمصان تسعنا أنا وانت أحياءً كما نحن. وبدل السراويل، يضعون « وَزْرَةً » عريضة « من هنا الى آخر الدنيا »، وبَدَلَ الأصدة صُدَيْرِيّةَ لا تصل حتى الى المعدة؛ وبَدَل اليَاقة محرمة عنق كبيرة مُخَرّمَة بالإضافة الى اربع أردان من القماش الأبيض متدلّية فوق المعدة. ولهم ايضاً صديريّات في أواخر أذرعتهم، وعلى سَاقَيْ كل واحد منهم قماع كبيرة مخرّمة والكثير من الشرائط كما لو

أنها « فَبْركَةٌ » حقيقيّة. حتى احذيتهم تَعُجُّ بالشرائط الملونة في كل اطرافها وهي مرصوفة بصورة معقدة، قد أكسر عنقي لو كان عليّ رصفها.

شارلوت : صدقني يا بيارو، يجب أن أذهب لأرى هذا.

بيارو : اسمعيني قليلاً قبل أن تذهبي، يا شارلوت، فلديّ شيء آخر اقوله لك.

شارلوت : قل، ما هو ؟

بيارو : كما ترين يا شارلوت، يجب، كما يقال، أن أفرغ قلبي. احبك وسنتزوج وأنت تعرفين هذا جيداً، ولكني لست راضٍ عنك البتة.

شارلوت : ماذا ؟ وما الأمر ؟

بيارو : الأمر، بصراحة، هو أنك تحزنيني.

شارلوت : وكيف ذلك ؟

بيارو : انت لا تحبّينني مطلقاً.

شارلوت : آه، آه، أهذا هو الأمر ؟

بيارو : أجل، وهذا كافٍ.

شارلوت : يا إلهي، أنت تردد علي القول ذاته، يا بيارو.

بيارو : اردد القول نفسه لأن الأمر هو نفسه دائماً ولو لم يكن كذلك لما رددت عليك نفس القول دائماً.

شارلوت : ولكن، ماذا ينقصك ؟ ماذا تريد ؟

بيارو : تباً لك ؟ اريدك أن تحبيني.

شارلوت : ألا أحبك ؟

بيارو : كلا، أنت لا تحبينني، ومع ذلك، افعل كل ما استطيع لهذه الغاية : اني اشتري لك، من دون تذمُّر، شرائط من كل تجار الأقمشة الذين يمرّون من هنا، وارهق نفسي في إحضار العصافير لك. وأجعل عازفي الأرغل يعزفون في عيد ميلادك. وكل هذا وكأنني أضرب رأسي بالجدار. أترين ليس من اللياقة ولا الشرف أن لا نحب من يحبّوننا.

شارلوت : ولكن، أنا أحبك أيضاً.

بيارو : اجل، ويا لها من طريقة !

شارلوت : ماذا تريد أن نفعل ؟

بيارو : اريد أن نفعل ما يفعل عندما نحب كما يجب.
شارلوت : ألا أحبك كما يجب ؟
بيارو : كلا، لأنه لو كنت تحبينني كما يجب لكان ظهر حبك لي. فالمرء يقوم بالكثير من الحركات والتصرفات الصغيرة تجاه الشخص الذي يحبُّهُ من كل قلبه. انظري الى توماس الضخمة. ألا ترين كم هي مولعة حتى الحماقة بروبان الشاب. فهي تحوم دائماً حوله وتضايقه ولا تدعه يرتاح ابداً. وتلهو معه وتضربه على رأسه. في المدة الأخيرة، كان جالساً على كرسي فسحبته من تحته فوقع مستلقياً على الأرض. تبّاً ! هكذا يكون المحبّون. انت كقطعة خشب، لا تقولين لي ولو كلمة واحدة. ولو مررت من امامك عشرين مرة فأنت لا تضربينني ولو ضربة صغيرة ولا تقولين لي ولو كلمة واحدة. يا لحظي العاثر ! هذا أمر سيء وأنت في غاية البرودة تجاه الغير.
شارلوت : ماذا تريد أن أفعل ؟ هكذا طبعي ولا استطيع تغييره.
بيارو : القضية ليست قضية أطباع. عندما نحب شخصاً نقوم تجاهه بحركات وتصرفات صغيرة ذات معنى.
شارلوت : على كل حال، أحبك على قدر ما استطيع وإذا كان لا يعجبك هذا فَلَكَ أن تحب فتاة أخرى.
بيارو : هذا ما كنت أظن. تبّاً، أكنت تقولين لي هذا الكلام لو كنت تحبينني ؟
شارلوت : لماذا تضايقني الى هذا الحد ؟
بيارو : تبّاً ! ماذا فعلت ؟ لا أطلب منك سوى القليل من الحب.
شارلوت : حسناً ! دع الأمور تأخذ مجراها ولا تضغط عليّ قط بهذا الشكل. ربما يأتي الحب فجأةً دون التفكير به.
بيارو (**فاتحاً كفه**) : إذاً، ضعي يدك هنا، يا شارلوت.
شارلوت : حسناً ! هذا جيد.
بيارو : عديني إذاً بأنك ستزيدين من حبك لي.
شارلوت : سأبذل ما في وسعي ولكن يجب أن يحدث هذا عرضاً ودون قصد. أهذا هو السيد يا بيارو ؟

بيارو : أجل.
شارلوت : يا إلهي، كم هو جميل ! من المؤسف حقاً أن يموت غرقاً.
بيارو : سأعود بعد قليل. سأشرب كأساً لكي استعيد قواي بعد التعب الذي عانيت.

المشهد الثاني

دون جوان، سغاناريل وشارلوت (في آخر المسرح)

دون جوان : لقد أضعنا فرصتنا، يا سغاناريل، وتلك الزوبعة المفاجئة قضت على قاربنا ومشروعنا. ولكن، في الحقيقة، جمال الفلاحة التي تركناها منذ قليل، يعوّض عن هذه المصيبة إذ وجدت فيها مفاتن تُجنِّب نفسي كل الحزن الناجم عن فشل مشروعنا. يجب ألّا يفلت مني هذا القلب، وقد هيأت الأمور لكي أتألم طويلاً بالتأوه والتنهُّد.
سغاناريل : يا سيدي، اقرُّ بأنك تذهلني. ولقد افلتنا لتوِّنا من قبضة الموت، وبَدَلَ أن تشكر السماء على الرحمة التي أنزلتها علينا، فأنت تعمل من جديد، على استحضار غضبها بنزواتك المعتادة وعلاقاتك المجر ... (المجرمة) (دون جوان مهدداً). كفى، ايها المغرور، انت تجهل ما تقول وسيدك يعرف ماذا يفعل. هيا ...
دون جوان (بعد أن رأى شارلوت) : آه ! من أين اتت هذه الفلاحة الأخرى يا سغاناريل ؟ أرأيت أجمل منها ؟ قل لي، ألا يساوي جمالها جمال الأخرى ؟
سغاناريل : بالطبع. (على حدة) هذه حيلة جديدة.
دون جوان (لشارلوت) : ايتها الحلوة، ما هذه الصدفة الممتعة ؟! أتوجد حسناوات مثلك في هذه الأماكن الريفيّة بين هذه الأشجار والصخور ؟
شارلوت : كما ترى يا سيدي.
دون جوان : هل أنت من هذه القرية ؟
شارلوت : اجل، يا سيدي.

دون جوان : أمقيمة أنت فيها ؟
شارلوت : أجل، يا سيدي.
دون جوان : ما اسمك ؟
شارلوت : خادمتك، شارلوت.
دون جوان : يا لها من صبيّة جميلة ! وعيناها، كم هما ساحرتان.
شارلوت : انك تخجلني، يا سيدي.
دون جوان : آه ! لا تخجلي قط من سماع الحقيقة. ما رأيك في هذا، يا سغاناريل ؟ أيمكننا أن نرى امتع من هذا ؟ أتسمحين أن تستديري قليلاً ؟ يا لها من قامة جميلة ! بالله عليك، ارفعي رأسك قليلاً : يا له من وجه ظريف ! افتحي عينيك وسعهما : كم هما جميلتان ! ارجوك، دعيني ارى اسنانك : كم هي ساحرة، هاتان الشفتان كم هما شهِّيتان ! أنا مسرور، لم أَرَ قط فتاة بهذا الجمال.
شارلوت : قد يَسُّرك، يا سيدي، أن تقول هذا الكلام ولكني لا أعرف إذا ما كنت تسخر مني.
دون جوان : أسخر منك ؟ معاذ الله. حبي لك أكبر من أن افعل هذا. أنا أكلمك من أعماق قلبي.
شارلوت : إذا كان الأمر كذلك، فأنا أشكرك.
دون جوان : لا، لا تشكريني ابداً. لست مدينة لي على الإطلاق في كل ما اقوله، بل لجمالك.
شارلوت : يا سيدي، ما قلت لي مؤثر وبليغ جداً بالنسبة لواحدة مثلي لا تملك القدرة على الإجابة.
دون جوان : يا سغاناريل، انظر قليلاً الى يديها.
شارلوت : لا، يا سيدي، انهما سوداوان مثل ...
دون جوان : ماذا ؟ ماذا تقولين ؟ انهما أجمل يدين في العالم. ارجوك، اقبلي بأن اقبلهما.
شارلوت : هذا شرف كبير لي، يا سيدي. لو عرفت منذ قليل ما سيحصل لكنت غسلتهما بالصابون.

دون جوان : قولي لي، يا شارلوت، يا حلوتي، أنت بلا ريب عزباء.
شارلوت : نعم، يا سيدي. إلّا اني سأتزوج من بيارو ابن جارتي سيمونيت.
دون جوان : ماذا ؟ أتكون إمرأة مثلك زوجة فلاح بسيط ؟ لا، لا، هذا تدنيس للجمال. انت لم تخلقي لتقيمي في قرية. أنت تستحقّين، دون شك، مصيراً أفضل، والسماء التي تعرف هذا جيداً، قادتني الى هنا لأمنع هذا الزواج وأنصف مفاتنك. يا شارلوت، يا حلوتي، اني احبك من كل قلبي وقرار انتزاعك من هذا المكان البائس وجعلك في المكان الذي تستحقّين أن تكوني فيه، هو رهن بك. هذا الحب سريع جداً دون شك ولكن، ما العمل ؟ جمالك الفتان هو السبب يا شارلوت. قد يحب المرء في لحظات كما فعلت وقد يتطلّب حبٌ آخر ستة أشهر لتحقيقه.
شارلوت : في الحقيقة، يا سيدي، لا اعرف بماذا أجيب حين تتكلم. إن ما تقوله يسرُّني واود من كل قلبي أن اصدقك ولكن يقولون لي دائماً أن لا اصدِّق الأسياد ورجال البلاط لأنهم خداعون لا يفكِّرون إلّا بخداع الفتيات.
دون جوان : لست من اولئك الناس.
سغاناريل (**على حدة**) : انه لا يقوى على ذلك.
شارلوت : وكما تعرف، يا سيدي، لا راحة ولا قرار لي إذا خُدعت. أنا فلاحة مسكينة أعتبر الشرف غايةً في الأهمية وافضل الموت على الخزي والعار.
دون جوان : هل تكون نفسي شريرة الى حد إغواء فتاة مثلك ؟ أأكون جباناً الى درجة اغوائك ؟ لا، لا، إني املك من الضمير ما يمنعني من القيام بهذا. أحبك، يا شارلوت وغايتي الخير والشرف، ولكي أبيِّن لك حقيقة ما اقول إعلمي أن هدفي الوحيد هو الزواج منك. أتريدين برهاناً أكبر ؟ أنا مستعد لذلك حين تشائين واجعل من هذا الرجل الموجود هنا شاهداً على الوعد الذي قطعته لك.
سغاناريل : لا، لا، لا تجزعي ابداً فسيتزوج منك طالما هذه هي رغبتك.
دون جوان : آه، يا شارلوت، انت لا تعرفينني بعد كما أرى، وتسيئين إليّ كثيراً حين تحكمين عليّ من خلال الآخرين. إذا كان هناك خونة في العالم

واناس غايتهم اغواء الفتيات، فلا تحسبيني منهم ولا تطعنيني في صدق وعدي. كما أنه ينبغي عليك الركون لسطوة جمالك في كل أمر. حين تكون المرأة جميلة مثلك، تكون بمنأى عن كل انواع الخوف. صدقيني، انت لا تبدين كشخص مخدوع. وأنا، اقر لك بأنني سأمزق قلبي شر تمزيق إذا ما ساورتني فكرة خيانتك.

شارلوت : يا إلهي ! لا أعرف إذا كنت صادقاً ام لا، إلّا أنك تجعلني أصدّق كلامك.

دون جوان : حين تصديقينني، ستنصفينني حتماً. إني اكرر لك الوعد الذي قطعته. ألا تقبلين به ؟ ألا تقبلين بأن تكوني زوجة لي ؟

شارلوت : بلى، شرط أن ترضى عمتي.

دون جوان (**فاتحاً يده**) : إذا ضعي يدك هنا.

شارلوت : ولكن، ارجوك، يا سيدي، لا تخدعني فقد يعذبكِ ضميرك لأني افعل ما تريد عن حسن نيَّة.

دون جوان : ماذا ؟ يبدو انك لا زلت تشكين بصدقي ! اتريدين أن أقطع لك عهوداً رهيبة ؟ السماء ...

شارلوت : يا إلهي ! لا تقسم، لقد صدقتك.

دون جوان : أعطني اذاً قبلة صغيرة كعربون لوعدك.

شارلوت : أوّاه، يا سيدي، ارجوك، انتظر حتى نتزوج فأقبلك قدر ما تريد.

دون جوان : حسناً ! يا شارلوت، يا حلوتي، انا لا اريد إلّا ما تريدين. اتركي لي فقط يدك واقبلي بأن اعبر لها بالقبلات عن النشوة التي أشعر بها.

المشهد الثالث

دونجوان، سغاناريل، بيارو، شارلوت

بيارو (**يدفع بدون جوان الى الخلف ويقف بينه وبين شارلوت**) : بالله عليك ألجم نفسك يا سيدي. انك تنفعل كثيراً وقد تصاب بذات الجنب.

دون جوان (**يدفع بيارو بقساوة**) : من أين جاء هذا الوقح ؟

بيارو (**يتوسطهما من جديد**) : قلت لك، استقم ولا تداعب خطيبتي.

دون جوان (**مستمرّاً في دفعه**) : يا لهذا التشويش والفرفرة.

بيارو : تباً ! أيجوز أن تدفع بالناس هكذا ؟

شارلوت (**مُمْسِكةً بذراع بيارو**) : دعه يفعل هو ايضاً، يا بيارو.

بيارو : كيف ؟ أدعه يفعل ؟ لا اريد.

دون جوان : هكذا إذاً !

بيارو : تبّاً لك ! آلأنك سيد، يحقُّ لك مداعبة نسائنا على مرأى منا ؟ إذهب وداعب زوجتك.

دون جوان : ها، ها ؟

بيارو : ها، ها. (يصفعه دون جوان)، تبّاً، لك ! لا تضربني. (صفعة ثانية) تباً، تباً لك ثم تبّاً لك ! من غير اللائق أن نضرب الناس. ابهذه الطريقة تكافئُ على انقاذك من الغرق ؟

شارلوت : لا تغضب يا بيارو.

بيارو : بل سأغضب. انت حقيرة لأنك تسمحين له بمداعبتك.

شارلوت : آه ! الأمر ليس كما تظن يا بيارو. هذا السيد يريد الزواج مني. فلمَ الغضب ؟

بيارو : كيف ! تبّاً لك ! انت خطيبتي.

شارلوت : لا يهم يا بيارو. إذا كنت تحبني فعلاً، يجب أن تكون مسروراً لأني سأصبح سيدة.

بيارو : لا، لا، افضل لك الموت على أن تصبحي لغيري.

شارلوت : هيا، هيا يا بيارو، عليك أن تتجنب المخاطر إذا اصبحت سيدة،

سأجعلك تربح بعض الأشياء وستحضر لنا الزبدة والجبنة.
بيارو : لا لا ! لن افعل هذا ابداً حتى ولو دفعت لي أجري مرتين. هل تصدقين ما يقوله لك ؟ تبّاً لو كنت اعرف ما سيحصل لكنت تركته في الماء وضربته بالمجذاف على رأسه.
دون جوان (**يقترب من بيارو لضربه**) : ماذا تقول ؟
بيارو (**مختبئاً وراء شارلوت**) : نعم ! أنا لا أخاف من أحد.
دون جوان (**وهو يتقدم نحو بيارو**) : سأريك.
بيارو (**ينتقل الى الجانب الآخر وراء شارلوت**) : أنا لا يهمني شيء.
دون جوان (**راكضاً وراء بيارو**) : سترى.
بيارو (**من جديد وراء شارلوت**) : رأيت الكثيرين من أمثالك.
دون جوان : هكذا إذن !
سغاناريل : ايه، يا سيدي، اترك هذا البائس المسكين. فضربه حرامٌ (متوجهاً نحو بيارو وواقفاً بينه وبين دون جوان). اسمع، ايها الصبي المسكين، انسحب من هنا، ولا تقل له شيئاً.
بيارو (**مارّاً من أمام سغاناريل وقائلاً باعتزاز لدون جوان**) : بل سأقول.
دون جوان (**يرفع يده ليصفع بيارو؛ ولكن هذا الأخير يحني رأسه فتكون الصفعة من نصيب سغاناريل**)
سغاناريل (**لبيارو الذي تجنّب الصفعة**) : ويحك ايها النذل !
دون جوان (**لسغاناريل**) : هذا جزاء إحسانك.
بيارو : تبّاً لكم ! سأخبر عمتها عن تصرفها.
دون جوان (**لشارلوت**) : وأخيراً سأكون اسعد الناس ولن اتخلى عن سعادتي مقابل اي شيء في العالم. كم من الملذات تنتظرنا حين تصبحين زوجتي و ...

المشهد الرابع

دون جوان، سغاناريل، شارلوت وماتورين.

السيد ديمونش (**يلمح ماتورين**) : واه ! واه !

ماتورين (**لدون جوان**) : ماذا تفعل هنا، يا سيدي، مع شارلوت ؟ هل تكلمها عن الحب ؟

دون جوان (**لماتورين بصوت خافت**) : كلا، بل على العكس، هي التي تظهر لي رغبتها في أن تكون زوجتي وكنت اجيبها بأني مرتبط بك.

شارلوت (**لدون جوان**) : ماذا تريد منك ماتورين ؟

دون جوان (**لشارلوت بصوت خافت**) : انها تغار حين تراني اتكلم معك وتريد أن أتزوجها، ولكني قلت لها أنني اريدك انت.

ماتورين : ماذا يا شارلوت ... ؟

دون جوان (**لماتورين بصوت خافت**) : لا فائدة من كل ما ستقولين لها، فهي مقتنعة بذلك.

شارلوت : كيف إذن ! يا ماتورين ...

دون جوان (**لشارلوت بصوت خافت**) : لا جدوى من كلامك معها، فلن تستطيعي إنتزاع هذه الفكرة الخياليّة منها.

ماتورين : هل ... ؟

دون جوان (**لماتورين بصوت خافت**) : لا سبيل لإقناعها.

شارلوت : اريد ...

دون جوان (**لشارلوت بصوت خافت**) : عنيدةٌ هي، ما هذا العناد !

ماتورين : حقاً ...

دون جوان (**لماتورين بصوت خافت**) : لا تقولي لها شيئاً فهي مجنونة.

شارلوت : اعتقد ...

دون جوان (**لشارلوت بصوت خافت**) : دعك منها فهي مجنونة.

ماتورين : لا، لا، يجب أن أكلمها.

شارلوت : أريد معرفة أسبابها.

ماتورين : ماذا .. ؟
دون جوان (**لماتورين بصوت خافت**) : اراهن على أنها ستقول لك انني وعدتها بالزواج.
شارلوت : انا ...
دون جوان (**لشارلوت بصوت خافت**) : اراهن على أنها ستصرُّ على انني وعدتها بالزواج.
ماتورين : مهلك، يا شارلوت إن الضرر بالآخرين والحلول مكانهم أمر سيئ.
سغاناريل : ليس من العدل أن تغاري مني إذْ اتكلم مع سيدي.
ماتورين : لقد رآني سيدي قبلك.
شارلوت : إذا رآك قبلي فقد رآني بعدك ووعدني بالزواج.
دون جوان (**لماتورين بصوت خافت**) : ما رأيك ؟ ألم اقل لك ؟
ماتورين (**لشارلوت**) : دعيني منك، لقد وعدني انا بالزواج وليس انت.
دون جوان (**لشارلوت بصوت خافت**) : ألم اقل لِك ؟
شارلوت : قولي هذا لغيري، ارجوك. لقد وعدني انا.
ماتورين : أتسخرين مني. بل وعدني انا.
شارلوت : ها هو قادر على القول إذا لم أكن على حق.
ماتورين : وهو قادر على نفي ما أقول إذا كنت مخطئة.
شارلوت : أصحيحٌ، يا سيدي، انك وعدتها بالزواج ؟
دون جوان (**لشارلوت بصوت خافت**) : انت تسخرين مني.
ماتورين : أصحيح، يا سيدي، أنك وعدتها بالزواج ؟
دون جوان (**لماتورين بصوت خافت**) : كيف يمكنك التفكير بهذا ؟
شارلوت : انها تصرُّ على ذلك.
دون جوان (**لشارلوت بصوت خافت**) : دعيها تفعل.
ماتورين : انت شاهد على ما تقول.
دون جوان (**لماتورين بصوت خافت**) : دعيها تَقُلْ.
شارلوت : لا، لا، يجب علي معرفة الحقيقة.
ماتورين : يجب البتُّ في هذه المسألة.

شارلوت : اجل، يا ماتورين، اريد منه أن يظهر لك غباءك.
ماتورين : وأنا، يا شارلوت، اريد منه أن يفحمك.
شارلوت : أرجو يا سيدي، حل هذه المشكلة.
ماتورين : وفّق بيننا، يا سيدي.
شارلوت (**لماتورين**) : سترين.
ماتورين (**لشارلوت**) : بل أنت سترين بنفسك.
شارلوت (**لدون جوان**) : قل.
ماتورين (**لدون جوان**) : تكلم.
دون جوان (**للإثنتين، وهو مرتبك**) : ماذا تريدان أن أقول ؟ أنتما تصرّان على انني وعدتكما بالزواج. ألا تعرف كلٌّ منكما الأمر على حقيقته دون الحاجة الى الإستفاضة في الشرح ؟ لماذا تجبرانني على التكرار في هذا الموضوع ؟ ألا تملك التي وعدتها بالزواج ما يجعلها تسخر من الأخرى ؟ وهل عليها أن تتعب نفسها الى حين ابرُّ بوعدي ؟ لا فائدة على الإطلاق من الكلام كله، يجب العمل لا القول. والنتائج افضل من الكلام. لذا، لا شيء عندي سوى هذا للتوفيق بينكما، وسوف نرى، حين اتزوج، من منكما حازت على قلبي. (لماتورين بصوت خافت) دعيها تصدِّق ما تريد. (لشارلوت بصوت خافت) دعيها تعتزُّ بنفسها كما تريد. (لماتورين بصوت خافت) اعبدك. (لشارلوت بصوت خافت) أنا لك بكلّيتي. (لماتورين بصوت خافت) كل الوجوه تبدو قبيحة امامك (لشارلوت بصوت خافت) حين رأيتك لم أعد أطيق الآخرين. لديّ ما افعله. سأعود وألتقي بكما في غضون ربع ساعة.

(يخرج).

شارلوت (**لماتورين**) : أنا من يحب.
ماتورين (**لشارلوت**) : أنا التي سيتزوجها.
سغاناريل : يا لكما من مسكينتين ! انا اشفق على براءتكما ولا اطيق أن أراكما تقعان في المصيبة. صدِّقاني : لا تُخدعا بالروايات التي رواها لكما وابقيا في قريتكما.
دون جوان (**يعود**) : اريد أن أعرف لماذا لم يتبعني سغاناريل.

سغاناريل (**للفتاتين**) : سيدي خائن وهدفه اغواؤكما، وقد اغوى غيركما. فهو أكبر مزواج بين البشر ... (يرى دون جوان) هذا غلط. قولا لكل من يقول لكما أنه يكذب. سيدي ليس مزواجاً وليس خائناً وهدفه ليس اغواءكما ولم يغوِ غيركما قط.

دون جوان (**ينظر الى سغاناريل نظرة شك**) : اجل.

سغاناريل : يا سيدي، بما أن هذا العالم مليء بالنمّامين كنت استدرك الأمور واقول لهما ان لا تصدّقا من يسيء بالكلام عنك وأن لا تتأخّرا في تكذيبه.

دون جوان : سغاناريل !

سغاناريل (**لشارلوت وماتورين**) : اجل، سيدي رجل نبل وشريف وانا كفيل بذلك.

دون جوان : آه !

سغاناريل : يا للعالم وما فيه من الوقاحة !

المشهد الخامس

دون جوان، السيّاف، شارلوت، ماتورين، سغاناريل

السيّاف (**لدون جوان بصوت خافت**) : يا سيدي، جئت أحذّرك : عليك مغادرة هذا المكان.

دون جوان : كيف ؟

السيّاف : هناك إثنا عشر فارساً يبحثون عنك وسيصلون الى هنا بين لحظة وأخرى. لا أعرف كيف استطاعوا إقتفاء اثرك ولقد علمت بهذا الخبر من فلاح إستجوبوه بعد أن أعطوه مواصفاتك. القضية بغاية الخطورة والعجل ومن الأفضل أن تغادر في اقرب وقت ممكن.

دون جوان (**لشارلوت ماتورين**) : إن قضية ملحة تجبرني على الرحيل من هنا؛ ولكن ارجوكما أن تتذكرا الوعد الذي قطعته لكما وأن تثقا بأن أخباري ستَرِدُكُما قبل مساء الغد. (شارلوت وماتورين تبتعدان). وبما أن اللعبة غير

متكافئة، علينا استعمال الحيلة وتجنُّب المصيبة التي تلاحقنا بلباقة. اريد، يا سغاناريل أن تلبس ثيابي وانا ...

سغاناريل : أتسخر مني يا سيدي، قد أتعرَّض للقتل إذا ...

دون جوان : هيا، بسرعة، هذا شرف كبير لك : سعيدٌ جداً هو الخادم الذي يموت من أجل سيده.

سغاناريل : أشكرك على هذا الشرف. (وحده) أيتها السماء، بما أن الأمر يتعلق بالموت، أنعمي عليَّ بأن يُظن بأني شخص آخر.

الفصل الثالث

مشهد غابة قريبة من البحر وفي جوار المدينة

المشهد الأول

دون جوان (في لباس ريفي) : وسغاناريل (متكّراً في زيّ طبيب)

سغاناريل : حقّاً يا سيدي، إعترف بأنني كنت على حق : ها نحن متنكِّران بشكل رائع. لم تكن خطتك مناسبة على الإطلاق. نحن هكذا افضل مما كنت ستفعل.

دون جوان : هذا صحيح وأنت في أحسن حالاتك. لا أعرف من أين أتيت بهذا الزي المضحك ؟

سغاناريل : كيف ؟ هذه ثياب طبيب شيخ كانت مرهونة في المكان الذي اخذتها منه وقد دفعت مبلغاً من المال للحصول عليها. ولكن، أتعرف، يا سيدي أنها تجعلني ذا شأن وأن الناس الذين اصادفهم يحيّونني ويأتي بعضهم لإستشارتي بصفتي رجل علم ضليع.

دون جوان : وكيف هذا ؟

سغاناريل : خمسة أو ستة من أهل الريف قدموا لإستشارتي حول مختلف الأمراض عندما رَأوني مارّاً بقربهم.

دون جوان : وهل أجبتهم بأنك لا تفهم منها شيئاً ؟

سغاناريل : لا، لا بل اردت المحافظة على كرامة ثيابي فعلّلتُ لهم الألم ووصفت دواءً لكل واحد منهم.

دون جوان : وما الأدوية التي وصفتها لهم ؟
سغاناريل : في الواقع، يا سيدي، لقد وصفت لهم ما قدّر لي، فجاءت ردودي وتعليماتي إعتباطية. وكم يكون الأمر طريفاً لو شُفِيَ المرضى وجاؤوا ليشكروني على شفائهم.
دون جوان : ولِمَ لا ؟ لمَ لا تكون لك نفس الإمتيازات التي يملكها الأطبّاء الآخرون ؟ انهم لا يشفون المرضى بطريقة افضل وما طبُّهم كله إلّا مظاهر خداعة. فهم لا يفعلون شيئاً سوى الإفتخار بنجاحهم السعيد وبوسعك الإستفادة مثلهم من فرح المريض إذ تعزو لدوائك كل ما قد تفعله الصدفة وقوى الطبيعة.
سغاناريل : كيف يا سيدي ؟ هل انت جاحدٌ في الطب أيضاً ؟
دون جوان : وما هو الطب ؟ أليس أحد الأخطاء الكبرى الشائعة بين الناس.
سغاناريل : ماذا ؟ ألا تؤمن بفعالية الخردل واللبّ المسهِّل والنبيذ المقيء ؟
دون جوان : ولماذا تريد أن أؤمن بها ؟
سغاناريل : لك نفس كافر. ومع ذلك، ألا ترى، منذ بعض الوقت، أن النبيذ المقيّء ذاع صيتُهُ في العالم ؟ معجزاته جعلت الأكثر كفراً يرتدون منذ اقل من ثلاثة أسابيع، شهِدْتُ تأثيره الرائع.
دون جوان : وما هو هذا التأثير الرائع ؟
سغاناريل : كان هناك رجل يحتضر منذ ستة أيام، وكانوا لا يعرفون ماذا يفعلون إذ أن الأدوية كلها كانت عديمة النفع. فارتأوا أخيراً أن يعطوه منه.
دون جوان : فأفلت من قبضة الموت، اليس كذلك ؟
سغاناريل : لا، لقد مات.
دون جوان : التأثير رائع.
سغاناريل : كيف ؟ كان يحتضر منذ ستة أيام بأكملها فأهلكه بضربة واحدة وهل هنالك شيء أكثر فعاليّة منه ؟
دون جوان : أصبت.
سغاناريل : لندع الآن الطب الذي لا تؤمن به ولنتحدث عن أمور أخرى لأن الثياب هذه تجعلني صاحب حجة، وأشعر بالقدرة على مجادلتك. وكما

تعرف، أنت تأذن لي بالمجادلة ولا تمنع عني سوى التأنيب.

دون جوان : هكذا إذاً ؟

سغاناريل : اريد أن أعرف قليلاً افكارك على حقيقتها. ايمكنك عدم الإيمان بالسماء على الإطلاق ؟

دون جوان : دعنا من هذا.

سغاناريل : هذا يعني « أجل ». وبجهنم ؟

دون جوان : ايه !

سغاناريل : كذلك الأمر. وبالشيطان، إذا سمحت ؟

دون جوان : اجل، اجل.

سغاناريل : ألا تؤمن بالحياة الآخرة ؟

دون جوان : آه، آه، آه !

سغاناريل : هذا رجل سيصعب عليّ تقويمه. قل لي، ما رأيك بالراهب الفظ[1] ؟ ايه ؟

دون جوان : ملعون هذا المغرور !

سغاناريل : هذا ما لا استطيع تحمله لأن لا شيء أكثر واقعيّةً منه وأنا اراهن عليه. ولكن، على الإنسان أن يؤمن بشيء في هذه الدنيا. فبماذا تؤمن انت ؟

دون جوان : بماذا أؤمن ؟

سغاناريل : نعم.

دون جوان : أؤمن أن اثنين زائد اثنين يساويان اربعة يا سغاناريل، واربعة زائد اربعة تساوي ثمانية.

سغاناريل : يا له من ايمان ! دينك اذاً هو الحساب كما أرى. يجب الإقرار بأن رؤوس الناس مصابة بجنون غريب وأن الإنسان يصبح أقل تعقُّلاً في أكثر الأحيان حين يدرس كثيراً. أما أنا، يا سيدي، فمن حسن حظي، أني لم أتعلم مثلك قط، ولا أحد يستطيع الإفتخار بأنه قد علمني شيئاً، ولكن من خلال القليل الذي أملكه من الحس والقدرة من كل الكتب وأدرك جيداً أن هذا

(١) « الراهب الفظ » هو، في اعتقاد الشعب، جن يجوب الشوارع قبل عيد الميلاد ويطلق صرخات مخيفة.

العالم الذي نراه هو فِطْر نبت من تلقاء نفسه في ليلة واحدة. اريد أن أسألك عن خالق هذه الأشجار وهذه الصخور وهذه الأرض وهذه السماء في العُلى. فإذا كانت هذه الأخيرة قد صنعت نفسها بنفسها فأنت، مثلاً، موجود؛ هل صنعت نفسك بنفسك ؟ ولكي تكون موجوداً هنا ألم يكن من الضروري أن يجعل ابوك املك حبلى بك ؟ ابوسعك رؤية كل تلك الإختراعات التي يتركب منها الإنسان دون التعجب من كيفيّة تنظيمها ؟ هذه الأعصاب وهذه العظام وهذه الشرايين، وهذه ... وهاتين الرئتين، وهذا القلب، وهذه الكبد، وكل المركّبات الأخرى الموجودة والتي ... لا، لا، لمَ لا تقاطعني إذا شئت. أنا لا أعرف الجدل إذا لم أقاطع. أنت تصمت عمداً وبخبث وتدعني أتكلم.

دون جوان : اني انتظر أن تنتهي من حديثك.

سغاناريل : على الرغم مما قد تقوله، هناك شيء رائع في الإنسان، لا يستطيع العلماء تعليله. أليس رائعاً وجودي هنا ووجود شيء ما في رأسي يفكِّر بألف موضوع مختلف في لحظة واحدة ويفعل بجسدي كل ما يبغيه ؟ اصفِّق، ارفع ذراعي، انظر الى السماء، أحني رأسي، أحرِّك رجليّ، أذهب يميناً ويساراً وإلى الأمام والى الخلف وأستدير (وبينما هو يستدير، يقع سغاناريل على الأرض).

دون جوان : حسناً ! ها إن برهانك قد فشل.

سغاناريل : تباً لي ! من الحماقة أن الهو في مجادلتك. آمن بما تشاء فَيَهُمُّني جداً أن تهلك نفسك !

دون جوان : ولكننا اضعنا طريقنا بينما كنا نتجادل. تبّاً لك ! اسأل ذاك الرجل هناك.

سغاناريل : إيه؛ أنت يا رجل، انت ايها الصديق، ايها الصديق، أتأذن بكلمة ؟

المشهد الثاني

دون جوان، سغاناريل، ورجل فقير.

سغاناريل : أتدلنا على الطريق المؤدي الى المدينة ؟

الفقير : ما عليكما سوى إتباع هذه الطريق، ايها السيدان، والإلتفاف يميناً عند وصولكما الى آخر الغابة. ولكن، أنصحكما بالحذر : هناك لصوص في الجوار منذ بعض الوقت.

دون جوان : اشكرك، يا صديقي، من كل قلبي.

الفقير : ألا تستطيع، يا سيدي، أن تَمُدَّ لي يَدَ المساعدة.

دون جوان : آه، آه ! لنصيحتك ثمن كما أرى.

الفقير : يا سيدي، انا رجل فقير أعيش وحيداً في هذه الغابة منذ عشر سنين ولن أتوانى عن الصلاة لكي تجزل السماء لكم العطاء.

دون جوان : يا صاح، صلِّ لكي تعطيك ثياباً دون أن تزعج نفسك من أجل الآخرين.

سغاناريل : انت لا تعرف سيدي، يا طبيب القلب، فهو لا يؤمن إلّا بـ « إثنين واثنين يساويان اربعة واربعة واربعة تساوي ثمانية ».

دون جوان : وماذا تفعل بين هذه الأشجار ؟

الفقير : أصلّي وأتضرَّع للسماء كل يوم من أجل غبطة الناس الأخيار الذين يتصدَّقون عليَّ.

دون جوان : إذاً، لا بُدَّ من أن تكون ميسوراً.

الفقير : للأسف، يا سيدي، أعيش في عوزٍ تام.

دون جوان : أتسخر مني ! من يصلّي للسماء اليوم بطوله لا يمكن إلّا أن تكون أعماله بخير.

الفقير : أؤكد لك، يا سيدي، أنني لا أملك، في معظم الأحيان، قطعة خبز آكلها.

دون جوان : هذا غريب فأنت لا تكافأ جيداً على صلواتك. ها، ها ! سأعطيك ليرة ذهبيّة إذا حلفت بالله.

الفقير : اوه، يا سيدي، تريد أن أرتكب خطيئة ؟

دون جوان : عليك الإختيار إذا كنت تريد الليرة الذهبيّة. ها هي. سأعطيك اياها إذا حلفت. خذ وعليك أن تحلف.

الفقير : يا سيدي ..

دون جوان : لن تحصل عليها إذا لم تحلف.

سغاناريل : هيا، هيا، إحلف قليلاً، لا ضير في ذلك.

دون جوان : خذها، ها هي، خذها، قلت لك إحلف إذا، ...

الفقير : لا، يا سيدي، افضّل الموت من الجوع.

دون جوان : هيا، هيا، اني اعطيك اياها من أجل الإنسانية. ماذا ارى هناك ؟ رجلاً يهاجمه ثلاثة رجال ؟ المعركة غير متكافئة ومن واجبي إظهار الشجاعة ومساعدته.

المشهد الثالث

دون كارلوس، دون جوان، سغاناريل.

سغاناريل (**وحده**) : إن سيدي على قدر كَبير من التهوُّر فهو يجابه خطراً لا يعنيه. ولكن، يا إلهي، النجدة أتت شجاعته بثمارها والإثنان أرغما الثلاثة على الفرار.

دون كارلوس (**مستّلاً سيفه**) : إن فرار اولئك اللصوص يبيِّن أهمية مساعدتك لنا. يا سيدي، تقبّل شكري وإمتناني على هذا العمل الشهم و ...

دون جوان (**عائداً والسيف في يده**) : يا سيدي، لم أفعل شيئاً لا تفعله أنت لو كنت مكاني. إن كرامتنا معنيّة بمثل هذه المجازفات وعمل اولئك الأنذال كان جباناً وأحسب أني كنت متواطئاً معهم لو لم أجابههم. ولكن، كيف وقعت بين أيديهم ؟

دون كارلوس : لقد ابتعدت بالصدفة عن أخي وعن كل رجالنا، وفيما كنت

احاول اللحاق بهم، التقيت بأولئك اللصوص الذين قتلوا اولاً حصاني وكانوا على وشك أن يقضوا عليّ لولا شجاعتك.

دون جوان : هل تريد الوصول الى المدينة ؟

دون كارلوس : أجل ولكن دون الدخول اليها. لقد أُجْبِرتُ وأخي على السفر بسبب إحدى تلك القضايا المزعجة التي ترغم النبلاء على التضحية بأنفسهم، هم وعائلاتهم، في سبيل الشرف وموجباته الصارمة. إذ أن النهاية في أكثر الأحيان تكون دائماً حزينة وأنه، إذا لم نمت، فنحن مضطرّون لمغادرة المملكة. لهذا السبب، أجد الشريف النبيل تعسا : انه لا يستطيع قط الوثوق بمسلكه الحذر كل الحذر والشريف جدّاً، ويتحمل، بموجب أحكام الشرف، مسؤولية سوء تصرُّف الآخرين، ويرى حياته وراحته وأرزاقه مرهونة بنزوات متهور ما يسيء اليه اساءةً يستحق أن يموت بسببها.

دون جوان : ولكن، من حسنات وضعهم ايضاً أنهم يعرِّضون بسرور اولئك الذين يهينونهم لنفس الخطر ويجعلونهم يعيشون اوقاتاً صعبة. أيكون تطفُّلاً مني لو سألتك عن قضيتك ؟

دون كارلوس : أوشكت القضية على الظهور. حين تنزل بنا الإساءة، لا نحاول إخفاء عارنا بل إظهار انتقامنا وحتى إعلان ما نرمي اليه. لذا، يا سيدي، أقول بلا تردد، أن الشخص المهان الذي نسعى للثأر له هو أختي التي غُرِّر بها وخطفت من الدير. وفاعل الإساءة هو دون جوان تينوريو ابن دون لويس تينوريو. نحو نبحث عنه منذ بضعة أيام وقد تبعناه هذا الصباح، بناءً على كلام خادم قال لنا أنه خرج راكباً على حصانه برفقة أربعة أو خمسة رجال وانه إتّجه نحو هذا الشاطئ. ولكن جهودنا لم تثمر ولم نستطع معرفة مكانه.

دون جوان : هل تعرف، يا سيدي، دون جوان هذا الذي تتكلم عنه ؟

دون كارلوس : كلا، لم أره قط وقد وصفه لي أخي فقط، ولكن سمعته ليس حسنة وهو رجلٌ حياتُهُ ...

دون جوان : توقّف يا سيدي، إذا سمحت. انه يكاد يكون صديقاً لي وأكون جباناً لو أذنت لك بإغتيابه.

دون كارلوس : لن أغتابه ابداً، يا سيدي، وذلك تقديراً وشكراً لك. بعد أن

أنقذت حياتي، فإن أقلَّ شيء ادين لك به هو عدم التكلم أمامك عن شخص تعرفه في حين لا يسعني التكلم عنه دون المسِّ بمسلكه. ولكن، مهما بلغت صداقتك له، آمل بأنك لن توافقه على عمله ولن تستغرب محاولتنا الإنتقام منه.

دون جوان : بل على العكس، اريد أن أخدمك في هذه القضية وأوفِّر عليك جهوداً غير مجدية. إن شئت أم أبيت، فأنا صديق دون جوان إلّا إنه من غير المعقول أن يسيء لرجال نبلاء دون أن ينال عقابه وأراني ملتزماً ببلوغك حقك.

دون كارلوس : وهل هناك حقٌّ لِيُستَعَاد في هذا النوع من الإساءات ؟

دون جوان : أقصد ذلك الحق الذي يتوخّاه شرفك. لا تزعج نفسك أكثر في البحث عنه ! أعدك بإحضاره الى المكان الذي تريده وفي الوقت الذي تختاره.

دون كارلوس : هذا الأمل، يا سيدي، يريح جداً قلوباً مهانة؛ ولكن، نظراً لما أدين به لك، يؤلمني جداً أن تكون طرفاً في هذه القضية.

دون جوان : إن ارتباطي بدون جوان وثيق الى درجة أنني أقاتل معه إذا ما قاتل. على كل حال، انا كفيل به كما بنفسي وعليك فقط أن تقول متى تريد أن يظهر ويحقق رغبتك.

دون كارلوس : كم قدري قاسٍ ! أيجب أن أدين لك بحياتي وأن يكون دون جوان أحد اصدقائك ؟

المشهد الرابع

دون الونس واتباعه، دون كارلوس، دون جوان، سغناريل

دون الونس (يكلم أتباعه قبل أن يرى دون كارلوس ودون جوان) : اسقوا الخيل هناك ثم احضروها الينا. اريد أن أتمشّى قليلاً. أيتها السماء ! ماذا أرى هنا ! أخي مع عدوِّنا اللدود ؟

دون كارلوس : عدوِّنا اللدود ؟

دون جوان (يتراجع ثلاث خطوات ويضع يده بإعتزاز على مقبض سيفه) : نعم، انا دون جوان ذاته، وعددكم لا يرغمني على التستر.

دون الونس (مستّلاً سيفه) : ايها الخائن ! يجب أن تموت و ... (سغاناريل يركض ويختبئ).

دون كارلوس : لا، توقف يا أخي : انا مدين له بحياتي. لولا مساعدته، لكان اللصوص الذين اعترضوا سبيلي قد قتلوني.

دون الونس : أتُحْجِمْ عن الإنتقام من أجل هذا الإعتبار ؟ مهما تكن الخدمات التي تؤديها لنا يدٌ عدوة، فهي لا تستأهل التزامنا بتبرئتها. وإذا كان علينا القياس بين الواجب والإهانة، فامتنانك، يا أخي، يبدو سخيفاً هنا. بما أن الشرف هو أثمن بلا قياس من الحياة فلست مديناً بحياتك لمن انتزعها منا.

دون كارلوس : اني اعرف، يا أخي، الفارق الذي على النبيل أن يضعه دائماً بين الإهانة وعرفان الجميل. وهذا الأخير لا يزيل قط من نفسي الشعور بالإهانة. لذا إقبل بأن أردَّ له ما اعارني أياه وأن أسدِّد ديني على الفور عن طريق تأجيل انتقامنا وإعطائه حرية التمتع بحياته لبضعة أيام.

دون الونس : لا، لا، إن إرجاء الإنتقام مجازفة به وفرصة تحقيقه التي تتيحها لنا السماء الآن قد لا تأتي ثانيةً، وعلينا الاستفادة منها. عندما يصاب الشرف إصابة قاتلة، علينا عدم التفكير بأي اعتبار آخر وإذا كنت تمتعض من المشاركة في هذا العمل، ما عليك سوى الإنسحاب وتترك لي شرف هذه التضحية.

دون كارلوس : بالله عليك، يا أخي ...

دون الونس : لا جدوى من كل هذا الكلام. يجب أن يموت.

دون كارلوس : قلت لك توقف يا أخي. لا أسمح أبداً بقتله وأقسم بالله بأنني سأدافع عنه ضد أيٍّ كان وسأعرف كيف اجعل من نفسي درعاً له. يجب أن تقتلني أولاً قبل أن توجه اليه الضربات.

دون الونس : ماذا ؟ اراك تقف الى جانب عدوِّنا، وبَدَلَ أن تتملَّكك نفس المشاعر التي اشعر بها، تظهر تجاهه مشاعر الرقة والشفقة ؟

دون كارلوس : لنظهر، يا أخي، بعض الإعتدال في هذا العمل المحقّ ولننتقم من دون هذا الحنق الذي تبديه. ليكن لنا قلبٌ نحن اسيادُهُ وليكن لنا مثل أعلى عادل وهو أن تُقْدِمَ علىٰ الأمور بروح التصوُّر والتصميم وليس بدافع الغضب الأعمى. يا أخي، علينا دين ينبغي إيفاؤه قبل كل شيء وانتقامنا لن يخسر شيئاً من مجده إذا تأجّل، بل على العكس، سيستفيد من هذا التأجيل الذي سيبدو للجميع أكثر عدلاً.

دون الونس : يا لهذا الضعف الغريب، ويا لهذه المجازفة المخيفة العمياء بشرفنا لمجرد تصوُّر سخيفٍ وواجبٍ خيالي !

دون كارلوس : لا، يا أخي، لا تتكدَّر. إذا أخطأت، اعرف كيف أصحِّح خطئي. إني اتكفّل بمسؤولية شرفنا واعرف الواجب الذي يجبرنا على القيام به، وعملية تعليق الإنتقام ليوم واحد التي يفرضها عرفان الجميل، سيزيد من حماستي للقيام بهذا الواجب. انت ترى، يا دون جوان، اهتمامي الشديد بتسديد ديني؛ فأحكم بنفسك وثق بأنني سأقوم بواجبي بنفس الحماسة وكما كنت قاطعاً في رد الجميل سأكون صارماً في غسل العار. لا ابغي ارغامك على تبرير مشاعرك واعطيك ملء الحرية في التفكير بالقرار الذي ستتخذه. أنت تعرف مدى الإهانة التي الحقتها بنا واجعلك تحكم بنفسك بالنسبة الى العطل والضرر اللذين تتطلّبهما. هناك وسائل لطيفة لإرضائنا كما هنالك العنيف منها والدموي. على كل حال، مهما يكن إختيارك، فلقد وعدتني بأن تجعلني آخذ حقي من دون جوان : فكّر بالأمر مليّاً، أرجوك، وتذكر انني لم أعد أدين سوى لشرفي خارِجَ هذا المكان.

دون جوان : لم أطلب منك شيئاً وسأبرُّ بوعدي.

دون كارلوس : هيا، يا أخي : إن لحظة رقة لا تسيء لواجبنا الصارم بشيء.

المشهد الخامس

دون جوان، سغاناريل.

دون جوان : أين انت، يا سغاناريل !

سغاناريل (**وهو يخرج من المكان الذي إختبأ فيه**) : العفو ؟ ماذا قلت ؟

دون جوان : ماذا ؟ أتهرب، أيها الماكر، حين يهاجمونني ؟

سغاناريل : سامحني، يا سيدي، انا آتٍ من مكان قريب. هذه الثياب مليِّنة ومطهِّرة على ما أظن وإرتداؤها هو دواء بحد ذاته.

دون جوان : يا لوقاحتك ! استر جبنك بستار أكثر شرفاً على الأقل. هل تعرف من هو الذي انقذت حياته ؟

سغاناريل : لا يا سيدي.

دون جوان : انه أحد اشقّاء الفير.

سغاناريل : أحد ...

دون جوان : انه رجل نبيل وشريف. لقد أحسن التصرُّف وأنا آسف لكوني على نزاع معه.

سغاناريل : ولكن، تسْهُل عليك تسويةُ الأمور.

دون جوان : اجل. غير أن عاطفتي خمدت تجاه الفير والإلتزام لا يتلاءم مطلقاً مع مزاجي. كما تعرف، أنا أحبِّذ الحرية في الحب ولا استطيع سجن قلبي بين اربعة جدران. قلت لك عشرين مرة أن الإستسلام لما يجذبني ويبعدني عن ميولي الطبيعيّة. لكل الحسناوات الحق في أسر قلبي .مداورة والإحتفاظ به على قدر الإمكان. ما هو هذا الصرح الجميل الذي أراه من بين الأشجار ؟

سغاناريل : ألم تعرف بعد ؟

دون جوان : حقاً لا.
سغاناريل : هذا هو القبر الذي كان يبنيه الفارس الآمر حين قتلته.
دون جوان : آه، انت على حق. لم أكن اعرف أنه يقع في هذا المكان. لقد اخبرني الجميع عن روائع هذا الصرح، كذلك عن تمثال الفارس الآخر، وأرغب في رؤيته.
سغاناريل : لا تذهب الى هناك، يا سيدي.
دون جوان : لماذا ؟
سغاناريل : ليس من اللائق أن ترى رفاق رجلٍ قتلته.
دون جوان : بل على العكس، ستكون زيارة لائقة ويجب أن يستقبلني بكل طيبة خاطر إذا كان مهذباً ولطيف العُشرة. هيا، لندخل اليه.
(ينفتح القبر فيُرى ضريحاً رائعاً وتمثال الفارس الآمر).
سغاناريل : يا للروعة ! يا للتماثيل الجميلة ! يا للرخام الجميل ! يا للأعمدة الجميلة ! كم هذا جميل ! ما رأيك يا سيدي ؟
دون جوان : رأيي أن طموح رجل ميت لا يستطيع الوصول الى أبعد من ذلك؛ والمدهش هو أن يكتفي الإنسان طوال حياته بمسكن متواضع ويريد الحصول على مسكن رائع حين لا يكون بحاجة اليه.
سغاناريل : هذا تمثال الفارس الآمر.
دون جوان : بالله ! كم شكله مضحك وهو يرتدي ثياب امبراطور روماني !
سغاناريل : بالله، يا سيدي، كم هو حسن الصنع ! يبدو وكأنه على قيد الحياة، وكأنه سيتكلم. انه ينظر الينا نظرات قد تخيفني لو كنت هنا لوحدي. وأظن أن رؤيتنا لا تلذُّ له.
دون جوان : مخطئٌ هو لو كان الأمر فعلاً كما تقول. لكان في ذلك اساءة لشرف زيارتي له. اسأله إذا كان يودُّ المجيء لتناول طعام العشاء معنا.
سغاناريل : هذا شيء لم يعد يحتاج إليه على ما أظن.
دون جوان : قلت لك : اسأله.
سغاناريل : أتسخر مني ؟ من الجنون التحدث إلى تمثال.
دون جوان : افعل ما اقوله لك.

سغاناريل : يا للغرابة ! ايها السيد الفارس .. (على حدة) أسخر من نفسي على حماقتي ولكن سيدي يريد ذلك. (بصوت عالٍ) يا سيدي الفارس، سيدي دون جوان يسألك إذا كنت ترغب في تشريفه وتناول طعام العشاء معه. (التمثال يحني رأسه) ها !؟

دون جوان : قل، ما الأمر ؟ ما بك ؟ لمَ لا تقول ؟

سغاناريل (**يحني رأسه كما فعل التمثال**) : التمثال ...

دون جوان : ما له ! ماذا تعني ايها الخائن ؟

سغاناريل : أقول لك إن التمثال ...

دون جوان : ما به ! التمثال ؟ سأضربك إذا لم تتكلم.

سغاناريل : لقد أوْمَأ التمثال إليَّ.

دون جوان : تباً لك ايها الماكر.

سغاناريل : قلت لك أنه أومأ اليّ. انا لا أقول غير الحقيقة. تقدّم وكلّمهُ بنفسك. ربما ...

دون جوان : تعال، يا محتال، اريدك أن ترى جبنك بنفسك. إنتبه. أيريد السيد الفارس المجيء لتناول العشاء معي ؟ (التمثال يحني رأسه مرة أخرى).

سغاناريل : لن أتخلّى عن هذا المشهد مقابل عشرة دراهم. إذاً، يا سيدي ؟

دون جوان : هيا، لنخرج من هنا.

سغاناريل (وحده) : هذا ما لا أستطيع تصديقه.

الفصل الرابع

في شقة دون جوان

المشهد الأول

دون جوان، سغاناريل.

دون جوان : دعنا من هذا الأمر على كل حال : هذه أباطيل. ربما خدعنا الضوء في القبر أو حالة اضطراب في الرأس بلبلت رؤيتنا.

سغاناريل : لا، يا سيدي، لا تحاول التنكُّر لما رأيناه بأم أعيننا. لا شيء أصدق من ايماءة الرأس هذه ولا اشك بأن السماء التي صدمتها حياتك قامت بهذه المعجزة لإقناعك وردك لجادة الصواب ...

دون جوان : إسمع : إذا أستطلت في مضايقتي بنصائحك الأخلاقية الحمقاء، وإذا قلت لي أي كلمة بهذا الصدد، سأنادي أحدهم وأطلب عَصَبَ جاموس وأجعل ثلاثة أشخاص أو اربعة ممسكون بك وأوسعك ضرباً. هل تسمعني جيداً ؟

سغاناريل : هذا جيدٌ جداً، يا سيدي، أنت تشرح بوضوح. ما يعجبني منك هو عدم المواربة وقول الأشياء بوضوح مدهش.

دون جوان : هيا، ليحضروا لي العشاء في اقرب وقت ممكن. جئني بكرسي، أيها الخادم.

المشهد الثاني

دون جوان، لافيوليت، سغاناريل.

لافيوليت : يا سيدي، ها هو تاجر القماش، السيد ديمونش يريد أن يكلمك.
سغاناريل : حسناً ! ما كان ينقصنا سوى اطراء دائن. ماذا خطر له حتى جاء يطالبنا بالمال، ولماذا لم تقل له أن سيدي ليس هنا ؟
لافيوليت : اني اقول له هذا منذ ساعة إلّا انه لم يصدقني وقد جلس ينتظر هناك في الداخل.
سغاناريل : لينتظر قدر ما يستطيع.
دون جوان : بل، على العكس، دعه يدخل. هي سياسة رديئة جداً أن نهرب من الدائنين. من الأفضل أن نعلّلهم بالوعود وأنا خبير في ارضائهم وردِّهم على أعقابهم دون اعطائهم درهماً واحداً.

المشهد الثالث

دون جوان، السيد ديمونش، سغاناريل، والخدم.

دون جوان (**مبالغاً في المجاملة واللياقة والتهذيب**) : إقترب، يا سيد ديمونش. كم أنا مسرور لرؤيتك وكم أنا غاضب من رجالي لأنهم لم يدخلوك على الفور ! كنت قد أمرتهم بأن لا يدعوا احداً يدخل ولكنّ هذا الأمر يستثنيك ومن حقك أن تجد ابوابي مفتوحة لك دائماً.
ديمونش : اشكرك، يا سيدي. انا ..
دون جوان (**لخدّامه**) : ويحكم، ايها الماكرون، سأعاقبكم لأنكم تركتم السيد ديمونش في غرفة الإنتظار؛ سأجعلكم تقدِّرون الناس.
ديمونش : لا تحنقْ، يا سيدي.
دون جوان (**للسيد ديمونش**) : كيف وقد قالوا لأفضل اصدقائي السيد ديمونش انني لست هنا ؟

ديمونش : انا خادمك، يا سيدي. لقد اتيت ...
دون جوان : هيا، بسرعة، أحضروا مقعداً للسيد ديمونش.
ديمونش : انا مرتاح هكذا، يا سيدي.
دون جوان : قطعاً لا. اريدك أن تجلس بقربي.
ديمونش : ليس هذا ضرورياً.
دون جوان : خذوا هذا الكرسي من هنا وأحضروا مقعداً مريحاً.
ديمونش : يا سيدي، انت تسخر مني و ..
دون جوان : لا، لا، اعرف انني مدينٌ لك ولا اريد مرتبة بيننا.
ديمونش : يا سيدي ...
دون جوان : هيا إجلس.
ديمونش : لا حاجة لذلك، يا سيدي، فليس لدي سوى كلمة وحدة اقولها لقد ...
دون جوان : قلت لك، أقعد.
ديمونش : لا، يا سيدي. انا مرتاح. جئت ...
دون جوان : لن اصغي اليك ما لم تجلس.
ديمونش : يا سيدي، اني افعل ما تريد. انا ...
دون جوان : آه ! إن صحتك جيدة يا سيد ديمونش.
ديمونش : نعم، يا سيدي، ولخدمتك. لقد أتيت ...
دون جوان : انت تملك صحة رائعة وشفتين نضرتين ووجهاً قرمزياً وعينين حادّتين.
ديمونش : اريد أن ...
دون جوان : كيف هي احوال مدام ديمونش، زوجتك ؟
ديمونش : جيدة جداً، لحسن الحظ يا سيدي.
دون جوان : انها امرأة شجاعة.
ديمونش : انها خادمتك، يا سيدي، لقد أتيت.
دون جوان : وابنتك الصغيرة كلودين، كيف هي ؟
ديمونش : في أحسن حال.

دون جوان : يا لها من فتاة جميلة ! أحبها من كل قلبي.
ديمونش : هذا شرف كبير لها يا سيدي. أنا ...
دون جوان : وكولان الصغير، ألا يزال يَضُجُّ بطبله ؟
ديمونش : هو على حاله، يا سيدي. أنا ...
دون جوان : وكلبكم الصغير بروسكيه، ألا يزال يزمجر عالياً ويَعُضُّ أرجل الذين يزورونكم ؟
ديمونش : أكثر من أي وقت مضى، يا سيدي، ونحن لا نعرف كيف التخلص من هذه العادة.
دون جوان : لا تعجب لإستعلامي عن العائلة كلها فأنا اهتمُّ بها كثيراً.
ديمونش : نحن في غاية الإمتنان، يا سيدي. انا ...
دون جوان (**يمدُّ له يده**) : ضع يدك هنا إذاً، يا سيدي ديمونش. هل انت صديق لي ؟
ديمونش : انا خادمك، يا سيدي.
دون جوان : وانا لك من كل قلبي.
ديمونش : هذا شرف كبير لي. أنا ...
دون جوان : لأجلك افعل المستحيل.
ديمونش : انك تظهر لي الكثير من الطيبة يا سيدي.
دون جوان : وذلك دون اية مصلحة، ارجو أن تصدقني.
ديمونش : اني، بالتأكيد، لا استحق هذه النعمة. ولكن يا سيدي ...
دون جوان : هيا، هيا، يا سيدي ديمونش، بدون تكلفة، هل تريد تناول العشاء معي ؟
ديمونش : كلا، يا سيدي يجب أن أعود على الفور. أنا ...
دون جوان (**واقفاً**) : هيا، بسرعة، أحضروا مشعلاً لمرافقة السيد ديمونش وليأخذ اربعة او خمسة من رجالي بنادقهم لحراسته.
ديمونش (**واقفاً ايضاً**) : ليس هذا ضرورياً يا سيدي واستطيع الذهاب وحدي. ولكن ...

(سغاناريل يسحب المقاعد بسرعة)

دون جوان : كيف ؟ اريد أن يرافقوك. انا اهتم كثيراً بشخصك. انا خادمك ومدين لك ايضاً.

ديمونش : آه، يا سيدي ...

دون جوان : هذا الأمر ليس سراً وأنا اقوله لكل الناس.

ديمونش : إذا ...

دون جوان : اتريد أن أرافقك ؟

ديمونش : آه، يا سيدي، انت تهزأ مني. يا سيدي ...

دون جوان : قبلني اذاً، إذا سمحت. أطلب منك للمرة القادمة أن تقتنع بأنني لك بكلّيتي وأنني لخدمتك أفعل المستحيل.

(هنا يخرج دون جوان)

سغاناريل : عليك الإعتراف بأن سيدي يحبك كثيراً.

ديمونش : هذا صحيح. فهو يعاملني بكل تهذيب ولياقة ويوجه اليّ الكثير من الإطراء والمديح حتى انني لا استطيع مطالبته بالمال.

سغاناريل : اؤكد لك أنه وأهله مستعدون للموت في سبيلك وأتمنى أن يحصل لك مكروه، أو أن يوسعك أحدٌ ضرباً حتى ترى الطريقة التي ...

ديمونش : انا واثق من ذلك، ولكن، يا سغاناريل، ارجوك أن تذكره قليلاً بما لي عنده من مال.

سغاناريل : اوه ! لا تزعج نفسك فسيدفع لك حتما.

ديمونش : ولكن، انت ايضاً، يا سغاناريل، مدين لي بالمال.

سغاناريل : أفٍّ ! لا تكلمني عن المال.

ديمونش : كيف ؟ انا ...

سغاناريل : ألا اعرف انني مدين لك ؟

ديمونش : بلى ولكن ...

سغاناريل : هيا، يا سيدي ديمونش، سأضيء لك الطريق.

ديمونش : ولكن، مالي ...

سغاناريل (مُمسكاً بذراع ديمونش) : أتمازحني ؟

ديمونش : اريد ...

سغاناريل (وهو يجرُّه) : هيا !
ديمونش : اريد ...
سغاناريل (وهو يدفع به الى الأمام) : هراء !
ديمونش : ولكن ...
سغاناريل (مستمراً في دفعه) : أفٍّ !
ديمونش : انا ...
سغاناريل (وهو يدفع به خارج المسرح) : قلت لك أف.

المشهد الرابع

دون لويس، دون جوان، لافيوليت، سغاناريل.

لافيوليت (لدون جوان) : يا سيدي، ها هو ابوك.
دون جوان : ها أنذا في أحسن حال لم يكن ينقصني سوى هذه الزيارة لكي افقد صوابي.
دون لويس : اني أُربكك، كما أرى، وتستطيع بكل سهولة الإستغناء عن رؤيتي. في الحقيقة، نحن احدنا مصدر ازعاج للآخر. إذا كنت تعبت من رؤيتي، فأنا ايضاً تعبت من تصرفاتك الفاسقة. للأسف ! نحن نعرف القليل عما نفعله حين نأبى التوكل على السماء في امورنا الضرورية وحين نظن اننا أكثر فطنةً منها ونُصِرُّ على ازعاجها بأمانينا العمياء وطلباتنا القليلة التبصُّر ! تمنيت بشغف لا مثيل له ان أُرْزَق ولداً؛ طلبت هذا باستمرار وبحماسة لا تصدق؛ وهذا الولد الذي حصلت عليه بعد أن ارهقت السماء بطلباتي، هو مصدر حزن وعذاب لي. هذا الإنسان الذي ظننت إنه سيكون مصدر فرحي وعزائي. بأية عين، في رأيك، استطيع رؤية هذه الأعمال الحقيرة التي لا يمكننا التخفيف من بشاعتها في أعين الناس، هذه الأعمال السيئة المتواصلة التي جعلتني بإستمرار أستنفذ رأفة الملك ورصيدي ورصيد أصدقائي عنده، من الخدمات ؟ يا لها من حقارة ! ألا تخجل قط من نسبك ؟ قل لي، أيحقُّ

لك الإفتخار به ؟ ماذا فعلت في هذه الدنيا لكي تكون من النبلاء ؟ أو تظن أنه يكفينا حمل الإسم والسلاح وفخر الإنتساب الى دم نبيل حين نعيش عيشة دنيئة ؟ لا، لا، لا قيمة للنسب بدون الفضيلة. نحن لا نشارك اسلافنا مجدهم إلّا بقدر ما نحاول التشبّه بهم ومآثرهم العظيمة التي تظلّلنا تفرض علينا الإلتزام بتكريمهم بالسير على خطواتهم وبإتباع الخطوات التي رسموها لنا وبعدم الإنحراف عن فضائلهم، إذا كنا فعلاً نريد أن نعتبر انفسنا خلفاً لهم. أما أنت، فنسبك باطل وأسلافك يتنكّرون لك وما قد فعلوه من أعمال ميجدة لا يعطيك اي امتياز عن غيرك؛ بل على العكس، بريق أعمالهم ينعكس عليك ليظهر خزيك وعارك. إن مجدهم مشعل يسلّط الضوء، على أعمالك المشينة. واعلم أخيراً أن الرجل النبيل الذي يعيش عيشة سيئة هو مسخ في الطبيعة، وأن الشرف هو عنوان النبل. انني انظر الى الأعمال وليس الى الأسماء وانني احترم ابن حمّال شريف أكثر من ابن ملك يعيش مثلك.

دون جوان : يا سيدي، لو كنت جالساً لأحسنت الكلام بصورة افضل.

دون لويس : لا ايها الوقح، لا اريد الجلوس ولا قول المزيد من الكلام. وأرى جيداً أن كل ما قلته لم يؤثر بك. ولكن، اعلم، أيها الإبن الجاحد، انك استنفدت مني حنان الأب من جراء اعمالك وأنني استطيع، بأسرع مما تظن، وضع حدٍّ لإنحرافاتك ومعاقبتك قبل السماء وغسل عار انتسابك إليّ عن طريق الإقتصاص منك.

(هنا يخرج دون لويس)

المشهد الخامس

دون جوان، سغاناريل.

دون جوان : مت بأسرع ما يمكن، هذا افضل ما يمكنك فعله. لكل واحد دوره، وأتحرق لأرى الآباء يعيشون مثل ابنائهم فيفهمونهم.

(يجلس على المقعد)

سغاناريل : آه، يا سيدي، أنت على خطأ.
دون جوان : على خطأ ؟
سغاناريل (**وهو يرتجف**) : يا سيدي ..
دون جوان (متصباً) : على خطأ ؟
سغاناريل : اجل، يا سيدي، لقد أخطأت لأنك تحمّلت ما قاله لك وقد كان عليك حمله ورميه خارج الدار. يا لها من وقاحة، أن يوبِّخ والد ولده ويطلب منه تصحيح اخطائه وتذكر نسبه والعيش كرجل شريف، والعديد من الحماقات الأخرى ! كيف استطاع تَحَمُّل ذلك رجلٌ مثلك يعرف كيف يعيش ؟ إني معجب بصبرك. لو كنت مكانك لطردته. (على حدة) ايتها المجاملة الملعونة، الى اين أوصلتني ؟
دون جوان : أريد تناول العشاء، هل هو جاهز ؟

المشهد السادس

دون جوان، دونا الفير، راغوتان، سغاناريل.

راغوتان : يا سيدي، هذه سيدة متسترة جاءت لتكلمك.
دون جوان : من هي، يا ترى ؟
سغاناريل : لنرى.
دونا الفير : لا تتفاجأ، يا دون جوان، إذ تراني في هذه الساعة وفي هذا الزي. إن سبباً ملحّاً ارغمني على هذه الزيارة وما سأقوله لك لا يحتمل التأجيل ابداً. لم اجيء الى هنا مليئة بالغضب الذي فجّرته منذ قليل وكما ترى، لقد تغيّرت كثيراً منذ الصباح. لم أعد دونا الفير تلك التي كانت تتمنى لك الشر والتي كانت في قمة غضبها تطلق التهديد ولا تبغي غير الإنتقام. إن السماء ازالت من نفسي كل ذلك الغضب عليك وكل فورات الغيرة العاصفة والمجرمة وكل مشاعر العشق الأرضي الفظ المخجلة؛ ولم تترك لك في قلبي سوى شعلة خالية من الشهوانية، وسوى حنان في غاية القداسة وحب منزّه عن كل شيء لا

يسعى أبداً في سبيل مصالحه ولا يلتفت سوى لمصلحتك.

دون جوان (**لسغاناريل بصوت خافت**) : انت تبكي على ما أظن.

سغاناريل : سامحني.

دونا الفير : ان هذا الحب الكامل والنقي هو الذي جاء بي الى هنا من أجلك، ولكي اوصل اليك تحذيراً من السماء، وأحاول ابعادك عن الهاوية التي أنت بصدد الإنزلاق فيها. اجل، يا دون جوان، اني اعرف كل تصرفاتك الفاسقة وهذه السماء نفسها التي امتلكت قلبي وجعلتني أدرك سلوكي المنحرف، أوحت اليّ بالمجيء لكي انذرك، من قبلها، بأن اساءاتك استنفدت رحمتها وأن غضبها الرهيب أوشك على الإنقضاض عليك وأنه بإمكانك تجنّبه من خلال ارتدادك السريع. ربما لم يعد امامك سوى يوم واحد للإفلات من أكبر المصائب. اما أنا، فلم اعد أرتكبـها ولأستحقّ من خلال ندمي العظيم العفو عن المتاهات التي أغرقتني فيها فورات حب مذموم. ولكنني سأتألم كثيراً وسط تزهُّدي إذا علمت أن شخصاً أحببته من كل قلبي اصبح عبرة مشؤومة لعدالة السماء. إن فرحي سيكون كبيراً إذا استطعت إبعاد الضربة الرهيبة المهددة، عن رأسك. بالله عليك، يا دون جوان، إمنحني هذه التعزية كحظوة أخيرة. لا ترفض لي طلب خلاصك الذي اطلبه ممزوجاً بالدموع. وإذا كانت مصلحتك لا تعنيك فعلى الأقل، تأثّر بتوسلاتي وجنّبني الآلام العنيفة التي ستنتابني إذا ما حكِم عليك بعذابات ابديّة.

سغاناريل : (**على حدة**) يا لها من امرأة مسكينة !

دونا الفير : إني أحببتك حباً عظيماً ولا شيء في الدنيا كان أعزّ منك؛ نسيت واجبي لأجلك وعملت كل شيء في سبيلك، وجلّ ما أطلبه منك هو تقديم حياتك وتجنب موتك. أرجوك، أنقذ نفسك من أجلك أو من أجلي. مرةً أخرى، يا دون جوان، اطلب منك هذا ممزوجاً بالدموع. وإذا كانت دموع مَن احببته لا تكفي. استحلفك بكل ما هو قادر على التأثير بك.

سغاناريل (**على حِدة وهو ينظر الى دون جوان**) : **ما هذا القلب القاسي ؟**

دونا الفير : انا ذاهبة وقد قلت ما كنت اريد قوله.

دون جوان : لقد تأخّر الوقت، يا سيدتي، إبقي هنا فسنعتني بك على قدر المستطاع.

دونا الفير : لا، يا دون جوان لا تستبْقني.

دون جوان : أؤكد لك، يا سيدتي، أنني سأُسَرُّ لبقائك.

دونا الفير : قلت لك لا، فلا تُضيِّع الوقت بكلام غير مُجْدٍ. دعني أرحل بسرعة ولا تُصِرُّ على مرافقتي. فكِّر فقط بالإستفادة مما قلت.

المشهد السابع

دون جوان، سغاناريل، الخدم.

دون جوان : أتعرف أن مشاعري تحرّكت بعض الشيء تجاهها وأنني وجدت حلاوةً في هذا الجديد الغريب وأن ثيابها المهملة ومظهرها البسيط ودموعها أيقظت في نفسي شعلة حب مطفأة ؟

سغاناريل : هذا يعني أن كلامها لم يؤثِّر فيك.

دون جوان : الى العشاء بسرعة.

سغاناريل : هذا حسن جداً.

دون جوان (**جالساً الى المائدة**) : ومع ذلك، يجب التفكير في إصلاح أنفسنا.

سغاناريل : أصبت !

دون جوان : نعم، علينا في الواقع، إصلاح أنفسنا. سنفكِّر في ذلك بعد عشرين أو ثلاثين سنة.

سغاناريل : اوه !

دون جوان : ماذا قلت ؟

سغاناريل : لا شيء. ها هو العشاء. (يأخذ دون جوان قطعة من أحد الصحون التي أُحْضِرَت له ويضعها في فمه).

دون جوان : يبدو لي أن خدك متورِّم. ما هذا ؟ تكلم، ما بك ؟

سغاناريل : لا شيء.

دون جوان : دعني أرى. تباً ! هذا تورُّم قيحيّ على خدك. بسرعة، أحضروا لي مبضعاً لثقبها. المسكين لم يعد يحتمل وقد يخنقه الخرّاج. إنتظر أترى، كان على وشك أن ينفجر. يا لك من مكار !

سغاناريل : في الحقيقة، يا سيدي، كنت اريد أن أرى إذا كان طباخك قد وضع الكثير من الملح والبهارات.

دون جوان : هيا، إجلس وكل. إنّي بحاجة اليك بعد العشاء. انت جائع على ما أظن.

سغاناريل (**يجلس الى المائدة**) : أظن ذلك، يا سيدي، فأنا لم آكل منذ الصباح. ذق هذا، فهو من افضل ما يكون.

(يأخذ الخادم صحن سغاناريل ويملأه طعاماً) صحني، صحني ! على مهل، لو سمحت. تباً لك ايها المحتال ! يا لك من ماهر في تقديم أطباق نظيفة ! وانت، يا لافيوليت، كم تجيد تقديم المشروبات في اوقاتها !

(أحد الخدام يأخذ ثانياً صحن سغاناريل من امامه بينما يَصُبُّ له آخرٌ كأساً)

دون جوان : من تراه يقرع الباب على هذا النحو ؟

سغاناريل : من جاء، يا ترى، ليعكّر صَفْوَ عشائنا ؟

دون جوان : اريد تناول العشاء بسلام على الأقل، فلا تدعوا أحداً يدخل.

سغاناريل : دعني أرى. سأذهب بنفسي.

دون جوان (**لسغاناريل العائد وهو مذعور**) : ما الأمر ؟ ماذا هنالك ؟

سغاناريل (**حانياً رأسه كما فعل التمثال**) : الـ ... هنا !

دون جوان : لنرى ولنبيِّن أن ما من شيء يستطيع زعزعة افكارنا.

المشهد الثامن

دون جوان، تمثال الفارس الآمر (الذي جلس الى المائدة) سغاناريل والأتباع.

دون جوان (لرجاله وأتباعه): بسرعة، أحضروا كرسيّاً وملعقة وشوكة وسكيناً. (لسغاناريل) هيا، إجلس.

سغاناريل: لم أعد جائعاً، يا سيدي.

دون جوان: قلت لك، إجلس. لنشرب نخب الفارس الآمر. إني ارفع الكأس، يا سغاناريل، إملأوا له الكأس نبيذاً.

سغاناريل: يا سيدي، لست عطشاً.

دون جوان: إشرب وغنّي أغنيتك لنحتفل بالفارس الآمر.

سغاناريل: انا مصاب بالزكام، يا سيدي.

دون جوان: لا يَهُم. هيا، تعالوا انتم ورافقوه في الغناء.

الفارس الآمر: كفى، يا دون جوان. أنا أدعوك لتناول العشاء عندي غداً. أتجرؤ على المجيء؟

دون جوان: أجل، وسأذهب برفقة سغاناريل وحده.

سغاناريل: أشكرك، يا سيدي، إني سأصوم غداً.

دون جوان (لسغاناريل): خذ هذا المشعل.

الفارس الآمر: لا حاجة للضوء حين ترشدنا السماء.

الفصل الخامس

مشهد ريف بالقرب من المدينة

المشهد الأول

دون لويس، دون جوان، سغاناريل.

دون لويس : ماذا ؟ أيمكن، يا بنيَّ، أن تكون رحمة السماء قد استجابت لدعائي ؟ أصحيحٌ ما تقوله لي ؟ ألم أُخْدَعُ بأملٍ كاذب ؟ أأستطيع الوثوق بهذا الإرتداد الجديد المفاجئ.

دون جوان : أجل. لقد عدلت عن كل اخطائي ولم أعُد كما كنت مساء البارحة. إن السماء قد أحْدَثَت فيَّ فجأةً تغييراً سيفاجئ الجميع؛ فقد هزتني وفتحت عينيّ فَرُحْتُ انظر بإشمئزاز للضلال الذي غرقت فيه طويلاً ولفوضى حياتي المجرمة التي عشتها. واستعرضت في نفسي كل اعمالي الكريهة ودُهِشْتُ كيف أن السماء استطاعت تحمُّلَهَا لوقت طويل ولَم تنزل بي ضربات عدالتها المخيفة. إني أدرك طيبتها ورحمتها تجاهي إذ انها لم تعاقبني قط على جرائمي، وابغي الإستفادة من ذلك، مُظْهِراً امام الجميع تغيير نمط عيشي المفاجئ وماحياً آثار أعمالي المخزية السابقة وساعياً للحصول على غفران كامل من السماء. هذا ما سأعمل لأجله وأرجو يا سيدي، أن تساهم معي في تحقيق هذا الهدف وأن تساعدني بنفسك على إختيار مرشدي الروحي الذي استطيع بعنايته السير بأمان في الطريق التي اخترتها.

دون لويس : كم يُسْتَرْجَعُ بسهولة حنان الأب، يا بني، وكم تُمحى بسرعة إساءات الإبن عند اول كلمة ندم ! لم اعد أذكر حتى العذابات العنيفة التي قاسيتها بسببك وقد محى الكلامُ الذي سمعته منك كل سيئاتك. اني لم اعد اسيطر على عواطفي كما ترى، وأذرف دموع الفرح بعد أن تحقّقت كل امنياتي وما عُدْتُ بحاجة لطلب اي شيء من السماء من الآن فصاعداً. قبلني يا بني. استحلفك بأن تستمرّ في هذه الخطى المشكورة. اما أنا، فسأغادر على التوّ لأنقل الخبر السعيد لأمك واشاركها مشاعر الإغتباط، حامداً السماء على القرارات المقدسة التي تنازلت واوحت لك بها.

المشهد الثاني

دون جوان، سغاناريل

سغاناريل : كم سُرِرْتُ لإرتدادك، يا سيدي ! اني أنتظره منذ زمن بعيد، وها إن أمنياتي كلها قد تحققت بفضل السماء.

دون جوان : تباً لك، ايها الساذج !

سغاناريل : ساذج ؟ كيف ؟

دون جوان : ماذا ؟ هل صدقت ما قلته ؟ هل صدقت أن قلبي هو الذي كان يتكلم ؟

سغاناريل : ماذا ؟ لم يكن ... لم ... (على حدة) يا له من رجل ! يا له من رجل !

دون جوان : لا، لا، لم اتغيّر قط ومشاعري ما زالت كما هي.

سغاناريل : ألم تفحمك معجزة التمثال المتحرك المتكلم المدهشة ؟

دون جوان : هناك أمر فيه لا افهمه. ولكن، مهما يكن هذا الأمر، فلن يستطيع اقناعي ولا زعزعة نفسي. ما سمعتني اقوله في شأن تقويم سلوكي وعيشي المثالي هو خدعة مفيدة، مظاهر خدّاعة ضرورية وقد قمت بها مرغماً لغاية تكتيكية صرِفْ ألا وهي تأمين مساعدة أبي الذي أحتاج إليه وإتّقاء شر العديد

من المغامرات المشؤومة. هذا الشر الذي قد يحصل لي من الناس. أفاتحك بهذا وانا مسرور، يا سغاناريل، لأنك سترى في أعماق نفسي الدوافع الحقيقيّة التي تجبرني على القيام بهذه الأمور.

سغاناريل : ماذا ؟ أنت لا تؤمن بشيء ابداً وتريد الظهور بمظهر الرجل الصالح ؟

دون جوان : ولِمَ لا ؟ كثيرون مثلي يتعاطون هذه المهنة ويستخدمون نفس القناع لخداع الناس.

سغاناريل (على حدة) : يا له من رجل ! يا له من رجل !

دون جوان : لم يعد أحدٌ اليومَ يخجل بهذا الأمر. فالخبث هو عيب شائع والعيب الشائع كالأخطاء الشائعة تصبح صواباً. إن شخصية الرجل الصالح هي أفضل شخصية نستطيع أن نلعبها اليوم، ومهنة الخبيث لها مميزات رائعة. هي فنٌّ أربابه محترمون؛ حتى ولو إكتشفت ألاعيبهم، لا احد يجرؤ على الوقوف ضدهم. فبينما تظلُّ عيوب الناس الأخرى عرضةً للرقابة ولكل واحد منا حرية مهاجمتها بصوت عالٍ، يبقى الخبث عيباً مميّزاً يفحم كل الناس ويتمتع بالطمأنينة وبحصانة قصوى. وإذ تتكاثر المظاهر الخداعة، تتشكّل جمعية وثيقة من كل الذين ينتمون الى هذه المهنة (مهنة مُدَّعي التقوى). من يسيء الى أحدهم، عليه مجابهة الآخرين كلهم. واولئك الذين نعرف أنهم يتصرَّفون عن حسن نية وأنهم أتقياء حقيقيّون، هم دائماً مخدوعون ويقعون بسهولة في شراك الخبثاء ويؤيدون بغباوة أعمالهم الخدّاعة. كم تظن انني أعرف من اولئك الذين محوا بحذاقة وعن طريق هذه الخدعة، إنحرافات فتوَّتهم وجعلوا من الدين درعاً واقية ترى وراءها أكثر الناس شراً ؟ حتى ولو كشفت مؤامراتهم وعرفتهم على حقيقتهم، يبقى رصيدهم كما هو بين الناس. يكفي أن يحنوا رؤوسهم ويتنهدوا تنهد المتقشِّف ويجولوا قليلاً بنظرهم لكي يصلحوا ما قد فعلوه. سأختبئ وراء هذا الستار المناسب لكي اعيش في أمان واستقرار. لن أتخلى عن عاداتي الحلوة وإنّما سأخفيها بعناية وسألهو بأقل ضجة ممكنة؛ إذا كشفَ أمري، ستلتزم الجمعية كلها بمصالحي دون أنْ أحرِّك ساكناً، وتدافع عني ضد الجميع. هذه، بالنتيجة، الوسيلة الصحيحة التي

تمكّنني مِنْ أن أفعل ما أشاء دون عقاب. سأجعل نفسي رقيباً على أعمال الآخرين. وأحكم عليهم بغير عدل ولن اجامل إلّا نفسي. وإذا اساء إليّ أحدٌ، ولو قليلاً، لن اغفر له ابداً وسأحقد عليه بكل هدوء، حقداً لا يزول. سأصبح المنتقم لعدالة السماء وبهذه الحجّة الملائمة، سأفحم أعدائي وأتّهمهم بالكفر وأطلق وراءهم أتقياء متعصّبين صخّابين وأجعلهم يصرخون في العلن ضدهم دون معرفة الحقيقة ويَصْلونهم ناراً من الشتائم ويلعنونهم بصوت عالٍ بموجب سلطانهم الخاص. هكذا يجب أن نستفيد من ضعف الناس، وأن يتكيّف الرجل الحكيم مع عيوب عصره.

سغاناريل : ايتها السماء ! ماذا اسمع ؟ لم يكن ينقصك غير الخبث وهو منتهى الشر. لم يعد باستطاعتي الإمتناع عن الكلام. هذا أقوى مني. إفعل بي ما تريد، إضربني، أوسعني ضرباً، اقتلني إذا أردت، فيجب أن أقول ما في قلبي وما ينبغي قوله بصفتي خادمك الأمين، إعلم، يا سيدي، أن « ما كل مرة تسلم الجرّة » وقد صدق قول الكاتب الذي لا اعرف اسمه : « الإنسان في الوجود مثل العصفور على الغصن »؛ الغصن هو من الشجرة ومن يتعلق بالشجرة يتبع القوانين الجيدة والقوانين الجيدة تساوي اكثر من الكلام الجيّد؛ والكلام الجيّد نجده في البلاط حيث رجال البلاط الذين يتبعون الزي الشائع والزي ينجم عن الخيال الذي هو إحدى قدرات النفس؛ هي التي تعطينا الحياة التي تنتهي بالموت؛ والموت يجعلنا نفكّر بالسماء التي هي فوق الأرض؛ والأرض ليست البحر فحسب؛ والبحر يتعرّض للأنواء؛ والأنواء تضايق السفن؛ والسفن بحاجة الى ربان جيّد؛ والربان الجيد حذر؛ والحذر لا يكون قطعاً عند الشباب؛ والشباب ملزمون بالطاعة للشيوخ؛ والشيوخ يحبّون الثروات؛ والثروات تصنع الأثرياء الذين هم نقيض الفقراء؛ والفقراء في عوز؛ والعوز لا قانون له؛ ومن لا قانون له يعيش كحيوان متوحش؛ وبالتالي سيكون مصيرك جهنم.

دون جوان : يا له من تفكير جميل !

سغاناريل : بعد هذا، ليكن الأسوأ لك إذا انت لم تقتنع.

المشهد الثالث

دون كارلوس، دون جوان، سغاناريل

دون كارلوس : انت في المكان المناسب، يا دون جوان وأجِدُني مسروراً لإستطاعتي التحدث إليك هنا، أكثر مما في بيتك، أستطيع معرفة قراراتك. إن هذا الأمر يعنيني، كما تعرف، وقد تحملت مسؤوليته في حضورك. بالنسبة اليّ، أصارحك بأني اتمنى كثيراً لو يتم الأمر بالحسنى. لن أوفّر جهداً لجعلك تسلك هذه الطريق وتؤكد امام الجميع أن اختي هي زوجتك.

دون جوان (بخبث) : للأسف ! أتمنى من كل قلبي ان افعل ما تريد ولكن السماء تعارض الأمر مباشرة وقد اوصت إليّ بواجب تغيير حياتي. أنا لا افكر الآن سوى بالتخلّي تماماً عن كل ارتباطاتي الأرضية والتجرّد عن كل أنواع الغرور في اقرب وقت ممكن، ومن الآن فصاعداً إصلاح كل الإنحرافات المجرمة التي جعلني شبابي الضال ارتكبها وذلك عن طريق الإلتزام بسلوك صارم.

دون كارلوس : أن هذا الهدف، يا دون جوان، لا يسيء بشيء ابداً الى ما أبغيه ورفقة امرأة شرعية تتناسب تماماً مع الأفكار الحميدة التي اوحت لك بها السماء.

دون جوان : قطعاً لا. للأسف ! هذا قرار اتخذته اختك بنفسها؛ لقد قرّرت التزهد وقد بلغتنا النعمة معاً في آن واحد.

دون كارلوس : قرارها هذا لا يشبع رغباتنا لأنه قد يُعْزى الى احتقارك لها ولعائلتنا، وشرفنا يستوجب إقامتها معنا.

دون جوان : هذا مستحيل بالطبع. اني ارغب كل الرغبة في ذلك حتى أنني شاورت السماء اليوم في هذا الموضوع وسمعت صوتاً يقول لي أن لا افكّر على الإطلاق بأختك وانني بالتأكيد لن أحقّق معها خلاص نفسي.

دون كارلوس : أتظن، يا دون جوان انك تبهرنا بهذه الحجج الجميلة ؟

دون جوان : أنا اذعن لصوت السماء.

دون كارلوس : ماذا ؟ أتريد أن اقتنع بمثل هذا الكلام ؟

دون جوان : السماء تريد ذلك.
دون كارلوس : أتتخلى عن اختي بعد أن جعلتها تترك الدير ؟
دون جوان : السماء ارادت الأمور على هذا النحو.
دون كارلوس : ايمكننا ان نقبل بهذا الإساءة في عائلتنا ؟
دون جوان : قل هذا للسماء.
دون كارلوس : ما هذا ؟ السماء، السماء، كل مرة ؟
دون جوان : السماء تريد ذلك.
دون كارلوس : كفى، يا دون جوان، لقد فهمت. لن أبارزك هنا فالمكان غير مناسب ولكني سأعرف كيف أجدك في القريب العاجل.
دون جوان : إفعل ما تشاء. أنا لا أفتقر للشجاعة، كما تعرف، وأجيد استعمال سيفي عند الضرورة. بعد قليل، سأكون في ذلك الشارع الصغير النائي الذي يقود الى الدير الكبير. ولكني أعلمك بأنني لست انا من يريد المبارزة فالسماء تمنعني من التفكير بها. سنرى ما سيحدث إذا هاجمتني.
دون كارلوس : سوف نرى فعلاً، سوف نرى.

المشهد الرابع

دون جوان، سغاناريل.

سغاناريل : ما غايتك من هذا، يا سيدي، إن هذا الأمر هو الأسوأ بين كل الأمور التي فعلتها، وافضّل أن تبقى كما كنت في السابق. كنت دائماً آمل في خلاصك ولكني يئست منه الآن وأظن أن السماء والتي تحمّلتك حتى هذه الساعة، لن تقبل بهذا العمل الأخير الفظيع.
دون جوان : هيا، هيا، السماء ليست صارمة كما تظن فالرجال في كل مرة ...
سغاناريل (يلمح الشبح) : آه، يا سيدي، السماء تكلّمك وهذه نصيحة أخرى تعطيك اياها.

دون جوان : إذا شاءت السماء اعطائي نصيحة، فعليها أن تتكلم بصورة أوضح ... إذا كانت تريد أن أسمعها.

المشهد الخامس

دون جوان، شبح (بزي إمرأة متسترة)، **سغاناريل**

الشبح : لم يعد امام دون جوان سوى لحظة واحدة للإستفادة من رحمة السماء وإذا لم يتبِ الآن فموته محتوم.

سغاناريل : هل سمعت، يا سيدي ؟

دون جوان : من يجرؤ على قول هذا الكلام ؟ اني اعرف هذا الصوت، على ما أظن.

سغاناريل : هذا شبح، يا سيدي، فأنا أعرفه من مشيته.

دون جوان : اريد أن أعرف ما هو، شبحاً كان أو شيطاناً.

(يبدِّل الشبح فيمثل الزمن وهو يحمل منجلاً في يده).

سغاناريل : أيتها السماء ! أرأيت، يا سيدي، كيف تغيّر وجهه ؟

دون جوان : لا، لا، لا شيء يستطيع ارهابي واريد أن أتبيّن بسيفي إذا ما كان جسداً أو روحاً.

(يطير الشبح في الزمن عندما يحاول دون جوان ضربه).

سغاناريل : آه، يا سيدي، استسلم امام هذا القدر من البراهين وتب بسرعة.

دون جوان : لا، لا، مهما يحدث، فلن استطيع التوبة. هيا، اتبعني.

المشهد السادس

التمثال، دون جوان، سغاناريل

التمثال :توقف، يا دون جوان، لقد وعدتني البارحة بتناول العشاء معي.

دون جوان : أجل. الى اين ينبغي الذهاب ؟

التمثال : أعطني يدك.

دون جوان : ها هي.

التمثال : إن التشبث بالخطيئة، يا دون جوان، يُسَبِّبُ موتا مشؤوماً، ونعم السماء إذا رفضناها تفتح الطريق أمام صواعقها.

دون جوان : ايتها السماء ! بماذا أشعر ؟ نارٌ خفيّة تأكلني .. لم أعد استطيع التحمّل .. جسدي كله أصبح جمراً متوقداً .. آه !

(البرق والرعد يرافقان سقوط الصاعقة. فتنشقُّ الأرض والهاوية وتخرج منها نار كبيرة في الموضع الذي سقطت فيه الصاعقة).

سغاناريل : آه، مرتّبي، مرتبي ! ها إن موته هكذا قد ارضى الجميع : الجميع مسرورون : السماء التي أُهِينَت والقوانين التي خُولِفت والفتيات المغرَّرُ بهن والعائلات التي هُتِكَت أعراضها والأهل الذين لَحِقَ بهم العار، والنساء المضلّلات والأزواج الذين فقدوا صبرهم وخارت قواهم كلهم راضون بموته إلا أنا فقد فقدت مرتبي ومالي .. ما من تعيس غيري .. مالي مالي مالي.

(تمّت)

خَبَاثات اسْكابَان

أشخاص المسرحية

أرْكانْت : والد أوكْتاف وزرْبينات.
جيرونْت : والد ليانْدْر وياسانْت.
أوكْتاف : ابن أرْكانْت وحبيب ياسانْت.
ليانْدْر : فتاة مصريّة، ابنة ارْكانْت، وحبيبة ليانْدْر.
ياسانْت : إبنة جيرونْت وحبيبة اوكْتاف.
إسكابان : خبيث، وخادم ليانْدْر.
سيلْفاسْتْر : خادم أوكْتاف.
نيرين : مرضع ياسانْت.
كارْل : خبيث آخر.

الأحداث تجري في نابولي.

الفصل الأول

المشهد الأول

أوكْتاف وسيلْفاسْتر.

أُوكْتاف : هذا خبر مزعج في نظر شاب عاشق. على أي مشكل أراني مقبلاً ؟ هل حقّاً علمت من المرفأ بأن والدي عائد ؟

سيلْفاسْترْ : نعم.

أُوكْتاف : ويصل في هذا النهار.

سيلْفاسْترْ : في هذا اليوم بالذات.

أُوكْتاف : وهو مصمّم على تزويجي.

سيلْفاسْترْ : نعم.

أُوكْتاف : بابنة السيد جيرونْت ؟

سيلْفاسْترْ : أجل بابنة السيد جيرونْت.

أُوكْتاف : التي استدعاها من مدينة تارانت لهذه الغاية ؟

سيلْفاسْترْ : نعم، نعم.

أُوكْتاف : وانت علمت بهذا النبأ من عمّي ؟

سيلْفاسْترْ : نعم من عمّك.

أُوكْتاف : وقد طلبها والدك في رسالته الأخيرة ؟

سيلْفاسْترْ : اجل في تحريره الأخير.

أُوكْتاف : وعمّي هذا، على ما بلغني، يدري بكل شؤوننا ؟
سيلْفاسْترْ : أجل، أجل، بكل شؤونك.
أُوكْتاف : هيا اسرد لي كل ما تعرفه، ولا تدعني انتزع من فمك كل كلمة بمفردها.
سيلْفاسْترْ : هناك المزيد، وتريد أن أخبرك به ؟ مع أنك مطّلع على كل التفاصيل وتذكرها لي واحداً تلوى الاخر.
أُوكْتاف : انصحني على الأقلّ، وأشر عليّ بما يجمل بي أن أفعل في هذه الظروف الصعبة.
سيلْفاسْترْ : اراني مرتبكاً اكثر منك، وانا بحاجة الى الارشاد اكثر ممّا تحتاج انت اليه.
أُوكْتاف : هذه العودة غير المنتظرة تضايقني وتشلّ تفكيري.
سيلْفاسْترْ : وانا منزعج منها اكثر ممّا تتصوره انت.
أُوكْتاف : عندما يدري والدي بكل هذه الخفايا ستنهال عليّ الملامات والتوبيخات.
سيلْفاسْترْ : توبيخاته غير هامّة. فأنا أتمنّى ان يكتفي بها في مثل وضعي. لكن يبدو اني سأدفع ثمناً أغلى بكثير بسبب تعنّته، وأتوقّع بوضوح أن هناك ضربة ستنهال على كتفيّ وستهدّ ظهري.
أُوكْتاف : كيف السبيل الى الخلاص من هذه الورطة ؟
سيلْفاسْترْ : هذا ما عليك أن تفكّر به قبل أن تجرّني انا ايضاً اليها.
أُوكْتاف : ما أقسى دروسك، وهي في غير محلها.
سيلْفاسْترْ : في الحقيقة تخنقني سماجة تصرفاتك الطائشة.
أُوكْتاف : ماذا يسعني أن أفعل ؟ أي قرار عليّ أن أتّخذ ؟ والى اي علاج أبادر لمداواة هذه العلّة المباغتة ؟

المشهد الثاني

إسْكابان وأوكتاف وسيلفاستر

إسْكابان : ما بك، يا سيدي أُوكتاف ؟ ما الخبر ؟ ما هذا الاضطراب ؟ اراك في أشد الارتباك.

أُوكْتاف : آه، يا اسكابان المسكين. لقد هلكت، وانا على شفير اليأس. صدّقني إن قلت لك اني أتعس إنسان في هذه الدنيا.

إسْكابان : كيف تقول ذلك ؟

أُوكْتاف : أولم يبلغك أي خبر عن وضعي ؟

إسْكابان : لا.

أُوكْتاف : والدي يصل اليوم بصحبة السيد جيرونت، وكلاهما مصمّمان على تزويجي.

إسْكابان : وماذا يزعجك في هذا الخبر السارّ ؟

أُوكْتاف : آسف لانك لا تدري سبب قلقي.

إسْكابان : كلا. وماذا يمنعك من إخباري بذلك ؟ وانت تعرف أني رجل مسالم، يسرّني أن أحلّ مشاكل الشباب بهدوء.

أُوكْتاف : آه، يا اسكابان. ليتك تستطيع أن تجد لي مخرجاً، لانقاذي من قعر الورطة التي أجد نفسي فيها. فأكون لك شاكراً مدى الحياة. لأنك تخلصني من هلاك محتّم.

إسْكابان : لا أخفي عنك أني أتوصّل الى حلّ معظم المشاكل، عندما أهتمّ بها جدّياً. لأن السماء حَبَتْني بمهارة لا تقف في وجهها اية صعوبة، مهما كانت عسيرة. فأنا كما تعرفني، قادر على ابتكار شتّى المجاملات والنكات والفكاهات والمناجاة والمغامرات والسمسرات التي يسمّيها بعض الناس لياقات أو شعْوَذات، والبعض الآخر يدعوها خباثات. ويمكنني القول بدون تبجُّح اني من الاشخاص القلائل الذين برعوا في زرع الفتن وحصد الكوارث. وليس في الكون اسرع مني في تطبيق القول المأثور ان مصائب قوم عند قوم فوائد. ولا أتدخّل في معضلة لحلّها، إلّا وكان لي فيها حصّة الأسد. وبما أن النبوغ لا يُقدَّر

اليوم حقّ قدره، تراني دائماً غارقاً في لجّة الافلاس.

أوكْتاف : كيف يتّفق لك ذلك ؟ وأية مشكلة خرجت منها خاسراً ؟

إسْكابان : هناك مغامرة اشتبكت فيها أنا والعدالة.

أوكْتاف : انت والعدالة ؟

إسْكابان : اجل تنازعت انا واياها.

سيلْفاسْترْ : تقول انت والعدالة.

إسْكابان : نعم، نعم، لأنها قَسَتْ عليّ، بينما كنت أشكو وأتململ من جَوْر هذه الايام. فقررتُ الامتناع عن الاشتراك في أي حلّ. وقضيّتي تلك لا توازي عِشْر مغامرتك.

أوكْتاف : هل تعلم، يا إسكابان، أن والدي والسيد جيرونْت ركبا البحر منذ شهرين للقيام برحلة تجارية بغية انجاز صفقة اشتركا فيها كلاهما.

إسْكابان : أنا مطّلع عليها.

أوكْتاف : وأني انا وليآندر بتنا موضوع إهمال ابوينا، ووُضِعْنا كلانا تحت رحمة سوانا، أنا في عهدة سلفاستر، وليآندر تحت إشرافك.

إسْكابان : سأقوم بواجبي خير قيام.

أوكْتاف : بعد زمن وجيز صادف ليآندر صبيّةً مصرية، وهام بحبّها.

إسْكابان : أعرف ايضاً هذا.

أوكْتاف : انت تدري كم هي متينة صداقتنا انا وليآندر. لذا إئتمنني على سرّ حبّه ورافقته لمقابلة تلك الفتاة التي وجدتها حقاً جميلة، ولكن ليس بمقدار ما أطنب بوصفها لي. فلقد راح يكلّمني عنها كل يوم مراراً، ويبالغ في تعداد تفاصيل حسنها، ويمتدح لي ذكاءها، ويتغنّى بسحر عينيها، وينعتها بأحلى الأوصاف، ويردّد علي عباراتها الرصينة، ويحاول ان يقنعني بأن كلامها أبلغ ما قيل في الدنيا. وكان يعاتبني أحياناً اذا لم أظهر له استحساني لما يكرره على مسامعي، ويلومني على قلة اكتراثي، اذا لم تبرق عيناي طرباً لما يزيّنه لي من أحاديث الهوى وشجون الشوق والهيام.

إسْكابان : لم افهم بعد الى اين تريد ان تصل بي في هذا الميدان الفسيح.

أوكْتاف : ذات يوم رافقته الى زيارة بعض الأصحاب. وكانت هناك الفتاة التي

يبني عليها آماله واحلامه. فسمعنا في أحد البيوت المنفردة، وسط شارع منعزل، صوت أنين ممزوج بسيل من شهيق البكاء والتأوّه. فسألنا عن السبب. فأجابتنا امرأة صعّدت الزفرات، ان هناك اشخاصاً غرباء يستدعون الشفقة والرثاء لحالهم، إلّا اذا لم يبقَ في الدنيا من شعور انساني.

إسْكابان : الى اين يقودنا هذا الحديث ؟

أُوكْتاف : عندئذ دفعني حبّ الاستطلاع الى الطلب من لياندر بإلحاح أن نرى ما الخبر ؟ فدخلنا قاعةً مهملة، وجدنا في احدى زواياها امرأة عجوزاً تنازع، والى جانبها خادمة تداريها وتتحسّر عليها، وبقربها صبية تزرف الدموع، عليها مسحة من الجمال ربما كان اروع ما يمكن أن يشاهده إنسان في الدنيا.

إسْكابان : ها، ها.

أُوكْتاف : أؤكد لك ان فتاةً غيرها في مثل بؤسها كانت بدت كامدة الملامح، لانها لم تكن مرتدية سوى ثوب قاتم قبيح المنظر وصدرة مصنوعة من نسيج خشن، وعلى رأسها قبعة صفراء مشمورة الجوانب تتدلّى منها خصل شعرها المشعّث وتتبعثر على كتفيها. ومع ذلك كانت مشرقة المحيّا كنور الصباح، تجتذب الانظار إعجاباً، كأنها ألطف مخلوقة على وجه الأرض.

إسْكابان : ها قد بدأت أُدرك خفايا الأمور.

أُوكْتاف : لقد أبصرتها، يا اسكابان، في وضع بسيط أثبت لي انها حقاً رائعة.

إسْكابان : انا لا اشكّ بصدق كلامك. وبدون أن أراها، أجد أنها فعلاً احلى الصبايا جميعاً.

أُوكْتاف : ودموعها لم تكن ابداً مدعاةً للإشمئزاز منها بسبب كآبة سحنتها، بل بالعكس كانت، وهي تبكي، تسحر الالباب وتستدرّ العطف والاعجاب، إذ كانت تَسِمُها بمعالم اللطف والنعومة والأنوثة الجذّابة.

إسْكابان : ها أنا ايضاً أُلْمح رقّتها تماماً كما شاهدتها انت.

أُوكْتاف : وكان منظرها يحمل على مشاركتها النحيب وهي منحنية على تلك العجوز المنازعة التي كانت تدعوها « أُميمتي العزيزة ». وليس في الكون من إنسان لا ينقبض قلبه ويضيق صدره لمرأى هذا المشهد الحزين.

إسْكابان : حقيقةً، أحْسَسْتُ بما شعرتَ انت به من الانجذاب اليها، وبِتُّ استلطفها مثلك.

أُوكْتاف : في الواقع، يا اسكابان، لا سبيل الى مقاومة سحر عينيها الذي يستميل اقسى المُهَج.

إسْكابان : لا شكّ عندي في ما تقول. لان قلبي نظير فؤادك عطوف، وليس مقدوداً من الصخر الأصمّ.

أُوكْتاف : وبعد تبادلي وإياها بعض الحديث الرقيق، حاولت أن أخفّف من آلامها، واهوّن عليها فجيعتها. خرجت أنا وليآندر من ذلك المكان الكئيب، وسألته رأيه في تلك الفتاة الجذّابة. فأجابني ببرود أنه يجدها مقبولةً لا بأس بها. فأزعجني ما أبداه من فتور حيالها، وما لمسته في ردّه من برود. لكني لم أشكف له شدة استغرابي من موقفه الجامد بالنسبة الى ما شعرت به انا من إعجاب ببساطتها ومن حماس وتقدير لبهاء طلعتها.

سيلْفاسْتْرْ (لأوكتاف) : ما رأيك في تأجيل سردك لي باقي قصّتك واياها حتى يوم الغد ؟ فأكون لك من الشاكرين. دعني أختم حديثي بكلمتين. (لإسكابان) : ألمس لمس اليد أن فؤاده وقع اسير هوى هذه الصبيّة المسكينة. لأن زياراته المتكرّرة لم تَلْقَ اية لفتةٍ من قِبَل الخادمة التي اصبحت رفيقة الصبيّة بعد وفاة والدتها. وهذا ما غمر بالقنوط صدر صاحبنا الولهان. ومهما حاول ان يلحّ عليها ويتوسّل اليها ويستعطفها، لم تنجح جميع الوسائل في تليين موقفها الحازم تجاهه. وقيل له إن هذه الفتاة، وان كانت بلا مال ولا سند، هي من اسرة شريفة، ولن تنفع في استمالتها كافّة الإلحاحات والتوسّلات، إلّا اذا عمد الى وسيلة واحدة فعّالة، هي شدّها اليه بوثاق الزواج. فضاعف ذلك رغبته في نَيْل رضاها وكسْب عطفها، لأنه ممن تزيدهم الصعوبات في غرامها تعلّقاً وتشبثاً وشوقاً الى امتلاك مهجتها والتمتع بعذوبة ألطافها. ففكّر مليّاً ووازن بين حسناتها وسيّئاتها، وسرعان ما اتخذ قراره النهائي، ألّا وهو الاقتران بها مهما كلفه الأمر. وها قد مضت عليه ثلاثة أيام، وهو ينعم بروعة جمالها كرفيقة حياته وشريكة عمره.

إسْكابان : استوعبتُ تماماً ما شئتَ أن تسرده لي من قصة غرامه.

سيلْفاسْترْ : أضفْ الى ذلك عودة ابيه غير المنتظرة الآن، لأنه كان ينوي أن يأتي بعد شهرين. وها قد اكتشف عمه سرّ زواجه هذا، وقارنه بالزفاف الآخر الذي كان يُخطط له الى ابنة السيد جيرونت، وكانت قد أنجبتها له زوجة ثانية، يقال انه اقترن بها في مدينة تارانت.

أوكْتاف : وفوق كل ما سبق ذكره، لا يغربْ عن بالك فقر الصبيّة المسكينة الجميلة، وعدم قدرتي على مساعدتهما نظراً الى هزال احوالي المالية.

إسْكابان : أعتقد أن هذا هو صُلْب المشكلة. وها أنتما كلاكما رهينتا مسألة تافهة. هل تجد ان الامر يستحقّ كل هذا الارتباك والاضطراب ؟ الا تستحي من نفسك أن تكون قاصراً خيال موقف بسيط كهذا ؟ انت بطولك وعرضك، ودهائك وذكائك، لا تجِد وسيلة ولا سبيلاً الى مساعدة هذا الشاب المسكين على تسوية وضعه ؟ تبّاً لك من قليل الحيلة. لو كنت أنا مكانك لوجدت حتماً طريقة لتبديل هذا القلق والهمّ بانفراج واسع النطاق. أجل، عندما كنت صغير السنّ ما عييت عن ابتكار ألْف حيلة للوصول الى غايتي المنشودة.

سيلْفاسْترْ : أنا لا أنكر ان حظي لم يزوّدني بمواهبك الغزيرة، واني لا اصل الى عِشْر ما تتمتع به من القدرة على تدبير الامور وحلّ أعسر العِقَد بدون مخالفة ايٍّ من قوانين الحق والعدالة.

أوكْتاف : ها قد اقبلت حبيبتي ياسانْت.

المشهد الثالث

ياسانت واوكتاف واسكابان وسيلفاستر.

ياسانْت : يا اوكتاف، هل هو صحيح ما قاله سيلفاستر لنيرين عن عودة ابيك، وعن رغبته في تزويجك.

أوكْتاف : أجل، يا عزيزتي ياسانت الحلوة. وهذا النبأ يشغل بالي ويقضّ مضجعي. لكن ماذا ارى ؟ لماذا تبكين ؟ لماذا تسيل الدموع على خدّيك ؟

هل تشكّين بأمانتي وإخلاصي ؟ هل تظنّين بي سوءاً أولستِ مرتاحةً الى زواجنا ومؤمنةً بصفاء ما احفظه لكِ من الحب الصادق ؟

ياسانت : اجل يا اكتاف، أنا واثقة كل الثقة بأنك تهواني. ولكن غير مؤمنة بدوام حبك لي طوال العمر.

أوكْتاف : وهل يسعني أنَ أحبك، وأن لا يدوم هيامي بك طوال الحياة ؟

ياسانت : لقد سمعت، يا اوكتاف، أن عشق الرجال لا يدوم بقدر ما يطول عمر الحب في قلوب النساء، وان حماس الرجل في فاتحة عهد غرامه لا تلبث جذوته ان تخمد بسرعة.

أوكْتاف : لا، يا عزيزتي ياسانت، فؤادي ليس كسائر قلوب الرجال. لأني أحسّ في أعماقي بأني لن انقطع ابداً عن التدلّه بحبك، وسأظلّ أهواك حتى بعد ان يضمّني القبر.

ياسانت : أنا أريد أن أصدّق ما تردّده عليّ من معسول الكلام وتأكيد عهودك لي. لكني أخشى أن يتغلّب يوماً على عواطفك ما اخشى أن يكون اقوى من الحب الذي يملأ الآن صدرك، وهو إصرار والدك الذي يريد أن يزوّجك فتاة غيري. كن على يقين بأني سأموت إن رأيتك تميل الى سواي، وحلول ذلك سيكون الكارثة القاتلة.

أوكْتاف : لا، لا، يا حلوتي ياسانت. لن يتوصّل ابي الى تحقيق رغبته هذه، ولن يتمكّن من فصلي عنك وتحويل هيامي الى امرأة سواك. فأنا مستعد أن أهجر معك هذه البلاد اذا ألَحّ ابي على تحقيق حلمه بزفّي الى غيرك. لقد بتّ اكره هذه الفكرة، وأجنّد الآن جميع طاقاتي لمحاربتها وتفشيلها. حتى إن لم أكنْ شرير الطباع، وقلبي غير مقدود من الصخر الجلمود، لن أصغي الى صوت أي شخص في الدنيا يريد إبعادي عنك. فلا تبكي، بل كفكفي دمعك، يا حبيبتي ياسانت. لأن دموعك كالحراب تطعن فؤادي الذي لا يحيا إلّا بما تحيطينني به من عطفك وحنانك.

ياسانت : بما أنك تطلب مني أن أمسح دموعي، ها أنا استجيب طلبك راضية ولتفعل السماء بحبّنا ما تشاء.

أوكْتاف : ثقي بأنها لن تحجب عنا السعادة والهناء.

ياسانت : سأكون دائماً بخير اذا بقيتَ اميناً متشبثاً بهوانا.
أُوكْتاف : سأظلّ عند حسن ظنّك بي ما دام قلبي ينبض بالحياة.
ياسانت : ستغمر الطمأنينة كل أيامي في ظل رعايتك ومحبتك.
إسْكابان (على حدة) : لعمري، أجدها ذكية سديدة التفكير.
أُوكْتاف (يشير الى إسكابان) : هذا الرجل، اذا اراد، سيكون لنا عوناً قديراً على تأمين جميع حاجاتنا عند الاقتضاء.
إسْكابان : لقد اقسمت يميناً مغلظة أن لا أتدخّل في أمور سواي. لكن اذا سألتماني انتما الاثنان أن اساعدكما، ربما ...
أُوكْتاف : اذا كنت تكتفي بأن نرجوك كي تساعدنا، فحبّذا لو ترضى ان تمدّ لنا يد العون لحلّ مشاكلنا عند اللزوم.
إسْكابان (لياسانت) : وانت لم اسمعك تتلفّظين بكلمة واحدة.
ياسانت : ألتمس منك أن تعيننا مثلاً على إبقاء حبنا متأججاً بين ضلوعنا.
أُوكْتاف : هل تعتقدين ...
إسْكابان (لأوكتاف) : أصمت. (لياسانت) : ثقي بي، وكوني مطمئنة البال.
(لاوكتاف) : كن على استعداد للمحافظة على حزمك أوّلاً تجاه ابيك.
أُوكْتاف : لا أُخفي عنك أن هذه القضيّة تُرعد فرائصي منذ الآن. لأني اخشى أن ألين بسبب الحياء الطبيعي الذي يتغلب عليّ عادة.
إسْكابان : مع ذلك لا بدّ لك من أن تكون رابط الجأش لدى أوّل صدام، لئلا يغدر بك ضعفك وتخسر معركتك بتصرفك كالصبيان الصغار. عليك أن تتمالك نفسك وتستجمع كل شجاعتك ورباطة جأشك لتجابه أي ضغط يمارس عليك، وتقف كالسنديانة الصلبة في وجه رياح المعارضة التي تهبّ عليك.
أُوكْتاف : سأفعل كل ما بوسعي في هذا السبيل.
إسْكابان : تعالَ نجرّبْ، لنعرف كيف يكون صمودك. راجع دورك في هذه الرواية الحاسمة ولنرى ما يكون من أمرك. كن صارم الملامح، عالي الجبين، ثابت الجنان.
أُوكْتاف : هكذا ؟

إسْكابان : بل أشدّ قليلاً.
أُوكْتاف : أبهذا المقدار ؟
إسْكابان : حسن. تصوّر أني والدك القادم من السفر، وأجبني بحزم على أسئلتي كما ستردّ عليه عند الاقتضاء. « كيف تسمح لنفسك، يا شقي، يا عقوق، يا ايها الابن الذي لا يستحق أن أكون لك والداً، كيف تتجاسر على الوقوف أمامي، بعد تصرّفك الغبي الخسيس اثناء غيابي. هل هكذا تكافئ اتعابي وسهري على تربيتك ؟ اين الاحترام والإعتبار المتوجّب عليك نحو أبيك ؟ لا يسعني أن اصدّق انك ارتبطت سرّاً واقترنت بفتاة لا أرضى بها أنا والدك. أجبني ايها الغبي الوقح، أجبني ايها الاحمق المغرور. لماذا خرجت علي طاعتي. لماذا ؟ لماذا تظلّ هكذا صامتاً لا تردّ على اسئلتي ؟.
أُوكْتاف : لا اريد ان اجيب بخشونة على ما تطرحه عليّ من اسئلة، يا ابي.
إسْكابان : نعم، كان عليك، يا جبان، ان لا تغتنم فرصة غيابي وتُقْدم على هذه الفعلة الشنيعة.
أُوكْتاف : لا أُحَبَّ عليّ من إتخاذ قراري بنفسي، ومن إجابتك بحزم.
إسْكابان : طبعاً هذا ما أطلبه منك.
أُوكْتاف : بدون شكّ.
سيلْفاسْترْ : ها هوذا والدك قد أقبل.
أُوكْتاف (وهو يهرب) : يا إلهي. لقد هلكت لا محالة.
إسْكابان : يا اوكتاف، ماذا دهاك ؟ قِفْ، يا اوكتاف. هيا قِفْ وعُدْ. لماذا تهرب ؟ ما أجبنك، يا احطّ الرجال. لا تدعْ أباك الشيخ ينتظر رجوعك بفارغ الصبر.
سيلْفاسْترْ : وماذا اقول له ؟
إسْكابان : أتركني، أنا اردّ عليه، وأنت اتّبع خطّتي.

المشهد الرابع

ارْكانْت، وإسكابان، وسيلفاستر.

أرْكانْت (يظنّ نفسه وحيداً) : هل كلّمه أحد في قضية مماثلة ؟

إسْكابان : لقد إطلع على المسألة، وأطاشت صوابه الى درجة جعلته يتحدّث وحده بصوت عالٍ.

أرْكانْت (يظن نفسه وحيداً) : هذه جسارة منقطعة النظير.

إسْكابان : لنستمع اليه قليلاً.

أرْكانْت (يظنّ نفسه وحيداً) : كم أودّ أن أعرف بماذا يمكنه أن يعتذر لي في موضوع هذا الزواج الموفّق الذي أهيّئه له.

إسْكابان (على حدة) : انا فكّرت في هذا الأمر.

أرْكانْت (يظن نفسه وحيداً) : وهل يحاول أن ينكر ما حدث ؟

إسْكابان : كلّا. لم أفكر بذلك.

أرْكانْت (يظن نفسه وحيداً) : أو إنه سيهتدي الى حجّة ستكون واهية ؟

إسْكابان : هذا غير مستبعد.

أرْكانْت (يظن نفسه وحيداً) : وهل يسرّه أن يقصّ علي حكاية خيالية ؟

إسْكابان : ربّما.

أرْكانْت (يظن نفسه وحيداً) : كل أعذاره ستظلّ غير مجدية.

إسْكابان : سنرى إن كان ذلك صحيحاً.

أرْكانْت (يظن نفسه وحيداً) : لن يستطيع خداعي أو إقناعي.

إسْكابان : لا سبيل الى تأكيد هذا.

أرْكانْت (يظن نفسه وحيداً) : سأُوسِع سيلفاستر ضرباً مؤلماً.

سيلْفاسْترْ (لاسكابان) : كانت الدهشة استولت عليّ، لو تغافل عن وجودي.

أرْكانْت (يلمح سيلفاستر) : ها، ها. أنت هنا، أيها المستشار القانوني، يا مرشد الشبان، يا سديد الرأي وبليغ البيان.

إسْكابان : يسرني ان اراك قد عدت.

أرْكانْت : نهارك سعيد، يا اسكابان. (لسيلفاستر) : اراك نفّذت اوامري حرفيّاً

بصورة مُثْلى. لذا تصرّف ابني حسب نصيحتك بطريقة حكيمة اثناء غيابي.

إسْكابان : اجدك تتمتع بصحة جيدة، يا سيدي.

أرْكانْت : لا بأس، والحمد لله. (لسلفاستر) : لا أسمعك تتلفّظ بكلمة، أيها المحتال.

إسْكابان : اعتقد أن رحلتك كانت موفقة.

أرْكانْت : على قدر الإمكان، والحمد لله. دعني أباشر المشاجرة برواق.

إسْكابان : هل تريد أن تشاجر ؟

أرْكانْت : اجل أريد أن أشاجر جدّيّاً.

إسْكابان : تشاجر من، يا سيدي ؟

أرْكانْت (يشير الى سيلفاستر) : هذا الغبي الأحمق.

إسْكابان : ولماذا ؟

أرْكانْت : ألم تعلم بما أقدم عليه اثناء غيابي ؟

إسْكابان : أجل دريت بحدوث أمر بسيط.

أرْكانْت : كيف تدعو ذلك امراً بسيطاً، وهو في الواقع تصرّف خطير ؟

إسْكابان : ربما كان بعض الحق الى جانبك.

أرْكانْت : أتتكلّم بمثل هذه الجسارة ؟

إسْكابان : هذا صحيح. لماذا لا ؟

أرْكانْت : ابني يتزوج بدون موافقتي أنا والده ؟

إسْكابان : طبعاً، لا بأس من النقاش في مثل هذه القضية. لكن يجمل بك أن لا تثير حوله ضجّة مزعجة.

أرْكانْت : انا لا ارى هذا الرأي، وأُصرّ على اثارة ضجة مدوّية، بكل ما أُوتيت من قوة. ألَا تجد أني على حق في صبّ جام غضبي على جميع من سعوا الى معاكستي ومشاكستي ؟

إسْكابان : لو كنت انا مكانك، وعلمت بأن الأمر قد قُضي، لكنت افتعلت المعركة وخاصمت الذي أظهره نحوك هو الذي كان عليه أن يقبّل يديك، ويلتمس رضاك حتماً. ولكنت وجّهت اليه كلاماً لا يقلّ عنفاً عما خاطبته به أنت والده وعلّة وجوده. لكني تبصّرت وتريّثت ونظرت إلى المأساة بعمق

ورويّة، لأنه في الحقيقة ليس مخطئاً تماماً كما تتصوره أنت.

أرْكانْت : ما هذه البدعة الصبيانيّة التي تُطالعني بها ؟ تقول أنه ليس مخطئاً في اقترانه بفتاة مجهولة ؟ انا لا أجد أسخف من تصرفه الطائش بمثل هذه الحماقة.

إسْكابان : وهل تلومه اذا ساقته ظروفه الى مصيره هذا المحتوم ؟ لأن ما كتب على الجبين، كما تقول الأغنية، لا بد من ان تراه العين.

أرْكانْت : هذا منطق مضحك حقاً. ما هذه الحجة الواهية ؟ إن طبّقنا فكرتك نرتكب أفظع الجرائم والحماقات، ونغشّ، ونسرق، ونقتل، ويكون عذرنا اننا منساقون وراء مصيرنا المحتوم، كما تدّعي.

إسْكابان : يا الهي. كيف تحمل كلامي على محمل هذه الفلسفة العرجاء. أنا لا اجد له عذراً بل أعْزي تصرّفه الى قدره الذي دفعه الى هذه النتيجة التي ارتضاها.

أرْكانْت : ولماذا يستسلم الى قدره، اذا كان سيودي به الى هذا العمل الشاذّ ؟

إسْكابان : وهل تطلب من ولدك الشاب أن يكون حكيماً مثلك، وقد بلغت أنت درجة متقدّمة في النضوج والتروّي ؟ هل نسيت أن الصبَا بعيد كل البعد عن التحفّظ والتبصّر والتقيُّد بالمنطق السليم ؟ والشاهد على ذلك لياندر الذي رغم كل التنبيهات والتحذيرات أقدم على تصرّف أغرب مما أتاه ابنك. آه، كم أودّ أن أعرف لو كنت أنت لا تزال شاباً في مثل وضعه إن كنت لا تحذو حذوه وتنقاد الى العوامل ذاتها التي شدّته الى مصيره المقبول.

أرْكانْت : ربما كان هذا في الواقع صحيحاً. ولكني كنت اكتفيت بمغامرة طفيفة وما غُصْتُ نظيره في بحر أهوائه التي اوقعته في هذا الشرك المهلك.

إسْكابان : وكيف تريد منه أن يتصرّف عندما يشاهد صبية حسناء لا تتمنّى له إلّا الخير والهناء. وهو نظيرك قد ورث عنك حب الحسان الفاتنات. فوجدها رائعة وثابر على زيارتها، ووجّه اليها حلو الكلام، وتبادلا المناجاة التي تروي غليل اشواقه وعواطفه وتستجيب امانيه وأحلامه الزاهية. وهي من جهتها انجذبت الى سحر شبابه ووعوده البرّاقة، ولم يقفا كلاهما عند حدّ اللياقات،

ففوجئ بإلحاح ذويها الذين اجبروه على الإقتران بها.

سيلْفاسْترْ (على حدة) : ما ادهاه من خبيث محتال.

إسْكابان : فهل كنت تفضّل والحالة هذه أن يتعرّض ابنك للقتل، أَوَلَم يتدارك التهديد بهذا الحلّ الواجب. أولا ترى معي ان زواجه هذا خير من فقدانه، لا سمح الله.

أرْكانْت : لم يشرْ لي احد أن المعضلة وصلت الى هذا الحدّ من التعقيد.

إسْكابان (يشير الى سيلفاستر) : إسأله فها هو الآن أمامك، ولن يُنكر اقوالي.

أرْكانْت (لسيلفاستر) : اذاً أُجبر إبني على هذا الزواج إجباراً ؟

سيلْفاسْترْ : أجل، يا سيدي.

إسْكابان : وما هي مصلحتي في ان اكذب عليك ؟

أرْكانْت : عليه الآن اذاً أن يبادر ويحتجّ رسميّاً على هذا العنف الذي راح ضحيته.

إسْكابان : وهذا ما لم ولن يقبل بأن يفعله.

أرْكانْت : لكنه سَبَبٌ شرعي لفسخ الزواج.

إسْكابان : تريد منه أن يفسخ زواجه ؟

أرْكانْت : نعم، نعم.

إسْكابان : لا سبيل الى فسخه أبداً.

أرْكانْت : كيف لا ؟

إسْكابان : لا سبيل بتاتاً.

أرْكانْت : ماذا تقول ؟ أوليس هناك من حقوق ؟ أين رضى الوالد ؟ وأين حق المنطق السليم، عندما يمارس مثل هذا الضغط والعنف والتهديد على ولدي لإجباره على هذا الزواج السخيف ؟

إسْكابان : ابنك لا ينظر الى الأمر نظرتك انت.

أرْكانْت : ولماذا ؟ ما هي حجّته ؟

إسْكابان : يكفي أن يكون رأيه مخالفاً لرأيك، وهو حرّ التصرّف.

أرْكانْت : هل يخالفني ولدي في الرأي ؟

إسْكابان : اجل. هل تريد أن يعترف لك بأنه لم يقوَ على مجابهة الواقع خشية

عواقبه الوخيمة. فآثر الصمت، وقَبِل راضياً ما آل اليه مصيره، على أن يفتح باب الفضائح والمهاترات على مصراعيه. ولكان آنذاك مرّغ سمعته، وبالتالي سمعتك أنت والده، بأوحال الاستهتار والرعونة.

أزكائت : هذا لا يهمّني كثيراً.

إسكابان : أوَلَا تجد ان المحافظة على شرفه وعلى شرفك أيضاً تقتضي ان لا يدع سمعته وسمعتك انت ايضاً تلوكهما الالسنة الطويلة الزَلِقة ؟ لكنه تروّى وفضّل ان يتم زواجه هذا، وان يصون صيته الطيّب بقرانٍ اضطراري، يقوم على الرضوخ للأمر الواقع.

أزكائت : انا لا ارى هذا الرأي مطلقاً، وأجد أن سلامة شرفه وشرفي توجب عليه إعلان العكس تماماً.

إسكابان : لا، لا. أنا على يقين بأنه لن يفعل ذلك. لأنه ليس من صالحه، كما قلت لك.

أزكائت : انا اجبره على الإنصياع لهذا الحلّ.

إسكابان : وانا أؤكد لك وأكرر أنه لن يفعل.

أزكائت : سينفّذ ما أريد، وإلّا حرمته من الميراث.

إسكابان : أنت تحرمه ؟

أزكائت : اجل، أنا ...

إسكابان : طيّب.

أزكائت : ما معنى طيّب.

إسكابان : انا على أتمّ الثقة بأنك لن تحرم ولدك من حقوقه.

أزكائت : ولماذا لا أحرم إبني، اذا لم يطاوعني ؟

إسكابان : لن تحرمه.

أزكائت : سنرى إن كنت سأحرمه أو لا.

إسكابان : أجل لن تحرمه.

أزكائت : هذا خبر مضحك. ولماذا لا أحرم ولدي، اذا خرج على طاعتي ؟

إسكابان : اكرّر عليك انك لن تحرمه.

أزكائت : ومن يمنعني عن عمل ما أشاء ؟

إسْكابان : انت نفسك.
أرْكانْت : أنا ؟
إسْكابان : انت، نعم، انت. لأن قلبك الأبوي لن يصل بك الى هذه القسوة.
أرْكانْت : بل سيصل بي، فأنا أتمكن من التحكُّم به.
إسْكابان : هل تهزأ بنا ؟
أرْكانْت : انا لا اسخر ابداً من أحد.
إسْكابان : حنوّك الوالدي سيحول دون تنفيذك هذا التهديد. والوعيد.
أرْكانْت : عندما تجري الأمور على غير ما أروم، لن يؤخرني اي مانع.
إسْكابان : هذا قول لن تتقيّد به مطلقاً.
أرْكانْت : بل انا الذي أقول وأفعل.
إسْكابان : هذا الكلام تتلفّظ به شفتاك، ولن يرضى قلبك المحب بتنفيذه.
أرْكانْت : هذه حجة واهية لا تقنعني.
إسْكابان : يا الهي. أنا أعرف حنوّك، وأثق بطيبة قلبك وحبك لإبنك.
أرْكانْت : انا لست طيب القلب ولا رقيق العواطف، بل انا لئيم متى شئت، لا سيما عندما يستفزّني العُقوق والجُحود. لنقف عند هذا من نقاشنا العقيم الذي يضيق له صدري ويبتليني بالعلل. (يوجّه كلامه الى سيلفاستر) : أُغرب عن وجهي ايها الجاحد، واذهب لاستدعاء ولدي، بينما أنا أوافي السيد جيرونت لأحدّثه عن خيبة املي.
إسْكابان : اذا استطعت أن أفيدك في أمر من الأمور، لا تتردّد في طلبي، فأحضر فوراً بكل سرور لتلبية رغبتك.
أرْكانْت : أشكرك. (على حدة) : آه ! لماذا أصبح ولدي وحيدي. كم آسف على فقداني ابنتي التي كنت جعلتها في هذه الحالة وريثتي الوحيدة.

المشهد الخامس

اسكابان وسيلفاستر

سيلْفاسْترْ : انا أُقرّ بأنك رجل عظيم. وها هي قضيتك تسير في الدرب الصحيح. لكن المال من جهة اخرى يستعجلنا للبتّ في القضية. لأن الدائنين يلاحقوننا من كل حدب وصوب.

إسْكابان : دعني اتصرّف، فقد وجدت الحلّ المناسب. والآن لنبحث عن رجلٍ يساعدنا على بلوغ مرامنا، ويقوم بدور الشخص الذي نحتاج اليه. انتظر قليلاً، وتمالك اعصابك. أَنزل قبعتك على عينيك كأنك صعلوك حقير، وتظاهر بالخوف والحذر، وانقل خطواتك بتمهّل كأنك ملك المتشرّدين تتهادى على خشبة المسرح. أجل، هكذا. ثم اتبعني. فأنا ماهر في تمويه معالم وجهك وصوتك، وإخفاء شخصيتك الحقيقية. ولن يعرفك أحد ممّن يقع نظرهم عليك.

سيلْفاسْترْ : أرجوك أن لا توقعني في قبضة العدالة.

إسْكابان : لا تقلق. فكلانا نتقاسم المسؤولية معاً. وثلاث سنوات في السجن اكثر أو أقلّ، لن تؤثّر على رغبتنا في التخلّص من هذه الورطة.

الفصل الثاني

المشهد الأول

حيرونت واركانت.

جيرونْت : اجل، في هذا الوقت العسير سيحضر أصحابنا اليوم الى هنا، وبرفقتهم بحّار من مرفأ تارانْت أكّد لي انه أبصر الرجل الذي ننتظره، يتأهّب لركوب السفينة. لكن ابنتي ستصل قريباً عندما تبلغ الفوضى أشدّها، خلافاً لما نترقّبه. وما اخبرتني به أنت عن ابنك يقلب ترتيب التدابير التي اتخذناها سوية رأساً على عقب.

أرْكانْت : لا تزعج نفسك، ولا تضطرب. انا مستعدّ وقادر أن اذلّل هذه الصعوبات. وأُوشك ان أُحقّق النجاح في مسعاي.

جيرونْت : حقاً، يا سيدي اركانت، لست ادري ما اقول لك. فإن تربية الأولاد مسألة دقيقة لا تحتمل أن يتهاون الأهل فيها.

أرْكانْت : طبعاً، بدون شك. ولكن، لماذا تذكر لي ذلك ؟

جيرونْت : لأن تصرّف الأولاد غير اللائق ينجم في أغلب الأحيان عن تربية الأبوين غير الصالحة.

أرْكانْت : قد يحدث ذلك في بعض الأحيان. ولكن ماذا تقصد بهذا التلميح.

جيرونْت : ما اقصده ...

أرْكانْت : نعم.

جيرونْت : لو كنتَ أباً حازماً محنّكاً وقوّمت اعوجاج ولدك، لما كان خيّب رجاءك بما لم يتورّع عن الاقدام عليه.

أرْكانْت : حسن. وهٰذا يدلّ على أنك أنت ربّيت ابنك تربية صالحة.

جيرونْت : بدون شك، ولن أسامحه أبداً لو تصرّف على هذا النحو غير اللائق.

أرْكانْت : واذا أقدم ولدك، الذي ربيته كما يجب، على عمل اسوأ مما فعله ابني انا، ماذا يكون موقفك ؟

جيرونْت : ماذا تقول ؟

أرْكانْت : أجل، ماذا يكون موقفك عندئذٍ ؟

جيرونْت : ماذا تعني بكلامك هذا ؟

أرْكانْت : هذا يعني، يا سيدي جيرونيت، أن الأجدر بك أن لا تحكم بهذه القساوة على الآخرين، وان من يودّ الانتقاد عليه قبلاً أن يتفحّص ما يجري حوله من خلل، وأن لا يرشق جاره بالحجارة عندما يكون بيته من زجاج.

جيرونْت : أنا لا أفهم ماذا تقصد ؟

أرْكانْت : سأشرح لك ذلك بالتفصيل.

جيرونْت : هل بلغك عن إبني ما يشغل البال ؟

أرْكانْت : ربما. فالقضية لا تخلو من الاحتمالات.

جيرونْت : ارجوك أن تبيّن لي ما هو مرامك بالتمام ؟

أرْكانْت : صاحبك اسكابان لم يسرد لي القصة الّا باختصار. ويمكنك أن تطّلع منه او من سواه على بعض التفاصيل. بالنسبة اليّ سأبادر الى استشارة المحامي، واستفهم منه عن الاجراءات التي يجب أن أقوم بها على سبيل الإحتياط. فالى اللقاء.

المشهد الثاني

لياندر وجيرونت.

جيرونت (وحده) : ما عسى أن تكون هذه المشكلة في الحقيقة ؟ هل هي اسوأ من معضلته ؟ انا لا ارى أن ما يحصل قد يكون اسوأ مما جرى. وأجد ان زواج الإبن بدون موافقة ابيه تتعدّى كل ما يجوز أن نتصوره من حماقات. الآن وقد جئت ...

ليانْدر (يبادر اليه كي يعانقه) : ما أعظم سروري بقدومك، يا ابي.

جيرونْت (يرفض معانقته) : مهلاً. لنتكلّم أولاً عما حصل.

ليانْدر : دعني اقبّلك أوّلا ثم ...

جيرونْت (يبعده عن صدره) : مهلاً، قلت لك مهلاً.

ليانْدر : ماذا ارى ؟ هل ترفض معانقتي، يا ابي، ولا تريد ان أُبدي لك شوقي ومحبتي بمعانقتك ؟

جيرونْت : نعم ... امامنا مشكلة لا بد لنا من أن نعالجها ونجد لها حلاً.

ليانْدر : وما هي ؟

جيرونْت : قف منتصب القامة جيداً، كي اتفحّصك.

ليانْدر : لماذا تطلب مني ذلك ؟

جيرونْت : أريد أن أنظر مليّاً الى عينيك.

ليانْدر : هيّا أنظر كما تشاء.

جيرونْت : قلْ لي بصراحة، ماذا حدث لك هنا ؟

ليانْدر : ماذا حدث لي ؟

جيرونْت : ماذا فعلت أثناء غيابي ؟

ليانْدر : وماذا تريد أن أفعل، يا ابي ؟

جيرونْت : انا غير موافق بتاتاً على ما فعلته أنت، واستفسر عمّا قمت به بدون علمي.

ليانْدر : أنا ؟ لم أفعل قط ما لا يرضيك أو تتذمّر منه.

جيرونْت : ألم تُقدِم على أي عمل ؟

ليائدر : كلا.
جيرونت : هل أنت صادق في ما تؤكّده لي ؟
ليائدر : أنا واثق بأني بريء لم اقترف ذنباً يزعج أيّاً كان.
جيرونت : مع أن اسكابان روى لي عنك بعض الانحرافات.
ليائدر : إسكابان ؟
جيرونت : ماذا دهاك حتى احمرّ خدّاك لدى ذكر اسمه ؟
ليائدر : هل أعلمك ببعض أخباري ؟
جيرونت : هذا المكان غير ملائم ولا يصلح لفتح موضوعك ومناقشته. علينا أن ننتقل الى زاوية اخرى انسب منها. والأفضل ان نمضي الى المنزل. اسبقني وانا أوافيك بعد هنيهة. هل يسرّك ان تلوّث سمعتي، يا حقير ؟ لن أتردّد في انكار اني ابوك، يا ايها الأحمق. هيّا أغرب عن وجهي الى الأبد.

المشهد الثالث

اوكتاف واسكابان وليائدر.

ليائدر (وحده) : هل خان الغادر عهدي. يا له من ثرثار. كان عليّ أن أخفي عنه حقيقة ما جرى، ولا أأتمنه على سرّي كي لا يبوح به لأبي. أقسم بأني لن أترك خيانته هذه بدون عقاب.
أوكتاف : يا عزيزي اسكابان، كم أنا مدين لك بأفضالك عليّ. انت فعلاً رجل وفيّ وتستحق كل الاعجاب والتقدير. فقد ارسلتك العناية الالهية لمساعدتي.
ليائدر : ها أنت قد جئت في الوقت الملائم، وانا مسرور جداً بمشاهدتك، أيها السيد الدجال.
إسكابان : يكفيني شرفاً ان أكون خادمك الأمين المطيع، يا سيدي المفضال.
ليائدر (يستلّ سيفه) : ما لي اراك تظهر لي لؤمك على هذا النحو ؟ سأعلّمك كيف ...

أوكتاف (يقف بينهما، ويمنع لياندر من أن يضرب اسكابان) : ارجوك، يا لياندر.
ليائدر : لا، لا. انا ارجوك أن لا تتدخّل في الأمر، يا اوكتاف، ولا تمنعني من تأديب هذا الخبيث.
إسكابان (للياندر) : رحماك، يا سيدي.
أوكتاف (للياندر) : ألتمس منك أن تصغي اليّ.
ليائدر (يهمّ بضرب اسكابان) : دعني اشفي غليلي بضرب هذا المحتال.
أوكتاف : اكراماً لصداقتنا الحميمة، ارجوك أن لا تسيء معاملته.
ليائدر (يهمّ بضرب اسكابان) : ألم تفعل ما يزعجني، يا محتال ؟
أوكتاف (يمنعه من الضرب) : تمهّل، يا لياندر، إكراماً لي.
ليائدر : أُصرّ، يا اوكتاف، على ان يعترف لي الآن بما رواه لأبي من أقوال كان الأجدر به أن يدفنها في أعماق صدره. أجل، لقد فضحني لدى والدي وأطلعه على ما لا أريد أن يعلمه. وقد بلغني كل ما كشفه هذا الخائن لأبي من اسراري التي كنت احرص على أن لا يعرفها والدي. وأنا الحّ الآن على أن يقرّ هذا المنافق أمامي بكل ما أطلع عليه أبي. وإلّا اخترقت بسيفي هذا صدره النجس.
إسكابان : وهل تسمح لك طيبة قلبك بمثل هذا العمل الفظيع.
ليائدر : تكلّم اذاً.
إسكابان : هل لحقك. يا سيدي، بسببي أنا أيّ أذى ؟
ليائدر : أجل، أيها الخبيث الخسيس. ولا بد لضميرك من أن يوبخك على ما فعلت، إن كان لك من ضمير.
إسكابان : أؤكد لك، يا سيدي، أني لا أعلم بما أزعجك من أقوالي أو أفعالي.
ليائدر (يتقدم ليضربه) : أتدّعي انك لا تعلم ؟ ...
أركائت (يمنعه) : تبصّر في الأمر، يا لياندر.
إسكابان : بما أنك تصرّ، فأنا أعترف لك بأني شربت بصحبة بعض رفاقي قليلاً من الخمرة الاسبانية التي قدّم لك منها برميلاً بعض اصدقائك منذ بضعة أيام، وقد أفرغت قليلاً منه، ثم سكبت على الأرض ماءً لأوهمك أن الخمرة قد تسرّبت من البرميل.

ليائلدر : انت اذاً شربت من الخمرة الاسبانية، وسبّبت توبيخي الخاد
أتهمتها بالسرقة.
إسْكابان : نعم، يا سيدي. انا آسف، وأرجوك أن تسامحني.
ليائلدر : انا مرتاح الى اقرارك هذا الذي يبرّئ ساحة الخادمة. لكن ال
التي أريد محاسبتك عليها تتعلّق بقضية اخرى.
إسْكابان : هل هناك قضية أخرى ؟
ليائلدر : نعم، وهي تهمّني وتضايقني اكثر من التي اعترفتَ لي بها ا
إسْكابان : يا سيدي، أنا لا أتذكّر بأني أقدمت على عمل آخر غير
ليائلدر (يهمّ بضربه) : ألا تريد أن تتكلم ؟ هل عدت الى الإنكار ؟
إسْكابان : انكار ماذا ؟
أوكْتاف (يمنعه) : مهلاً، مهلاً.
إسْكابان : نعم، يا سيدي، ها أنا أعترف : من مدة ثلاثة اسابيع ارسلتن
مساءً لأوصل ساعة صغيرة الى الصبية المصرية التي تحبّها. وحال رجو
البيت، والوحل يكسو ثيابي، والدم يلطّخ وجهي، أعلمتك بأن لصوصاً
عليّ وضربوني وسرقوا مني الساعة. بينما كنت أنا قد خبّأتها.
ليائلدر : انت خبّأت ساعتي ؟
إسْكابان : نعم، يا سيدي، لكي أعرف الوقت بواسطتها.
ليائلدر : ها أنا أطّلع في هذه اللحظة على خباثة جديدة قمت بها ايضاً،
بأن خادمي غير أمين. ولكن هذا كذلك ليس ما اطلبه منك بالضبط
إسْكابان : ليس هذا ؟
ليائلدر : كلا، أيها اللص الدجّال. هناك أمر أهمّ بكثير أريد منك أن تعتر
به.
إسْكابان (على حدة) : ويحي، وتبّاً لي من شقي تعيس.
ليائلدر : تكلم حالاً. فأنا مستعجل لمعرفة ما فعلت تماماً بالتفصيل.
إسْكابان : هذا كل ما فعلته أنا، يا سيدي.
ليائلدر (يهمّ بضرب اسكابان) : أهذا كل ما فعلته، يا لعين.
أوكْتاف (يحول دون ضرب اسكابان) : ارجوك ...

إسْكابان : ها أنا اتكلّم. هل تذكر، يا مولاي، انك تلقّيْتَ عدة ضربات من شبح اثناء الليل، وكدت تسقط على الأرض وتفكّ عنقك، في المغارة عندما هممتَ بالهرب في الظلام ؟

ليانْدر : ماذا تقصد ؟

إسْكابان : هذا الشبح هو أنا، يا سيدي.

ليانْدر : انت أيضاً صاحب هذه الخباثة المزعجة ؟

إسْكابان : نعم، يا سيدي، أنا. لكني كنت اقصد أن أخيفك فقط، لأمنعك من الركض كل ليلة كما اعتدت أن تفعل.

ليانْدر : لن أنسى ما سمعته الآن منك من الخباثات. ومن ضروب الاحتيال والأذى. لكني أرغب بإلْحاح في أن تعترف لي بما بُحْتَ به عني لأبي.

إسْكابان : لأبيك ؟

ليانْدر : نعم، نعم، لأبي.

إسْكابان : لكني لم أشاهده بعد عودته.

ليانْدر : هل تُنكر أنك شاهدته ؟

إسْكابان : كلا، يا سيدي، لم أشاهده.

ليانْدر : هل أنت واثق بما تدّعي ؟

إسْكابان : طبعاً، طبعاً، يا سيدي. ويمكنك أن تسأل والدك الذي سيؤكّد لك صدق كلامي.

ليانْدر : لكنه هو بذاته أعلمني بأنك بُحْتَ له بما يعرف عني، أيها الكذاب المنافق.

إسْكابان : اسمح لي، يا سيدي، بأن أؤكد لك بكل بساطة أنه لم يقل لك الحقيقة.

المشهد الرابع

كارل، واسكابان، وليباندر، واوكتاف.

كارْل : يؤسفني أن آتيك بخبر غير سارّ عن حبيبتك، يا سيدي.
ليانْدر : وما هو ؟
كارْل : المصريون على وشك أن يسلبوك حبيبتك زربينات التي كلّفتني، والدمع يملأ عينيها، بأن اقول لك حرفيّاً : إن لم تبادر الى الدفع لهم خلال مهلة ساعتين فقط، مبلغ المال الذي طلبوه منك للافراج عنها ستفقدها الى الأبد.
ليانْدر : خلال ساعتين ؟
كارْل : نعم ساعتين فقط.
ليانْدر : آه، يا صاحبي اسكابان، كم أنا بحاجة في هذه اللحظة الى مساعدتك القيّمة.
إسْكابان (يمرّ امامه وهو يختال متشامخاً) : « آه، يا صاحبي اسكابان »، الآن اصبحت صاحبك اسكابان ؟ حين احتجت الى مساعدتي.
ليانْدر : هيا، أنا اسامحك بكل ما بُحْتَ لي به منذ هنيهة عمّا فعلته معي من مزعجات ومضايقات.
إسْكابان : لا، لا. لا تسامحني بتاتاً، بل اخترقْ صدري بسيفك البرّاق، فأكون أول المبتهجين اذا قتلتني وأرحتني من هذه الحياة.
ليانْدر : انت عزيز على قلبي يا اسكابان. فأرجوك أن تستعمل عبقريتك المبدعة التي لا تعجز عن إيجاد الحلّ اللازم لجميع المشاكل.
إسْكابان : لا، أقول لك : هيّا اقتلني وانقذني من هموم الدنيا. فذلك أولى بي.
أوكْتاف : يا اسكابان، لا بدّ لك من أن تساعد سيدك صاحب الافضال العديدة عليك.
إسْكابان : بعد كل الاهانات واللعنات التي صبّها على رأسي أنا المسكين.
ليانْدر : اتوسّل اليك أن تنسى ما قلته لك، وأن تسعفني بمهارتك وبراعة حيلك.

أوكْتاف : وأنا أضمّ رجائي الى توسّله.
إسْكابان : هناك إساءة لن أغفرها له ما حييت.
أوكْتاف : لا بد من كتم غيظك الآن.
ليائْدر : هل يهون عليك ان تتخلّى عني، يا إسكابان، وانا في أمسّ الحاجة إليك لانقاذ حبيبتي.
إسْكابان : لقد وصفتني بالمحتال، والدجال، والمنافق، والغبي، والصعلوك.
ليائْدر : حقاً، أنا آسف كل الأسف، يا صاحبي.
إسْكابان : وكنت مزمعاً ان تخترق صدري بسيفك القاتل.
ليائْدر : ألتمس منك الصفح والغفران من كل قلبي. وإذا اقتضى الأمر أن أجثو على ركبتيّ أمامك متوسّلاً، لن أتأخّر، يا اسكابان. أؤكد لك اني لن أتخلّى عنك طوال ايام حياتي.
أوكْتاف : كفاك، يا اسكابان، تمنّعاً وتشامخاً، أمام سيدك وولي نعمتك.
إسْكابان : إنهض إذاً، ولا تكن في المرة القادمة سريع الغضب والمهاترة عليّ.
ليائْدر : هل تعدني وعداً قاطعاً بأن تعمل على مساعدتي.
إسْكابان : دعني أفكّر في الأمر.
ليائْدر : لكن لا تنسَ ان الوقت يداهمنا ويمرّ بسرعة.
إسْكابان : لا يقلق لك بال. كم هو المبلغ الذي تحتاج اليه ؟
ليائْدر : خمسمئة فرنك.
إسْكابان (لاوكتاف) : وانت ؟
أوكْتاف : مئتا فرنك.
إسْكابان : سأسحب هذين المبلغين من والديكما (لأوكتاف) امّا في ما يتعلّق بك، فقد وجدت الوسيلة والعلاج الناجع. (للياندر) : وفي ما يخصك أنت، مهما كان أبوك شديد البخل، أحتاج أنا معه الى عناء أقلّ. ومهما كان سريع الخاطر، فإنه يفتقر تجاهي الى كثير من الفطنة، ويمكنني اقناعه بقبول أيّ حلّ يناسبنا. أشكر المولى على أن لا وجود لأيّ شبه بينك وبينه. وبما أني أرى الآن والد أوكتاف مقبلاً، فلأبدأ به ما دام هو نفسه يأتي الينا. هيّا ابتعدا كلاكما عن هذا المكان. (لأوكتاف) : وأنت أوْعِز الى صاحبك سلفاستر بأن يأتي ليقوم بدوره في لعبتنا البارعة.

المشهد الخامس

اركانت واسكابان

إسْكابان (على حدة) : ها هوذا يتمتم ببعض كلمات.

أرْكانْت (يظن نفسه وحده) : مهما شذّ سلوكه وقلّ وقاره، لا يجمل به أن يرمي بنفسه في تهلكة كهذه. آه من طيش الشباب.

إسْكابان : أنا خادمك الأمين، يا سيدي، أنتظر أوامرك.

أرْكانْت : نهارك سعيد، يا اسكابان.

إسْكابان : أما زلتَ تفكّر في قضية ولدك ؟

أرْكانْت : لا أخفي عنك أن مشكلته تقلق فكري وتقضّ مضجعي.

إسْكابان : الحياة، يا سيدي، حافلة بالهموم والمفاجآت المزعجة. وعلى المرء أن يظلّ متيقّظاً على الدوام. فقد سمعت منذ زمن طويل كلمة حكيمة من فم شيخ جليل لفتت إنتباهي وحرصتُ على حفظها لانطباقها تماماً على الواقع.

أرْكانْت : وما هي ؟

إسْكابان : « مهما كان غياب رب الأسرة عن ذويه قصيراً، لا بد له من الحذر والانتباه الى كل مباغتة غير سارّة يمكن أن تعترض سبيله عند عودته ». فلا يُستبعد ان يحترق بيته أو أن يُصيب الشلل ابنه، وعليه أن يتحسّب لكل ما لم يحلّ به بعد، وأن يواجهه بالتبصّر والصبر الجميل. أنا من جهتي قد وضعت هذه القاعدة نصب عينيّ، وجابهت الصعوبات والشدائد بفلسفة وحنكة. ولم أعد الى بيتي إلا وقد حسبت كل الحسابات لتلافي غضب سادتي مثلاً، وتحمّل تنديداتهم واهاناتهم وركل اقدامهم وضرب قضبانهم وسياطهم، وما يخطر ببالهم من اصناف الإحتقار والإذلال كعقاب عند اللزوم. ولقد حمدت الله على ما يخبّئه لي نصيبي من مصير.

أرْكانْت : هذا قول جميل. لكن الزواج الذي باغتني به ابني آلمني وأدمى فؤادي. وقد استشرت بعض المحامين لدرس امكانات فسخه وإبطال مفعول عَقْده.

إسْكابان : صدّقني، يا سيدي، إن قلت لك إنّ هناك حلّاً لكل معضلة. ولا بد

من أن تستريح من قلقك واضطرابك، كما يتسنى لكل أب أحزنه عصيان ابنه الذي لم يتصرّف حسب رأيه ورضاه.

أرْكانْت : انا لك سلفاً من الشاكرين.

إسْكابان : لذا ذهبت لمقابلة شقيق العروس التي تزوّجها، وهو شاب شهم، يُعْتَمد على استقامته في الشدائد والملمّات، لا يسمح له وجدانه بالقتل كمن يشرب جرعة من الخمرة. ولقد حذّرته من مغبّة هذا الزواج غير الملائم، ونبّهته الى امكان فسخه وإبطاله ولو بالقوة والعنف. لأن والد العريس غير راضٍ، وطبعاً يسانده القانون والحق والمنطق السليم والمال والاصدقاء. أخيراً درست المسألة من كافة وجوهها وأصغيت الى جميع الاعتراضات والاقتراحات والتفسيرات، واقنعته بتسوية الوضع لقاء مبلغ من المال. وفهمت منه أخيراً أنه يوافق على فسخ الزواج، اذا قبلتَ بمنحه بعض الترضيات.

أرْكانْت : وكم طلب منك ؟

إسْكابان : أوّلاً فرض ما لا سبيل الى القبول به، مهما كان الأمر.

أرْكانْت : ثم ماذا ؟

إسْكابان : طالب بأمور غير معقولة.

أرْكانْت : وماذا بعد ؟

إسْكابان : لم يأتِ على ذكر مبلغ أقلّ من خمسمئة او ستمئة فرنك.

أرْكانْت : خمسمئة أو ستمئة فرنك ؟ وهو لا يستحقّ سوى خمسمئة أو ستمئة لعنة. هل تراه يسخر بالقيم والاشخاص ؟

إسْكابان : هذا ما أجبته به، وقد رفضت مثل هذه التلميحات. وبيّنت له أنك لست غبياً لتدفع له خمسمئة أو ستمئة فرنك. أخيراً بعد عدّة محاولات ومفاوضات طويلة أبلغته أن زمن الالتحاق بالجيش قد حان. وأنا على وشك أن أنجز تجهيز نفسي لذلك، وأن حاجتي الى المال تحثني على وجوب الاكتفاء بهذا الغرض. لذا يلزمني حصان خدمة، ولن أحصل عليه بحالة مقبولة إلّا لقاء ستّين فرنكاً.

أرْكانْت : لقاء ستين فرنكاً أنا أعطيك اياه.

إسْكابان : بالمناسبة، احتاج الى عِنان لقيادة الحصان، وكذلك الى غدّارات وسعرها عشرين فرنكاً.

أرْكانْت : فيكون المجموع ثمانين فرنكاً، وهذا كثير.

إسْكابان : نعم، هذا هو المجمل بالكمال والتمام.

أرْكانْت : ومع أنه باهظ، أنا أوافق عليه.

إسْكابان : وأحتاج أيضاً الى حصان ليركبه خادمي الذي سيكلفني ثلاثين فرنكاً.

أرْكانْت : ماذا تقول ؟ يتحتّم عليك أن تستغني عنه.

إسْكابان : كيف أقنعه بذلك ؟

أرْكانْت : لا، لا. أنا لن ارضى بذلك، لأن خادمك يغالي في طلبه.

إسْكابان : هل تريد أن يسير خادمي على قدميه ؟

أرْكانْت : يمكنه أن يمشي كما يحلو له، وكذلك سيده أيضاً.

إسْكابان : يا الهي. لا تعسِّر الأمور، يا رجل، ولا تهتمّ بالمسائل الطفيفة ارجوك أن لا تتشبّث بتفاهات كي تنجو من يد العدالة.

أرْكانْت : لا، لا. ليذهب الى الجحيم هو والبغل الذي يطلبه. فقد أصبح مطلبه لا يُطاق. والأفضل أن يَمْثُل امام القضاء.

إسْكابان : ارجوك، يا سيدي ...

أرْكانْت : لا، لا. لن أقبل بأية زيادة بعد كل ما تساهلت ورضيت به.

إسْكابان : يا سيدي، لم يبقَ إلّا ان توافق على هذا البغل الصغير.

أرْكانْت : لن أعطيه حتى ولا حماراً.

إسْكابان : لا بدّ اذاً ...

أرْكانْت : كلا ثم كلا. انا أفضّل ان ادافع عن قضيتي امام المحكمة.

إسْكابان : ما هذا الكلام، يا سيدي. ماذا قرّرت ان تفعل ؟ لا يغرب عن بالك ما في مواجهة المحاكم من عراقيل. هناك البداية والاستئناف ثم التمييز، وما يرافقها من محاضر وتدقيقات وضمانات وإجراءات معقّدة، ومن مباشرين وكُتّاب وقضاة وشرطيّين ومحقّقين ومحامين. ومع كل ذلك لا تَنْسَ ان دون حصولك على حقوقك صعوباتٍ شتى. هذا اذا تيسّر لك ان تصل اليها بعد

تذليلك كل العراقيل. وهناك عند تبليغ الدعاوى والأحكام كم من تجاوزات وتمويهات وتزويرات، وحين تنقضي المدة القانونية، ينقلب الحق الذي يكون معك الى حقّ يجور عليك ويظلمك. فتدفع تكاليف اعادة الكرّة، حين لا تتمّ الاجراءات حسب الانظمة السارية المفعول. وفضلاً عن كل ذلك يجمل بك أن لا تُغفل الرشوات المتفشّية بين سائر فئات رجال العدل من كبيرهم الى صغيرهم، لأنهم لا يترفّعون عن قبض الاكراميات لتحوير القوانين وتعديل الاحكام من صالحك الى اصدراها لصالح خصمك، فتنقلب الآية ويضيع حقك وتذهب ضحية الفوضى وسوء النيّة التي لن يمكنك أن تتخلص من اذاها ولو هربت الى اقاصي بلاد الهند وأبعد اطراف الدنيا.

أرْكانْت : بالاختصار كم هو ثمن البغل المرغوب ؟

إسْكابان : يا سيدي، لأجل البغل والحصان للسيد وخادمه، ولأجل العنان والغدّارات، ولتقديم هدايا لمضيفته، يحتاج ايضاً الى مئتي فرنك.

أرْكانْت : مئتي فرنك ايضاً ؟

إسْكابان : نعم، يا سيدي.

أرْكانْت (يتمشّى بغضب طولاً وعرضاً على خشبة المسرح) : لا، لا. أفضّل أن الجأ الى المحكمة.

إسْكابان : ارجوك أن تفكّر جدّيّاً بكل ما يقتضيه رفع قضيتك الى المحاكم من مصاريف باهظة وتكاليف مضاعفة.

أرْكانْت : لا تُلْقِ بنفسك الى ...

أرْكانْت : كلا، ثم كلا ... أفضّل المحكمة.

إسْكابان : لكن المحاكمة، كما بيّنت لك تقتضي اموالاً وافرة. فهناك دفع التأمين ثم تكبُّد رسوم التدقيق واكلاف النيابة العامة ومصاريف الاستنابة والجلسات ويوميات التحقيق، تضاف اليها تكاليف الاستشارات والمرافعات والكتابات، وما تضطر الى دفعه لاصدار الاحكام وتسجيل القرارات والزيادات والمراجعات والتوقيعات والتبليغات الى ما هنالك من واجبات وجبايات اخرى. وكل ذلك يحتاج الى دفع الأموال بدون حساب، اذا تمسّكت باصرارك على رفع الدعوى الى المحاكم. فالافضل اذاً كما ترى، أن تدفع القليل الى هذا الرجل بدلاً من أن تتورط في بذْل الكثير ...

أرْكانْت : لكن، كيف يطلب مئتي فرنك ؟
إسْكابان : نعم، وتكون أنت الرابح الأكبر. لقد أجريت حساباً وجيزاً لكل التكاليف التي تتطلّبها العدالة، ووجدت ان مئتي فرنك تدفعها لهذا الرجل، تظل ارخص من مصاريف المحكمة الباهظة وتوابعها. وهكذا توفّر مزيداً من المال والتعب والقلق. وتتجنّب مشاكل المحاكمة وحماقات رجالها ولؤم المحامين ونفاقهم وكذب المباشرين وتأجيلاتهم. وأنا شخصياً أفضّل ان ادفع له ثلاثمئة فرنك على أن لا أعلق بحبائل المحاكمات وموجباتها.
أرْكانْت : انا لا تهمني خزعبلاتهم، واتحدّى المحامين الذين لن يكون لهم أي شأن معي.
إسْكابان : انت حرّ في قرارك النهائي وتفضيلك الوسيلة التي تؤمّن بواسطتها حقوقك الشرعية. غير أني لو كنت مكانك لتحاشيت اللجوء الى المحكمة.
أرْكانْت : لن أدفع له مئتي فرنك مهما كان الحال.
إسْكابان : ها هوذا الرجل، الذي حدثتك عنه، قد أتى.

المشهد السادس

سيلفاستر، واركانت، واسكابان

سيلْفاسْترْ (متنكّراً بهيئة شقي رهيب) : يا اسكابان، عرّفني الى السيد اركانت والد اوكتاف.
إسْكابان : لماذا، يا سيدي ؟
سيلْفاسْترْ : علمت منذ لحظة أنه يريد أن يقاضيني امام المحكمة ليفسخ زواج شقيقتي.
إسْكابان : انا أجهل اذا كان يفكّر بذلك. لكنه لا يقبل أن يدفع مبلغ مئتي فرنك حسب طلبك، ويؤكّد انه باهظ.
سيلْفاسْترْ : بحق هذا النهار، وحياة رأسي ورأسه، اذا أبصرته سأنغّص عليه

عيشه، ولو كلّفني ذلك ضرباً مبّرحاً. (يختبئ أركانت خائفاً وراء اسكابان كي لا يراه سيلفاستر المتنكّر).

إسْكابان : يا سيدي، إعلمْ، أن والد اوكتاف رجل شجاع لا يهاب احداً.

سيلْفاسْتر : هو شجاع ؟ بحياة رأسي لو كان حاضراً ها هنا، لبقرت له بطنه بحد هذا السيف، ودلقت أمعاءه. (يلمح اركانت) من هو هذا الرجل ؟

إسْكابان : ليس هو، يا سيدي، ليس هو، بالتأكيد.

سيلْفاسْتر : أوليس احد أصدقائه ؟

إسْكابان : لا، يا سيدي. بل هو من ألدّ أعدائه.

سيلْفاسْتر : من ألدّ أعدائه ؟

إسْكابان : نعم.

سيلْفاسْتر : الآن هدأ بالي وغمر السرور قلبي. (لأركانت) هل حقاً انت من أعداء الدجّال المدعو أركانت ؟

إسْكابان : نعم. قلت لك، نعم، من أعدائه.

سيلْفاسْتر (يهزّ يد أركانت) : ضع يدك في يدي. أعدك وأقسم لك بشرفي، وبالسيف الذي أحمله، وبأغلظ الايمان التي يشملها حلفاني، بأني قبل نهاية هذا النهار سأحطّم رأس هذا المحتال المدعو اركانت. إتّكل علي في تنفيذ تهديدي هذا.

إسْكابان : لا تنسَ، يا سيدي ان وسائل العنف لا تنقص في هذا البلد العجيب الغريب.

سيلْفاسْتر : انا لا يهمني أحد، وأزدري بكل الناس وبكافة الوسائل، لأني لا أخشى أية خسارة.

إسْكابان : سيظلّ بالطبع متمنّعاً لأن له عدداً من الأهل والأصحاب والخدم. ولا يريد أن يفقد أيّاً منهم.

سيلْفاسْتر : هذا ما أرجوه وأتمنّاه. (يستلّ سيفه وينظر الى جميع الجهات، كأن امامه العديد من الأشخاص) : ليتني ألتقي في هذه اللحظة ببعضهم لكي أقضي عليهم بأجمعهم. ولكن كيفَ أعرفهم بين ثلاثين شخصاً. وهل يمكنهم أن يهاجموني بأسلحتهم ؟ حتماً سأقلتهم. اين هم ؟ ليتقدموا نحوي. (يجيل بصره

في كل الجهات كأنه سيقاتل العديد من الرجال) هيّا ليبرز أحدهّم على الأقلّ، وليتقدّم نحوي، إن كانت له الجرأة على القتال. يا لهم من جبناء، سأقطع رؤوسهم وأوصالهم جميعاً بدون استثناء. هيّا، اين هم هؤلاء الصعاليك ؟ (يلتفت الى كل الجهات). أين انتم ايها الجبناء ؟ ما لكم تتوارون ايها الاقزام الضعفاء ؟

إسْكابان : يا سيدي، لم يصل الأمر بأي انسان الى حدّ مهاجمتك.

سيلْفاسْترْ : لن يجرؤ أحد على الوقوف في وجهي، وإلّا حطمت رأسه تحطيماً. (يبتعد).

إسْكابان : هل ادركت كم شخصاً من الممكن أن يُقتلوا لقاء مئتي فرنك ؟ أتمنّى لك حظّاً سعيداً.

أرْكانْت (يرتجف خوفاً) : يا إسكابان.

إسْكابان : انا في خدمتك.

أرْكانْت : لن أتأخّر عن دفع المئتي فرنك.

إسْكابان : يسرني أن أسمع منك هذا أخيراً. فقد انقذت حياتك بهذا التروّي والتبصّر.

أرْكانْت : هيّا بنا نذهب اليه، وندفع له المبلغ لأنه في حوزتي.

إسْكابان : يمكنك أن تسلّمني اياه. اذ ليس من صالحك ان تظهر أمامه بصفتك اركانت، بعد النكران والتأكيد له انك شخص آخر. وأخشى إنْ عرفك أنْ يطلب منك مزيداً من المال.

أرْكانْت : لكني اكون مرتاح البال اكثر، إن شاهدته كيف يقبض هذا المبلغ.

إسْكابان : ألّا تؤمّنني على مالك ؟

أرْكانْت : لا لست أقصد ذلك. ولكن ...

إسْكابان : إمّا أن أكون محتالاً خبيثاً، يا سيدي، وإمّا شريفاً اميناً، كما تقول. فهل يسعني أن أخدعك في هذه القضية، وأنا لا مصلحة لي سوى تحقيق رغبتك، يا سيدي، وبكل اخلاص أريد أن اساعدك. فإن كنت تشكّ بأمانتي، فلن أتدخّل في شأن لا ناقة لي فيه ولا جمل، وعليك أن تبحث منذ هذه اللحظة عمّن يرعى مصالحك.

أزْكانْت : هيّا، خذ هذا المبلغ، واجتهد ان تتّخذ جميع الاحتياطات حياله.
إسْكابان : دعني اتصرف. فأنا كما تعرفني جيداً، لست بغبيّ احمق.
أزْكانْت : سأنتظرك في بيتي لأعرف نتيجة مسعاك.
إسْكابان : سأوافيك حتماً بأقرب وقت. (وحده) من الرجل الأوّل، سأنتقل الى معالجة الثاني. ها هو آت، على ما أرى، وقد تواردا اليّ الواحد تلو الآخر كي يعلقا في شباكي.

المشهد السابع

جيرونت، وإسكابان.

إسْكابان (يتظاهر بأنه لا يرى جيرونت) : ايتها السماء، إحْمِني من الخيبة المرّة غير المنتظرة. يا له من أب مسكين. اسفي عليك، يا سيدي. جيرونت، ماذا تفعل ؟
جيرونْت (على حدة) : ماذا يقول عني هذا الخدّاع، ووجهه متجّهم هكذا ؟
إسْكابان (وهو يقوم باللعبة ذاتها) : من يمكنه أن يدلّني اين أجد الآن السيد جيرونت ؟
جيرونْت :. ماذا في الأمر، يا اسكابان ؟
إسْكابان (يركض على المسرح بدون ان يسمع أو يبصر جيرونت) : اين يسعني أن أُلاقيه لأبلغه هذه الخيبة المؤلمة ؟
جيرونْت (يسرع نحو اسكابان) : ماذا جرى ؟ أخبرني.
إسْكابان (يواصل اللعبة ذاتها) : لقد بحثت في كل النواحي بدون أن أعثر عليه.
جيرونْت : ها أناذا.
إسْكابان (يوقف اسكابان) : هيّا قِفْ. هل أنت مصاب بالعمى كي لا تبصرني ؟
إسْكابان : يا سيدي ؟ لم يسعدني الحظ بأن ألاقيك.

جيرونت : منذ نصف ساعة، وأنا أمام عينيك. ماذا جرى لك ؟
إسْكابان : سيدي.
جيرونت : ماذا جرى ؟
إسْكابان : سيدي، ابنك ...
جيرونت : ما به ؟
إسْكابان : فاجأته خيبة أمل غريبة عجيبة.
جيرونت : وما هي ؟
إسْكابان : لقد أبصرته منذ هنيهة حزيناً، ولا أدري ما قلت انت له. حاولت أن أبدّد عنه قلقه، فرافقته في نزهة الى المرفأ. هناك أبصرنا سفينة تركية على أهبة الإبحار. فدعانا شاب تركي حسن الهندام كي ننزل الى المركب، ومدّ الينا يده مصافحاً، واستقبلنا بكل ترحيب واكرام، وقدّم لنا لقمة أكل طيّبة وفواكه لذيذة، وقليلاً من الخمرة، لم نذق أجود منها من قبل.
جيرونت : وماذا يشغل البال في هذه المعاملة الحسنة ؟
إسْكابان : إنتظر، يا سيدي، سأعلمك بكل ما جرى. بينما نحن نتناول الطعام ابتعدت السفينة عن الشاطئ. فما لبث الشاب التركي ان اصعدني الى زورق نجاة، وأرسلني على جناح السرعة لأبلغك بأنه، ما لم ترسل له بصحبتي خمسمئة فرنك، سيأخذ إبنك معه الى الجزائر.
جيرونت : كيف يفرض علي دفع خمسمئة فرنك ؟
إسْكابان : نعم، يا سيدي. وفضلاً عن ذلك حدّد لي مهلة ساعتين لتنفيذ طلبه.
جيرونت : تبّاً لهذا التركي الخسيس. إنه لص مجرم يهدّدني بهذه الطريقة الوضيعة.
إسْكابان : عليك أنت، يا سيدي، ان تجد طريقة مناسبة لإنقاذ ولدك من عبودية الذل، وتجنيبه القهر والعذاب، نظراً الى ما تحيطه به من الحب والحنوّ.
جيرونت : ولماذا نزل الى هذه السفينة اللعينة ؟
إسْكابان : لم يفكّر بما قد يباغته من مساوئ.
جيرونت : إذهب الى هذا التركي وقلْ له اني سأرسل رجال العدالة للاقتصاص منه على غدره الدنيء.

إسْكابان : وما عسى ان تفعل العدالة فوق امواج البحر ؟ هل تسخر أنت من الناس بقولك هذا ؟

جيرونْت : لا افهم ماذا دعاه للنزول الى هذا المركب الجهنّمي ؟

إسْكابان : مصيره البائس حمله على الوقوع فيي هذه الورطة.

جيرونْت : يجب عليك، يا اسكابان، نعم يجب عليك أن تبذل قصارى جهدك بصفتك خادمي الأمين لانقاذ ولدي.

إسْكابان : ماذا تطلب مني، يا سيدي ؟

جيرونْت : ان تذهب وتقول لهذا التركي أن يردّ لي ولدي. واذا اقتضى الأمر، أن يأخذك بدلاً عنه رهينةً الى أن أجمع المال المفروض، وارسله اليه.

إسْكابان : هل فكّرت في كلامك هذا، يا سيدي ؟ وهل تظنّ أن هذا الشاب التركي أبله الى حدّ أن يستبدل ابنك بخادم معدم بائس مثلي ؟

جيرونْت : آه، لا أفهم لماذا نزل ابني الى هذه السفينة ؟

إسْكابان : لم يخطر بباله أن تنتابه هذه المصيبة. تصوّر، يا سيدي، ان المهلة لا تتجاوز الساعتين فقط.

جيرونْت : قلت لي انه يفرض ...

إسْكابان : خمسمئة فرنك عدّاً ونقداً.

جيرونْت : خمسمئة فرنك ؟ أوليس له من ضمير ؟

إسْكابان : أجل، ليس له أي ضمير. وهل تظن أن لمثل هذا التركي من ضمير ؟

جيرونْت : وهل يعرف ما هي قيمة الفرنكات الخمسمئة التي يطلبها ؟

إسْكابان : نعم، يا سيدي. هو يعرف انها خمسمئة فرنك.

جيرونْت : وهل يظنّ هذا السارق المحتال أن خمسمئة فرنك مبلغ زهيد جاهز حاليّاً في جيبي ؟

إسْكابان : انه نصّاب لا يدرك أي منطق.

جيرونْت : أنا لا أفهم لماذا نزل ولدي الى هذه السفينة الشيطانية.

إسْكابان : هذا صحيح. لكن، لا يغربْ عن بالك ان الانسان لا يسعه أن يتوقّع ما سيحدث له في مستقبل الايام. أرجوك، يا سيدي، أن تعجّل في دفع المبلغ.

جيرونْت : هذا مفتاح خزانتي.
إسْكابان : حسن.
جيرونْت : إذهب وافتحها.
إسْكابان : طيّب.
جيرونْت : وستجد مفتاحاً اكبر منه في جهة اليسار، وهو مفتاح مخزني.
إسْكابان : نعم.
جيرونْت : هيا إذهبْ وخذْ جميع الملابس الموجودة في السلّة الواسعة وبعْها في السوق القريب، ثم اسرع واجلبْ لي ولدي.
إسْكابان (وهو يردّ له المفتاح) : هل تحلم، يا سيدي ؟ لن أجمع مئة فرنك من بيع كل الملابس المستعملة التي تشير اليها. ثم، أنت تعلم مدى ضيق الوقت المحدَّد لنا.
جيرونْت : آه، ثم آه. لا أفهم لماذا نزل إبني الى هذا المركب اللعين.
إسْكابان : انت تضيع الوقت هكذا سدىً. إنسَ السفينة، وفكّر في الوقت القصير الذي يمرّ مسرعاً. نحن نغامر بحياة ولدك. ويؤسفني، يا سيدي، أن أصارحك بأني لست على يقين مطلقاً بأن اراك بعد الآن على قيد الحياة. ربما في هذه الأثناء اختُطِفْتَ انت ايضاً واقْتُدْتَ الى الجزائر. ولكن، يشهد الله على صدق كلامي، اني فعلت في سبيلك كل ما بوسعي. واذا داهمنا الوقت وافترق احدنا عن الآخر، لا سمح الله، يعزّ عليّ أن تُتهَم لدى حلول هذه الكارثة، بقلة إهتمامك بابنك.
جيرونْت : انتظرْ، يا اسكابان، فأنا ذاهب لجمع هذا المبلغ.
إسْكابان : عجّل ما استطعت، يا سيدي، فأنا أرتجف قلقاً وفزعاً من ان تنتهي المهلة ويفوت الأوان ونخسر ولدك.
جيرونْت : أليس المبلغ أربعمئة فرنك، كما قلتَ لي ؟
إسْكابان : كلّا، يا سيدي، المبلغ خمسمئة فرنك بالتمام والكمال.
جيرونْت : خمسمئة فرنك ؟
إسْكابان : نعم، نعم.
جيرونْت : آه، أنا لا أفهم لماذا نزل إبني إلى هذا المركب الجهنّمي.

إسْكابان : الحق الى جانبك. لكن عليك الآن أن تستعجل.
جيرونْت : أولم يكن هناك مكان آخر يقصده ولدي للتنزّه ؟
إسْكابان : هذا صحيح. ولكن، العجلة العجلة. فالوقت يمرّ بسرعة.
جيرونْت : يا له من مركب لعين.
إسْكابان (على حدة) : هذه السفينة تسيطر على كل تفكيره.
جيرونْت : خذْ، يا اسكابان. لم أتذكّر قبل هذه اللحظة أني قبضت هذا المبلغ، ولم أتصوّر انه سيُنتَزَع مني بهذه السرعة المذهلة (يقدّم له محفظته التي لم يتركها من يده، بل راح ينقلها من يد الى الأخرى، واسكابان يمدّ يده ويحاول ان يتناولها منه) : هيّا، خذْها، واذهبْ واشترِ حياة ولدي.
إسْكابان (يمدّ يده) : نعم، هاتِ، يا سيدي.
جيرونْت (يتمسّك بالمحفظة التي يتظاهر بأنه يريد أن يعطيها اسكابان) : لكن، قلْ لهذا التركي المحتال إنه لصّ دنيء.
إسْكابان : أجل.
جيرونْت : (يواصل لعبته ذاتها) : وإنه سارق دجّال.
إسْكابان : نعم.
جيرونْت (يواصل لعبته ذاتها) : وإنه مجرم فاقد الضمير.
إسْكابان : دعني اتصرف.
جيرونْت (يواصل لعبته ذاتها) : وإنه يختلس مني خمسمئة فرنك بدون أيّ حياء.
إسْكابان : نعم، نعم.
جيرونْت (يواصل لعبته ذاتها) : وإنه لا يستحق أن يبقى على قيد الحياة، بل يتحتّم عليه أن يذوق كأس الموت الزؤام.
إسْكابان : حَسَن.
جيرونْت : وإني اذا أمسكتُ به، سأعرف كيف انتقم منه شر انتقام.
إسْكابان : نعم يا سيدي، نعم.
جيرونْت (يردّ محفظته الى جيبه، ويمضي) : أسرع، أسرع وانقذ ولدي.
إسْكابان (يجري وراءه) : أين أنت ذاهب، يا سيدي ؟

جيرونْت : ماذا تريد مني ؟
إسْكابان : اين المال الذي تنوي ان تعطيني اياه ؟
جيرونْت : ألم تستلمْه ؟
إسْكابان : لا، لا. حقاً، لا، يا سيدي. لقد أعدته الى جيبك.
جيرونْت : آه، طغى الهم والحزن على وعيي، فلم أعرف ماذا افعل.
إسْكابان : ارى ذلك في تصرّفك الغريب.
جيرونْت : لا أفهم الى الآن لماذا نزل إبني الى هذه السفينة اللعينة. تبّاً .لهذا التركي من لص مجرم. ليذهبْ الى أعماق الجحيم.
إسْكابان (وحده) : لم يهضم فكرة الفرنكات الخمسمئة التي أودّ أن انتزعها منه انتزاعاً. لكنني لن اكتفي بهذا المبلغ بل سأرغمه على دفع مبلغ آخر لقاء المأزق الذي زجّني فيه بسبب ولده.

المشهد الثامن

أوكتاف، ولياندر، واسكابان.

أُوكْتاف : هل نجحت، يا اسكابان، في تدبير الأمور لدى والدي ؟
ليانْدر : وهل لديك وسيلة تنقذ انت بدورك حبيبتي من الورطة التي وقعت فيها.
إسْكابان (لأوكتاف) : هذه مئتا فرنك انتزعتها من ابيك.
أُوكْتاف : ما أبرعك في إدخال السرور على قلبي.
إسْكابان (للياندر) : اما أنت فلم استطع حتى الآن أن أفيدك بشكل ملموس.
ليانْدر (يهمّ بالذهاب) : عليّ اذاً ان اقتلع شوكي بيدي. ليس لديّ من مال يكفيني لأعيش، وها هي زربينات قد اختُطِفَتْ مني.
إسْكابان : لا تقلق. مهلاً، إصبر قليلاً. لماذا تغسل يدك من حلٍّ قد أتوصّل اليه عمّا قريب.
ليانْدر (يلتفت الى اسكابان) : هل تفكّر بما قد يحلّ بي.

إسْكابان : هدّئ روعك واطمئنّ. فإن حلّ معضلتك جاهز في جيبي.
ليائْدر (يعود) : حياتي بين يديك.
إسْكابان : لكن، شرط ان تثق بي ثقة عمياء. فأنا أنوي الانتقام لنفسي بهدوء من والدك المستبدّ لقاء الدور القذر الذي قام به حيالي.
ليائْدر : إفعل ما تشاء.
إسْكابان : هل تعدني وتحلف لي بشرفك ان لا تسخط عليّ ؟
ليائْدر : نعم أعدك.
إسْكابان : اذاً، خذ مبلغ الخمسمئة فرنك هذا، وتصرّف به كما يحلو لك.
ليائْدر : انا مسرع حالاً لفكّ أسر من يهواها قلبي.

الفصل الثالث

المشهد الأول

زربينات، وياسانت، واسكابان، وسيلفاستر

سيلْفاسْترْ : قرر اصحابك فيما بينهم أن يظلّوا مجتمعين، وأن ننفّذ نحن الأمر الذي أصدروه الينا.

ياسانْت (لزربينات) : هذا الأمر لا يعجبني. ويسرّني أن أتمتع برفقة من هذا النوع، اذ يهمني أن تعمّ الصداقة بين الناس الذين نحبّهم، وان يظلّ الوفاق مخيّماً عليهم.

زرْبينات : انا أرحبّ بهذا الإقتراح، ولن أشجب اية صداقة جديدة تضاف الى سابقاتها.

إسْكابان : وحين يكون الحب مهيمناً على مختلف الفرقاء فأهلاً به ومرحباً.

زرْبينات : مجال المحبّة واسع جداً، وأنا لا أرفض المغامرة في رحابها والكرّ والفرّ في ربوعها باستمرار، مع أني لست من أهل الشجاعة والإقدام.

إسْكابان : بل أنتِ، على ما أرى، جريئة وحازمة تجاه سيدي في الوقت الحاضر. لكن التفاني الذي لم يتردّد في بذله لأجلك، لا بد من أن يحملك على استجابة أمانيه عاجلاً أو آجلاً.

زرْبينات : من طبعي أن لا أسارع الى الوثوق بأيّ كان، إلّا حين يتبيّن لي حسن نيته ونبل قصده. انا مرحة وأميل الى البهجة. لكني مع ذلك جدّيّة للغاية

في أمور معيّنة. وسيّدك يتوهّم اذا اعتقد أن دفْعَه الفِدْية عني يضمن له مسايرتي رغباته. فأنا لا يجتذبني المال كغيري، بل يأسرني الحب والوفاء، ويكفيني أن اقتنع بسموّ أخلاقه وصدق عواطفه نحوي حتى أخصّه بكل ولائي وعطفي.

إسْكابان : هذا تماماً هو مبدأه في الحياة. فإن مال اليك فدافعه الشرف والولاء. ولو لم يكن الصدق رائده لما كنت انا ساهمت في جمع شملكما.

زرْبينات : هذا ما أودّ أن أؤمن به، ولا سيما انك أنت تؤكّده لي. لأني غير مرتاحة الى نوايا ابيه الذي يعارض تحقيق مشروعنا.

إسْكابان : لا بدّ من ايجاد حلّ ملائم لهذه المشكلة.

ياسانْت (لزربينات) : تشابُه مصيرَيْنا عَمِل على توطيد الصداقة بيننا. لأننا كِلتَيْنا غارقتان في المأزق ذاته، وكلتَيْنا معرَّضَتان لمفاجآت غير مطمَئنة.

زرْبينات : انتِ على الأقلّ، وضعك أسلم منّي، لأنك على بيّنة من أمرك. وأهلك لا يعاكسون مشيئتك. لذا يمكنك أن تؤمّني سعادتك في الزواج حسب مرامك. بينما أنا، لا أجد حولي من يساندني في تحقيق أمنيّتي، وأضطرّ لأخذ جميع الاحتياطات حتى استطيع الصمود في وجه إرادة ابي الذي لا يهمه إلّا المال.

ياسانْت : على الأقلّ ليس في محيطك من يسعى الى تقويض ما بنيته من آمال على حبّ شاب تهوينه، ويجبرك على الاقتران برجل سواه يناسب اهدافه ولا تحبينه.

زرْبينات : ان تغيير مَيْل قلب الحبيب ليس بالأمر الذي أخشاه. فأنا واثقة نوعاً ما بإخلاص من أهواه، ولا يزعجني في وضعي إلّا تشدّد مشيئة والده الذي لا يأبه كثيراً للصفات الحميدة.

ياسانْت : يا للأسف، نحن كثيراً ما نضطر الى مجابهة الصعوبات وتذليل العقبات لننعم بما لمسناه من هيام حبيب ووفاء زوج، أروع ما في الحب هو خلّوه من الشكوك التي تدمي الفؤاد أحياناً، والتمتع بعذوبة الوفاء الذي يربط قلبَيْن جمعهما التفاهم والوئام.

إسْكابان : انتما تسخران من الواقع المرير على ما ارى. لأن صفاء الحب هو حال لا يدوم، وقد قيل ان العذاب في العشق مستطاب، وكالمغناطيس يجتذب

الأفئدة ويوحّدها. وما دامت الحياة متقلّبة الأهواء بين شقاء وهناء، فليس سوى مجابهة الصعاب التي تزيد المهج شوقاً والمشاعر لذّةً وعطاء.

زِرْبينات : والآن، ارجوك، يا اسكابان، أن تقصّ علينا كيف تدبّرت امرك لكي تسحب بحيلة مبلغاً لا بأس به من سيدك العجوز البخيل ؟ فأنا يطيب لي ان اسمع مثل هذه الروايات التي تثلج صدري وتريح اعصابي وقد وتّرتْها معاندات الأيام.

إسْكابان : ها هوذا سيلفاستر، وهو أبرع مني في سرد التفاصيل. فأنا أخطط لانتقام رهيب اتذوّق منذ الآن طعمه العذب.

سيلْفاسْترْ : لماذا يسرّك ما تُنزله بالناس من شرور ؟

إسْكابان : لأني أهوى المغامرة والاقتصاص من المناوئين اللؤماء.

سيلْفاسْترْ : لقد سألتك أن تصلح نواياك، وان لا تُلحق أي ضرر بسواك.

إسْكابان : نعم. ولكني لن أرتاح إلّا عند إتمامي ما يُرضي ضميري.

سيلْفاسْترْ : تبّاً لك من شقيّ. أهكذا تفرح بتعذيب أبناء مجتمعك ؟

إسْكابان : ولماذا أنت مهتمّ بهذا الأمر ؟

سيلْفاسْترْ : لأني أتوقّع ما تجتذبه لنفسك من عواقب وخيمة.

إسْكابان : لن تكون هذه النتائج إلّا من نصيبي ولن ينوبك انت منها أي إزعاج.

سيلْفاسْترْ : لا شك في أن مصيرك ملك يدك، ولا دخل لأحد في ما يحلّ بك من شقاء وعذاب.

إسْكابان : لم أخفْ يوماً من أية شدّة. لأني أكره المستبدين المعتدين ولا أبالي إن لحق بي بعض الأذى، بعد أن أردّ كيدهم الى نحرهم.

زِرْبينات (لإسكابان) : نحن بحاجة الى مساعدتك، يا صاحب الهمم.

إسْكابان : سأعود اليكم بعد فترة. ولا أحد يستطيع أن يصدّني عن إنجاز ما أصمّم عليه، إلّا اذا عدلت أنا عمّا أرغب فيه، على أثر اكتشاف السرّ الذي كان علي أن لا أبوح به.

المشهد الثاني

جيرونت، وإسكابان

جيرونْت : ماذا فعلت، يا اسكابان، وأين صارت قضية ولدي ؟

إسْكابان : ابنك، يا سيدي، في مأمنٍ من كل اذى. لكنك أنت تتعرّضِ لخطر جسيمٍ داهِمٍ. لذا أودّ أن تبقى قابعاً في منزلك لا تغادره الى حين قريب إن شاء اللّه.

جيرونْت : أي خطر يهدّدني ؟

إسْكابان : في هذه الساعة بالذات، يبحث عنك شخص مجهول ينوي أن يقضي عليك.

جيرونْت : عليّ أنا ؟

إسْكابان : نعم، عليك أنت.

جيرونْت : ومن هو ؟

إسْكابان : شقيق الصبية التي تزوّجها أوكتاف، لأنه يعتقد أنك باستبداد تهدم سعادة اخته حين شئت أن تستبدلها بابنتك. الأمر الذي يفضي الى إبطال زواج شقيقته. وعلى اساس هذه الفكرة المشؤومة راح يصب على شخصك جام غضبه ونقمته. وقد صمّم على الانتقام منك لشرفه المهان. وجميع اصحابه هم من حملة السيوف والسكاكين المناوئين نظيره. ولقد ابصرت هنا وهناك برفقته بعض الجنود يستجوبون المارّة الذين يصادفونهم، ويحتلّون ارصفة الشوارع التي يجوبونها بحثاً عنك، ويراقبون جوار منزلك. وهكذا لم يعد بإمكانك أن ترجع الى بيتك، ولا أن تتقدّم خطوة واحدة الى اليمين او الى اليسار، الى الامام أو الى الوراء بدون أن تتعرّض للوقوع في قبضتهم الرهيبة.

جيرونْت : وماذا عليّ أن أفعل، يا صديقي اسكابان ؟

إسْكابان : لست ادري، يا سيدي. فهذه مسألة غريبة عجيبة. وتراني ارتجف هلعاً من قمة رأسي الى أخمص قدميّ. إنتظر ها هنا. (يلتفت، ويتظاهر بأنه ذاهب الى صدر خشبة المسرح ليرى إن كان هناك من أحد).

جيرونْت (مرتجفاً) : ما العمل ؟

إسْكابان (عائداً) : لا، لا، لا سبيل للخوف مطلقاً.
جيرونْت : ألا تجد سبيلاً لتخليصي من هذه الورطة ؟
إسْكابان : أحاول أن أتخيّل لك وسيلة. لكني سأجاذف جدّيّاً بحياتي، وأخشى ان اتعرّض للقتل.
جيرونْت : ما بالك فزعت. تصرّف، يا اسكابان، كخادم غيور. ارجوك ان لا تتركني لمصيري المريع.
إسْكابان : لا أُحبَّ عليّ من ذلك. فأنا أحفظ لك من المحبة والعطف ما لا يطاوعني على تركك بدون مساعدة.
جيرونْت : أُؤكد لك اني سأكافئك على اخلاصك. وأعدك بأن أمنحك ردائي هذا قبل ان يهترئ كثيراً.
إسْكابان : إنتظر. هوذا حلّ مناسب اهتديت اليه في هذه اللحظة لإنقاذك. عليك أن تختبئ في هذا الكيس الكبير، وان ...
جيرونْت (يُخيَّل اليه أنه رأى أحداً) : آه !
إسْكابان : لا، لا. لا، لا. ليس من أحد. لا بد لك من أن تختبئ داخل الكيس، وان تمتنع عن أية حركة. وأنا سأحملك على ظهري كرزمة بضاعة، وانقلك هكذا، مجتازاً صفوف أخصامك، حتى اصل بك الى منزلك حيث يمكنك أن توصد الأبواب والنوافذ وتستدعي من يحميك من كل عنف وعدوان.
جيرونْت : ما هذه الفكرة الرائعة.
إسْكابان : ليس انسب منها، وسترى. (على حدة) ستدفع لي غالياً ثمن استهتارك بي طوال هذه المدة.
جيرونْت : ماذا تقول ؟
إسْكابان : أقول إنك ستلجم أشداق أعدائك. أرجو الآن أن تتكوّم في قعر الكيس وأن تقبع في داخله بدون حراك خوفاً من أن ينوبك أي ضرر.
جيرونْت : دعني أتصرّف. فأنا أعرف كيف أختبئ داخله ...
إسْكابان : هيا، عجّلْ وتوارَ عن العيان. فهذا أحد المناوئين يبحث عنك. (يغيّر صوته) : سأحظى حتماً بقتل هذا المدعو جيرونت. لا بدّ من أن يُسدي

أحد اليّ معروفاً ويدلّني عليه ؟ (لجيرونت بصوته العادي) : لا تتحرّك. (يغيّر صوته) : لا بدّ من أن أعثر على هذا الشقي، ولو اختبأ تحت سابع طبقات الأرض. (لجيرونت بصوته الطبيعي)، لا تدعْه يراك. (تارةً يغيّر صوته، وطوراً يعيده الى طبيعته) : لا تدعْه يراك. (تارةً يغيّر صوته، وطوراً يعيده الى طبيعته) ــ يا حامل الكيس. ــ نعم، يا سيدي. ــ سأدفع لك خمس فرنكان إن أرشدتني الى مكان جيرونت. ــ هل تبحث عن السيد جيرونت ؟ ــ نعم، أمره يهمّني كثيراً. ــ ولماذا تبحث عنه، يا سيدي ؟ ــ أبحث عنه لأضربه بهذا القضيب حتى يلفظ أنفاسه الأخيرة. ــ يا سيدي، ضربات القضيب ليست لأمثال السيد جيرونت. ــ وما ادراك من هو جيرونت هذا المحتال. ــ السيد جيرونت ليس محتالاً. ــ هل تكذّبني، يا هذا، وتتحدّاني ؟ ــ انا ادافع كما يليق بي عن رجل شريف تكيل له الاهانات بدون حساب. ــ هل انت من اصدقاء جيرونت ؟ ــ نعم، يا سيدي. ــ اذا كنت حقّاً من اصحابه فما عليك إلا ان تتلقّى. (يضرب اسكابان الكيس بالقضيب عدّة مرّات). ــ هذا ما أُخبئه له. ــ آه آه، يا سيدي. آه. آه. مهلاً، مهلاً. ــ خذ له هذا من قِبَلي. الوداع. ــ آه. حَمَلَتْك الأبالسة، أيها الوحش الضاري. آه، آه. (يعنّ اسكابان ويتململ، وهو يحرّك ظهره، كما لو كان فعلاً قد تلقّى ضربات القضيب).

جيرونْت (يخرج رأس من الكي)س : آه، يا إسكابان، لم أعُدْ قادراً على التحمّل.

إسكابان : أنا آسف كل الأسف، يا سيدي، وأكتافي أنا أيضاً تؤلمني إلى حدّ لا يطاق.

جيرونْت : ماذا تقول ؟ أكتافي هي التي تلقّت الضربات الموجعة.

إسْكابان : لا، أبداً، يا سيدي، كانت الضربات تنهال على ظهري أنا.

جيرونت : ما هذا الكلام ؟ أنا شعرت بالضربات التي انهالتْ على ظهري، ولا أزال أحسّ بالوجع.

إسْكابان : لا، يا سيدي، أؤكد لك أن القضيب نزل على أكتافي أنا، وعلى ظهري أيضاً.

جيرونْت : كان عليك أن تزيح قليلاً الى الوراء لتجنّبني قساوة الضرب.

إسْكابان (يعيد رأس جيرونت الى داخل الكيس) : إحذر الضرب. ها هوذا شقيّ

اخر غريب السحنة يقترب. (يعيد اسكابان اللعبة ذاتها كما سبق). ــ عليّ أن أواصل البحث عن جيرونت حتى أعثر عليه. (لجيرونت بصوته الطبيعي) : إختبئ جيداً. ــ ألَا قُلْ لي، يا رجل، هل تعرف أين يمكنني أن أجد جيرونت الذي أبحث عنه ؟ ــ لا، يا سيدي، أنا لا أعرف أين هو جيرونت. ــ ألَا قُلْ لي بصراحة، أين هو ؟ فأنا لا أريد له أي أذى، بل أودّ أن أُتحفه بهديّة يحملها على ظهره، وهي عبارة عن ١٠ أو ١٥ قضيباً، ثم ثلاث أو أربع طعنات في صدره. ــ أؤكد لك، يا سيدي أني لا أعرف أين هو. ــ أظن أن شيئاً يتحرّك داخل هذا الكيس. ــ لم أفهم ما تقصده، يا سيدي. ــ لا بد من أن يكون شيء ما داخل الكيس. ــ لا، لا، أبداً. ليس فيه أي شيء. ــ كم أودّ أن أخترق هذا الكيس بسيفي. ــ إياك أن تفعل، يا سيدي. ــ اذاً أرني ما بداخله، وإلّا ... .ــ مهلاً. ــ لماذا تطلب مني ان أتمهّل ؟ ــ لن ترى أبداً ما بداخل الكيس. ــ ما هذا الكلام ؟ ــ هذه بعض ملابس تخصّني. ــ قلت لك، أرني ما بداخله. ــ وأنا أقول لك أنه يحوي بعض ملابسي. ــ لا أريد أن أمسَّك بسوء. ــ لماذا اذاً تلحّ كل هذا الإلحاح، اذ كنت لا تنوي أي شرّ. ــ إن لم تطاوعني وتكشف لي عما في داخل الكيس ستنال بعض الضرب بهذا القضيب. ــ وانا لا يهمني تهديدك. أكرّر عليك أكشف لي عما في داخل الكيس. (ينهال ضرباً على الكيس، ويصرخ إسكابان كما لو كانت الضربات تنهال عليه): ــ آه، آه، آه. يا سيدي، آه، آه، آه. ــ والآن الوداع. وإياك أن تعود الى مخاطبتي بوقاحة. ــ ألَا حَمَلَتْك الشياطين الى قعر الجحيم، أيها المحتال اللئيم.

جيرونْت (يُخرج رأسه من الكيس) : أكاد اموت من شدة الوجع.

إسْكابان : وأنا ايضاً أكاد أموت من الألم.

جيرونْت : لماذا ضربني هذا الشرّير على ظهري بمثل هذه القساوة الوحشية ؟

إسْكابان (يعيد رأس جيرونت الى داخل الكيس) : كُنْ على حذر. فها هم خمسة أو ستّة رجال شرطة قادمون الى هنا. (يقلّد عدّة اصوات، بالتتالي) : ــ هيا نبحث عن جيرونت في كل الجهات. ــ ولا نوفّر خطواتنا. ــ لنركضْ في مختلف اطراف المدينة بحثاً عنه حتى نجده. ــ من أين نذهب الآن ؟ الى

ــ هيّا، يا غبيّ، قل لنا أين سيّدك ؟ ــ ارجوكم، يا سادة، ان لا تسيئوا معاملتي. ــ اذاً أخبرنا أين هو ؟ ــ مهلاً، يا سادتي. (يُخرج جيرونت رأسه من الكيس بهدوء، ويلاحظ خباثات اسكابان، وينتبه الى تقلّبات صوته، وهو يصيح) : إن لم تدلّنا على مخبأ سيّدك، ستتلقّى المزيد من الضربات بالقضيب. ــ انا افضّل ان اتوجّع ألْف مرّة، ولن أبوح لكم بمكان وجوده. ــ سنقتلك اذاً يا أحمق. ــ افعلوا بي ما يحلو لكم. ــ أترغب في تلقّي الضربات ؟ ــ لن أخون أبداً سيدي. ــ اذاً تلقَّ. هذا نصيبك من الضرب جزاء عنادك. ــ آه. (وحين يتأهب إسكابان ليضرب، يُخرج جيرونت رأسه من الكيس. فيهرب إسكابان).

جيرونْت : تباً لك من منافق محتال، أيها الخدّاع الخسيس. أراك تريد أن تقضي عليّ ضرباً.

المشهد الثالث

زربينات وجيرونت

زرْبينات (تضحك بدون أن تبصر جيرونت) : أودّ أن أتنشّق قليلاً من النسيم العليل.

جيرونْت (يظنّ نفسه وحيداً) : أقسم بشرفي أنك ستدفعين الثمن غالياً.

زرْبينات (بدون ان تبصر جيرونت) : ها، ها، ها، ها. ما أروع هذه القصة وما أغبى هذا العجوز المغرور.

جيرونْت : ليس ما يفرح في هذه الحكاية التي لا توحي بالضحك.

زرْبينات : ماذا قلت ؟ وماذا تقصد، يا سيدي ؟

جيرونْت : قلت أن اللباقة تقضي عليك بأن لا تزدري بي.

زرْبينات : وهل أنا ازدري بك ؟

جيرونْت : نعم.

زرْبينات : كيف ؟ ومن يفكّر بأن يسخر منك ؟

جيرونْت : لماذا جئتِ الى هنا لتضحكي عليّ ؟
زرْبينات : هذا لا يعنيك بتاتاً. فأنا أضحك وحدي بسبب قصّة خطرت ببالي في هذه اللحظة. ولا أدري إن كانت لك بها أية علاقة. ولكنني لم أجد فحواها سخيفاً نظير اللعبة التي أقْدَم عليها ابنٌ بحقّ أبيه، لكي يبتزّ منه بعض المال.
جيرونْت : أقْدَم عليها إبنٌ ليبتزّ المال من والده ؟
زرْبينات : أجل. مهما حاولتَ ان تقف منّي على تفاصيلها، لن تنال مبتغاك.
جيرونْت : أرجوكِ أن تقصّي عليّ هذه الحكاية الطريفة.
زرْبينات : أودّ بكلِ طيبة خاطر، لأني لا أبالغ في كلامي إن سَرَدْتُها لك. فهي مغامرة ظلّت طويلاً مكتومة كسِرّ دفين. لقد رماني قدري بين ايدي جماعة من الجوّالين المصريّين يتنقّلون من مقاطعة الى أخرى، ويكسبون معيشتهم من العِرافة والتنجيم. وحين وصلنا الى هذه المدينة، أبصرني شاب وأحبّني. فاعتقدت أنا أنه كسائر الفتيان الذين يظنّون أن أية فتاة، لمجرّد إسماعها بعض الكلام المعسول، عليها أن تنقاد الى رغبتهم صاغرةً وتخضع لأهوائهم. لكنه وجدني ابيّة لا أسايره كما يبتغي. فبدّل رأيه فيّ، وأعرب لبعض زملائي عن رغبته في الحصول عليّ والاحتفاظ بي لقاء مبلغ من المال يدفعه لهم كي يتخلّوا عني. لكن سرعان ما تبيّن أن عاشقي من أولاد الأُسر المحترمة وأنْ لَا مال في حَوْزته، وأنّ والده الغني بخيل للغاية يصرّ على التمتّع وحده بأطايب الحياة، ولا يبالي إن حرم ولده من أبسط حقوقه. إسمع. لقد خانتني ذاكرتي، ولا يخطر الآن ببالي إسم هذا الرجل المغرور. وساعدْني، واذكرْ لي اسماء بعض ذوات هذه المدينة ولا سيما من طغت علهيم آفة البخل الى اقصى الحدود.
جيرونْت : أنا لا أعرف احداً بهذه الصفة.
زرْبينات : في اسمه لفظة رون أو رونْت وربما أورونْت. لا، لا. يُدعى. « جي ... جيرونت » نعم، نعم، هذا هو اسمه. وهو بخيل خسيس، كما قلت لك. ولنَعُدْ الى قصّتي. أراد جماعتي اليوم أن يغادروا هذه المدينة الى غيرها. وكاد عاشقي يَفْقدني، لأن لا مال لديه. لو لم يسحب بعض الدراهم من والده

بفضل حيلة إبتدعها خادم في بيت أبيه. واسم هذا الخادم هو... إني أعرفه جيداً، إسمه إسكابان. ويبدو أنه رجل ودود لا مثيل له يستحقّ كل مديح وثناء.

جيرونْت (على حدة) : يا له من دجّال.

زرْبينات : وهذه هي الحيلة التي لجأ اليها ليبتزّ سيده المغرور. ها، ها، ها. أكاد لا أتذكّرها حتى أضحك من كل قلبي. ها، ها، ها. لقد شاهد الخادم وعاشقي سفينة تركية على وشك الإقلاع. ودعاهما شاب تركي للنزول اليها، وتناولا وجبةً لذيذة من الطعام. وبعد التداول في موضوع هامّ، أعاد الشاب التركي الخادم في زورق نجاة الى الشاطئ، على أن يقابل سيده والد العاشق، ويخبره بأن ابنه سيق الى الجزائر كرهينة، ولن يُفرج عنه إلّا اذا دفع خلال مهلة ساعتيْن فديةً مقدارها خمسمئة فرنك. ها، ها، ها. غير أن العجوز البخيل غضب وحزن، لأن ليس في صدره أثر للشفقة على ابنه، طبعاً بسبب بخله. اذ ان الفرنكات الخمسمئة المطلوبة منه، هي بمثابة خمسمئة طعنة خنجر يتلقّاها في قلبه المتحجّر، إن اضطر الى دفعها. ها، ها، ها. وإذْ لم يقبل أن يدفعها، نظراً الى تعلّقه بالمال، إحتال عليه خادمه باشكال عديدة. ها، ها، ها. فأراد الأب أن يرسل رجال العدالة لمقاضاة ملّاحي السفينة في عرض البحر. ها، ها، ها. والتمس من الخادم ان يمضي الى الشاب التركي الذي احتجز ولده، وأن يطلب منه احتجازه هو الخادم بدل الشاب، وإطلاق سراح هذا الأخير. لأن الأب لشدّة شحّه لم يشأ أن يدفع الفدية عن ابنه. ها، ها، ها. أخيراً إقترح على خادمه أن يبيع اربعة أو خمسة من ملابس الوالد العتيقة التي لا تساوي كلها اكثر من ثلاثين فرنكاً، ويدفع فدية الابن البالغة خمسمئة فرنك. ها، ها، ها. لقد ادرك الخادم حقارة الأب ودناءته وسخافة اقتراحه، وسماجة تساؤله المتكرّر عما حدا بابنه للنزول الى السفينة المقلعة الى الجزائر، وكان لا يملّ من ترديد سؤاله هذا البليد. وبعد كل هذه التفاصيل المسهبة التي سردتها على مسمعك عن غرابة موقف الاب حيال محنة ابنه اثناء احتجازه واختطافه كرهينة، ولم يظهر عليك، يا سامعي، أي أثر للأسف والحسرة، يُخيَّل اليّ انك لم تتأثّر بفداحة الحادث المؤلم الذي اخبرتك به، فما هو رأيك في الموضوع ؟

جيرونْت : أقول إن الشاب الوقح، لا بدّ من أن ينال عقابه حتماً على يد أبيه بسبب تصرّفه الأرعن على هذا النحو. وإن الصبية المصرية القليلة الحياء التي ندّدت برجل شريف مثلي يلزمها تأديب صارم لأنها أتت الى هذه الديار لتفسد أجواءها، وتستدرج أبناء أُسَرها الى الدعارة التي تمتهنها. وإنّ الخادم المحتال يجب أن أرسله انا جيرونت الى حبل المشنقة ليوضع في عنقه عاجلاً ويزهق أنفاسه جزاء ما جنت يداه الأثيمتان.

المشهد الرابع

سلفاستر، وزربينات.

سيلْفاسْترْ : الى أين تريدين ان تهربي، يا مسكينة ؟ هل أدركتِ أنك كنت تتحدّثين الى والد حبيبك، وتندّدين به.
زرْبينات : لقد شككت بالأمر، وخاطبته في هذا الموضوع بدون ان يكون لي أي قصد أو فكر سيّئ، وكانت غايتي فقط أن أروي له قصته وقصتي معاً.
سيلْفاسْترْ : كيف أيقنتِ أنها قصته ؟
زرْبينات : لأني كنت متأثرة للغاية بما حدث، وكنت أتوق الى تفريج همّي بسردها. لكن هذا غير مهمّ، ولا فرق عندي إن أعجبتْه أو أزعجتْه، إذ انها لا تقدّم ولا تؤخّر بالنسبة الى دوري في سياقها.
سيلْفاسْترْ : كنت تتوقين الى التحدّث، لذا إنسابت على لسانك الكلمات كالشلال المتدفّق، وأنت تروين حكايتك بدون إغفال أبسط التفاصيل.
زرْبينات : لو لم يسمعْها من فمي، لبلغته على لسان غيري.

المشهد الخامس

اركانت، وسيلفاستر

أرْكانْت : يا سيلفاستر.
سيلْفاسْترْ (لزربينات) : أُدخلي الى المنزل. ها هوذا سيدي يناديني.
أرْكانْت : إتفقتما معاً، أنت واسكابان المحتال، وابني الغبي لكي تتمرّدا على سلطتي الوالدية وتُخالفا رغبتي، وأنتما تظنّان اني سأسكت على وقاحتكما.
سيلْفاسْترْ : اذا كان إسكابان، يا سيدي، قد تخابث عليك، فأنا لست مسؤولاً عنه، ولا علاقة لي بما فعله.
أرْكانْت : سنناقش هذه المشكلة قريباً، يا محتال. فأنا لست ممّن يسكتون عن مثل هذه الألاعيب الدنيئة.

المشهد السادس

جيرونت، وأركانت، وسيلفاستر.

جيرونْت : ليتك تعلم، يا سيدي أركانت، كم أرهقتْني هذه السفالات.
أرْكانْت : أنا ايضاً عافت نفسي هذه الخزعبلات الحقيرة.
جيرونْت : إختلس مني الدجّال اسكابان بحيلةٍ خسيسة خمسمئة فرنك.
أرْكانْت : هذا المحتال نفسه اختلس مني ايضاً مبلغ مئتي فرنك.
جيرونْت : ولم يكتفِ بالفرنكات الخمسمئة التي ابتزّها مني، بل عاملني بطريقة غادرة أخجل من أن أرويها. غير أنه سيدفع لي ثمنها غالياً.
أرْكانْت : وأنا ايضاً سأؤدّبه بأسلوب لن يعجبه، على المهزلة التي وطّني فيها.
جيرونْت : أجل، وأنا سأنتقم منه انتقاماً رهيباً.
سيلْفاسْترْ (على حدة) : أتمنّى أن لا يكون لي نصيب في كل هذه القصص المخجلة.

جيرونْت : هذا ليس كل ما في الأمر، أيها السيد اركانت. فالمصيبة تجرّ دائماً وراءها مصيبة أخرى. فقد كنت آمل وأُمَنّي نفسي بأن أجد ابنتي التي كنت أعلّق عليها كل رجائي. وها أنا قد علمت من صاحبي بأنها ذهبت منذ زمن طويل الى تارانْت. وبلغني انها هلكت في حادثة غرق الباخرة التي أقلّتها.

أرْكانْت : لماذا بقيتْ في تارانت، ولم تَعُدْ برفقتك لتُدخل السرور الى قلبك ؟

جيرونْت : لديّ أسباب قاهرة ودواعي عائلية اضطرتني الى كتمان سرّ زواجي الثاني حتى الآن. لكن ماذا أرى ؟

المشهد السابع

نيرين، واركانت، وجيرونت، وسيلفاستر.

جيرونْت : أجدك هنا، أيتها المرضع، فماذا جرى ؟

نيرين (تجثو على ركبَتَيْها) : آه، يا سيدي باندولف، ما ...

جيرونْت : ناديني جيرونت، ولا تلفظي بعد اليوم ذاك الاسم الذي ذكرته. فالأسباب التي دفعتني الى اتخاذه موقّتاً في تارانت قد زالت الآن.

نيرين : كم أدخل تغيير اسمك على قلوبنا من الحزن والقلق. فجئنا الى هنا للإطمئنان عنك.

جيرونْت : أين تركتِ ابنتي وأمّها ؟

نيرين : ابنتك، يا سيدي، ليست بعيدة عن هذا المكان. ولكن قبل أن تشاهدها، لا بد لي من طلب عفوك، لأني اضطررت الى تزويجها بسبب حالة الإهمال والضياع التي وجدنا أنفسنا غارقين فيها.

جيرونْت : ابنتي تزوّجت ؟

نيرين : أجل، يا سيدي.

جيرونْت : ومن تزوّجها ؟

نيرين : شاب يُدعى أوكتاف، ابن سيّد اسمه أركانت.

جيرونْت : يا الهي.

أَرْكانْت : ما هذه الصُدْفة ؟
جيرونْت : خذيني، هيا خذيني حالاً الى حيث هي كي أراها.
نيرين : ما عليك إلّا أن تدخل الى هذا المنزل لتشاهدها.
جيرونْت : سيري أمامي. وأنت، يا سيدي أركانت، إلْحَقْ بي.
سيلْفاسْترْ : هذه مغامرة مباغتة لم يسبق لها مثيل.

المشهد الثامن

اسكابان، وسيلفاستر

إسْكابان : ارجوك، يا سيلفاستر ان تقول لي ماذا يفعل اصحابنا ؟
سيلْفاسْترْ : لديّ نبآن ابلغك إياهما : الأول، ان قضية أوكتاف قد سُوِّيَتْ، وتبيّن أن ياسانت هي ابنة السيد جيرونت. وشاءت الصدفة أن يؤدّي تحفّظ ابويها الى اتخاذ قرار زفافها. والنبأ الثاني هو أن العجوزَيْن يتآمران عليك، ولا سيما السيد جيرونت.
إسْكابان : هذا غير مهمّ. فلم تُرهبْني التهديدات يوماً، لأنها كالغيوم العابرة لا تلبث أن تنقشع.
سيلْفاسْترْ : كن على حذر. إذْ لا يُستبعَد أن يتّفق الابنان والوالدان ويتفاهم الجميع معاً، وتبقى أنت متهماً بالجرم.
إسْكابان : دعني أتصرّف، فلن يصعب عليّ أن أُهدّئ الخواطر وأن ...
سيلْفاسْترْ : إنسحب من هنا. فها هم قد أقبلوا.

المشهد التاسع

جيرونت، وأركانت، وسيلفاستر، ونيرين، وياسانت

جيرونْت : هيا، يا ابنتي الحبيبة، عودي الى منزلي. فلن يكتمل فرحي إلّا حين أبصر والدتك الى جانبك.
أرْكانْت : ها هوذا أوكتاف قد أقبل.

المشهد العاشر.

أوكتاف، وأركانت، وجيرونت، وياسانت، ونيرين، وزربينات، وسيلفاستر.

أرْكانْت : تعال، يا ولدي، نفرح معك بزواجك المبارك. فالسماء ...
أوكْتاف (بدون أن يبصر ياسانت) : لا يا أبي. كل اقتراحاتك في موضوع زواجي لا تُجْدي نفعاً. يتحتّم عليّ أن أصارحك بما أخفيه عنك. فلا بدّ من أن تكون قد علمت بارتباطي في هذا الموضوع الجوهري.
أرْكانْت : نعم، ولكنك لا تعلم ...
أوكْتاف : انا مطّلع على كل ما يجب أن أعرفه.
أرْكانْت : أريد أن أخبرك بأن ابنة السيد جيرونتْ ...
أوكْتاف : ابنة السيد جيرونت لا علاقة لها البتّة بوضعي انا.
جيرونْت : إنها ...
أوكْتاف (لجيرونت) : كلّا، يا سيدي. أرجوك أن تعذرني، لأني تصرّفت حسب قراري النهائي وصالحي الخاصّ.
سيلْفاسْترْ (لاوكتاف) : أنْصِتْ إليّ.
أوكْتاف : لا أريد أن أسمع منك حرفاً واحداً في هذا الموضوع المنتهي.
أرْكانْت (لأوكتاف) : ان زوجتك ...
أوكْتاف : قلت لك ان لا رغبة لي في السماع، يا ابي. أفضّل ان اموت على

أن أتخلّى عن حبيبتي وزوجتي ياسانت. (يجتاز خشبة المسرح ليقف الى جانبها). نعم، مهما فعلتَ، لا فائدة منه الآن، لأني قد ارتبطت بها بوثاق الزفاف، وسأحبها طوال عمري، ولن أرضى بزوجة بديلة عنها.

أزْكائت : في الحقيقة، هي المرأة التي أنوي أن أزفّها اليك. وخلافنا ليس في الواقع إلّا سوء تفاهم لا أكثر ولا أقلّ.

ياسائت (تشيُر الى جيرونت) : أجل، يا اوكتاف، ها قد وجدت ابي وزالت عني وعنك كل الشدائد والهموم.

جيرونْت : لنذهب الى بيتي حيث نتحدّث بارتياح أوفر.

ياسائت (تشير الى زربينات) : أرجو، يا أبي، ان لا يكون لديك أي مانع لإحتفاظي بصداقة هذه الصبيّة التي أحبّها. وهي فتاة تستحقّ كل التقدير والثناء، وستنال إعجابك عندما تعرفها معرفة وافية.

جيرونْت : تريدين أن أقبل في بيتي صبيّة تزوجها أخوك بدون علمي، وقد ألْصقت بي منذ هنيهة ألْف حماقة وحقّرتني وازدرتْ بي.

زرْبينات : أرجوك، يا سيدي، ان تسامحني. لم أكنْ لأتكلّم عنك هكذا لو عرفتُ من أنت. فقد سمعت عنك شتى الأخبار غير المشجّعة قبل أن أتعرّف اليك.

جيرونْت : ماذا بلغك عني ؟

ياسائت : ارجوك، يا ابي، ان تعلم ان ما يحفظه لها أخي في أعماق قلبه من الحبّ والتقدير ليس جرماً، وأنا أضمن ما تتحلّى به من الفضائل والحسنات.

جيرونْت : هذا جميل جداً. فأخوك أصرّ على الاقتران بها، رغم أنها فتاة مجهولة مهنتها التشرّد.

المشهد الحادي عشر

لياندر، واوكتاف، وياسانت، وزربينات، وأركانت، وجيرونت، وسيلفاستر، ونيرين.

ليانْدر : لا تتذمّرْ، يا ابي، من إقدامي على الإقتران بمجهولة، لا أصْل لها ولا مال لديها. ان الأشخاص الذين انتزعتها من بينهم أكّدوا لي بالبرهان أنها ابنة رجل شريف من اسرة محترمة تقطن هذه المدينة، لأنهم اختطفوها وهي في الرابعة من سنّها. وقد أعطوني هذه الاسوارة التي كانت في معصمها. وأعتقد أنها خير دليل يساعدنا على الاهتداء الى أهلها.

أرْكانْت : يا الهي. حال مشاهدتي هذه الاسوارة، عرفت انها تخصّ ابنتي التي فقدتها، وهي في العمر الذي ذكرته الآن.

جيرونْت : إبنتك ؟

أرْكانْت : أجل هي ابنتي، وملامحها تعيد الى ذاكرتي صورة محيّاها حين كانت صغيرة السنّ.

ياسانْت : ايتها السماء، ما هذه المفاجآت الحلوة الخارقة التي حدثت في هذا النهار ؟

المشهد الثاني عشر

كارل، ولياندر، واوكتاف، وجيرونت، واركانت، وياسانت، وزربينات، وسيلفاستر، ونيرين.

كارْل : أعذروني، يا سادتي. لقد جرى الآن حادث غريب التوقيت.

جيرونْت : ما هو ؟

كارْل : مسكين اسكابان.

جيرونْت : هو دجال محتال، أتمنّى شنقه.

كارْل : مع الاسف، يا سيدي، لن تحتاج بعد الآن الى هذا العناء. عندما كان مارّاً قرب ورشة بناء سقط حجر ضخم على رأسه وهشّمه كأنه مطرقة. وهو في هذه اللحظة ينازع، وقد إلتمس منّا أن نأتي به الى هنا ليشاهدكم ويخاطبكم قبل أن يلفظ أنفاسه الأخيرة.

أرْكانْت : أين هو حالياً ؟

كارْل : ها هوذا.

المشهد الثالث عشر

اسكابان، وكارل، وجيرونت، وأركانت، الخ.

إسْكابان (يحمله رجلان، ورأسه معصوب بالشاش، كما لو أصابه جرح بليغ): آهْ، آهْ، يا سادتي، ترونني... آه، ترونني في حالة يُرثى لها. آه، لم أشأ أن أموت بدون أن آتي واطلب عفو جميع الأشخاص الذين أغظتهم وأسأت اليهم. آه، نعم، يا سادتي، قبل أن أفارق الحياة، ألْتمس من قلوبكم السمحة أن تغفر لي جميع حماقاتي، ولا سيما ما فعلته بالسيد أركانت والسيد جيرونت. آه، آه.

أرْكانْت : انا من جهتي سامحتك. فيمكنك أن تموت بسلام ...

إسْكابان (لجيرونت) : امّا أنت، يا سيدي، فقد أسأت اليك اكثر من سواك لأني أوسعتك ضرباً بالقضيب ...

جيرونْت : لا تقلْ أكثر من هذا. فأنا أيضاً قد سامحتك.

إسْكابان : لقد أمعنتُ في الإساءة اليك حين أوسعتك ضرباً، وأنا أُوهمك بأني أحميك من أعدائك.

جيرونْت : دعنا من هذا الحديث.

إسْكابان : أشعر، وأنا أموت، بألم شديد كأنه ناجم عن الضرب بالقضيب ...

جيرونْت : يا الهي. قلت لك كَفَى، أسكتْ

إسْكابان : هذه الضربات الموجعة التي أنزلتها بك ...
جيرونْت : قلت لك أصمتْ، وانْسَ كل ما مضى.
إسْكابان : أنا آسف كل الأسف. فقد غمرتموني بكرم أخلاقكم. ولكن، هل حقّاً سامحتني من كل قلبك، يا سيد جيرونت، وغفرت لي ضربي إياك بالقضيب ؟ ...
جيرونْت : أجل، لا تَعُدْ الى ذكر حرف ممّا مضى. أجل، غفرت لك كل إساءاتك.
إسْكابان : الآن هدأ بالي بهذه المسامحة الأكيدة الشاملة.
جيرونْت : أجل، أنا سامحتك وغفرت لك جميع إساءاتك، بشرط أنْ تموت.
إسْكابان : ماذا تقول، يا سيدي ؟
جيرونْت : اذا استغربت قولي، أتراجع عنه فوراً.
إسْكابان : آه، آه، ها قد عادت الأوجاع تدبّ في أوصالي بشدّة.
أرْكانْت : ايها السيد جيرونت، إكراماً لإبتهاجنا، يجب عليك أن تغفر له وتسامحه بدون أي شرط.
جيرونْت : فلْيكنْ.
أرْكانْت : هيّا بنا اذاً لنتعشّى سويّةً ونحتفل بأفراح يومنا هذا.
إسْكابان : وأنا أودّ أن أجلس الى مائدتكم متصدّراً، بانتظار أن أموت في المستقبل، بعد العمر الطويل.

(تمّت)

غيرة المخدوع

أشخاص المسرحية

المخدوع : زوج أنجيليك.
الطبيب :
أنجليك : إبنة كورجيبوس.
فالير :. عاشق أنجيليك.
كاتي : مُرافقة أنجيليك.
كورْجيبوس : والد أنجيليك.
فيلْبروكان : صديق كورجيبوس
لا فالي :

المسرحية ذات فصل واحد

المشهد الاول

المخدوع

المخدوع : لا بدّ لي من الاعتراف بأني أتعس خلق الله. اذ لا همّ لزوجتي إلّا ان تثير غضبي، بدل ان تكون تعزيتي وسلواي في هذه الدنيا، وأن تسعى جاهدة لتحقيق أمنياتي. فأراها تعمل بكل خبث ودهاء على اخضاعي لشيطان حماقتها عشرين مرة في اليوم الواحد، بدلاً من المكوث في بيتها والإنصراف الى اشغالها المنزلية. لانها تحبّ النزهات والمآكل اللذيذة التي يجود بها عليها المتملقون، ومعاشرة ما هبّ ودبّ من الناس المغرضين. فما أشقاني أنا المخدوع، وما افدح مصابي. على كل حال، هي تستحقّ أشد العقاب. آه، لو كان باستطاعتي ان أقتلها وأرتاح من شرّها... لكن ذلك لن يفيدني، بل سيوصلني الى حبل المشنقة. واذا تسبّبتُ في سجنها... ستخرج منه اللعينة، بفضل ما تتقنه من فنون الاغراء. فماذا عساي أن افعل ؟ ها هو الطبيب يمرّ من هنا. وما عليّ إلّا ان اطلب منه نصيحة تنقذني من جحيمي الذي لا يطاق عذابه الاليم.

المشهد الثاني

الطبيب والمخدوع

المخدوع : كنت مزمعاً ان أذهب اليك لكي أرجوك ان يصف لي علاجاً يشفيني من علّتي المزمنة التي ترهقني منذ زمن بعيد.

الطبيب : لا بدّ لك من ان تكون غبيّاً وبليداً الى اقصى حدّ، يا صديقي،لانك تخاطبني بدون ان ترفع قبعتك عن رأسك احتراماً لمقامي، وبدون ان تبادرني بألْزم ألْقابي التي أستحقها عن جدارة. واذا بك تبدأ توجيه حديثك اليّ بقلة لياقة ولباقه، وتحييني بدون تهذيب وانحناء، وبدون ما أعتز به من لقب الطبيب النطاسي الفريد. يخيّل اليّ انك تظنني من عامة الناس، أيها الصديق الجاهل.

المخدوع : أرجوك ان تعذرني، يا سيدي، لعدم إنتباهي الى هذا الواجب، ولعدم تفكيزي بما كنتُ أقول وأفعل. لكن ثقْ بأني أعلم تماماً انك رجل لطيف كريم.

الطبيب : هل تدري ما معنى اللطيف الكريم ؟.

المخدوع : أجل، هو الرجل الآتي من الضواحي البعيدة التي لا يهمني أمرها.

الطبيب : إعلم، يا هذا، ان كلمة لطيف تعني صاحب اللطف، وعندما تضاف اليها كلمة كريم تنتسب حينئذ الى الرجل اللطيف الكريم. فهل ما زلت تظنني من عامة الشعب ؟.

المخدوع : أنا واثق بانك طبيب. ولنتكلّم عن المسألة التي أطلب مشورتك من أجلها. فأرجوك ان تعرف أني...

الطبيب : إعلم أيضاً انني لست طبيباً مرة واحدة فقط بل مرتين وثلاث واربع وخمس وست وسبع وثماني وتسع وعشر مرات طبيباً ماهراً.

ــ أوّلاً : لأن الوحدة هي الأساس، ورقم واحد هو أول الأرقام لذ أنا أول الاطباء براعة.

ــ ثانيا : هناك موهبتان ضروريتان لمعرفة كل المعلومات، بغية استيعاب المعنى والمدلول. وبما اني أُدرك المعنى والمدلول، فأنا طبيب مرّتين.

المخدوع : لا خلاف على ذلك. ولكن...
الطبيب : ثالثاً، لأن العدد ثلاثة يشير الى الكمال حسب ما أكدّه الفيلسوف ارسطاليس، وبما اني كامل الصفات، كذلك كل أفكاري بُرمَّتها هي كاملة، وهكذا انا طبيب ثلاث مرات.
المخدوع : لا شك عندي في ذلك مطلقاً، ايها الطبيب.
الطبيب : رابعاً، لأن عِلْم الفلسفة يشتمل على اربعة أقسام اساسية هي : المنطق والاخلاق والطبيعة وما وراء الطبيعة، وبما اني وحدي امتلك هذه الاقسام الاربعة، ومتضلّع منها جميعاً، فأنا طبيب اربع مرات.
المخدوع : اكرر لك أني لا أشك بذلك بتاتاً. فأرجوك أن تستمع اليّ.
الطبيب : خامساً، لأن هناك خمسة عناصر كونيّة في: النـوع، والجـنس، والفرْق، والخاصّة، والحادث، وبدون معرفتها لا يمكن ان يستقيم أي منطق، وبما اني قادر على استخدامها لصالحي، وأدرى الناس بفوائدها، فأنا هكذا طبيب خمس مرات.
المخدوع : ما أحوجني معك الى الصبر الجميل وطول البال.
الطبيب : سادساً، لان الرقم ستة هو رقم الشغل، وبما أني أعمل بدون انقطاع للمحافة على أمجادي، فأنا طبيب ست مرّات.
المخدوع : يمكنك ان تتكلّم بقدر ما تريد.
الطبيب : سابعاً، لأن الرقم سبعة مبارك ويدلّ على الغبطة، وبما اني ضليع في جميع المعارف التي تؤمّن رفاهيّة الانسان، وانا سعيد بما لديّ من مواهب، اراني مضطراً لأن أعلن أني طبيب سبع مرات.
ــ ثامناً، لان الرقم ثمانية يرمز الى العدالة ويشتمل على المساواة، ولأني بهذه العدالة الحكيمة أقيس جميع أفعالي، فأنا أعتبر ذاتي طبيباً ثماني مرات.
ــ تاسعاً، لأن البشر لا يمكنهم الإستغناء عن هذا العدد بدون ترديد سائر الارقام، ولان هذا الرقم عالمي أيضاً وأيضاً، وجدني البشر طبيباً عالمياً، لأني أجمع كل صفات الطبيب الماهر. لذلك ترى هذه الأسباب القاهرة صحيحة ومُقْنعة لا تحتاج الى أي برهان لإثبات اني مرةً ومرّتين وثلاث وأربع وخمس وست وسبع وثماني وتسع وعشر مرات طبيب بارع.

المخدوع : ما هذا الكلام ؟ ظننت اني وقعت على رجل عالم جدير بأن يجود عليّ بنصحه، فتبيّن لي انه منظّف مداخن، بدل أن يحدّثني أولاً وثانياً وثالثاً ورابعاً الخ. ها، ها، ها، هذا لا يعجبني. فأرجوك ان تصغي اليّ وأن تصدقني إن قلت لك إني رجل لا أضيع لك أتعابك. وانك إن لبيت طلبي الذي أسألك اياه، ستنال ما ترغب فيه من المال، طبعاً اذا شئت ان تفيدني.

الطبيب : أنت تَذْكُر المال.

المخدوع : نعم، المال وأي شيء آخر تطلبه.

الطبيب : (يجمع بيديه أطراف جبّته خلف ظهره) : أنت تظن ان المال يجعلني أفعل كل ما تطلبه مني، ايها الغبي، كأي إنسان يتمسّك بالمادة، ويؤجِّر نفسه كسائر المرتقزقة ؟ ألا اعلم، يا صاح، انك وإن منحتني كيساً من النقود موضوعاً في علبة، والعلبة مزخرفة محفوظة في صندوق يستحقّ الاعجاب، وهذا الصندوق موجود في غرفة رائعة، والغرفة في جناح فخم، وهذا الجناح داخل قصر شاهق، وهذا القصر ضمن قلعة حصينة، وهذه القلعة في قلب مدينة شهيرة، وهذه المدينة وسط جزيرة خصبة، وهذه الجزيرة يحيط بها بحر حافل بالغرائب والعجائب، وهذا البحر ضمن منطقة مزدهرة، وهذه المنطقة وسط مملكة واسعة شاسعة. وإن جُدْتَ انت عليّ بهذا العالم الرائع بما يحويه من ممالك مزدهرة ومناطق غنيّة ومدن عامرة شهيرة وقلاع لا مثيل لها وقصور شاهقة وأجنحة مُتْرَفَة وغرف مزيّنة وصناديق ثمينة وعلب مزخرفة ومحافظ نقود مليئة، فلن اهتمّ بك ولا بمالك حتى ولا بشخصك.

المخدوع : لقد أخطأت في التوجّه اليه، لأنه يرتدي ملابس شبيهة بثياب الاطباء، جعلتني أظنّ ان عليّ ان احدثه عن المال. ولكن، بما انه لا يرغب في المال، فمن السهل إرضاؤه بأي شيء آخر. لذا عليّ ان أمضي اليه.

المشهد الثالث

أنجيليك، وفالير، وكاتي

انجيليك : أؤكّد لك، يا سيدي، انكَ تجبرني أحياناً على مرافقة زوجي المشوّه والمستهتر والسكّير، وعلى احتمال سماجته كعذاب لا يطاق. إذ لا فائدة ولا سلوى في مصاحبة مثل هذا الثقيل الظلّ.

فالير : انتِ تكرمينني كثيراً بمساررتي هكذا. لذا اعدكِ بأن أبذل جهدي للترويح عن نفسك. وبما انكِ تبدين مبتهجة بمجالستي، يسرّني ان اعلمك بأني انا أيضاً سعيد بمبادلتكِ الحديث الطليّ الذي توجّهينه اليّ.

كاتي : علينا ان نغيّر الموضوع، لأن زوجي، حليف النحس، قد وصل.

المشهد الرابع

المخدوع، وفالير، وانجيليك، وكاتي

فالير : يكاد اليأس يخنقني با سيدتي، حين انقل إليك أخباراً مزعجة عن شخص معيّن. وبما ان أخاك مريض جداً...

انجيليك : ارجوك ان لا تضيف كلمة الى ما قلته لي. واشكرك على ما تحمّلته من مشقّة للمجيء الى هنا.

المخدوع : بدون الذهاب الى الكاتب العدل، حظيت بالشهادة الناصعة التي تؤكّد أني زوج مخدوع. ها، ها، ها، يا سيدتي البارعة في الاغراء، اراكِ بصحبة رجل غريب، رغم كل التحريمات التي امليتها عليك، وانت تتقنين، فنون الغنج والدلال.

أنجيليك : وهل يستدعي ذلك أن تُسمعني هذه الملامة ؟ لقد جاء هذا السيد ليخبرني بأن أخي مريض، فما هو الداعي للمشاجرة ؟.

كاتي : ها هو ماثل أمامي. ولا شك عندي أننا مقبلون على فترة صعبة.

المخدوع : انتما كلاكما تتدلّلان وتجلبان الغمّ الى قلبي. اما انتِ، يا كاتي، فأني على يقين بأنكِ تحرّضين زوجتي على التمرد والعصيان. فمنذ ان تصاحبتما لم تعد تملك نصف ما كنتُ أقدّره فيها من الطاعة والمسايرة.
كاتي : طبعاً، لأنك مستبدّ تحجز حرّيّتها بشكل لا يطاق.
أنجيليك : دَعِي هذا السكّير يهزي. ألاَ تشمين رائحة الخمرة الفوّاحة من فمه النتن ؟.

المشهد الخامس

كوزْجيبوس، وفيلْبروكان، وانجيليك، وكاتي، والمخدوع

كوزْجيبوس : ها هوذا صهري الملعون يشاجر ابنتي المسكينة.
فيلْبروكان : علينا ان نعرف الاسباب التي دفعته الى ذلك.
كوزْجيبوس : الشجار المتواصل لا يُحتمل. فلا اثر للسلام والهدوء في هذا البيت.
المخدوع : هذه المتهتّكة تعتبرني سكّيراً. آه، كم أودّ أن أؤدّبها بحضور أهلها.
كوزْجيبوس : لو أقدمت على ذلك لدفعتُك الى الشيطان الرجيم.
انجيليك : أترى كيف يبدأ هو دائماً بإثارة الشغب.
كاتي : ما أنحس الساعة التي رضيت فيها بهذا الدجّال زوجاً.
فيلْبروكان : هيا اسكتي، يا ثرثارة.

المشهد السادس

الطبيب، وفيلْبروكان، وكورْجيبوس وكاتي، وانجيليك والمخدوع.

الطبيب : ما هذه الفوضى، ما هذا الشجار ؟ وما هذه السفاهة ؟ ما هذه الضجّة ؟ ما هذا الخلاف ؟ ما هذا التناحر ؟ ما الخبر، يا جماعة ؟ ما ذا جرى ؟ أليس من سبيل الى التفاهم فيما بينكم والاتفاق والوئام ؟ هل من وسيلة فعّالة لأكون المصالح الموفّق فيما بينكم ؟.

كورْجيبوس : صهري وزوجته، ابنتي المسكينة، يتشاحنان معاً باستمرار.

الطبيب : ما السبب ؟ أخبرني ماذا جرى بينهما من خلاف ؟.

كورْجيبوس : سيدي...

الطبيب : إختصر الكلام.

كورْجيبوس : طبعاً. أرجع قبعتك الى رأسك.

الطبيب : هل تعرف مصدر كلمة قبعة ؟.

كورْجيبوس : كلاّ.

الطبيب : هي مشتقّة من قَبَعَ أي مكث بهدوء، وهذا ما يجب ان يسود هذا المكان.

كورْجيبوس : لم أكن أعرف ذلك.

الطبيب : قلْ لي بسرعة ما هو سبب هذا الشجار ؟.

كورْجيبوس : إليك ما جرى...

الطبيب : لا أظن أنك تستطيع ان تستوقفني طويلاً. فأرجوك ان توجز حديثك لان لديّ اموراً مستعجلة عليّ أن أتمّمها في المدينة. لكني لأجل إعادة الصفاء الى أُسرتكم يسعني ان اتوقّف لحظة.

كورْجيبوس : سأروي لك القصة بلمحة.

الطبيب : إختصر اذا على قدر الامكان.

كورْجيبوس : وهذا ما أنوي أن أفعله.

الطبيب : عليك ان تعلم، يا سيدي كورجيبوس، ان الإيجاز فضيلة نادرة، وأن المحدّثين الكبار بدلاً من أن يحملوا الناس على الإستماع اليهم، يتصرّفون

بشكل غير لائق، ناسين أن أبرز فضائل الانسان هي التقليل من الكلام.
كورْجيبوس : واعْلمْ أنتَ إذاً أنّ...
الطبيب : لقد أوصى سقراط الفيلسوف أتباعه بثلاث صفات هامة : التبصّر في عواقب الأمور، والقناعة في الأكل، وسرد الوقائع بوجيز العبارة. فابْدأ إذاً، يا سيدي كورجيبوس، على هذا الأساس.
كورْجيبوس : هذا ما أنوي عمله.
الطبيب : بالاختصار، وبدون مقدّمات، وبدون إلْهائي بطول الشرح، أَخبرْني بسرعة، يا سيدي كورْجيبوس، ما هو جوهر الخلاف الناشب، لأنك أوْلى بالحديث من المتشاجرين.
فيلْبروكان : يا سيدي الطبيب، انتَ تعلم...
الطبيب : انتَ جاهل، وغير لبق، وغريب عن كل لياقة، بل حمار، بصريح العبارة، لا تفقه شيئاً. لأنك تبدأ السرد بدون أية كلمة تمهيد. ولا بدّ لأحد سواك من أن يفسّر لي اسباب الخلاف. فأعلميني أنتِ، يا سيدتي، كيف وقع الشجار ؟.
انجيليك : زوجي هذا السمج يشبه قربة الخمرة التي لا تفرغ.
الطبيب : مهلاً من فضلكِ، وتكلمي عن زوجك باحترام ووقار حين تكونين في حضرة طبيب بارع مثلي.
انجيليك : هل هذا حق مكتسب، يا سيدي الطبيب ؟أنا لا أبالي لا بلقبك ولا بعلمك، وأتحدّث كما يحلو لي.
الطبيب : أتعتقدين ذلك، أيتها الحمقاء ؟ أنتِ صاحبة مزاج متقلّب على ما يظهر، وعليك ان تكوني مهذّبة في حضرة رجل علم ومهارة نظيري يفرض اعتباره ومهابته على الجميع بدون استثناء. هيّا أخبريني باختصار ما هو سبب الخلاف ؟.
المخدوع : سيدي الطبيب...
الطبيب : هذا الكلام مطلعه جدير بالاستماع اليه. « سيدي الطبيب ». وهو تعبير حلو الرنين، رخيم النبرة على الأذن، وحافل بالوقار : « سيدي الطبيب »...

المخدوع : هذا يعجبني تماماً...
الطبيب : وهذه عبارة أخرى تروق لي أنا أيضاً، وتتضمّن ادباً جمّاً واحتراماً مشكوراً يؤدّي دوما الى حسن الختام.
المخدوع : لكن حديثك أصبح ثقيلاً على مسمعي.
الطبيب : أحذف هذا التعبير البليد من قولك، لأنه سمج بذيء.
المخدوع : ارجوك ان تنصت اليّ، يا سيدي الطبيب.
الطبيب : كلّي آذان صاغية، كما قال الخطيب المفوّه « شيشرون ».
المخدوع : انا لا اكترث لما يُنفِّر أو يُبْتَذَل من الكلام. على كل حال ستصغي اليّ أو أحطّم لك أسنانك. فما أنت، على ما أرى، إلا إبليس الخسيس.

(هنا يضجّ المخدوع وانجيليك وكورْجيبوس وكاتي وفيلْبروكان، وهم يتكلّمون جميعهم في آن واحد ويشرحون للطبيب أسباب الشجار، ملتمسين استتباب الهدوء والسلام لأن الوئام لا تفوقه أية فضيلة. وفي أثناء هذا الصخب يربط المخدوع رِجْل الطبيب بحبل ويشدّه، فيسقط الطبيب على ظهره، ويجرّه المخدوع على الأرض، بينما يواصل الطبيب صراخه وهو يعدّد علي أصابع يده كل الصفات التي ينتحلها، كما لو كان منتصباً على رجليه وهو سيّد الموقف رغم انه محجوب عن الأنظار بين جماعة الصاخبين).

كورْجيبوس : هيا، يا ابنتي، عودي الى بيتك، وتفاهمي وزوجك بهدوء.
فيلْبروكان : وداعاً، ايها الرجل العنيد، وليلتك سعيدة.

المشهد السابع

فالير، ولا فالي. (تنسحب أنجيليك)

فالير : أشكرك على تدخّلك المستحبّ، وأعدك بأن أُلبيّ لك طلبك قبل مرور ساعة من الزمن.
لا فالي : المسألة لا تحتمل التأجيل. واذا تأخرت ربع ساعة ستنتهي الحفلة

الساهرة بعد فترة، ولن يتسنّى لك ان تشاهد الصبية التي تحبها اذا لم تبادر الى المجيء خصّيصاً لذلك.

فالير : هيّا بنا إذاً نسرع الخُطى.

المشهد الثامن

انجيليك

أنجيليك : بينما زوجي غائب، أودّ أن أقوم بجولة بين الحاضرين أثناء هذه الحفلة الساهرة التي تحيّيها إحدى جاراتي المرحات. وسأعود قبل رجوعه من الخمّارة التي اعتاد ارتيادها. وهكذا لن ينتبه الى غيابي. فإن هذا الغبي يتركني وحدي في المنزل، كما لو كنت خادمة مولّجة بحراسة البيت.

المشهد التاسع

المخدوع

المخدوع : كنت على يقين بأني سأنال من هذا الطبيب الاحمق ومن معرفته السخيفة. ألاَ حَمَلَ الشيطان هذا الجاهل المغرور الذي سخرتُ من كل علومه ومن غباءه المزعج. على كل حال، عليّ ان أذهب وأرى إن كانت زوجتي الخبيثة قد اعدّت لي طعام العشاء.

المشهد العاشر

انجيليك

انجيليك : ما اتعس حظّي. لقد تأخّرت ووصلت بعد انتهاء السهرة، عندما أخذ المدعوّون ينصرفون. لكن هذا لا يهمّ كثيراً، سأعوّض عن ذلك في المرة القادمة. والآن عليّ أن أعود الى البيت كما لو لم أتغيّب عنه. لكن الباب مقفل. كاتي، يا كاتي.

المشهد الحادي عشر

المخدوع (يطلّ من النافذة) وانجيليك

المخدوع : كاتي، يا كاتي. اين أنتِ، يا كاتي ؟ ثم من أين أنت قادمة، يا زوجتي الرصينة في هذه الساعة المتأخرة من الليل، وفي هذا الطقس المكفهرّ ؟.

انجيليك : من اين أنا آتية ؟إفتح أوّلاً، يا غبي، ثم أُعلمك بعدئذ.

المخدوع : يمكنكِ ان تنامي حيث كنتِ. واذا فضّلْتِ، يسعكِ أن تبيتي في الشارع. فأنا لن أفتح الباب لمتشرّدة متهتكة نَظيركِ. كيف خرجتِ وحدكِ في هذا الليل الدامسِ. لا أدري بالضبط مع من تسكّعتِ في هذه الاثناء. ولكني أعلمُ جيداً أنكِ مذنبة.

انجيليك : تركتني وحدي في البيت، يا لئيم، فخرجتُ أتسلّى بعض الوقت. وها انت تلومني وتخاصمني لأني بحثت عن صحبة تُلهيني قليلاً.

المخدوع : كان عليكِ ان تبقي في البيت لإعداد طعام العشاء وترتيب الفوضى السائدة على المنزل. ولتؤمّني للأولاد ما يحتاجون اليه من عناية، وكذلك لتوفّري لي بعض الراحة.

انجيليك : والآن ماذا دهاكَ ؟ ألاَ تريد ان تفتح لي الباب ؟.

المخدوع : كلاّ ثم كلاّ. لن أفتح لك.
انجيليك : إفتح لي، يا زوجي العزيز. أرجوك ان تفتح لي الباب، يا حبيبي.
المخدوع : يا لك من دجّالة غدّارة. تبّاً لك أيتها الافعى السامّة. أنتِ تتملقينني الآن لكي تخونيني بعد قليل.
انجيليك : إفتحْ، يا مغرور، هيا افتحْ حالاً.
المخدوع : الوداع، يا خدّاعة. إذهبي الى إبليس اللعين.
انجيليك : ماذا تقول، أيها الأحمق ؟ألا تريد أن تفتح لي الباب ؟.
المخدوع : كلا، ثم كلا، ثم كلا.
انجيليك : ما لك لا تشفق على زوجتك المسكينة التي تحبّك كثيراً ؟.
المخدوع : لا، لا. لن أرحمكِ، لانك اهنتني، وأنا مستعد للانتقام من استهتارك وتهتّكك، وسأكون قاسياً معكِ، ولن اشفق عليكِ.
انجيليك : هل تعلم انك، إن أحرجتني وأخرجتني عن تحفظي سأغضب وسأُقدم على عمل ما يسبّب لك الأسف والندم.
المخدوع : وماذا عساكِ تفعلين، ايتها الزوجة الامينة ؟.
انجيليك : اذا لم تفتحْ لي، سأنتحر أمام الباب. فيأتي أهلي حتماً ليتفقدوني قبل ان يناموا، ويروا ما إذا كنا سوية بخير، ويجدونني قد فارقت الحياة، فيكون نصيبك حبل المشنقة.
المخدوع : ها، ها، ها. سأكون عندئذ من أسعد الناس، وستكونين انتِ الخاسر الاكبر. هيا، انا على يقين بأن حماقتك لن توصلك الى هذا المصير البائس.
انجيليك : ألاَ تصدّق اني جادة في قولي ؟ها هوذا السكّين جاهز في يدي وإنْ لم تفتح، سأغرزه حالاً في صدري.
المخدوع : إحذريه، لأنه مرهف الحدّ، ولا سيما رأسه الرفيع.
انجيليك : ألاَ تزال مصمّماً على عدم فتح الباب ؟.
المخدوع : أكّدت لك عشرين مرة أني لن افتح لك. إنتحري واذهبي الى اعماق الجحيم. فلن يهمّني مصيرك الكئيب، بل اتخلص من لسانك الطويل.

انجيليك : (تتظاهر بأنها تطعن صدرها) : الوداع إذاً، يا صاحب القلب الرقيق... آي. ها انا أَلْفظ أنفاسي الأخيرة.

المخدوع : هل جننت فعلاً لكي تُقْدمي على هذه الحماقة ؟ لا بدّ لي من إضاءة شمعة، والمبادرة لأرى حقيقة الامر.

انجيليك : وانا لا بدّ لي من الإمساك بخناقكَ. اذا شئت سأدخل البيت خلسةً، بينما أنت تبحث عمّا جرى لي. وهكذا يتحكّم كلٌ منّا بالآخر على هواه.

المخدوع : كنت واثقاً بأنها ليست غبيّة الى هذه الدرجة. هل تكون قد ماتت، وقد ركضت كالحصان الجامح ؟ على كل حال أرعدتْ فرائصي برهةً. حسناً فعلتْ باسراعها الخطي وبدخولها الى المنزل. وإلاّ، لو أمسكت بها وهي علي قيد الحياة، لأنزلتُ بجانبيها ضربات مؤلمة، بعدما أفزعتني جدّيّاً. ولكنتُ علّمتُها كيف تتلاعب بأعصابي اكثر مما بدر منها. على كل حال، سآوي الى فراشي لأنام. ولكن، يبدو أن الهواء أغلق الباب ورائي. كاتي، يا كاتي، إفتحي لي.

انجيليك : كاتي، يا كاتي، ماذا فعلتِ، يا كاتي ؟ من أين انتِ قادم ايها السكير ؟ هيا إذهب في سبيلك. فإن أهلي سيأتون بعد برهة، وسيعرفون حقيقتك، يا برميل الخمرة. انت لا تغادر الخمّارة، بل تترك زوجتك في البيت وحدها مع أطفالها، بدون أن تأبه لما يحتاجون اليه من مآكل طوال النهار.

المخدوع : افتحي لي سريعاً، يا مجرمة، أو أُحطّم رأسك الفارغ.

المشهد الثاني عشر

كوزْجيبوس وفيلْبروكان، وانجيليك، والمخدوع

كوزْجيبوس : ما هذا ؟ الشجار المستمر والمناقشة الحامية.

فيلْبروكان : أوليس من سبيل الى العيش هنا باتّفاق وسلام.

انجيليك : ألْقِ نظرة على هذا المخمور الذي يعود الآن في آخر الليل بضجة صاخبة ليهينني ويهدّد حياتي.
كورْجييوس : لا سيما الآن والساعة ليست موعد الرجوع الى البيت كالمألوف. أولاً يتحتّم عليك أن تعود باكراً كالرجل العطوف لتسلّي زوجتك، والاب الحنون لترعى أطفالك ؟ .
المخدوع : ليخطفْ روحي إبليس، إذا كنت قد غادرت البيت. إسألْ بالاحرى هؤلاء السادة الجالسين هناك على العشب الأخضر، فيؤكّدوا لك أنها هي التي تعود الآن متأخرة في نهاية الليل. آه، حقّاً لا يحلّ الظلم إلّا بالانسان العاقل البريء.
فيلْبروكان : هيّا، هيّا. إتفقا فيما بينكما، واطلبْ أنتَ منها السماح.
المخدوع : انا لن اسألها العفو. فالأفضل أن يحملها الشيطان الى نيران الجحيم، لأن غضبي ليس له حدود.
كورْجييوس : هيّا، يا ابنتي، عانقي زوجك، وكونا صديقين وفيّين.

المشهد الثالث عشر والاخير

الطبيب (يطلّ من النافذة مرتدياً ثياب النوم) والمخدوع وفيلْبروكان، وكورْجييوس، وانجيليك

الطبيب : ماذا جرى ؟ ما هذه الضجّة المتواصلة، والفوضى المستشرية، والخلاف الدائم، والشجار الصاخب والمناقشات الحامية، والخصام الابدي الذي لا ينتهي. ما هذا، وماذا حدث ؟ أليْس من وجود للراحة في هذا البيت ؟ .
فيلْبروكان : هذا امر طبيعي، يا سيدي الطبيب، والجميع على أتم الاتفاق.
الطبيب : في موضوع الوفاق، هل تريد ان اقرأ لك فصلاً من حِكَم الفيلسوف

أَرِسْتطاليس، حيث يُثبت أن جميع العناصر في هذا الكون المترامي الأطراف لا تتماسك إلّا اذا ساد بينها التناسق والانسجام.

فيلْبروكان : وهل سيدوم هذا الحال طويلاً ؟ .

الطبيب : كلا، لن يطول. إذ إن الفصل لا يحتوي سوى حوالي ستين أو ثمانين صفحة لا أكثر.

فيلْبروكان : الوداع اذاً. تصبحون على خير، وشكراً جزيلاً سلفاً.

كورْجيبوس : لا حاجة الى هذه التلاوة.

الطبيب : انتَ لا تريد ذلك ؟ .

كورْجيبوس : كلاّ.

الطبيب : الوداع إذاً. بما ان القصّة انتهت هكذا، أتمنّى لكم ليلة سعيدة.

فيلْبروكان : أما نحن فهيّا بنا نتناول طعام العشاء معاً.

(تمت)